وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور - خنشلة
كلية الآداب واللّغات
قسم الآداب واللغة العربية

الخطاب الساخر وآليات اشتغاله في الشعر الهجائي الأندلسي

أُطْرُوحَةٌ مقدّمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث L.m.d في الآداب واللغة العربية
تخصص : أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
أسماء عروة

إشراف الدكتورة:
أ.د.مقلاتي فريدة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
سميرة قروي	أستاذ التعليم العالي	جامعة خنشلة	رئيـــــسا
فريدة مقلاتي	أستاذ التعليم العالي	جامعة خنشلة	مشرفا ومقرّرا
حنينة طبيش	أستاذ التعليم العالي	جامعة حنشلة	مساعد مشرف
عبد الحميد ختالة	أستاذ محاضر –أ-	جامعة خنشلة	مناقـــــشا
مصطفى بوقلمونة	أستاذ محاضر –أ-	جامعة خنشلة	مناقـــــشا
عقيلة بعيرة	أستاذ محاضر –أ-	جامعة باتنة 1	مناقـــــشا
نورة قطوش	أستاذ محاضر –أ-	جامعة المسيلة	مناقـــــشا

السنة الجامعية:1445-1447 هـ/2025-2026م

سورة المجادلة (الآية11)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

مقدمة:

شكّل الأدب الأندلسي على مرّ العصور أحد أبرز الصفحات المضيئة في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية، فهو ليس مجرد انعكاس لروح المشرق في أقصى الغرب الإسلامي، بقَدر ما هو تجربة إبداعية قائمة بذاتها، استطاعت أن تُساهم في إثراء التراث العربي وتلوينه بألوان جديدة من الجمال الفني والتعبير الإنساني، فالمجتمع الأندلسي بتعدد أعراقه وثقافاته وحراكه السياسي والاجتماعي المستمر، أفرز مناخا خصبا لانبثاق أدب متنوع الملامح، متجدد الصور يجمع بين أصالة الموروث العربي الإسلامي، وحداثة التأثر بالواقع الأوروبي المتاخم، وفي خضم هذا الزخم الحضاري،ظهر الشعر الأندلسي ليعبّر عن هموم الناس وطموحاتهم، ويترجم بصدق مشاعر الفرد والجماعة، ويواكب التحولات السياسية من صعود وسقوط وانتصارات وانكسارات،من أجل صياغتهَا في قوالب شعرية تجمع بين الطرافة والجدية، بين التهكم والنقد والجمال الفني والرسالة الاجتماعية.

لهذَا، برزت السخرية كظاهرة أدبية أصيلة، لا باعتبارها لونا عابرا من ألوان التسلية أو الترفيه، بل باعتبارها أداة نقدية حادة تكشف التناقضات وتفضح المساوئ، وتنتصر للقيم الإنسانية في مواجهة الاستبداد والفساد والخلل الاجتماعي،وهي بهذَا تمثل في حقيقتها طاقة تعبيرية مزدوجة،لأنَّها تُثير الضحك والطرافة من جهة، وتُنَبّي الوعي وتُحفّز التفكير من جهَة أخرَى، ولعلّ هذا البعد المزدوج هو ما جعل السخرية ملازمة للهجاء، حتى غدت جزءا من نسيجه الفني والموضوعي، وقد اعتبره "شارلبودلير" أصل الأنواع الأدبية الفكاهية، وهذا يعكس تلك العلاقة القائمة بين السخرية والهجاء، فهناك صلة وثيقة بينهما؛ لأن السخرية تقوم على نسبة عيب من العيوب إلى شخص معين

بقصد التهكم والاستهزاء والاحتقار، وهذا عين الهجاء؛ إذ يسعى فيه الشاعر إلى إلحاق العيوب بالمهجو من أجل الإساءة إليه، وفضحه أمام الناس ليصبح أضحوكة، وذلك لأسباب مختلفة، وبذلك فالسخرية متجلية في الهجاء،فهي وسيلة يستخدمها الشاعر لجعل المهجو محل استهزاء واستخفاف، لذا هناك من يرى أن السخرية هي آلية تستخدم في التهكم المرير أو الهجاء.

لم يقتصر الهجاء في الشعر الأندلسي على الأفراد أو الخصوم السياسيين فحسب، بل امتد ليطال المؤسسات والوظائف والطبقات الاجتماعية، بل وحتى المدن في نوع من النقد الجماعي الذي يتجاوز الحدود الضيقة للخصومة الشخصية.

إنّ الاهتمام بدراسة السخرية في الشعر الأندلسي ليس نزوة علمية عابرة، بل هو استجابة لحاجة بحثية ملحّة تفرضها طبيعة النصوص الأندلسية نفسها، وما تختزنه من إشارات ساخرة تكشف عن وعي حاد بمفارقات العصر ومشكلاته، كما أنّ هذا الاهتمام يجد مسوغاته في كون الدراسات السابقة على أهميتها لم تتناول السخرية في بعدها الخطابي داخل الهجاء الأندلسي تناولا مستقلا إذ انصبت أغلب الجهود على الأغراض الكبرى كالغزل والمدح والرثاء، أو على الظواهر الفنية والثقافيةالجديدة في تلك الحقبة كالزجل والموشحات، ومن ثَمّ تأتي هذه الأطروحة لتسدّ فراغا في حقل الدراسات الأندلسية، من خلال مقاربة موضوع الخطاب الساخر وآليات اشتغاله في الشعر الهجائي الأندلسي، بوصفه ظاهرة مركّبة تقتضي قراءة جمالية وفكرية متأنية، تُبرز آلياتها الفنية من صورة شعرية ولغة وأسلوب، وتكشف في الآن ذاته عن دلالاتها الفكرية والاجتماعية والسياسية.

إنّ اختيارنا لموضوع " **الخطاب الساخر وآليات اشتغاله في الشعر الهجائي الأندلسي**"لم يكن وليد المصادفة، بل جاء استجابة لجملة من الدوافع الموضوعية والذاتية، وهذه الأخيرة تعود إلى اهتمامنا المبكر بالأدب الأندلسي وما يتميّز به من ثراء وتنوّع، إذ نرى فيه ميدانا خصبا للكشف عن جماليات القول الشعري، ورصد خصوصياته الفنية والدلالية، كما أنّ انجذابنا إلى ظاهرة السخرية راجع إلى ما تحمله من طاقة مزدوجة تجمع بين الإضحاك والنقد وبين التهكم وإثارة الوعي، وهو ما يجعلها ظاهرة إنسانية وأدبية بالغة الأهمية تعبّر عن نبض المجتمع الأندلسي وموقف الشاعر من قضاياه، إنّ رغبتنا في التعمق في هذا الجانب تنبع أيضا من قناعتنا بضرورة تسليط الضوء على ميدان ظلّ مهمّشا نسبيا في الدراسات الأندلسية، الأمر الذي يمنحنا دافعا ذاتيا قويا لطرق هذا الباب.

أما من الناحية الموضوعية فإنّ اختيارنا يجد مسوغاته في قلة الدراسات المتخصصة التي تناولت السخرية في الشعر الأندلسي، إذ غالبا ما اكتفت الأبحاث بالحديث عن الأغراض الشعرية الكبرى كالمدح والغزل والرثاء، أو عالجت الهجاء معالجة عامة دون إبراز الخطاب الساخر وآليات اشتغاله بوصفه ظاهرة قائمة بذاتها ،وهو ما نعدّه فراغا معرفيا يستدعي المعالجة والبحث،كما أنّ خصوصية السياق الأندلسي بما شهده من اضطرابات سياسية وصراعات اجتماعية وتحوّلات حضارية، تمثل عاملا موضوعيا يفسر حضور السخرية في شعر تلك المرحلة، ويجعل

دراستها ضرورة علمية لفهم كيفية تفاعل الأدب مع واقعه التاريخي ومنه فإنّ موضوعنا لا يقتصر على تتبع الظاهرة في بعدها الفني فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى الكشف عن وظائفها التداولية والجمالية والفكرية، بما يسهم في النظر إلى الأدب الأندلسي وإبراز إسهاماته في إثراء التجربة الشعرية العربية.

وعليه فهذا البحث يطمح إلى فهم طبيعة الخطاب الساخروآليات اشتغاله في الشعر الهجائي الأندلسيين أجل تعزيزه وتدعيمه ليكون أشد إيلاما وتعريضا،ويكون ذلك بالكشف عن الوسائل والأساليب والآليات التي استخدمها الشعراء في شعرهم الهجائي ليصبح أشد نقدا، وذلك ضمن السياق الثقافي والاجتماعي للأندلس، ومنه تتبلور الإشكالية العامة للبحث في السؤال التالي:

كيف تجلى الخطاب الساخر في الشعر الهجائي الأندلسي؟ وما هي أبرز الآليات التي اعتمد عليها الشعراء؟ولتفكيك هذه الإشكالية العامة وتحليلها بدقة، يُقترح التركيز على جملة من التساؤلات الفرعية للبحث وهي :

- ما السخرية؟ وما أهم المصطلحات المرتبطة بها؟
- ما هو الهجاء؟ وما علاقته بالسخرية؟
- ما هي بواعث الهجاء والسخرية في المجتمع الأندلسي؟
- ما هي أهم موضوعات السخرية؟ وما هي أهم الوظائف التي تؤديها؟
- بماذا تميزت بنية الخطاب الساخر من حيث اللغة، والصورة الشعرية والأسلوب؟
- ما الإجراءات والأساليب التي اعتمدها الشعراء لتقريب الخطاب الساخر إلى المتلقي؟
- ما هي أهم الآليات التي اعتمد عليها الشعراء في صياغة وتفعيل سخريتهم في الشعر الهجائي؟

كل هذه التساؤلات كانت منطلقا لتحديد أهداف هذا البحث المتمثلة في:

- تبيان مدى ارتباط السخرية بفن الهجاء.
- تحديد أهم موضوعات ووظائف السخرية في شعر الأندلسيين.
- تبيان كيفية رصد وتحقيق الشعراء الأندلسيين السخرية في شعرهم الهجائي.
- رصد أهم الرسائل المضمرة التي تحملها ظاهرة السخرية.
- عرض أهم الميكانيزمات، والآليات التي يعتمد عليها الخطاب الساخر وكيف تجسدت في الشعر الهجائي الأندلسي.

لتحقيق أهداف هذه الدراسة اعتمدنا على إجراءاتآليات الوصف والتحليل التي تساعد على تتبع وكشف ظاهرة السخرية في الشعر الأندلسي بشكل عام، وكشف كيفية تجليها في الشعر الهجائي الأندلسي على وجه

الخصوص،وكشف البنية الفنية والأسلوبية التي قام عليها، بما في ذلك اللغة والصورة الشعرية والأسلوب والوسائل البلاغية التي استخدمها الشعراء في إيصال رسائلهم الهجائية الساخرة.

أما التأويل فنستند إليه في عملية استنطاق النصوص، وفك مغاليقها بما يسمح بالوصول إلى مستويات المعنى المخفية خلف الصور الشعرية والأساليب، ويتيح هذا المنهج قراءة النصوص في سياقها التاريخي والاجتماعي والثقافي، مع فهم العلاقة بين المضمون والشكل والرسالة والأسلوب، وهو ما يسهم في تقديم رؤية شاملة لتجلي السخرية في الشعر الهجائي، وتحديد أهم الآليات التي استعان بها الشاعر الأندلسي لرسم صوره الساخرةللمهجو، ومعرفة دلالاتها في النصوص التي تتميز بالتعريض والإيماء، وخاصة أن لكل شاعر طريقته وأسلوبه، لذا فالسخرية تطرح مشاكل الحياة وتنتقدها بصورة بارعة تستدعي من الشاعر ذكاء وفطنة كبيرة وهذا ما جعل السخرية المحرك الرئيس للهجاء.

وبذلك تعتمد الدراسة على مقاربة تستند إلى إجراءات الوصف والتحليل الدقيق الذي يبرز عناصر النص الفنية واللغوية، إضافة إلى التأويل الذي يفسر ويكشف أبعاد السخرية والدلالات المخفية في النصوص، بما يمكّن الباحث من تقديم رؤية متكاملة لطبيعة الخطاب الساخر ووظائفه،وآليات اشتغاله في الشعر الهجائي.

للإجابة عن الإشكالية الرئيسة لهذه الدراسة التي تتمحور حول كيفية تجلّي الخطاب الساخر، وآليات اشتغاله في الشعر الهجائي الأندلسي ارتأيتتقسيم الدراسة إلى مقدمة ومدخل مفهومي وثلاثة فصول وخاتمة، بما يضمن معالجة شاملة ومتدرجة للموضوع.

خُصِّص المدخل الموسوم بـ " مدخل مفاهيمي" لضبط المفاهيم الأساسية للدراسة من خلال تقديم تعريف شامل لمفهوم الخطاب في ضوء الدراسات العربية والغربية، مع استعراض العناصر المكونة له، وتحليل طبيعة السخرية باعتبارها من الأساليب الفنية المحركة للهجاء، كما يتناول المدخل السخرية والمفاهيم المجاورة لها، وكذا السخرية والضحك، وأهماليكانيزمات التي تقوم عليها، كما تطرقنا لمفهوم الهجاء وعلاقته بالسخريةمما يسمح بفهم الظاهرة المدروسة بصورة دقيقة ومنهجية.

أما الفصل الأول عُنون بـ "**موضوعات السخرية في الشعر الهجائي**"، ركز على دراسة أهم موضوعات السخرية التي استغلها الشعراء الأندلسيون،واتخذوها كوسيلة للتهكم والنقد في أشعارهم الهجائية، وخاصة أن السخرية تملك قوة فعالة في منح الهجاء قدرة أكبر في التسلل إلى نفسية المهجو والقارئ، إذ تجعله أكثر تأثيرا وإقناعا.فبرعوا في استخدامها لقدرتها على جعل تلك العيوب كصفات ملازمة للمهجو، ولهذا استطاعوا تقديم صور هجائية عميقة ما جعل وقعها قويا في ذهن السامع، وقرب له الصورة السلبية للمهجو.

أما الفصل الثاني المعنون بـ:" **مقومات بناء الشعر الهجائي الأندلسي ودورها في تعميق المعنى الساخر**" خصص للكشف عن طبيعة المقومات التي تسهم في عملية البناء وبخاصة أن جودة الشعر لا تتحقق إلا من خلال حسن توظيف هذه المقومات بطريقة متكاملة من طرف الشاعر، باعتبار أن الشعر لغة متكاملة من حيث

التنسيقوالنظام، ولا يمكن للمعنى الشعري أن يتجسد إلا عبربنية محكمة من العلاقات اللغوية التي تتسم بالفرادة والتميز، وبما أن الهجاء من أبرز الأغراض التي نظم فيها الشاعر الأندلسي، فإنه يتميز بسمات بنائية ميزته عن غيره من الأغراض؛ وبما أن الشاعر الهاجي قد يتخذ طريق السخرية بغية التعمق في هجائه والمبالغة والإغراق في النيل من منزل من يقصده بالهجاء، فإنه يستعين بمقومات تحقق له بناء مناسبا لغرضه ومقصده، ولعل من أبرز المقومات التي أسهمت في بناء النص الشعري منها ما يشمل اللغة والأسلوب والصورة الشعرية وكذا التشاكل الإيقاعي، ويعتمد هذا الفصل على التحليل والقراءة الدقيقة لمعرفة كيفية تشكيل الشعراء لخطاباتهم الهجائية التي اتخذت السخرية وسيلة للإيغال في الهجاء، ووضع المهجو محل استهزاء وتهكم واستخفاف، وهذا ما يجعله هجاء ساخرا مريرا ينقد ما هو كائن، وذلك لنقل الرسائل الاجتماعية والسياسية والثقافية.

بينما ركز الفصل الثالث الموسوم بـ**"آليات ووظائف السخرية في الشعر الهجائي الأندلسي"** على تحديد أهم الآليات التي اشتغل وفقها الخطاب الساخر في الشعر الهجائي، والمتمثلة في: المحاكاة الساخرة (الباروديا) ، الوصف الكاريكاتوري، المفارقة، المبالغة والتضخيم، المدح بما يشبه الذم، الذم بما يشبه المدح، التورية، التعريض، المناداة بالألقاب، والإلماع، وغيرها من الآليات ويتم ذلك بتحليل النصوص الشعرية وتحديد هذه الآليات بدقة وتمحيص لاستخلاص نتائج معمقة ودقيقة. كما يقوم على تحليل وظائف السخرية المختلفة التي تُعزز بواسطة آلياتها الهجاء فتجعله ساخرا،وهذا ما يسهم في تعميق الدور الاجتماعي للهجاء المعزز بالسخرية، إضافة الى الوظيفة التداولية التي تتعلق بالتفاعل مع المتلقي، والوظيفة الجمالية التي تعكس البراعة الفنية للشاعر، وفهم كيفية مساهمتهما في تشكيل الخطاب الشعري وتوجيه الرسائل النقدية.

وتتضمن الخاتمة أهم النتائج التي تم التوصل إليها بعد الدراسة، مع تقديم توصيات تسهم في تطوير الفهم الأكاديمي للخطاب الساخر وآليات اشتغاله في الشعر الهجائي الأندلسي، وتفتح آفاقا لدراسات مستقبلية في هذا المجال ومنه فإن هذه الأطروحة توفر رؤية شاملة تجمع بين الإطار المفاهيمي والتحليل التطبيقي، بما يعكس طبيعة الخطاب الساخر ووظائفه وآلياته وبنيته الفنية والأسلوبية في الشعر الأندلسي، ودوره في تعزيز وتدعيم الهجاء.

ومن أبرز المصادر والمراجع التي أسهمت في تأسيس هذا البحث: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني، ونفح الطيب في غصن الأندلس، الرطيب للمقري، وكتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لمحمد بن الكتاني،والمغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافرللتجيبيالمُرسي،وخريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين الأصبهاني الكاتب،وجذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلسللحميدي، والمقتبس من أنباء أهل الأندلسلابن حيان القرطبي، وغيرها. كما تمت الاستعانة بعدة مراجع وفرت الإطار النظري والتحليلي لفهم الخطاب الساخر في الشعر الهجائي الأندلسي منها: كتاب محمد رضوان الداية في الأدب الأندلسي التي قدمت قراءة شاملة للسياق الثقافي والأدبي للأندلس، وكتاب"فوزي عيسى" حول الهجاء في الأدب الأندلسي الذي أسهم في تسليط الضوء على طبيعة الخطاب النقدي والساخر، إضافة إلى كتاب "علي البوجديدي" في بلاغة الخطاب الساخر الذي أعطى أبعادا لغوية وفنية لتحليل النصوص،وكتاب الهجاء في الشعر العربي الأندلسي لنافع عبد الله الذي ركز فيه

على غرض الهجاء في البيئة الأندلسية وما يمثله من جوانب متعددة من واقع الحياة فيها، وكذا الخصائص الفنية للهجاء، وكذلك دراسة محمد رجب البيومي عن التأثر والتأثير في الأدب الأندلسي، وأخيرا أعمال محمد ماجد الدخيل المتعلقة بالصورة الفنية في الشعر الأندلسي، والتي ساعدت على فهم البنية الأسلوبية للخطاب الساخر إلى جانب هذه المراجع الأساسية استندت الدراسة إلى مجموعة من الدراسات والمراجع الأخرى، بما فيها أعمال "أحمد محمد الحوفي" حول الفكاهة في الأدب، وكتب حمود عبد القادر عن سخرية الشعراء، ومؤلفات السيد عبد الحليم محمد حسين حول السخرية في أدب الجاحظ، وكتب نزار عبد الله خليل الضمور عن السخرية والفكاهة في النثر العباسي، فضلا عن مؤلفات متعددة حول الأدب الأندلسي وتاريخه، ما أسهم في تكوين قاعدة معرفية متينة ومتكاملة لدراسة الخطاب الساخر وتحليل الظواهر الفنية والأدبية المرتبطة به.

كما هو معتاد في أي دراسة علمية، واجهت مجموعة من الصعوبات المرتبطة بطبيعة الموضوع وخصائص المصادر الأدبية، من أبرز هذه الصعوبات ندرة الدراسات المتخصصة في الخطاب الساخر وآليات اشتغاله في الشعر الهجائي الأندلسي مقارنة بمجالات أخرى من الأدب الأندلسي، مما استلزم البحث المتأنّي واستقراء المراجع ذات الصلة من الأدب العربي العام والنقد الأدبي، كما واجهت البحث صعوبات مرتبطة بالوصول إلى بعض المصادر القديمة أو النادرة التي تتطلب مراجعة نسخ مطبوعة ومخطوطات، إضافة إلى صعوبات تتعلق بتفسير النصوص وفك مغاليقها اللغوية والأسلوبية نظراً لتعقيد الصور الشعرية والأساليب البلاغية المستخدمة في السخرية والهجاء الأندلسي.

كما واجهنا صعوبة تحديد السياق التاريخي والاجتماعي بدقة، خصوصا في ظل تفاوت المعلومات حول المجتمع الأندلسي في بعض المصادر، مما استلزم مقاربة مقارنة وتحليلا نقديا لتوحيد الرؤية حول ظروف إنتاج الخطاب الساخر كما واجه البحث صعوبة التحليل الموضوعي للنصوص، إذ تطلب الفصل بين الأبعاد الجمالية الاجتماعية والسياسية للخطاب الساخر دون أن يفقد النص عمقه الأدبي أو روحه النقدية منهجية دقيقة تجمع بين الوصف والتحليل والتأويل.

وفي ختام هذه الدراسة لا يفوتني أن أعبر عن خالص الشكر والامتنان والتقدير للأستاذة المشرفة الدكتورة " فريدة مقلاتي" على إشرافها العلمي الرصين، وملاحظاتها الدقيقة والبناءة، التي كان لها أثر بالغ في توجيه البحث وصياغة معالمه الأكاديمية، ولا يفوتني أيضا تقديم الشكر الموصول للمشرفة المساعدة الأستاذة الدكتورة "حنينة طبيش"تقديراً لتوجيهاتها القيمة، فجزاهم الله عنا خير الجزاء. هذا وأسأل الله القبول.

مـــــدخل مفاهيمي

أولا: مفهوم الخطاب.

ثانيا: السخرية

ثالثا: السخرية والمفاهيم المقاربة لها.

رابعا: السخرية والضحك.

خامسا: ميكانيزمات السخرية.

سادسا: الهجاء.

سابعا: علاقة الهجاء بالسخرية

أولا -مفهومالخطاب:

يعد مصطلح الخطاب من أهم المصطلحات التي اهتم بها الدارسون والباحثون نظرا لأهميته في حقول ومجالات معرفية مختلفة، وهذا ما جعل مفهومه يشهد تعددا كبيرا؛ إذ لا نجد له تعريفا جامعا ومانعا، فكل باحث ودارس ينطلق من خلفية معرفية معينة محاولا الإحاطة بمفهومه.

1-لغة: يعود لفظ "الخطاب" إلى مادة"خطب"،و"الخاء، والطاء، والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنينيقال خاطبه، يخاطبه خطابا، ...والخطب: الأمر يقع، وإنما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة"[1].كما ورد في لسان العرب أن "خطب فلان إلى فلان، فَخَطَبه أو أخْطبه أي أجابه، والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان والخطب: سبب الأمر." [2] و"... خاطب خطابا ومخاطبة ... يقال خاطبه فلان أي راجعه في شأنه: تخاطبا: تكالما والخطاب: ما يكلم به الرجل صاحبه"[3]، وبذلك فلفظة خاطب تعني مراجعة الفرد في قضية ما، والتخاطب يعكس العملية التواصلية، وهي التبادل بين المخاطب والمخاطَب، أما الخطاب هو ما يتحقق من كلام أثناء العملية التواصلية.

وورد في قاموس المحيط بأنه: "الخطب: الشأن والأمر صغر أو عظم، وقيل هو سبب الأمر، يقال ما خطبك أي ما أمرك؟وتقول: هذا خطب جليل،وخطب يسير. الخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال ومنه قولهم جل الخطب أي عظم الأمر والشأن والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام"[4].وبذلك فالخطابحسب هذا النص هو الأمر والشأن والحال الذي يقع عليه المخاطب، وكذلك مراجعة الكلام.

كما ورد لفظ الخطاب في القرآن الكريم بمعاني وصيغ متعددة ومتفاوتة منها صيغة الفاعل، في قوله تعالى:﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ (الفرقان: الآية63)فمن صفات عباد الرحمن أنهم حتى إذا تحدث معهم الجاهلون بالألفاظ الجارحة والمسيئة ردوا عليهم بخطابحسن ولين. وفيقوله:﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَالَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا.﴾ (النبأ:الآية 37) ومعنى هذه الآية أنهم لا يملكون من الله أن يخاطبوه في شيء لا في الثواب ولا العقاب، ولا يجرؤون على التكلم إلا بإذنه. أما في قوله تعالى عن الرجلين المختصمين اللذينتحاكما إلى داود عليه السلام للحكم بينهما:﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (، الآية 23)؛ أي غلبني وقهرني في الكلام، والحديث وفي إعطاء الحجة الدامغة والبيان، لذا فقد كان أفصح مني لسانا

[1] - أحمد فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1979، ص 198.

[2]-ابن منظور، لسان العرب، ج1، دار صادر بيروت، ط1، 1995، مادة (خطب)، ص361.مادة: خطب

[3]- المصدر نفسه ص 361.

[4]-الفيروز آبادي، القاموسالمحيط، اعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ج1، بيروت،لبنان، 2000، ص 157،158.

وأقوى مني حجة وبرهانو"فصل الخطاب ...معناه أن يفصل بين الحق والباطل، ويميز بين الحكم وضده، وقيل: فصل الخطاب أما بعد"[1].

وبذلك ففصل الخطاب يتجلى من خلال قول: أما بعد. وقد ذكر الله تعالى عن داوود عليه السلام حيث يقول" وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب "(الآية 20). أي أتيناه العلم والحكمة، والقدرة على الفصل في الكلام والحكم في المسائل والقضايا بشكل محكم ودقيق،وقد عد "الرازي" صفة فصل الخطاب من الصفات التي وهبها الله تعالى لداود عليه السلام دون سائر الكائنات، وعدها علامة لحصول قدرة الإدراك والشعورالتييتميز بها الإنسان عن سائر الجمادات، والنباتات والحيوانات؛ ولأن مراتب القدرة عن التعبير متفاوتة بين الناس، ففصل الخطاب يعكس قدرته على التعبير عن كل ما يتبادر إلى البال ويحضر في الخيال، بحيث لا يختلط شيء بشيء، وينفصل كل مقام عن مقام، ومن هنا تستنج أن هناك تفاوت في الخطاب من مرسل إلى مرسل آخر.[2]

ونعاين مما سبق أن التعريفات اللغوية جميعها تصب في منحى واحد، وهو أن الخطاب هو مراجعة الكلام، ويتحقق عبر عملية تواصلية منظمة تحتاج إلى طرفي الخطاب (مرسل مرسل إليه)، وهذا ما يمكن الخطاب من نقل الرسالة سواء أكانت معرفية، أو وجدانية بشكل صحيح وتام وكامل.

2 -اصطلاحا:

يعد مفهوم الخطاب من المفاهيم غير الثابتة، التي تباينت وتعددت حولها الآراء والوسائل للوصول إلى مفهومها وجوهرها، حيث يظهر بصورة كبيرة وجلية في الدراسات الحديثة خاصة عند الباحثين والنقاد والمهتمين الغربيين،وهذا يعود لاختلاف رؤاهم ومرجعياتهم البحثية، لذا فقد تعددت المفاهيم حول "الخطاب" وتشعبت الأقاويل عنه، لما له من دور جوهري في العملية التواصلية، ويعد "ز.هاريس"(1952)(/Z.Harris) من أبرز اللسانين الذين جعلوا البحث اللساني يتجاوز الجملة ويركز على الخطاب، وذلك في بحثه الموسوم: "تحليل الخطاب"؛ ولكنه درس الخطاب بالتصورات والأدوات نفسها التي حلل بها الجملة، واعتبر الخطاب ملفوظا طويلا يتألف من ثلة متتابعة من الجمل المنغلقة في مجال لساني محض؛ أي أن الخطاب هو نظام متتابع من الجمل التي تمنح بنية للملفوظ[3]، وعليهفالخطاب عنده ليس جملة واحدة، بل هو سلسلة أو مجموعة من الجمل المتتالية والمترابطة، أو هو بنية لغوية متماسكة يمكن دراستها من خلال المنهجية اللغوية التوزيعية، وهذا ما يجعل تحليل الخطاب داخل مجال لساني محض ليس جملة واحدة، بل هو سلسلة أو مجموعة من الجمل المتتالية والمترابطة، أو هو بنية لغوية متماسكة يمكن دراستها من خلال المنهجية اللغوية التوزيعية، وخاصة أنه في تحليله للخطاب انطلق من مسألتين أولهما توسيع حدود الوصف اللساني إلى ما هو خارج الجملة، وهذه قضية لسانية؛ أما الثانية فتتعلق بالعلاقات الموجودة بين اللغة والثقافة والمجتمع بوصفها قضية خارجة عن اللسانيات؛ لذا لم يولها أي أهمية؛ لأنه أراد البقاء ضمن حدود المجال اللساني. وبهذافقد سعى إلى تطبيق تصوره التوزيعي على الخطاب حتى تستطيع كل العناصر

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ص 130.

[2]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهرى، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد بنغازي ليبيا،ط1، 2004، ص35

[3]- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1989م، ص17.

التعبير عن انتظام بنية النص، وبهذا فوجود الخطاب حسب تصوره رهين بنظام متتالية من الجمل التي تحدد بنية للملفوظ.

يرى الفرنسي "**إميل بنفنست**"**(1976) (EmileBenvenist)** اعتبر " الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، والمقصود بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في مقام معين، وهذا الفعل هو عملية التلفظ... "[1]. ونستشف من هذا النص أن الفعل هو عملية التلفظ، وعليه فهو حاول أن يحدد الخطاب بمعناه "الأكثر اتساعا بأنه كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما"[2].ويشير مصطلح الخطاب أيضا إلى كل ما نعبر عنه بلغة القول أو العقل وبصورة مباشرة أو غير مباشرة، أو هو نظام العقل الذي نعقل من خلاله الأشياء نتصرف بمقتضاها.[3]وهذا يعني أن اللغة ليست مجرد ثلة من الكلمات والجمل، بل هي وسيلة للتواصل الفعال، بين الأفراد من خلال تبادل الأفكار والمعلومات، وبهذا فاللغة تأخذ شكلا، حين تُستخدم وهي تتأثر بالسياق والأشخاص المشاركين في الحوار، أي أن اللغة تتمظهر كوسيلَة للتواصل بين الأفراد وتحمل معاني ومفاهيم تعبر عن أفكارهم بشكل فعال.

ويعرف "**رولان بارث**"**(1980)(Roland Barthes)**الخطاب بانطلاقه من النص، فينتهي إلى أن الجملة في اللسانيات وحدة أخيرة في اللغة، وهذا يعني أن الخطاب لا يوجد إلا بالجملة، لأن الجملة هي القسم الأصغر الذي يمثل بجدارة كمال الخطاب بأسره، واللسانيات لا يسعها أن تتخذ موضوعا أرفع من الجملة؛ لأن بعد الجملة ليس هناك جمل، لهذا من الحتمي أن يكون الخطاب ذاته منتظما ضمن مجموعة من الجمل، حيث أن هذا التنظيم يؤدي إلى بعث رسالة بلغة تفوق لغة اللسانيات؛ لأن للخطاب وحداته، وقواعده وقوانينه الخاصة[4] ومن هنا فالخطاب عند 'رولان بارث' لا يكون إلا في الجملة أي أن الخطاب جملة كبيرة لأن اللسانيات لا يمكنها أن تتخذ موضوعا أكبر من الجملة .

ويرى "رومان جاكبسون"(1982)(Roman Jakobson) الخطاب من منظور خاص فهو يتضمن معنى الرسالة، ويظهر ذلك من خلال عناصر العملية التواصلية (التخاطبية) وهي (المرسل، المرسل إليه، الرسالة، السياق السنن القناة) حيث نجد أن لكل فعل تواصلي لفظي مرسلًا يوجه رسالة إلى المرسل إليه، ولكي تكون الرسالة فاعلة فإنه من الواجب أن تتوفر أساسا على وجود سياق أو مرجع يدركه المرسل إليه، وتقتضي الرسالة بعد ذلك سننا كليا أو جزئيا بين المرسل والمرسل إليه، كما أن الرسالة تستدعي في الأخير اتصالا أو قناة فيزيقية وربطا نفسيا بين المرسل والمتلقي حتى تسمح بإقامة التواصل والحفاظ عليه5.ويرى **مشال فوكو(1984/Michel Foucault)** أن الخطاب "...

---

[1]- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص 19

[2] - المرجع نفسه، ص 19.

[3]- ينظر : عبد الواسع الحميدي ،الخطاب وكيف نحلله ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1430هـ ، 2009،ص12

[4]- رابح بوحوش، اللسانيات وتحليل الخطاب، ص101،100

[5]- ينظر : رومان جاكبسون، قضايا الشعرية،27.

شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب "[1]، ويعني هنا بأن الخطاب هو كلام مرتبط بنظم مختلف أو عبارة عن شبكة من النظم السياسية الاجتماعيةوالثقافية، والتي بدورها تبرز كيفية إنتاج الكلام على صورة خطاب. ثم نظر إلى الخطاب بوصفه «مصطلحا لسانيا يتميز عن نص وكلام وكتابة وغيرها بشمله كل إنتاج ذهني سواء أكان نثرا أو شعرا، منطوقا أو مكتوبا، فرديا أو جماعيا، ذاتيا أو مؤسسيا،وللخطاب منطق داخلي وارتباطات مؤسسية فهو ليس ناتجا عن ذات فردية يعبر عنها، أو يحمل معناها أو يحيل إليها، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو فترة زمنية معينة "[2]ويعني أن الخطاب متتالية من الجمل والملفوظات سواء شعرا أم نثرا، شفاهية أو مكتوبة، يصدرها فردا أو جماعة أو حتى مؤسسة في فترة زمنية محددة.

أما "**بول ريكور"(2005)(Paul Ricoeur)** فقد عمد إلى إعادة النظر في ثنائية دي سوسير " اللسان/ الكلام" ورأى أنه من الأولى وضع كلمة خطاب بدلا من كلمة كلام؛ أي ثنائية " اللسان / الخطاب "؛ لأنه يرى أن الكلام عند "دي سوسير" يمتاز بالتنافر وعدمالانضباط. وقد وضعه بدلا من الكلام لا ليؤكد خصوصية الخطاب فقط؛ بل ليفرق بين علم الدلالة والسيمياء، لأنالسيمياء تدرس العلاقة، بينما علم الدلالة يدرس الخطاب أو الجملة "[3].

ويرى **دانيال ريغ (2007)**(Daniel Reig)" أن مصطلح "خطاب " كالمصطلح " مقول " يعني كل مجموع له معنى (لغوي شفوي أو كتابي،تعليمي ، سينمائي أو رسمي) مساوٍ للجملة أو أكبر منها، ويشكل نظاما متماسك الأجزاء على المستويين: مستوى التعبير، ومستوى المضمون بواسطة عدد من العلامات والمكررات، ولكنه يختلف عن المقول بقدرته التكاملية على مستوى المضمون: إن هذا المصطلح (القول) ينعت كل نتاج ملفوظ سواء أكان كلمة واحدة، أو جملا طويلة متتابعة ذات علامات شكلانية يتمظهر من خلالها الكاتب والقارئ ويتبين حالهما "[4]. فالمقول مكون من جمل، لكن هذه الأخيرة لا تكون فيه طبقة شكلية من الوحدات القابلة للمقابلة فيما بينها، أما الخطاب فتصبح فيه الجملة وحدة مكونة بينما كانت في المقول الحد اللغوي الأخير.

أما الخطاب عند **"تزفتان تودروف" (2017)Tzvetan Todorov**فهو نوعان: خطاب نقدي، وخطاب أدبي. أما الخطاب النقدي فهو الممارسة التي يكون فيها الناقد كالمنجز لا يستطيع أن يتحدث إلا خطابا مثقوبا؛ أي لا بد للناقد الانقطاع فيما يقول وهذا ما يميز الخطاب النقدي.

أما الخطاب الأدبي والشعري خاصة فهو من منظوره خطابا يهدف إلى التعبير ولا يكون إلا عبر فصل الخطاب الذي يعبر العمل الفني به عن نفسه عن كلية اللغة.والخطاب حسب تصوره " جسم له ذاته وحركته، وزمنه وهو

---

[1]- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسةمعجمية، دار للكتاب العالمي ،عمان ، الاردن ،ط1،2009،ص13

[2]-ميشال فوكو ، نظام الخطاب ، تر: محمد سبيلا ، دار التنوير للطباعة والنشر ، ط1، لبنان ، 1984، ص9.

[3]-بول ريكور ، نظرية التأويل ،تر : سعيد الغانمي / المركز الثقافي العربي ، ط2 ، الدار البيضاء ،المغرب ، 2006، ص 11.

[4]- دانيال رايق، الخطاب الادبي العربي المعاصر،تر: ابراهيمصحراوي ، مجلة الحياة الثقافية التونسية ، العدد 35، 1985م ، ص 133

مختلف عن كل ما عداه يخضع للانتظام داخلي، لكنه يتحرك بحرية مستقلة، ومن ثمة فهو لون يختلف عن النص "[1].

وتذهب "**جوليا كريستيفا" Juliakristeva**إلى أن " التحليل السيميائي الذي يدرس الدلالية وأنماطها داخل النص يجب أن يخترق الذات والدال والمدلول والنظام النحوي للخطاب للوصول إلى الدائرة التي تتجمع فيها بذور ما سيتكفل بعملية الدلالة في حضرة اللسان"[2]، وبذلك فالدلالية عندها " خطاب داخل النص يقوم بخرق الدال، والمدلول، والذات، والتنظيم النحوي، فهو يهدم النص ليرسي نصا جديدا . وهذا لا يتأتى إلا في ظل علم جديد تقترح له كريستيفا اسم "سميائيات الخطابات" وهو اتجاه ينطلق من مسألة العلاقة الاعتباطية بين الدوال والمدلولات،للبحث عن علاقات يكون فيها الخطاب مبررا "[3]. وبذلك فنظرة هذه الناقدة كانت أعمق من خلال أن الخطاب هو مجموعة إشارات وعلامات يتم هدمها وإعادة بنائها من جديد؛لأنالنص عندها ليس نظاما لغويا مقفلا كما نجده عند البنيويين، وإنما مفتوح على معان ودلالات متباينة ومتغايرة، كما جعلت النص مماثلا للخطاب؛ لأن هذا الأخير حسب تصورها كيان نسقي، وبنيوي ووظيفي، عملي وتحليلي نظري وإجرائي، محايث وخارجي في الوقت نفسه [4].

كما ذكر "**دومنيك مانقينو"(D. Maingueneau)**في كتابه " الاتجاهات الجديدة في تحليل الخطاب " أن الخطاب " يمثل تنظيما أبعد من الجملة والخطاب الموجه ليس لكونه يعمل في إطار رؤية محددة للمرسل فحسب؛ وإنما لكونه يتطور مع الوقت بطريقة مستقيمة ومتوازية "[5]، وهذا يعنى أن الخطاب هو وحدة أو بنية لغوية متماسكة ومترابطة، مكونة من ثلةمن الجمل، كما أن الخطاب لا يعتمد على رؤية المرسل فحسب، وإنما على كيفية التأثير في المتلقي بطريقة معينة؛ فالخطاب يتطور بصورة مستقيمة وتدريجية وهذا لتحقيق هدف التواصل.

كما اهتم أيضا النقاد العرب بضبط المصطلحات وتحديد المفاهيم، وذلك لتقريبها إلى فهم الباحث العربي، وبخاصة أثناء ممارسة المقاربات النصية على مختلف الخطابات الأدبية وفق مختلف المناهج، وإذا أمعن النظر في مفهوم الخطاب في الطرح العربي فإننا نجد صعوبة في تحديد ماهيته،وبخاصة على مستوى المصطلح النقدي بسبب الترجمة؛ حيث عرف هذا المصطلح (الخطاب)مسميات عديدة منها **القول**، الكلام،النص، اللفظ....، فنجد "كمال أبو ديب" ترجم الخطاب بالإنشاء، أما "سعيد علوش" فترجمه بالحديث، أما "يمنى العيد"بالقول، أما "عبد السلام

[1] رابح بوحوش، اللسانيات وتحليل الخطاب ، ص103

[2]- جوليا كريستيفا ، علم النص ،تر : فريد الزاهي، ص9-10.

[3]- المرجع نفسه ، ص 103.

[4]-ينظر ،م، ن ، ص 5.

[5] -Dominique Maingueneau, Analyser les textes de communication, édi Nathan , Paris, 2000, p.38.

المسدي" فهو أول من نقل المصطلح بأنه خطاب في كتابه " الأسلوب والأسلوبية"رغمأنه يعني به الكلام عند سوسير ، أما "ريمون طحان" فترجمه بالكلام إلى أن استقر المصطلح في مصطلح الخطاب 1984 [1].

ونجد الناقد "جابر عصفور" في كتابه (آفاق العمر) أقر أن الخطاب" نوع من الترجمة أو التعريب المصطلح (Discourse) في الانجليزية ونظيره Disconne) في الفرنسية أو (Diskurs) في الألمانية[2]، ثم بيّن "بأنه الطريقة التي شكل بها الجمل نظاما متتابعا ساهم به في نسق كلي مسير ومتحد الخواص أو على نحو لكن أن تتألق الحل في خطاب يعينه تشكل خطايا أوسع ينطوي على أكثر في نص مفرد وقد يوصف الخط لا بأنه مجموعة دالة من أشكال الأداء اللفظي تنتجها مجموعة من العلاقات أو يوصف بأنه مساق العلاقات المتعينة التي تستخدم لتحقيق أغراض معينة "[3]. ونعاين من هذا النص أنه يشير إلى أهمية بناء الجمل بشكل منطقي ومتسلسل، حيث تلعب هذه العملية دورا حاسما في نسج الخطاب بشكل فعال وهذا التنظيم يعبر عن عمق التفكير والدراية في مجال اللغة إذ يسهمفي إيجاد نصوص ما تحمل معان محددة وأهداف واضحة بالتالي يُظهر هذا الرأي أهمية بنية اللغة والعلاقات بين الكلمات والجمل في تحقيق أهداف تواصلية معينة وتأثير فعال في الجمهور.

وقد أطلق "محمد عابد الجابري""... لفظ الخطاب على كل نص موجه من كاتب إلى قارئ سواء أكان شاعرا أم ناثرا أم مفكرا فطالما أن النص رسالة، فهو إذن خطاب " [4]. وبذلك فمصطلح الخطاب لا يقتصر على نوع بعينه من النصوص، وإنما يشمل كل نص يتوفر فيه مرسل ومستقبل؛ أي كاتب النص ومتلقيه سواء أكان شاعرا، أو ناثرا أو مفكر ا، يؤدي رسالة محددة، ويقوم على هدف التأثيرفي المتلقي. وعليه فهو لا يفرق بين النص والخطاب.

أما نظرة "**محمدمفتاح**" للخطاب تجلت من خلال التفريق بين الخطاب والنص؛ حيث يقول: " إن اللغة العربية تحتوي على المفردتين معا؛ فالنص يعني الإظهار والتراكم والتعيين ومنتهى الشيء؛ وهذه المعاني إذا ما نقلناها إلى لغة معاصرة فإنها تعني أن النص له بداية وله نهاية، وأنه عبارة عن جمل متراكمة تظهر ما خفي وتعينه، وأما الخطاب فهو يقوم بين طرفين؛أحدهما مخاطب وثانيهما مخاطب، وقد يتحاوران فيقال حينئذ: أنهما يتخاطبان. وإذا ما تجاوزنا المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي فان النص – بمعناه الأصولي – يكون مقطوعا به وغير مقطوع، فإذا كان مقطوعا به أنه لا اجتهاد مع وجوده، وهو عند الأصوليين مثل الخطاب يقصد به الأمر أو النهي أو الإخبار أو الخبر وغيرها من الوظائف، وبناء علة هذا ، فان الخطاب عندهم يشمل النص أيضا ، وإذن ، فالخطاب أعم من النص " [5].نعاين من نصه أن الخطاب أعم من النص؛ أي أنه يشمل، ويتضمن النص؛ لذا " فالنص عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة، [أما]الخطاب عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة منسجمة

[1] ينظر، محمد صلاح أبو حميدة، الخطاب الشعري عند محمود درويش " دراسة اسلوبية " منشورات كلية الآداب ،دط، جامعة الازهر غزة،فلسطين ، 2000، ص 28_30.

[2] جابر عصفور،أفاق العصر، دار الهدى للثقافة والنشر،سوريا،دمشق ، ط1 ، 1997، ص47

[3] جابر عصفور، البنيوية من ليفي شتراوس إلىفوكو ،دار الافاق العربية، بغداد 1985ص269.

[4] محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، دار الطليعة، بيروت ، ط1، ،1982 ، ص8.

[5] محمد مفتاح ، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية ، المركز الثقافي العربي ،دط، المغرب ، 1996 ، ص 34.

ونعني بالتنضيد ما يضمن العلاقة بين أجزاء النص والخطاب مـثل أدوات العطف وغيرها من الروابط، وبالتنسيق ما يحتوي أنواع العلائق بين الكلمات المعجمية، وبالانسجام ما يكون من علاقة بين عالم النص وعالم الواقع "[1].

أما"**عبدالملك مرتاض"** في تعريفه للخطاب قد خالف "محمد مفتاح" الذي يرى أن الخطاب أعم من النص، فهو قد صرح في كتابه " نظرية النص الأدبي " أن النص أعم وأشمل من الخطاب؛ أي أنه يشمل الخطاب؛ حيث يقول: " ... لم يكون النص خطابا، والخطاب نصا ؟ ذلك شيء قيل به، ولكننا نحن نأبى القول به فالنص لدينا، أشمل وأرحب؛ أما الخطاب فتصنيف داخلي؛ وتفصيل من مجمل؛ وفرع من أصل كبير هو كل كتابة على وجه الإطلاق، في حين أن الخطاب تصنيف لنوع الكتابة، وتخصص فني داخلي في تجنيسها ..."."[2] وبذلك فهو يخالف محمد مفتاح، ويرى أن النص أعم من الخطاب، وعد هذا الأخير كتصنيف لنوع الكتابة، فكل نوع له خصائص ومميزات معينة، وبالتالي هو فرع تولد عن الأصل.

وتعرف "**يمنى العيد"** الخطاب بأنه خطابان :"يندرج الأول تحت نظام اللغة وقوانينها، وهو النص الأدبي، ويخرج الثاني من اللغة ليندرج تحت سياق العلاقات الاجتماعية يضطلع بمهمة توصيل الرسالة الجديدة وهوالخطاب ، فالأول فضاؤه واسع ، والثاني – الخطاب – يتشكل ابتداء من عملية (التركيب ،الصياغة)، أو (التركيب ، العبارة)، فيمعن في الصياغة ليخلق التعبير بالابتعاد عن التركيب ، وهو حين يمعن في الصياغة يمعن أيضا في الايديولوجيا ، ويبالغ في خرق النظام باحثا عن المرجع "[3].

وعرفه"**عبد"السلام المسدي"** بقوله: " إن ما يميز الخطاب الأدبي هو انقطاع وظيفته المرجعية؛ لأنه لا يبلغنا أمرا خارجا؛ وإنما هو يبلغ ذاته وذاته هي المرجع المنقول في الوقت نفسه، ولما كف الخطاب والأدبي عن أن يقول شيئا إثباتا ونفيا فإنه عدا هو نفسه قائلا ومقولا «، فالخطاب في نظره لا يحتاج إلى مرجعية بناء على المذهب البنيوي الذي يفصل الخطاب عن أصله.وعرفه"**سعد مصلوح"**بقوله : " الخطاب هو رسالة موجهة من المنشئ إلى المتلقي تستخدم فيها نفس الشفرة اللغوية المشتركة بينهما. ويقضي ذلك أن يكون كلاهما على علم مجموع الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكون نظام اللغة أي (الشفرة المشتركة، وهذا النظام يلبي متطلبات عملية الاتصال بين أفراد الجماعة اللغوية، وتشكل علاقاته من خلال ممارستهم كافة ألوان النشاط الفردي والجماعي في حياتهم."[4]

وقد عارض"**نور الدين السد"**مفهوم "سعد مصلوح" للخطاب لما يحمله من نقائص وسلبيات؛ إذ نظر إلى الخطاب نظرة أحادية تحمل منه منتوجا لغايات ومتطلبات عملية تتمحور حول الوظيفة التواصلية فحسب، ومن المؤكد أن وظائف الخطاب تتجاوز حدود التوصيل، وأن ما يميز الكتاب الأدبي امتلاكه نظام خاص به يميزه عن غيره من الخطابات، وأن امتلاك الخطاب لنظام الاشتراك في الشفرة ليس بالضرورة هو الذي يلي متطلبات عملية التوصيل.أما"**أحمد المتوكل"**فقد عرف الخطاب بـ" يعد خطابا كل ملفوظ / مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 35.

[2]- عبد الملك مرتاض ، نظرية النص الادبي ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2، الجزائر ، 2010، ص 12.

[3]- رابح بوحوش، اللسانيات وتحليل الخطاب ، ص 105.

[4]- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث ،دار هومة ، ج2، دط، ص 81

الذات"[1] ويعني هنا أن الخطاب يعد شاملا للجملة فيمكن اعتبار النص خطابا وكذا الجملة هي خطاب من منظوره، كما يعتمد التواصل كمعيار للعملية التخاطبية .

وقد عده"محمود عكاشة" كلاما يتم بين متكلم ومستمع بهدف الإقناع والتأثير بطريقة معينة؛ إذ يقول:" كلام موجه إلى متلق بقصد الإقناع والتأثير،أو المشاركة الكلامية بين طرفي الاتصال حوارً أو مشافهة أو كتابة للتأثير والإقناع، وتحقيق مقاصد اتصالية "[2]، وعليه فالخطاب عنده هو كلام يصدره المرسل وهو منتج العملية التواصلية إلى متلق (المرسل إليه) ، أو هو عملية تواصلية متكاملة تسعى إلى الإقناع والتأثير سواء أكان شفويا أو كتابيا (نص ، خطبة ، مقال ...) وذلك لتحقيق هدف التوصل، ومحاولة إقناع المتلقي بفكرة أو موقف معين ، والتأثير فيه .

ويذهب "**ريمون طحان**" في صلب حديثه عن مفهوم الخطاب بأن:" الكلام (الخطاب) هو ما تركب من مجموعة متناسقة من المفردات لها معنى مفيد، والجملة هي الصورة اللفظية الصغرى، أو الوحدة الكتابية الدنيا للقول، أو للكلام الموضوع للفهم والإفهام "[3]. أما مفهوم الخطاب من منظور **الاتجاه الوظيفي** نجده استعمال اللغة كما هو عند بعض الباحثين، وذلك بتجاوز وصف الخطاب وصفا شكليا، وعدم الاكتفاء بالوقوف عند بيان علاقة وحدات الخطاب ببعضها البعض وتحليلها، والدعوة إلى ضرورة الاعتناء بدور عناصر السياق، ومدى توظيفها في إنتاج الخطاب، وفي تأويله، مثل دور العلاقة بين طرفي الخطاب، ودرجاتهم الاجتماعية وطـرقهم المعتادة في إنتـاج خطاباتهم فالتلفظ المتعدد لخطاب واحد.

3-العناصر المشكلة للخطاب:

لقد تنوعت مقاربات الخطاب وخاصة الخطاب الأدبي سواء أكان ذلك عبر المقاربات السياقية أو المقاربات اللسانية، لذلك أولى الدارسون اهتماما كبيرا للخطاب ودراسة قضاياه، ويعد الخطاب ملفوظا يساوي أو يفوق الجملة،ويتكون من متتالية تتشكل منها رسالة ذات بداية ونهاية التي أنتجتها الذات المرسلة لغرض التواصل والتعبير؛ أي أن الخطاب هدفه الأساسي هو التأثير في الطرف الثاني بأسلوب ما،ويجب أن يلتزم بعنصرين أساسيين لا يتم الإبهماوهما:منتج الرسالة ومتلقيها؛ أي أن الخطاب هو كلام ينحصر بين متكلمين يستخدمان وسائل متعددة للتواصل سواء أكان شفهيا أم كتابيا لتحقيق غرض معين، ولتحديد عناصر الخطاب لابد من العودة إلى مفهوم الخطاب وبخاصة عند "رومان جاكبسون" (**Roman jakobson**)الذي يرى بأن الخطاب هو رسالة من المخاطب ينقلها إلى المتلقي الذي يقوم بفك شفراتها ومعرفة خباياها؛إذ يقول :" كل رسالة لغوية لا تتحقق إلا من خلال تحليل الوظائف الست التي تتحكم في عملية التخاطب "[4]؛ وذلك من خلال مخطط جاكبسون التواصلي :

---

[1] أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ط1، دار الامان، الرباط، 1431هـ، 2010م، ص 24.

[2] محمود عكاشة، خطاب السلطة الاعلامي: نحو لغة الخطاب ،الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ،ط1، القاهرة ،2005 ، ص12.

[3] ريمون طحان ، الالسنية العربية، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2، ج2، لبنان ، 1981م، ص 44.

[4] رومان جاكبسون، القضايا الشعرية، تر :محمد الولي ومبارك حنون ،دار توبقال للنشر ،ط1،الدار البيضاء، المغرب ،1988،ص 27.

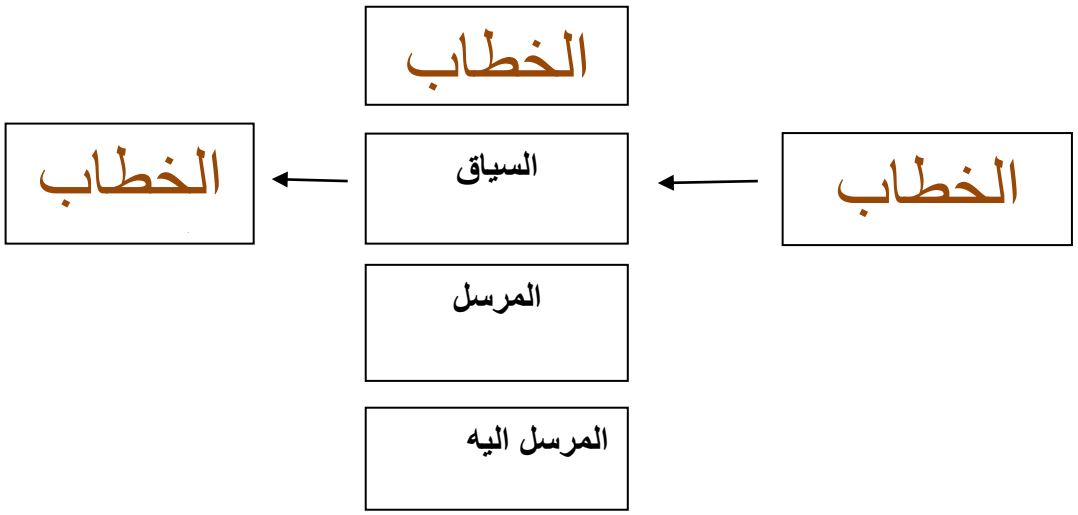

1.3-المرسل: (Destinateur) ويعد مصدر الخطاب المقدم والطرف الأساسي فيه، باعتباره الباعث الأول على إنشاء خطاب يوجه إلى المرسل إليه في شكل رسالة، فهو ركن حيوي في عملية التواصل اللفظي. ويطلق عليه عدة مسميات منها (الباث،المخاطب،الناقل، أو المتحدث ...)، ويعد هذا الأخير طرفا أولا في جهاز التخاطب؛إذ لا يمكن أن تقوم العملية التواصلية إلا به؛ لذا لا يمكن أن نتصور الوضع التخاطبي اللفظي يستغني جزئيا أو كليا عن المرسل.كما تستدعي العملية التخاطبية قيودا منطقية ومنهجية للمرسل حسب وضعه التخاطبي وطبيعة خطابه،فالخطاب السياسي يكون موجه إلى كافة الناس لا يتحتم فيه على رجل السياسة أن يوظف كل الأنظمة اللسانية، التي يكون فيها المستقبلون على لياقة تداولية معتبرة.أما الخطاب العادي فيكون بسيطا سهلا في لغته وسننه، ويختلف من حيث القيود وفي القيمة الإخبارية والحمولة التي يحتويها، والتي تستوعبها الأبنية اللسانية المستخدمة، أما الخطاب الشعري فهو خطاب مميز؛إذ أنه يتملص من عالم الواقع من خلال إطاره المرجعي أو نظامه اللغوي فهنا تتحطم أمامه جميع القيود باعتباره خطاب وليد اللحظة مميز في لغته وأنظمته[1]. ويجب على المرسل (Destinateur)أن يتميز بـ:[2]

أ-يجب أن يتمتع بقدرتين وهما القدرة المستقبلة، والمنسقة وذلك للقيام بعملية الترميز، وتفكيك الرمز وذلك بالرجوع إلى النظام اللغوي الذي يشترك فيه مستقبل الرسالة؛ أي أنه الترميز يجب أن يكون مشتركا كليا أو جزئيا بين المرسل والمتلقي.

[1]- ينظر ،الطاهر بن حسين بومزبر، التواصل اللساني والشعرية ، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، ص 24.

[2]ينظر ،المرجع نفسه ،ص 25

ب- يجب على المرسل أن يحمل لياقة كافية بتوجيه الخطاب سواء أكان ذلك في الخطاب المنطوق (الأداء المباشر) أو الخطاب المكتوب (غير المباشر) باعتبار أن الرسالة اللفظية تقوم في بثها على القدرة الفيزيولوجية للمرسل، وكتابتها، وعليه فالمرسل مؤلف الرسالة، وهو الذي يقوم بتوجيه الخطاب إذ يمتلك القدرة على الإبداع.

2.3-المرسل إليه:(destinataire)وهو متلق الخطاب؛ أي من سيوجه له الخطاب، ويقابل المرسل في العملية التواصلية، وقد أطلق عليه مصطلح المستقبل "le récepteur"؛ إذ ينحصر دوره في استقبال الرسالة والقيام بعملية التفكيك لأجزائها سواء أكانت كلمة أو جملة أو نص...، فهو يؤدي وظيفة غير مباشرة في توجيه المرسل عند اختيار أدواته وصياغة خطابه .[1]

أما دي سوسير (reusssauedndnadiFer)فقد أطلق عليه اسم المتحدث (ب) وذلك أن المتحدث (أ) هو المرسل الذي يرسل الخطاب إلى المرسل إليه (المتحدث(ب)) ويكون هذا الأخير مستقبلا للرسالة فيصبح المتحدث (أ) مستمعا والمتحدث (ب) هو المتحاور؛ أي أن المتحدث (أ) يستمع للرد أو التعقيب (سواء بالرفض أو القبول) الرسالة[2].وعليه يمكن تصنيف مستقبل الرسالة الكلامية إلى نوعين:[3]

أ/المرسل إليه المباشر:(destinataire direct)" ويكون ذلك من خلال خطاب حوار بين صحفي ومستضاف في إطار زماني ومكاني محدد.

ب/ المرسل إليه غير المباشر: (destinataire indirect) ويكون من خلال النص (أي العمل الإبداعي الفني) يوجهه المرسل إلى المتلقي دون تحديد مكانه أو زمانه،ويكون في فضاء زماني ومكاني مختلف عكس المرسل إليه المباشر الذي يستدعي إطار زماني ومكاني محدد.

3.3-الرسالة:Message :وهي المادة الأساسية والملموسة في العملية التخاطبية، والتي من خلال يستطيع المرسل تجسيد أفكاره سواء أكانت الأفكار سمعية إذا كان التخاطب شفهيا ، أو عبارة عن علامات خطية إذا كانت الرسالة مكتوبة [4]، وقد وردت في قاموس اللسانيات بأنها :" وحدة الإشارات المتعلقة بقواعد تركيبات محدودة (مضبوطة) يبعثها جهاز البث (الإرسال) إلى جهاز الاستقبال عن طريق قناة حيث تستعمل كوسيلة مادية للاتصال "[5].فنجد هنا أن الرسالة لا تقتصر على أن تكون كتابيا فقط أي (علامات خطية)، وإنما هناك عدة أنواع فقد ترد صفة تخاطب شفوي؛ أي أن العملية التواصلية لفظية، إذ تجسد أفكار المرسل بصورة سمعية، وقد ترد كذلك كوحدة إشارية كإشارات (الصم، البكم ،إشاراتالمرور ،إشارات بحرية ...)[6]. كما أنها تعني مضمون العملية التواصلية بين الطرفين فهي المحتوى الذي يسعى المتكلم إلى إيصاله وإبلاغه للمخاطب،حيث تحتوي هذه الرسالة على معلومات وأفكار موجودة في ذهن المتكلم يقوم بإرسالها لمخاطب معين، فالرسالة هي كتلة بنيوية متماسكة الأجزاء لا يمكن فصل

[1]ينظر عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل ، رومان جاكبسوننموذجا ، دار الحزار ، ط1، اللاذقية ،سوريا ،2003 ، ص38.

[2]ينظر ، الطاهر بن حسين بومزبر ، التواصل اللساني والشعرية ، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسونص 25،26.

[3]ينظر ،المرجع نفسه ،ص26

[4]ينظر ،م،ن، ص27.

[5]- George mounin ,Dictionnaire de la linguistique .p (314) .pressz Universitaire de france (1974) france.

[6]ينظر ، الطاهر بن حسين بومزبر ، التواصل اللساني والشعرية ، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون،ص27

أجزائها عن بعضها البعض حتى لا يتم تغير فحوى الرسالة .[1]كما نجد "عبد السلام المسدي" قد أطلق مصطلح (الخطاب الأصغر) على النص أو الرسالة حيث تستمد تصوره من علاقة هذا الخطاب الأصغر بالخطاب الأكبر وهو اللغة "[2]، فالرسالة هنا هي الخطاب الأصغر الذي يمثل محورا أساسيا في عملية الاتصال، فهي عبارة عن معلومات، وأفكار وإيماءات وانطباعات يبنيها المرسل، وينقلها إلى المرسل إليه (المستقبل) وتكون في إطار مرجعي معين، ومحدد يقوم فيها هذا الأخير بفك شفراتها واستنتاج أبنية نظاما في ضوء لغوي محدد.

4.3- السنن :(code) لقد تباينت أراء الدارسين اللسانيين في تسمية هذا المصطلح، وهذا لتعدد مصطلحاته فقد عليه أطلق "رومان جاكبسون" لفظ "السنن code " أما "دي سوسير "فاللغة langue " و "النظام système " عند هيلمسليف و"القدرة compétence "عند توأم تشو مسكي،ورغم اختلاف مدلولاتها فإنها تحيل إلى دلالة واحدة وهي (نظام الترميز code) حتى تمثل نظاما لغويا مشتركا بين المرسل والمتلقي سواء أكان ذلك كليا أم جزئيا، وهذا لضمان نجاح العملية التخاطبية (التواصلية)، ومن خلال فهم المتلقي الرسالة،وتفكيك ترميزها لتحقيق القيمة الإخبارية لها[3].

ويرتبط نجاح العملية الإبلاغية باعتماده على النظام المشترك لكل جماعة لسانية،ولكل ذات متكلمة لغة موحدة؛ أي أن كل جماعة بشرية تملك نظاما لغويا خاصا، وزيادة عن ذلك نجد أن النظام الشمولي يمثل نسقا من الأنواع اللغوية الفرعية في التواصل المتبادل؛ أي أن كل لغة تشمل عدد من السياقات المتباينة ذات الدلالة والوظيفة المختلفة [4]،ومنه فان لكل جماعة لغوية تملك قاموسها الخاص ولغة التخاطب التي تعي معانيها،فنجد مثلا أن لغة الطالب والأستاذ تختلف عن لغة عامة الناس، فهي تخضع لملفوظات متخصصة.

ويرى "جاكبسون" أن اللغة هي النظام الكلي الذي ينطوي تحته عدد هائل من الأنظمة الصغرى الفرعية ،التي تتفرع من النظام الكلي ،فاللغة عنده تضارع فروع الشجرة بالنسبة للأغصان[5]، فالنظام السنني الشمولي يعد بمثابة ترسانة فكرية ينطلق منها الفرد أو الجماعة اللسانية للتواصل،أو عند الحاجة للتخاطب اللفظي .وتشبه هذه التفريعات للمسننات اللغوية بما وضعه "تشومسكي" في نظريته التوليدية التحويلية ،لأنه يجعل من مادة معجمية محدودة عددا لا يحصى من الأبنية التركيبية،وقد اشترك "تشومسكي" مع "جاكبسون" في اهتمامه بالجهاز الذهني للمتكلمين، واعتبر كل واحد من الأنظمة الذهنية عنصرا مهما في النشاط اللساني عند الأفراد والجماعات باعتبارها المرجع الأساسي لحفظ السلوك اللفظي من اللحن والخطأ .[6]

5.3-السياق:conteste : ويعرف كذلك ب "المرجع le référant "، إذ تقتضي كل رسالة مرجعا أو سياقا معين قيلت فيه،ويكون مضبوطا ولا يمكن فهم مكوناتها الجزئية وتفكيك شفراتها السننية إلا بإحالتها على موقفها الأساسي الذي

[1]ينظر عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل ، رومان جاكبسون نموذجا ص39.

[2]عبد السلام المسدي ،الاسلوبيةوالاسلوب ،دار العربية للكتاب ،ط1982،2،ص98.

[3]ينظر ، الطاهر بن حسين بومزبر ، التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون ، ص28.

[4]ينظر، رومان جاكبسون ، قضايا الشعرية ،تر :محمد الولي ومبارك حنون ،ص 26،27.

[5]ينظر ، الطاهر بن حسين بومزبر ، التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون ، ص 28.

[6]ينظر ،المرجع نفسه،ص 29، 30.

قيلت فيه هذه الرسالة، قصد إدراك القيمة الإخبارية للرسالة،وقد جعل جاكبسون "السياق" لازمة لا بد منها باعتباره عاملاًمُفعلاًللرسالة لما يضيفه لها من ظروف توضحها [1] .

والسياق كذلك هو الظروف والملابسات المحيطة، والتي من خلالها يمكن إنتاج الرسالة، وقد أطلق عليه رومان جاكبسون مصطلح السياق اللساني، وقد أكد ذلك من خلال قوله : "ولكي تكون الرسالة فاعلة، فإنها تقتضي بادئ ذي بدء، سياقا تحيل عليه (وهو ما يدعى "بالمرجع " باصطلاح غامض نسبيا) ، سياقا قابلا لأن يدركه المرسل إليه ، وهو إما أن يكون لفظيا أو قابلا لأن يكون كذلك".[2]حيث وضعه اللساني الفرنسي " **د. مانجينو" (D. Maingueneau**) في أشكال، وهي:[3]

أ/ سياق لفظي: وهو مجموعة الألفاظ والعبارات التي تتشكل منها الرسالة ويشمل الكلمات والجمل التي تحدد معنى النص أو الكلام.

ب/ سياق غيرلفظي: وهو مجموعة العناصر غير اللغوية التي يتشكل منها الخطاب، وهو المحيط الذي تولد فيه الرسالة وتتشكل أبنية خطابها اللفظي .

ج/ أنماط المراجع (السياقات) حصر "جاكبسون"السياق في ثلاثة أنماط أساسية هي :[4]

1- الموجودات مع تعبيرها اللغوي أي الاسم.
2- الأحداث المعبر عنها بواسطة الفعل.
3- كيفيات الوجود والحدوث المعبر عنها في اللغة بواسطة الصفة والحال.

6.3-القناة :canal: تتطلب الرسالة وجود قناة فيزيائية وتواصل فيزيولوجي بين المرسل والمرسل إليه،وهذا ما يوفر لها ممر سليما تنتقل عبره القناة بين المرسل والمرسل إليه،إذ يقوم هذان الأخيران بتوظيف عامل تواصلي قصد التأكد من وصول رسالة سليمة إلى جهاز الاستقبال [5]، وتعرف كذلك بأنها الوسيلة التي تتولى نقل إشارات السنن طوال الفترة التي تستغرقها عملية التواصل، وهي العامل الفيزيائي المسؤول عن إخراج السنن في شكل رسالة، والقناة هي ما تعتبره التوظيف الصحيح للغة لتحقيق هدف أسمى، وهو حصول الرسالة العلمية التواصلية .

4-أنماط الخطاب:

[1]ينظر ،م،ن، ص 30

[2]رومان جاكبسون ، قضايا الشعرية ، ص27.

[3]- Dominique Maingueneau.Lesterms clés de l'Analyse du Discours.P.26.Seuil.1996.Paris.France. نقلا عن كتاب ،الطاهر بن حسين بومزبر ، التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون ، ص 30

[4]رومان جاكبسون ، قضايا الشعرية ،64.

[5]ينظر ،الطاهر بن حسين بومزبر ، التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون ،ص33 .

يعد الخطاب وسيلة أساسية لعملية التواصل بين الأفراد والجماعات، وذلك من خلال عملية التأثير والإقناع، وقد اهتم الباحثون بدراسة الخطاب وتصنيفه إلى أنواع عديدة وفقا للموضوعات التي يعالجها والمعايير التي يقوم عليها، ومن ذلك نجد "**أحمد المتوكل**" في كتابه " اللسانيات الوظيفية المقارنة " يصنف أنواع الخطاب من حيث المجال إلى خطاب علمي، وخطاب أدبي.[1]

1.4-**الخطاب العلمي**:هو" التعبير عن مفاهيم علمية، وهو يقترن بمفهوم العلم في حد ذاته "[2] يعني أن الخطاب العلمي هو أسلوب يُعنى بتقديم المعارف والمفاهيم العلمية بشكل واضح ودقيق، ونجده يرتبط بمفهوم العلم ارتباط وثيقا؛ لأنه يقوم على اعتماد منهجية واضحة ومنظمة في نقل المعارف والحقائق العلمية.ويعرف كذلك بـ:" هو خطاب نظري يمكن تصوره كبنية تفسيرية تربط عددا من الظواهر بعدد من المفاهيم والمسلمات والمبادئ عن طريق جهاز استنتاجي "[3].

وعليهفالخطاب العلمي خطاب نظري، يقوم أساسا كبنية تفسيرية؛ لأنه يسعى إلى ربط الظواهر بمجموعة المسلمات والمفاهيم العلمية من خلال آلية الاستنتاج الدقيق.ويختلف الخطاب العلمي عن الخطابات الأخرى (كالخطاب الأدبي) من حيث اللغة؛ إذ تتميز بالمحدودية والضيق؛لأنها تتعامل مع مفاهيم ثابتة لا تحتاج إلى تعدد الرؤيا؛ حيث تقوم على التفسير والتحليل والإيضاح على عكس لغة الخطاب الأدبي التي تتميز بالإبداع والمجاز، وتحمل بذلك دلالات مختلفة ومتعددة ، إذ يقوم فيها المبدع (الأديب) برسم عوالم شعرية وأدبية خاصة به، كما أن متلقي الخطاب العلمي متلق خاص، لأننا لا يمكننا أن نوجه هذا النوع من الخطاب إلى عامة الناس، وإنما يكون لباحثين ومتخصصين في هذا المجال باعتباره يختلف من حيث الشكل والمضمون ، وهذا ما يمثل اختلافه عن متلقي الخطاب الأدبي الذي يكون جمهوره أوسع وأشمل. كما تختلف القراءة بين الخطاب العلمي والأدبي،فنجد أن الخطاب العلمي قراءته محدودة تقوم على منهجية ثابتة ومنظمة، لا تقبل أي تعدد؛ لأن التعدد في القراءات يفقدها مصداقيتها، وهذا ما يميزه عن الخطاب الأدبي الذي يعرف بالانفتاح، والتعدد فكل قراءة فيه تفتح المجال لقراءات أخرى. [4]

2.4-الخطاب الأدبي: يقوم الخطاب الأدبي على الفنية والجمالية، وتختلف لغته عن لغة الخطاب العلمي التي تستند إلى الوضوح والدقة وتخلو من الإيحائية، وعن كل ما هو إبداعي فني، فالخطاب الأدبي من حيث الأصوات والمعجم والتركيب والمعنى والتداول ، وهو بناء لغوي واللغة فيه متكلمة عن ذاتها، ولعل البحث في لغته هو بحث في الوظائف والأشكال الخاصة بالأنظمة الاعتباطية للرموز النصية ومحاولة تحديد دلالتها ومعانيها ، فكل لغة هي في ذاتها انجاز جمعي في التعبير والتواصل وهي تنطوي على عدد معين من البنى الصوتية والمعجمية، والتركيبية التي لا تشاركها فيها أية لغة أخرى، والخطاب الأدبي لا يمكن أن يكون إلا توسعا لبعض خصائص اللغة واستعمالها كما أن

[1]احمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية المقارنة دراسة في النمط والتطور ، دار الامان ،ط1، الرباط، 1433هـ، 2012م، ص77.

[2]محمد الهادي عياد ، الخصائص الاسلوبية للخطاب العلمي في التراث العربي ، دار سحر للنشر ،تونس ،2015 ، ص 33.

[3]عبد القادر الفاسي الفهري ، عن اساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني ضمن المنهجية في العلوم الانسانية ،مجلةالكرمل ،فلسطين ، العدد 18، 1985 ، ص11.

[4]ينظر ،بشير ابرير ، الخطاب العلمي وبعض خصوصياته رؤيا تعليمية ، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية ،الجزائر ، المجلد 3، العدد 2 2007 ، ص 209،208.

تشكيل اللغة في الخطاب يحدد الأنظمة السيميائية فيه، وعليه فهو يقوم على خصائص جمالية وأسلوبية وبنيوية ووظيفية متنوعة .[1].

وهذا ما جعل "**جوليا كريستيفا**" تحدد ماهية الخطاب الأدبي من زاوية التحليل السيميائي الذي يدرس الدلالية " فالخطاب داخل النص يقوم بخرق الدال ،والذات، والتنظيم النحوي ، فهو يهدم النص ليرسي نصا جديدا " [2] وعليه فجوليا ترى أن المتلقي يقوم بهدم النص الأول، ثم يبعث نصا جديدا على أنقاضه عبر انتهاك وتجاوز الدال والذات والتنظيم النحوي منتجا نصا يطلق عليه النص الموازي أو المساوي .

أما الخطاب الأدبي عند "**رومان جاكبسون**"هو" نص تغلب فيه الوظيفة الشعرية للكلام، وهو ما يفضي حتما إلى تحديد ماهية الأسلوب بكونه الوظيفة المركزية المنظمة "[3] ويعني هنا أن الخطاب الأدبي هو النص الذي تهيمن عليه النزعة الشعرية للغة أو للخطاب ، مما يؤدي به بصورة استلزامية أن يضبط دور الأسلوب باعتباره الوظيفة الجوهرية والمنوط في هذا النوع من الخطاب. ومنه نستخلص أن الخطاب الأدبي هو خطاب إبداعي انفعالي يهتم بطريقة التعبير، والدقة في اختيار الألفاظ وحسن سبكها وتركيبها، كما يركز على الأسلوب وروعته وجماليته وكيفية عرضه، وهذا لتحقيق المقصد وهو التأثير في متلقي الخطابقوة.ويقوم الخطاب الأدبي بدوره على مكونات خاصة، وله أيضا خصائص تميزه عن غيره، وما أهمها ما يأتي:[4]

-تعتبر لغة الخطاب الأدبي لغة خالقة مبدعة مجازية، تجتاز وتعبر بين الدلالات المختلفة، حيث يستطيع الأديب من خلالها إبداع عوالم خاصة به.

-يعد الخطاب الأدبي بنية فنية تعبيرية، كلما كانت المسافة فيه بين الدال والمدلول واسعة اتسعت وازدادت القدرة على التعبير وكثرت طاقة اللغة المجازية وحققت شعريتها ومصدر متعتها .

- لا يتوجه الخطاب الأدبي إلى متلق خاص، وإنما يتوجه إلى جمهور أعم وأوسع عكس جمهور الخطاب العلمي.

-يتميز الخطاب الأدبي بقراءات متعددة وتأويلاتمختلفة، لأن النص الأدبي منفتح لعدة قراءات كل قراءة تحيل إلى قراءة جديدة، وهذا ما نعبر عنه بأن الخطاب الأدبي يحمل نوعا من القراءات اللامتناهية لنص واحد.

-يقوم الخطاب الأدبي على حساسية فنية وطاقة جمالية خلاقة، تقوم بمخاطبة السامع داخليا وما يكنه في أعماقه من مشاعر وأحاسيس يقوم بإيقاظها، والتأثيرفيها .

وبذلك يمكن استخلاص أن مصطلح الخطاب من المصطلحات التي جذبت اهتمام النقاد والمفكرين باعتباره كلاما يصدره المرسل الذي يعد أساس العملية التخاطبية إلى متلق بقصد الإقناع والتأثير ، سواء أكان كتابيا أو شفاهيا، وقد اختلف النقاد والباحثون في تحديد مفهوم جامع وشامل ومانع لهذا المصطلح وهذا لاضطراب المصطلح،

---

[1] ينظر ، نعمان بوقرة ، مدخل الى التحليل اللساني للخطاب الشعري ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، ط1، الجزائر ، 1428هـ، 2008م، ص 22،23.

[2] رابح بوحوش ، اللسانيات وتحليل النصوص ، ص103.

[3] ينظر ، عبد الجليل مرتاض ، في عالم النص والقراءة ص 56

[4] ينظر ،بشير ابرير ، الخطاب العلمي وبعض خصوصياته رؤيا تعليمية ، ص 208 ، 209، 210.

وتداخله مع مصطلح النص، حيث يؤكد البعض بأنهما متداخلان أي أنهما شيء واحد ، لذا كثرت حوله المفاهيم، ولقد وجد النقاد العرب صعوبة في تحديد ماهيته لذا أطلقوا عليه عدة مسميات واصطلاحات منها : الكلام ، القول ، النص ، اللفظ... ، والخطاب لا يتم إلا عن طريق عملية تواصل متكاملة الأطراف والمتكونة من عدة عناصر، تتحد معا لنقل الأفكار،والمعلومات بين الأفراد ومن هذه العناصر نجد : المرسل الذي يعد منشئ الرسالة وأساس العملية التواصلية ولا تتم إلا به، أما المرسل إليه فهو العنصر الثاني للتواصل وهو متلقي الرسالة ومستقبلها، والذي يقوم بتحليل الرسالة وتفكيك شفراتها لفهمها، ونجد كذلك الرسالة التي هي مضمون الخطاب الذي يوجهه المخاطب، وقد تكون شفاهية أو كتابية، فهي تستدعي سياقا ومرجعا تقال فيه، لأنه لا يمكن أن نتصور رسالة دون مرجع ، كما أنها تقتضي وجود سنن أو نظام مشترك بين طرفي الخطاب حتى يتمكن المتلقي من فهم الرسالة وتحليل ترميزاتها، كما تتطلب الرسالة وجود قناة تمر من خلالها العملية الخطابية حتى تضمن وصول الرسالة وتكتمل العملية التواصلية .

ولهذا اتخذ الخطاب أنماطا عديدة فقد صنفها بعضهم حسب القصد إلى خطاب أدبي، وخطاب علمي فيعد هذا الأخير بأنه حدث لغوي معرفي يشتمل على مفاهيم ومصطلحات علمية ويكون موجه إلى فئة متخصصة من باحثين وتقنيين، ويختلف الخطاب العلمي عن الأدبي في الاتجاهات والأبعاد سواء من ناحية اللغة أو المعجم اللغوي أو من حيث متلقي الخطاب، أو حتى القراءة، فالخطاب العلمي قراءته واحدة وثابتة لا تقبل التعدد، أما الخطاب الأدبي فهو خطاب انفعالي جمالي يقوم على الفنية والإبداع ويختلف عن الخطاب العلمي من ناحية اللغة فلغة الخطاب الأدبي إنشائية مجازية تقوم على الإبداع عكس الخطاب العلمي الذي يشترط الدقة في لغته والوضوح والابتعاد عن الإبداع والابتكار والمجاز ، كما أن جمهوره واسع وأعم؛ لأنه يشمل جميع فئات المجتمع، ولعل الخطاب الأدبي يتميز بتعدد القراءات والتأويلات، وهذا ما يجعلنا نتصور النص كأنه نص جديد في كل قراءة .

ثانيا: السخرية:

إن الحديث عن موضوع السخرية من المواضيع الضبابية الرؤيا عسيرة المسلك؛لأنها تعد من الفنون والأساليب الصعبة، فهي تقوم على معايير فنيه في تقديم النقد اللاذع في جو من الفكاهة والمتعة، ولكن السخرية لا تقوم على الإضحاك فحسب، بل تصور أوجاعا سياسية واجتماعيةلفئة من الناس في قالب جاد، وقد ارتبط مفهوم السخرية بمفهوم المفارقة إضافة إلى تداخلها بعدة مصطلحات كالفكاهة، الهزل التهكم، والهجاء... وقد كانت الترجمة السبب الرئيس في اضطراب المصطلح، وعلى الرغم من هذا الاختلاف إلا أن السخرية وجدت لفهمها ملاذا آمنا في دائرة الخطاب واقترنت به، ويعتبر اقترانها به من باب المجازفة إلا أنها قد هيئت لنفسها آليات اشتغلت عليها وفق ما تحتاجه العملية التواصلية بتفعيلها لوظائف اللغة واستخدامها المتميز الذي يجعلها كفيلة لنقل الخطاب نقلا تاما،وهذا ما يحقق عملية التواصل. وعليه لا يمكن البحث في مفهوم السخرية وإعطاء دلالة واضحة لها بمعزل عن بعض المفاهيم نحو (المفارقة، الفكاهة، الهجاء، الهزل...). لذا وجب علينا تتبع مسارها اللغوي والفلسفي والبلاغي لإزالة اللبس عنها. ولقد تتبعنا تعريف السخرية في معاجم كثيرة.

1- **اللغوي:**

يقول ابن فارس(395ه) في " معجم مقاييس اللغة " " السين والخاء والراء أصل مطرد مستقيم يدل على احتقار واستذلال "[1]، نعاين من هذا النص أن السخرية هي الاستهزاء؛ حيث تحمل دلالات قاسية، يحاول من خلالها الساخر احتقار وإذلال المسخورمنه، ووضعه في أدنى مكانة. وبذلك فقد ربطها بمفهوم الاحتقار والإذلال للمسخورمنه، وجعلهما متداخلان، وربما هذا ما جعل السخرية قولا غير مستساغ عند المتلقي، وهذا ما عكسته بعض الآيات القرآنية التي تضمنت بدورها دعوة إلى نبذ السخرية والنفور منها والتخلي عنها،والنهي عنها نهيا صريحا؛ لأنها تعد من الصفات السلبية والمنبوذة منها قوله تعالى في محكم تنزيله لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ (سورة الحجرات الآية 11) ففي هذه الآية يخاطب الله المؤمنين وينهاهم عن السخرية بشكل صريح سواء أكان ذلك بين النساء أو بين الرجال لأن الاستهزاء يولد الحقد والكره .

كما نجدها في موضع أخر وردت بمعنى الضحك لقوله تعالى:" ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾(سورةالمؤمنون ، الآية 109). تظهر هذه الآية سخرية الكافرين من المؤمنين من دعائهم لله من خلال الضحك عليهم، ولكن هذا الضحك سينقلب ضدهم وعليهم يوم القيامة.

كما جاءت السخرية بمعنى الضحك والفكاهة في قوله تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (31) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (32) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ(33)فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (34)على الأرائك ينتظرون(35) هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون(36)﴾(سورة المطففين ، الآية من 29 إلى 36) فهذه الآية توحي أن الكفار قد سخروا من المؤمنين بعدة إشارات لإصدار الضحك مثل الغمز في قوله " وإذا مروا بهم يتغامزون "، وهي إشارة بالعيون على وجه السخرية، وهذا واضح في معنى كلمة فكهين (معناها مسرورين ومستمتعين ومتلذذين بسخريتهم من المؤمنين، كما وردت بمعنى الاستهزاء في قوله تعالى :﴿ ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا ما كانوا به يستهزئون ﴾ (سورة الأنبياء ، الآية 41). في هذه الآية يبين الله لنبيه ما سيلقاه من استهزاء من قومه من الكفار والمشركين، وما وقع للأنبياء والمرسلين الذين سبقوه،والاستهزاء هنا مقصده السخرية، وقد كرر كلمة الاستهزاء لتأكيد على أن عذاب المستهزئين عظيم.

وقوله أيضا:" وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون " (سورةالحجر ، الآية 11) تبين هذه الآية استهزاء الكفار بالأنبياء والسخرية منهم، واستكبارهم عن الحق. ونجد كذلك سخرية المنافقين الذين يدّعون الإيمان وحب المؤمنون، ولكنهم يسخرون من المتطوعين في سبيل الله ويظهر ذلك في قوله تعالى : ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم﴾ (سورة التوبة ، الآية 79).كما نجدها في رد نوح عليه السلام على قومه الساخرين منه وهو يصنع الفلك، يقول الله تعالى : ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ (38)﴾(سورة هود، الآية 38).

[1]ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني)، معجم مقاييس اللغة ،تح : عبد السلام هارون ، دار الجيل ،دط، بيروت ،لبنان ، 1999، ص 144/3.

تصور لنا هذه الآية قصة سيدنا نوح عليه السلام عندما صنع السفينة (الفلك) فسخر منه قومه، وكفروا بما جاء به، فرد عليهم بأنه سيسخر منهم كما سخروا منه، إذ يقول الزمخشري: "سَخِرُوا مِنْهُ ومن عمله السفينة، وكان يعملها في برية بهماء في أبعد موضع من الماء، وفي وقت عزَّ الماء فيه عزة شديدة، فكانوا يتضاحكون ويقولون له: يا نوح، صرت نجاراً بعد ما كنت نبيا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ يعنى في المستقبل كَما تَسْخَرُونَ منا الساعة، أي: نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة. وقيل: إن تستجهلونا فيما نصنع فإنا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرّض لسخط الله وعذابه، فأنتم أولى بالاستجهال منا. أو إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم في استجهالكم، لأنكم لا تستجهلون إلا عن جهل بحقيقة الأمر، وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق"[1]، ونستشف من هذا النص أن السخرية عند الزمخشري تحمل معنى الاستجهال، وهذا المصطلح يتضمن الاحتقار والإذلال، فالقوم حقروا فعل نوح، وأذلوه.

وعليه فالقرآن الكريم حذر من السخرية، واعتبرها من السلوكيات المشينة التي تؤدي إلى إهانة واحتقار الغير وإلحاق الذل والمهانة بهم، فهي نقيضة للقيم الأخلاقية في المجتمع،لذا بين عاقبة أصحابها .

وقد جاء في لسان العرب «سخر منه وبه سخرا أو سخرا ومسخرو سخر وسخرا، وسخرة وسخريًا وسخريًا - هزىءبه، يقال سخرت منه ولا يقال سخرت به "[2].وقوله أيضا: "سخرته أي قهرته وذللته"،وبذلك فهي القهر والإذلال، وهذا ما جعل من السخرية آلية فعالة للنيل من الخصم حسب تصوره.

وأورد "أبو هلال العسكري" في كتابه " الفروق في اللغة " تعريفا للسخرية؛ حيث يقول :" الفرق بين الاستهزاء والسخرية أن الإنسان يستهزأ به من أجله؛ والسخر يدل على فعل يسبق من المسخور منه والعبارة من اللفظين تدل على صحة ما قلناه وذلك أنك تقول استهزأت به فتعدى الفعل منك بالباء والباء للإلصاق كأنك ألصقت به استهزاءً من غير أن يدل على شيء وقع الاستهزاء من أجله وتقول سخرت منه فيقتضي ذلك من وقع السخر من أجله كما تقول تعجبت منه فيدل ذلك على فعل وقع التعجب من أجله ويجوز أن يقال أصل سخرت منه التسخير وهو تذليل الشيء وجعلك إياه منقادًا فكأنك إذا سخرت منه جعلته كالمنقاد لك "[3]. فالسخرية عند أبي هلال أصلها التسخير وهي التذليل أي إلحاق الذل والمهانة بالمسخور منه.

ونجد "الرازي" يتفق مع أبي هلال العسكري في إعادة مادة سخَّر إلى التسخير والتذليل حيث يوردها:" س خ ر – (سَخِرَ) منه من باب طرب و(سُخًراً) بضمتين و(مسخرا) بوزن مذهب .... وقالالاخفش: سخر منه وبه وضحك منه وبه وهزئ منه وبه كُل يقال والاسم (السخرية) بوزن العشرية و(السخري) بضم السين وكسرها وقُرئ بهما قوله تعالى " ليتخذ بعضهم بعضا سُخريا " و(سخّرهُ) (تسخيرا) كلفه عملا بلا أجرة وكذا (تسخره) .و(التسخير) أيضا التذليل. ورجل (سُخرة) كسفرة يسخر منه و(سُخرة) كهمزة يسخر من الناس"[4].

[1] - الزمخشري، الكشاف، ج2، دار الفكر، ص 268

[2] ابن منظور لسان العرب (مادةس ،خ ،ر) ص 259

[3] أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة ،تح: لجنة إحياء التراث ، منشورات دار الآفاق الجديدة ،ط4،بيروت 1400هـ، 1980، ص249.

[4] الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر) ، مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ،دط، 2008، ص 122.

وبذلك فالدلالة المعجمية لكلمة السخرية أتت بمفهوم الاستهزاء والاستخفاف. ونجد ذلك أيضا عند الزبيدي " سخر : سخر منه / هذه هي اللغة الفصيحة ، وبها ورد القرآن ، قال الله تعالى " فيسخرون منهم سخر الله منهم" قال الفراء يقال: سخرت منه ، ولا يقال : سخرت به ، فالأخفش أجازهما قال : سخرت منه وسخرت به ،وقال النووي : الأفصح الأشهر ، سخر منه وإنما جاء سخر به لتضمنه معنى هزئ ، وفي الكتاب العزيز" وإذا رأوا آية يستسخرون " قال ابن الرماني: يدعو بعضهم بعضا إلى أن يسخر، كيسخرون ، قال غيره : كما تقول : عجب وتعجب واستعجب بمعنى واحد والاسم السخرية والسخري بالضم ويكسر . قال الأزهري : وقد يكون نعتا كقولك هم لك سخري وسخرية لقوله تعالى " ليتخذ بعضهم بعضا سخريا " وقوله أيضا " وان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون " أي إن تستجهلونا ، أي تحملونا على الجهل على سبيل الهزء فإنا نستجهلكم كما تستجهلونا وإنما فسره بالاستجهال هربا من إطلاق الاستهزاء عليه تعالى"[1].أما في **المعجم الوسيط** نجد سخر منه و به سخرًا وسخراً وسخرية هزئ به(السخرة من ليست من الناس المسخرة ما يطلب السخرية ، ج مساخر الهزىء[2]. فالسخرية هي الاستهزاء والاحتقار وإلحاق الذل بالمسخورمنه .

كما ورد تعريف السخرية في المعجم الأدبي بأنها:"... نوع من الهزء قوامه الامتناع من إسباغ المعنى الواقعي أو المعنى كله على الكلمات.والإيحاء، عن طريق الأسلوب، وإبقاء الكلام يعكس ما يقال "[3].

ومن خلال التعريف اللغوي للسخرية يتضحلنابأنهاتتفق في كون السخرية استهزاء وابتعاد عن المعنى الأصلي المراد إيصاله وتبليغه حتى تقوم على المفارقة الدلالية والبنية الضدية بين معناها الظاهر ومعناها الخفي فهي تجمع بين خطابين الظاهر (تظهر من السياق) والمضمر يكتشف من خلال قرائن تدل عليه .

ونستشف مما سبق اهتمام المعاجم بتحديد الدلالة المعجمية لمصطلح السخرية، وقد تبين أنها سعت إلى تبيان مقصديتها السلبية والانتقاصية.

2- اصطلاحا:

تعد السخرية آلية من آليات التنوع الكلامي فهي لا تملك صورة أو سلوكا معينا، فتكون أحيانا بالإشارة كالنظرة المصحوبة بالاحتقاروبمايلامسهامن وضوح هذا الاحتقار في ملامح الوجه، فالساخر لا يصدر أي قول أو فعل يدل على أنه يسخر أو يحتقر، ولكنها إشارة واضحة الدلالة.وأحيانا أخرى تجدها بالقول فيعير الشخص على السخرية بأسلوب لفظي معين يدين احتقاره الآخر.والسخرية في مفهومها البلاغي تعنى"طريقة في الكلام يعبر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل، كقولك للبخيل "ما أكرمك" ويقال "هي التعبير عن تحسر الشخص على نفسه كقول البائس: "ما أسعدني"[4].

---

[1] محمد مرتضى الزبيدي ،تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الفكر ،دط ،ج3، بيروت ،1994 ، ص20.

[2] المعجم الوسيط مكتبة الشروق الدولية ، ط4 ،2004 ، ص421

[3] عبد النور جبور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت، ط1، ، 1979، ص 138.

[4] -مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان،1974، ص 112

وعرفها"**شاكرعبد الحميد**"بقوله: " نوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثقافي، الذي يقوم على أساس انتقاد الرذائل والحماقات والنقائص الإنسانية،. من خلال عملية المراقبة والرصد، واستعمال وسائل التهكم والتقليل من قدرها، أو جعلها مثيرة للضحك" [1]. ما نستشفه من هذا التعريف أن السخرية أداة للتعبير الأدبي والتي تقوم على إظهار النقائص الإنسانية، وانتقاد الرذائل، وذلك عن طريق التنبيه إليها وكشفها في صورة تهكمية مضحكة. ويرى**شوقي ضيف**أن " السخرية أرقى أنواع الفكاهة، لما تحتاج من ذكاء وخفاء ومكر، لذلك فهي أداة دقيقة في أيدي الفلاسفة والكتاب الذين يهزأون بالعقائد والخرافات، ويستخدمها الساسة للنكاية بخصومهم وهي حينئذ تكون تهكما أو تقريعا خالصا. وقد تستخدم في رقة استخداما لاذعا إذ يلمس صاحبها شخصا لمسا رفيقا " [2]ويقصد بذلك أن السخرية هي شكل من أشكال الفكاهة لاشتمالها على عنصر الصفاء وما تحمله من ذكاء ومكر وخفاء .

وعليه يسلط "**شوقي ضيف** الضوء على السخرية بوصفها وسيلة من وسائل الفكاهة التي تتطلب ذكاء وخفة وتشددا في استخدامها بشكل دقيق من قبل الفلاسفة للسخرية من العقائد والخرافات، وأيضا من قبل الساسة للنقد الساخر من خصومهم؛ حيث تكون السخرية فعالة عندما تكون لها لمسة رقيقة تساعد الأشخاص على إدراكها وفهمها بشكل معين؛ إذن فالسخرية أداة تعبير قوية تستخدم في مجموعة متنوعة من السياقات للتعبير عن الانتقادات أو لغرض التسلية.

ويمكن تعريف السخرية كذلك بأنها:" النقد الضحك أو التجريح الهازئ، وغرض الساخر هو النقد أولا والإضحاك ثانيا، وهو تصوير الإنسان تصويرا مضحكا: إما بوضعه في صورة مضحكة بواسطة التشويه – الذي لا يصل إلى حد الإيلام – أو تكبير العيوب الجسمية أو العضوية أو الحركية أو العقلية " [3]. نعاين من هذا التعريف أن مقصد السخرية ليس الضحك فقط وإنما النقد الذي يسعى عادة إلى التركيز على العيوب التي تتنافى مع السياق الاجتماعي.

ويرى "**أدونيس**" أن " السخرية حاجة نفسية تنطلق بإرادة الإنسان، يبقي من خلالها فهما وإدراكا لأشياء غير مفهومة بحيث تصل بالإنسان المرحلة في الوعي والانطلاق ويرى أن هذا الانطلاق يبدأ من الساخر نفسه ، لأن السخرية في أصلها منفى تصل الشاعر فيه بنفسه وبالأخر"[4]. وعليه يسلط أدونيس الضوء على أهمية السخرية كوسيلة فعالة للتعبير عن الوعي والانطلاق الفردي من خلال الفهم العميق لهذه الظاهرة؛ ويرى أن السخرية تنشأ من إرادة الإنسان؛ إذ يسعى الشاعر من خلالها لفهم الأمور بشكل مختلف، وإدراكها بعمق وهذا الإدراك يسهم في تحقيق مرحلة من الوعي الذاتي والانطلاق الشخصي؛ بالإضافةوالسخرية عنده تبدأ من الساخر نفسه؛ حيث يستخدمها كوسيلة للتعبير عن تفكيره ورؤيته الفنية ؛وبالتالي يمكن اعتبار السخرية عنصرا مهما في رؤية أدونيس.

أما الرؤية الغربية فالمصطلح: السخرية (Irony) مشتق من اللفظة اليونانية (eironia) ، وكانت وصفا للأسلوب في كلام إحدى الشخصيات المعروفة في الملهاة اليونانية القديمة، المسمى ب.إيرون (eiron) وكانت هذه

[1] عبد الحميد شاكر ، الفكاهة والضحك ، عالم المعرفة ،الكويت ، 2003، ص 51.

[2] شوقي ضيف ، الفكاهة في مصر ،دار المعارف للنشر ، ط3، القاهرة ، 1943، ص10.

[3] نعمان محمد أمين طه ، السخرية في الأدب العربي ، ص 14.

[4] سعد إسماعيل شلبي، الشعر العباسي التيار الشعبي ،دار غريب الفجالة ،1978،ص86

الشخصية تتميز بالضعف والقصر مع الخبث والدهاء.[1]وبذلك فقد ارتبط مصطلح السخرية أيما ارتباط بالفلسفة اليونانية،منخلال شخصية الساذج الحاذق الذي اختفى وراء قناع التجاهل مستعملا الحيلة والمغالطة في الإيقاع بخصمه، فكانت السخرية مرادفة للحكمة والدهاء. كما يعرفها الكتاب الاوربيين بأنها :" طريقة من طرق التعبير ، يستعمل فيها الشخص ألفاظا تقلب المعنى إلى عكس ما يقصده المتكلم حقيقة ، وهي صورة من صور الفكاهة تعرض السلوك المعوج أو الأخطاء ، التي إن فطن إليها وعرفها فنان موهوب تمام المعرفة ، وأحسن عرضها ، تكون حينئذ في يده سلاحا مميتا " .[2]وعرفها أخربأنها" ... طريقة في التهكم المرير، والتندر أو الهجاء الذي يظهر فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان ، وربما كانت أعظم صور البلاغة عنفا وإخافة وفتكا "[3]، ويعني أن السخرية هي شكل من أشكال التهكم القاسي ، والتندر اللاذع، والهجاء الذي يسعى الساخر من خلاله إلى التعبيرعكس ما يتوقعه السامع؛ أي أنها تثير صدمة المتلقي؛ لأنها تحمل رسالة نقدية ساخرة وقوية.

ولقد تتطور مفهوم السخرية في الدراسات الأجنبية؛ لذا سنتوقف عند أهم الطروحات والنظريات التي أوردها النقاد والمفكرون، إذ عرفها الروسي "ميخائيل باختين"(1975)(Mikhail Bakhti)بقوله :"السخرية من الوسائل التي يوظفها الإنسان لمواجهة الحالات الدرامية التي تصادفه كي يخرجها من مساحتها الملحمية ويدخلها في حيز الواقع المعيش،والاتصال الحر والبعيد عن التكلفة "[4].يستعرض هذا النص السخرية كأداة فعالة للتعامل مع الصعوبات والتحديات التي يواجهها الإنسان طيلة حياته،سواء أكانت تلك التحديات حياتية أم دراسية، ويقر أن السخرية تكمن في تحويل هذه الحالات الصعبة إلى تجارب يمكن التعامل معها بشكل أكثر واقعية مما يمكنه من التعامل مع الواقع بفعالية بعيدا عن التكلفة.

ويرى **"هربت جرايس"(ت 1988)(Herbert Grice)**في دراسته المعنونة بـ**"Logic and conversation"** أن "السخريةأسلوب بلاغي يورد المتكلم فيه ألفاظا يريد عكس معناها "[5].نعاين من هذا النص أن السخرية تعتمد على المفارقة بين اللفظ، وما يراد به من معنى، أي أن الساخر(المتكلم) يستخدم أسلوب المدح ويريد به الذم،والهجاء؛ أي أن ألفاظه عكس معانيه.

ومن هنا نستنتج أن السخرية هي الاستهزاء والابتعاد عن المعنى الحقيقي المراد تبليغه، وهي الهجوم والتحدي والفضح،والنقد اللاذع الحاد، ولهذا استمد الخطاب الساخر موضوعاته من المواقف التي تثير الانتباه، فالسخرية هدفها معالجة المواضع الاجتماعية بصورة كبيرة فهي ترجمة لحاجات روحية وهذا ما أكده علماء الاجتماع في

---

[1]-فاطمة حسين العفيف، السخرية في الشعر العربي،: محمد الماغوط، ومحمود درويش، وأحمد مطر، نماذج، وزارة الثقافة، الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2017، ص 14.

[2]Harms worth,s Universal Eneyclo , v .5. p. 4315نقلا عن كتاب نعمان محمد أمين طه ، السخرية في الأدب العربي ، ص 13.

[3]Americana v . 15p . 390 نقلا عن كتاب نعمان طه، السخرية في الأدب العربي ، ص 14.

[4] ميخائيل باختين ،شعريةدوستوفيسكي ،تر :جميل ناصف التكريتي ،حياةشرارة ،دار توبقال للنشر ،الدارالبيضاء ،ط1986،1،ص179

[5] مشاري عبد العزيز الموسى ، أسلوب السخرية : نظرياته واشكالياته، مجلة رسالة الشرق ،المجلد 36، العدد 3، سبتمبر 2021،مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة ، ص62.

تعريفهم السخرية بأن أنجح الوسائل في تغيير العادات والتقاليد، فأسلوب السخرية يحمل في طياته قوة هائلة في التأثير النفسي والاجتماعي.

فمن هنا عد الأدب الساخر من الفنون التي فرضت نفسها في الأدب، وهذا من خلال الطروحات التي قدمها الباحثون والنقاد وباعتبار السخرية مظهرا من مظاهر النقد والضحك، فقد لعبت دورا مهما وفعالا في الكشف عن إبداعات الشعراء وقدراتهم على التلاعب بالألفاظ، وقد اتخذها الشعراء كوسيلة للتعبير عن الجور والظلم السائد في المجتمع والسعي إلى النقد والتغيير باعتبارها أسلوبا للإقناع والاحتجاج،ولأنها تخاطب العقل، وتسعى إلى تحقيق تأثير ما.

ثالثا-السخرية والمفاهيم المقاربة لها:

تقوم السخرية على عنصر الضحك والاستهزاء، وذلك من خلال إبراز المعنى في صورة راقية تعكس حقيقة ما هو كائن، فهي نقد غير مباشر لأفعال ومواقف معينة تبرزها، وتحاول إصلاحها بطريقة تحمل في ثناياها روح الفكاهة والانتقاد، ولقد ارتبط مصطلح السخرية بعدد من المصطلحات التي تصفه وتتقاطع معه في المعنى كالهجاء، الفكاهة، الضحك، المفارقة، التهكم ..... لذا قد تم استخدمها في كثير من الأحيان على سبيل الترادف، ولكن " استعمال كل تلك المصطلحات على سبيل الترادف في بعض السياقات لا يُخفي احتواءها على بعض الفويرقات على الأقل أو اختلافها في زوايا النظر"،لعل من أهم المصطلحاتالمحايثةللسخريةما يأتي :

1- السخرية والهجاء:

يعرف الهجاء بأنه من أقدم الأغراض في الشعر منذ الجاهلية، فهو " فن من فنون الشعر يصور عاطفة الغضب والاحتقار أو الاستهزاء، وسواء في ذلك أن يكون موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق أو المذاهب"[1]وهذا يعني أن الهجاء نوع من أنواع الشعر الذي يعتمد عليه الشاعر للتعبير عن الغضب والازدراء، ويمكن أن نعده أيضا من أشكال السخرية اللاذعة التي يوجهها الهجّاء إلى شخص أو جماعة، أو حتى انتقاده لمذاهب معين أو حتى للأخلاق.وهو أيضا فن الشتم والسباب وهو نقيض المدح كما كان يقول قدامه [2]، وذهب أبو هلال العسكري إلى أن " أبلغ الهجاء ما يكون بسلب الصفات المستحسنة التي تخص النفس من الحلم والعقل وما يجري مجرى ذلك" [3]. أما السخرية " هي نوع من الهزء قوامه الامتناع عن إسباغ المعنى الواقعي أو المعنى كله على الكلمات، والإيحاء عن طريق الأسلوب، وإلقاء الكلام، بعكس ما يقال، وتتركز السخرية أصلا على طريقة في طرح الأسئلة مع التظاهر بالجهل وقول شيء في معرض ذكر شيء أخر "[4].

وعليه فالسخرية ضرب من ضروب التهكم والاستهزاء تقوم في الأساس على الامتناع من إعطاء المعنى الحقيقي والظاهر للكلمات؛ أي أنها تعبر عن قصدها بأسلوب غير مباشر يعتمد التلميح والإيحاء، والتعريض، ويظهر عكس

[1] فوزي عيسى ، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص12.

[2] محمد محمدحسين ، الهجاء والهجاءون في الجاهلية ، مكتبة الآداب بالجماميز ، ط1، مصر ، 1948، ص1.

[3] فوزي عيسى ، الهجاء في الأدب الأندلسي ، ص 12 ،13 .

[4] جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، ص 138.

ما يراد به، كما أنها تعتمد أساسا على طريقة خاصة في طرح الأسئلة من خلال إظهار الجهل وإخفاء معنى مغاير للشيء. لذا هناك من نرى أن " السخرية لون من الهجاء، ولكن بفارق وهو أن للهجاء لسانا حادا ومُرا ونحن لا نجد الصراحة الموجودة في السخرية كما نجدها في الهجاء ومن جهة أخرى والغاية في السخرية هي الاستهزاء من شخص في حالة جعل الشخص أضحوكة للآخرين مع الاستحقار "[1]، ومن هنا نستنتج أن السخرية ضرب من ضروب الهجاء لكنها تختلف في طريقة التعبير فالهجاء يقوم على الحدة والقساوة؛ أي أنه ذو طابع هجومي صريح يسعى إلى الهدم؛ لذا نجده يعمد إلى احتقار الخصم ونقده بصفة مباشرة، أما السخرية فإنها تعتمد على التلميح والتخفي؛ أي تعمل على نقد الخصم تحت ثوب الفكاهة والمرح، وبطريقة ذكية وبأسلوب لطيف؛لأن الغاية من السخرية هي الاستهزاء والاستخفاف بالأخر، ووضعه موضع ضحك وسخرية بين الآخرين ، واحتقاره والحط من مكانته.

ومن هنا يمكننا القول أن السخرية والهجاء يلتقيان في كونهما وسيلتين من وسائل التعبير النقدي اللاذع، القائم على الاستهزاء، إذ يشتركان في غاية واحدة وهي تسليط الضوء على عيوب الخصم ونقائصه ومثالبه وسلوكياته المشينة، وفضحها وإظهارها وإذلاله والتقليل من منزلته، أو رفض موقف معين أو فكرة ،أما السخرية تركز على أسلوب الإيحاء والتخفي، والتعريض عن إظهار المعنى بشكل صريح وبذلك يكون النقد بطريقة مهذبة ولبقة، وخاصة أنها تسعى إلى جذب المتلقي وحمله على التفكير وذلك بإعمال العقل بهدف التغيير والإصلاح في حين نجد الهجاء يقوم على الهجوم المباشر والنقد القاسي، وإهانة الشخص، وتحقيره والإساءة إليه؛ لأن وظيفته وعظية ونزعته تعليمية وذلك ما يجعله يهاجم الآخر بقوة وقسوة[2]فالسخرية إذن تعد وسيلة للوصول إلى غاية معينة وليست غاية في أساسها، وهذا ما جعل بعض الشعراء الأندلسيون يقتربون في نسج صورهم الهجائية من السخرية، وذلك بتعزيزها بآليات السخرية ليزيدوا هجاءهم قوة وتأثيرا وإيلاما ويذلون الخصم؛ أي يعتمدون على هجاء قوامه السخرية القادرة على التلميح والتخفي والنقد والإضحاك، وهذا ما جعلها تستخدم بكثرة في الهجاء [3]، وبخاصة أن النقاد فضلوا أن يكون الهجاء بين التعريض والتصريح؛ إذ يقول عبد العزيز الجرجاني: "أما الهجو ما جرى مجرى الهزل والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض..."[4]، فهذا القول يوضح أهمية التخفي والتلميح والتعريض في الهجاء، وهذا ما جعله يستعين بآليات السخرية .

2- السخرية والفكاهة:

تعد الفكاهة من الجوانب المميزة في السلوك الإنساني؛ لذا فهي " رسالة اجتماعية مقصود منها إنتاج الضحك أو الابتسام "[5]، فالفكاهة تعني أنها رسالة اجتماعية لها غاية، وأهداف تريد تحقيقها من خلال الضحك. فالفكاهة من "الفكه:الذي ينال من أعراض الناس وفكههم بملح الكلام أطرفهم والفاكه: المزّاح والفكاهة : المُزاح والتفاكه :

[1] شمسي واقف زاده ، الأدب الساخر ، أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية ، مجلة دراسات الأدب المعاصر ، عدد 12، السنة الثالثة ، دامعة آزاد الإسلامية ،إيران ، 1433، ص109.

[2]- ينظر، عليالبوجديدي، السخرية في أدب الجاحظ، ص 73.

[3]- ينظر، المرجع نفسه ، ص 84-85.

[4]- الجرجاني (القاضي علي بن عبد العزيز)، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 24.

[5]عبد الحميد شاكر ، الفكاهة والضحك ،رؤيةجديدة، عالم المعرفة ، الكويت، 2003، ص 7.

التمازح والمفاكهة : الممازحة والفكه ، الطيب النفس"[1].كما يمكننا القول أن الفكه " هو طيب النفس ضحوك ، أو يحدث صحبه فيضحكهم"[2].فالفكاهة هنا ارتبطت بمعنى الضحكونجد كذلك الفكاهة " المزاح ، والفكاهة بالفتح مصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه إذا كان طيب النفس مزاحا، والفكه : الأشر البطر ، وتفكّه تعجّب " [3]. و"الفكه: الذي يُحدث أصحابه ويضحكهم"[4] وبذلك فهي تعني المزاح والإضحاك.

وقد عرفها قاموس ويستر (Webster)بأنها:" تلك الخاصية المتعلقة بحدث أو نشاط أو موقف، أو تعبير خاص عن فكرة، والتي تستحضر الحس المضحك، أو الحس الخاص المتعلق بإدراك التناقض في المعنى، والفكاهة خاصية واقعية مضحكة أو مسليةإنها تتعلق بالملكة العقلية الخاصة بالاكتشاف والتعبير والتذوق للأمور المضحكة أو العناصر المتناقضة اللامعقولة في الأفكار والمواقف والأحداث والأفعال "[5]. وبذلك تبدو السخرية في صورتها الظاهرة وفي مضمونها مجرد دعابة للمزاح أو التسلية، أو إشاعة روح الفكاهة، كما أن الساخر هو مجرد امرئ فكه، خفيف الظل يحب الدعابة وتستهويه السخرية إلا أن الأمر أبعد من ذلك لأن مضمون السخرية هو سلاح يوجهه الساخر نحو الشخص الذي يسخر منه، وهذا السلاح مصوغ في أسلوب شديد الحدة، لكنه محاط بغلاف محبب للنفوس، وهو غلاف الفكاهة والتصوير الطريف الذي يجد طريق إلى القلوب بأسلوب سهل ويسير.[6]

ويلجأ الإنسان إلى الفكاهة في حياته في حالات الفرح والترويح وفي حالات المشقة والأزمات النفسية، وكذا تعد خاصية للإصلاح. فأحسن الفكاهة ما صدر عن رغبة في إصلاح فاسد وتقويم معوج من العادات والأخلاق والعرب تستعمل الفكاهة في الهجاء والسخر والتعجيز والوصف[7]،وعليه فأفضل أنواع الفكاهة ليست التي تأتي من أجل الضحك فحسب، بل ما كان لها هدف أسمى من الضحك، وهو إصلاح سلوكيات وأخلاق الأفراد في المجتمع وانتقاد المفاسد والرذائل وتقويمها بأسلوب فكاهي مضحك، فغرض الفكاهة هنا إيجابي يسعى إلى تطهير المجتمع، لذا اعتمدها العرب في عديد الأغراض كالهجاء، الوصف ... .

وتعد السخرية بدورها من أرقى أنواع الفكاهة؛ لأنها تحتاج إلى قدر كبير من الذكاء والخفاء والمكر ، لذلك اتخذ منها الفلاسفة والأدباء أداة يستخدمونها في دقة لبيان رأيهم [8]، ولعل علماء الاجتماع اعتبروا السخرية من أنجح الوسائل التي أدت إلى تغيير العادات والتقاليد ذلك أن أسلوب السخرية يتضمن قوة هائلة في التأثير النفسي والاجتماعي؛ لأنه من المعروف أن العادات والتقاليد سلطان اجتماعي أقوى من سلطان الدين والقانون معا ، وكون السخرية تبلغ قوة في التأثير بانتصارها على العادات والتقاليد فإنها تملك قوة هائلة على الرغم من أنها تبدو في صورة

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (فكه) ، ص3453.

[2]الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ص 1250.

[3]إسماعيل بن حماد الجوهري ،الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تح: احمد عبد الغفور عطار ، دار الملايين ،ط4، بيروت، لبنان ، 1990، 4/ 2243.

[4]- ابن منظور ، لسان العرب، ص ص3453.

[5]عبد الحميد شاكر ، الفكاهة والضحك ، ص14.

[6]ينظر ، عبد الحليم حفني ، التصوير الساخر في القرآن الكريم ، الهيئة المصرية العلمية للكتاب ،دط، 1992، ص 11.

[7]عبد الرحمن شكري ، دراسات في الشعر العربي ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1، القاهرة ، 1415هـ،1994،ص176.

[8]حامد عبده الهوال ، السخرية في أدب المازني ، ص 17.

الفكاهة والمرح، ولكن في الواقع أن صورة هذه الفكاهة تدفع النفوس إلى تقبلها، وتداولها وعدم الملل منها ومن تكرارها، لذا فتأثير السخرية بالغ الأثر، وذلك بأن الفكاهة بطبيعتها محببة إلى النفوس وأن صياغة النقد والهجوم بروح الفكاهة كالسخرية تجعل النفس تتقبلها بسرعة، وهذا ما يضمن للسخرية الانتشار والتداول على نطاق واسع،[1] ومن هنا فالفكاهة لصيقة بالسخرية، كما أن السخرية التي تكون بروح الفكاهة تضمن لها الانتشار والتداول، لذا فالفكاهة تعد عنصرا ضروريا في السخرية .

ومن هنا لنا القول إن الفكاهة من المصطلحات التي تتقاطع مع السخرية لاشتراكهما في عنصر الضحك والممازحة والدعابة، ولكن هذا الاشتراك قد يختلف في عناصر أخرى فغرض الفكاهة الأساسي هو الضحك من أجل الضحك أما السخرية فغرضها أعم وأسمى وهو الإضحاك، بالإضافة إلى الإصلاح والتقويم والتطهير.

3- السخرية والتهكم :

يعد التهكم من أكثر المصطلحات التصاقا بمفهوم السخرية، بل واعتبرا كأنهما مصطلح واحد، ومعنى التهكم هو "الترفع على الناس والتيه عليهم، يقول أبو زيد: التهكم: التكبر، والتهكم، التبختر بطرا، ويقول ابن سيده، المتهكم: المتكبر، ومن معانيه أيضا أن يتعرض أحدهم للآخرين بالشر والعبث بهم . يقول الليث :الهكم : المقتحم على ما لا يعنيه الذي يتعرض للناس بشرّه، ومن معانيه أيضا: الاستهزاء والسخرية. ومن معانيه كذلك التهدم والتهزز. يقول الأزهري: التهكم : تهور البئر، ويقال " تهكمت البئر: تهدمت "[2]. ويعني أن التهكم والسخرية يتوافقان في أن كلاهما يدلان على الاستهزاء، ويكون ذلك من طرف المتهكم ويقابله الساخر في السخرية الذي يرى نفسه أنه أعلى منزلة من مسخوره، لذا يسعى إلى إنزال مكانته والاستهزاء منه.

كما أن التهكم "فن الإحراج، فن نصب الشرك وإيقاع الضحية. فن التحايل بل الاحتيال فن اللعب بالألفاظ وتلوينها. فن الإرباك، فن توليد الاحروجات. أما السخرية فهي فن إنتاج المفارقات. الأحروجة تعثر منطقي، أما المفارقة فهي تيه انطلوجي"[3]، وعليه فالتهكم من الأساليب التي تقوم على إحراج المتلقي وإيقاعه في شباكه، كما يعتمد على استراتيجية التحايل والاحتيال عبر التلاعب بالألفاظ لإظهار الشيء الايجابي بينما هو يضمر نقدا لاذعا وخطابا غير بريء؛ أي أن هذا التلاعب يوهم المتلقي بشيء ويريد عكسه، أما السخرية تعتمد على المفارقات والتي تضع المخاطب في مواقف محرجة، وهذا يعني التهكم والسخرية كلاهما يقومان على إحراج المخاطب من خلال التلاعب بالألفاظ وتجاوز الدلالة المباشرة ، وتلوين المعاني بإنتاج المفارقات.ونجد أن المتهكم دائما يرى نفسه أنه من سلالة رفيعة ، لذا لا يمكننا أن نراه يتهكم على نفسه، وهذا ما يدل على أن التهكم يصدر عن إحساس بالقوة والصلابة، ويكون في موضع لاصطياد نقاط الضعف لِيُفقد الثقة بالنفس، على عكس السخرية التي تسخر من نفسها قبل كل شيء.[4]

---

[1] ينظر ، عبد الحليم حفني ، التصوير الساخر في القرآن الكريم ،ص 23 .

[2] ابن منظور ، لسان العرب، ج 12 ، ص 617.

[3] عبد السلام بنعبد العالي ، الكتابة بيدين ، دار توبقال للنشر ، ط1، 2009، ص 47.

[4] عبد السلام بن عبد العالي ، الكتابة بيدين ، ص 47.

وتعد السخرية والتهكم من الأدوات المهمة التي تجذب انتباه القارئ وتأثر فيه، باعتبارهما يدلان عن تصور الكاتب وبراعته وذكائه وبعد نظره، وتتفوق السخرية والتهكم في مجال الاصلاح والانتقاد على اللوم الصريح والتعنيف، باعتبار أن السخرية تبعث ومضات خاطفة على الظواهر المراد ذمها والسخرية منها دون تعريتها كليا، وهذا ما يجعل وقعهما يختلف عن الهجاء الصريح الذي يصل لدرجة التجريح أو الهجاء القبيح [1].

4- السخرية والمفارقة:

تعرف المفارقة معجميا بأنها:" من المصدر الثلاثي " فرق" ومصدرها " فَرْق" بالفاء وسكون الراء ، والفرق في اللغة خلاف الجمع، فرقه يفرقه فرقا وانفرق الشيء وتفرقا وافترقا، أي باينه المفرق والمفرق وسط الرأس وهو الذي يفرق فيه الشعر، وفرق له الطريق أي اتجاه له طريقان، الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه سماه الله به لتفريق بين الحق والباطل"[2]والمفارقة هي:[3]

1. تناقض ظاهري، لا يلبث أن نتبين حقيقته.
2. و(المفارقة)، ذات أهمية خاصة، بحكم أنها لغة شاعرة، لا مجرد محسن بديعي
3. و (المفارقة) هي إثبات لقول ، يتناقض مع الرأي الشائع، في موضوع ما، بالاستناد إلى اعتبار خفي على الرأي العام .

وقد عرفها " دي سي ميويك " في قوله:" إن فن المفارقة هو فن قول الشيء دون قوله حقيقة "[4]، نفهم هنا أن المفارقة فن يعتمد على الإيحاء والتلميح في إعطاء المعنى الحقيقي؛ أي تعتمد الأسلوب غير المباشر لفهم المعنى الكامن وراء الكلمات. "والمفارقة وسيلة أسلوبية تنتج الشعر وتثريه، فتفهم الشاعر لبنيتها ولأثرها الأسلوبي يمكنه من رؤية ما لم يكن يراه من قبل ومن التعبير عما يجول في ذهنه وعما يحس به اتجاه المرجعية المشتركة تعبيرا فنيا صادما، فالمفارقة مبادرة متفجرة من رؤيا الشاعر، لها وظيفة فنية إثرائية، قادرة على منح الشاعر الذي يقتنصها ويشكلها تشكيلا فنيا، التفرد والتميز " [5]. وترى نبيلة إبراهيم أن "المفارقة... تعبير لغوي بلاغي، يرتكز أساسا على تحقيق العلاقة الذهنية بين الألفاظ أكثر مما يعتمد على العلاقة النغمية أو التشكيلة، وهي لا تنبع من تأملات راسخة ومستقرة داخل الذات فتكون بذلك ذات طابع غنائي أو عاطفي، ولكنها تصدر أساسا من ذهن متوقد، ووعي شديد للذات بما حولها "[6].

---

[1] ينظر، أحمد عبد الغفار عبيد ،أدب الفكاهة عند الجاحظ ، جامعة الازهر ، ط1، 1402هـ، 1982م ، ص 107

[2] ابن منظور، لسان العرب، مجلد 10، مادة " فرق " ص299.

[3]سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت،لبنان ، 1405هـ، 1985م، ص 162.

[4]دي سي ميويك ، موسوعة المصطلح النقدي، المفارقة وصفاتها، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، لبنان، 1993، ص32.

[5]قيس حمزة الخفاجي، المفارقة في شعر الرواد،دار الأرقم للطباعة والنشر، ط1، بابل،العراق، 2007، ص 6.

[6]نبيلة إبراهيم،المفارقة، مجلةفصول، المجلد 7، العدد 4/3، القاهرة، 1987، ص 132.

تقر الباحثة أنه من الصعب تحديد مفهوم محدد ودقيق للمفارقة، فتقول :" المفارقة كلام يبدو على غير مقصده الحقيقي، أو أنها كلام يستخلص منه المعنى الثاني الخفي من المعنى الأول السطحي "[1]. ولعل الجاحظ أول من أرسى مبادئ المفارقة الأولى في التراث العربي القديم، وقد درسها من منظور فنه الساخر الذي رصد من خلاله ظواهر اجتماعية سلبية، وإن كانت السخرية قريبة من المفارقة،فإنها تبتعد عنها من ناحية الوظيفة، وموقفها ضد الضحية [2]، وتذهب الناقدة"سيزا قاسم" في رؤيتها للمفارقة بأنها :" استراتيجية قول نقدي ساخر، فالواقع تعبير عن موقف عدواني، ولكنه تعبير غير مباشر يقوم على التورية ...، فالمفارقة في كثير من الأحيان تراوغ الرقابة بأنها تستخدم على السطح قول النظام السائد نفسه، بيد أنها تحمل في طياتها قولا مغايرا، وهي لعبة عقلية من أرقى أنواع النشاط العقلي وأكثرها تعقيدا "[3]، نعاين من هذا النص أن المفارقة حسب تصورها خطة أو منهج نقدي ساخر يقوم في الأساس على الأسلوب الغير مباشر وعلى التورية، وذلك من خلال استعمال خطاب يكشف في الظاهر شيئا ، بينما يخفي في أعماقه معنى مختلفا ومعارضا له، وهذا ما جعلها شكلا من أشكال النشاط الذهني الأشد والأكثر صعوبة وتعقيد .أما السخرية فتعد:" نوعا من الأسلوب الهازئ الذي لا يستخدم فيه الأسلوب الجدي أو المعنى الواقعي، بعضه أو كله بأن يتبع المتكلم طريقة في عرض الحديث بعكس ما يقال "[4] فالمصرح به هنا أن السخرية هي نمط من الخطاب التهكمي الذي يعتمد الابتعاد على المعنى الحقيقي، حيث يقوم المتكلم فيه بتبني طريقة تعبيرية تعكس ما يجب أن يقال؛ أي يعطي معنى مخالف للمعنى الظاهر.

وبناء على هذا يتضح أن السخرية قريبة من المفارقة في المعنى من خلال أن المفارقة تعني التعارض والتباين، والتضاد، كما أن السخرية تستند كذلك إلى التباين والفصل، يدرج أن يعرب القول الساخر عن نقيض دلالته الحرفية[5]، في حين تختلف المفارقة عن السخرية في أن أسلوبها لا يكون دائما ساخر فقد يكون جديا، كما نجده يحمل أبعادا فكرية أعمق في إبراز التناقض، أما السخرية فهي تهكمية دائما تركز على التهكم والاستهزاء، إلا ان المفارقة قد تستحضر في سياق السخرية، وخاصة المفارقة اللفظية التي تتلون بنغمة التهكم والاستخفاف بهدف الاستهزاء وإذلال الخصم.

واستناد إلى ما سبق يمكن التأكيد أن هناك عدد من المصطلحات تجاورت مع السخرية واتصلت بها وتآلفت معها، حتى أن كثير من النقاد والباحثين رأوا أن هناك ضبابية في معنى المصطلح، لذا عمدوا إلى اصطلاح مصطلحات مرادفة لها، ومنسجمة معها تدخل في إطار الأدب الفكاهي ومن بينها: المفارقة، التهكم الهجاء، الفكاهة الاستهزاء....

5- السخرية والضحك:

عرف الفلاسفة الإنسان بأنه "حيوان اجتماعي" في حين عرفه البعض الآخر بأنه " حيوان ضاحك"؛ لذا فقد ربط الباحثون القدرة على الضحك بالقدرة على التعبير اللغوي؛إذيقرون بأن الإنسان " حيوان ضاحك " راجع إلى أنه

[1] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[2] ينظر ، م ن ،ص137.

[3] سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة فصول، مجلد2 ، العدد2، 1982، ص 144،143.

[4] محمد التنوخي ، المعجم المفضل في الأدب، دار الكتب العلمية ،ط2، لبنان ، 1993، ص523،522.

[5] ينظر :دانيال تشاندلر،أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة ، ط1، بيروت، 2008، ص231.

"حيوان مفكر" أو "حيوان متكلم"؛ لأن عملية الضحك ترتبط في الأساس بالعضلات الوجهية، والأجهزة النطقية التي تكون فيها عمليات الابتسام والضحك، ولا يمكننا أن ننكر أن الضحك ظاهرة مألوفة لدى بعض أنواع الحيوانات، ونجده ظاهر بوضوح عند القردة الشبيهة بالإنسان ولكن من المؤكد أن نقر بأن الأجهزة النطقية لدى الحيوان لا ترقى بأن تكون مماثلة للتي هي عند الإنسان، لذا فضحكات الحيوانات محدودة جزئية . ولو افترضنا أن الإنسان ليس هو الحيوان الوحيد الذي يعرف الضحك، فإننا لا بد أن نسلم بأنه هو الحيوان الوحيد القادر علىالإضحاك؛ أي يعرف كيف يتقن فن إضحاك الآخرين؛ لأنه الفريد الذي يعرف النكتة، ويستخدم الفكاهة، ويتقن أسباب الضحك، وذلك باستعانته بسلاح السخرية والدعابة في التعامل مع الآخرين، وهذا ما جعله يبتكر الروايات المضحكة، والكتب الهزلية ... حتى أصبحت مهمة الضحك حرفة له[1] .

ولقد حدد "أرسطو" معنى الضحك بقوله:" نحن نضحك على من هم أقل منا وعلى القبحاء من الأشخاص، والفرح يأتينا من الشعور بأننا طبقة أعلى منهم "[2]، ويلمح هذا المفهوم الى أن الضحك دائما يكون موجه للشريحة التي هي أدنى مكانة ومنزلة، وعلى الأقل منا جمالا، وهذا ما يوطد شعور التفوق والاستعلاء لدى الشخص الذي يمارس الضحك، فهذه النظرة الاستعلائية تخلق شعورا بالفرح للضاحك بوصفهأعلىمنزلة من الأشخاص الذين يسخر منهم . وتعد عملية الضحك ثورة تفجيرية لكبت داخلي تسعى التركيبة الانسانية الباطنية الى دفعه لينفجر من الخارج، فهو تحرير لطاقة داخلية وانحباسها قد يؤثر سلبا على نفسية وسلوك الانسان، فالضحك هو ترجمة لطبيعة الاحساس الايجابي للإنسانانحو ما يسمع وما يرى وما يحس.

ويقولبودلير(1867) (Charles Baudelaire): " لو قُدر للبشر أن يزولوا تماما من الخليقة، لما بقي موضع للكوميديا في هذا العالم، لأن الحيوانات لا تعتقد في نفسها أنها أسمى من النباتات، كما أن النباتات لا تظن في نفسها أنها أرقى من الجمادات "[3]. وعليه لو اختفت البشرية من هذا الوجود حسب تصور "بودلير" فلن تكون هناك كوميديا أو ضحك في هذا العالم، لأن الكوميديا والضحك مرتبطةبالإنسان وبوعيه اتجاه الآخر وقدرته على المقارنة، فالضحك ظاهرة بشرية تجعل الانسان يتفوق على غيره ، ولذلك فالكوميديا ترتبط أساسا بالإنسان؛ فوحده الذي يعتمد على عنصر المقارنة التي تشعره بالتفوق على غيره والاستعلاء عليهم، وهذا ما يجعله يمارس الضحك عليهم،ويقر"هنري برغسون"(ت 1941)(Henri Bergson)في كتابه " الضحك " بقوله:" إن الانسان هو الحيوان الوحيد الذي يضحِك (بكسر الحاء)؛لأنه من الممكن أن يكون المنظر جميلا، لطيفا، رائعا، وأن يكون قبيحاأو تافها، ولكنه لا يمكن أن يكون مضحكا، فحينما نضحك من حيوان فلأنه يملك وجه شبه مع الإنسان "[4]. لذا فالضحك خاصية بشرية محضة؛ لأنه يرتبط بالقدرةاللغوية، والنشاط الذهني، والقدرة الحركية،

ولقد ارتبط مصطلح الضحك بالسخرية ارتباط وثيقا، وتعد السخرية توأم للضحك[5] باعتبار السخرية وسيلة للضحك، فهي تقوم على كشف التناقضات، وإبراز العيوب والمثالب بأسلوب لاذع وبطريقة نقدية تجعل المتلقي

[1] ينظر، زكريا ابراهيم، سيكولوجية الفكاهة والضحك، مكتبة مصر ،دط، مصر ، ص 27،28.

[2] ارسطو طاليس ، فن الشعر ، تر: عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ،بيروت ، 1973، ص254.

[3] زكريا إبراهيم، سيكولوجية الفكاهةوالضحك ، ص30.

[4]ينظر ، هنري برغسون ،الضحك ،تر : سامي الدروبي ، عبد الله عبد النديم ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، مكتبة الاسرة ، 1998م، ص 15، 16.

[5] حامد عبده الهوال ، السخرية في أدب المازني ، ص 30.

ينفعل بالضحك، كماأنهما يرتبطان في نقطة الشعور بالتفوق والاستعلاء، فالساخر هو ذلك المتعالي بنفسه على المجتمع الذي يضحك منه،أو من أحد أفراده بسبب حقده عليه، ولما يشعر به من نقص خلق أو حرمان، يجعله يفجر موهبته الساخرة في اخفاء هذه العيوب[1].

كما أن الضاحك يقوم بالضحك من خلال شعوره بالتفوق والاستعلاء، فيجد متعة في إبراز عيوب الاخرين ولعل هذا التوافق لا يخفي وجود اختلاف بين المصطلحين فالسخرية لا تهدف الى الاضحاك فحسب؛ لأن غايتها اصلاحية تقويمية بالدرجة الأولى، ولعل هذا ما جعلها" تحمل أبعادً لما وراء الضحك، فليس الضحك غايتها، وإنما أحد وسائلها للوصول إلى الغاية "[2]، ومن هنا يمكننا القول إن الضحك وسيلة للسخرية وذلك لإظهار مواطن النقص في الأشخاص والاستهزاء بهم، وهذا ما يبين العلاقة الوثيقة بينهما في أن السخرية محفزا لإثارة الضحك.

5-ميكانيزماتالسخرية:

سعى بعض النقاد والباحثين إلى إبراز بعض الاستراتيجيات والطرق المستخدمة من طرف المبدعين لمقاصد ساخرة ومعتمدة لخلق وتوليد السخرية في الخطاب الإبداعي باعتبار أن السخرية وسيلة دقيقة محملة بشحنات مضمرة يسعى المتلقي إلى تفكيك شفراتها، وفهم مقصد المتكلم من الخطاب المرسل.

1.5 السخرية بالمحاكاة:

تعد من أقدم صور السخرية؛ إذ تكون بالمحاكاة في الكلام والمشي، والحركات الجسمية، وكذا أنواع السلوك المختلفة كأسلوب الكتابة عند الكُتاب، والخطابة عند الخطباء، والشاعر في قصيدته، وهذا ما يجعل أسلوبه سمة شخصية تميزه عن غيره في صورة هزلية مضحكة، والمحاكاة في معناها الأصلي هي التقليد، فالساخر يقلد شخصية المُقلد بجميع حيثياتها، وهذا ما يجعله يرتدي رداءه، فكأنه يمسخه ويضارعه، والفنان يكون تقليده أرقى وأسمى من تقليد عامة الناس؛ لأنه يسعى إلى توليد صورة متفردة[3]. وقد عرفها صالح رمضان بأنها: "هي تقليد نص جاد من جنس جاد ساخر "[4]، فالناقد يقر بأن الساخر يقوم بتقليد النص الجاد في أسلوبه، وجعله نصا هزليا مضحكا؛ أي المحاكاة تتم بقصد السخرية، ولعل تنوع الموقف هو المتحكم في اختلاف طبيعة المحاكاة فقد تكون المحاكاة سطحية أو عميقة، لأن السخرية تسعى إلى نقد الوضع، ومحاولة تعديله وتقويمه باعتبار أن السخرية هي محاولة لطيفة لتطهير المجتمع من الظواهر السلبية، والعمل على تعديلها وتقويمها، كما يمكن القول إن السخرية بالمحاكاة تثري عملية التأويل؛ لأنها تعتمد على التلميح، والتناص، وتحتاج إلى قارئ متميز لاكتشاف الدلالات الجديدة.

2.5-المناداة بالألقاب:

وتعد هذه السمة من أقدم الطرق في توليد السخرية باعتبارها سهلة؛ لأنها تستعمل أسماء الحيوانات وغيرها كقول للشخص السمين (يادرفيل)، وهكذا أصبحت لقبا يطلق على هذه الشخصية،وكذا استعمال الصفات التي

[1] ينظر ،نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، ص 16.

[2] فاطمة حسين العفيف ، السخرية في الادب العربي المعاصر ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، ط1، الاردن ، 2017م،ص 59.

[3] ينظر، نعمان أمين طه ، السخرية في الادب العربي ، ص37.

[4] رمضان صالح، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، دار الفارابي ،ط1 ،بيروت ،2001 ، ص 471.

تكون عكس ما يتصف به الشخص، كأن نطلق صفة (الهزيلة والنحيفة على المرأة السمينة) وهذا لزيادة الهزل.[1]ومن أكثر الأساليب الشائعة في السخرية **السخريةبالصوت**،وذلك من خلال رفعه وخفضه وإعطائه نبرات خاصة يفهمها السامع، وكذا السخرية بتعابير الوجه وبهز الرأس وغيرها ...

3.5-التصوير الكاريكاتوري:

وهو" أن يقوم بتكبير جوانب الضعف أو القبح في شيء ما فيبالغ فيها بقصد استغلال الطبيعة في بيان عنصر التشويه،فتكون باعثا على الضحك في الوقت الذي يؤدي فيه غرضا اجتماعيا وإنسانيا عظيما "[2]ويعني أنه يعتمد على المبالغة والتهويل في عملية الوصف، ولعل الغاية من استخدام الطريقة الكاريكاتورية هو تحقيق الأثر البالغ وإثارةالضحك.

وعليه فالمبدع يستعين بهذه الاستراتيجية بهدف وضع الشخص في صورة مضحكة وساخرة من خلال المبالغة في تصوير عضو من أعضاء الجسم،ومحاولة تشويهه إلى حد ما،بحيث يصبح الشخص معروفا بهذا العيب الذي فيه؛أيأنه لازمة فيه، ومن ذلك ضخامة الجسم، أو نحافته وقصر القامة أو طوله المفرط، وارتفاع أحد الكتفين بصورة ظاهرة على الآخر، وتصوير الشذوذ في ملامح الوجه؛ أي التركيز على السمات الخِلقية وإبرازها بشكل واضح للناظر، وقد استخدم هذا التصوير الكثير من الكتاب والشعراءإذ عمدوا الى مسخ أوصاف الرجل عن طريق إبراز عيوبه للعيون بحيث تطغى على ما فيه من محاسن لشدة المبالغة في تصوير العيوب تصويرا قائما على التضخيم والاضحاك.[3]وهذا يعكس طبيعة التصوير الكاريكاتوري الذي يعتمد على المبالغة والتضخيم من خلال تغيير الحجم الحقيقي للأشياء وتشويهها والتلاعب بها، فيعطيها حجما لا يتناسب مع حجمها التي وجدت عليه، وذلك قصد إبراز العيوب والنواقص وإظهارها بصورة ساخرة ، حتى يتم انتقادها.

4.5-المفارقة:

وتكون السخرية قريبة من المفارقة،حيث تمهد للقارئ السبيل الذي من خلاله يزيح الغطاء الظاهر فيرى ما يستقر تحته من متناقضات، كما أنها تحقق تعدد أوجه المعنى للفظ الواحد، حيث يمكنها أن تقرأ قراءات عديدة للفظة الواحدة فتعددت احتمالاتها فتنتقل من المعنى البسيط السطحي إلى المعنى العميق، وعليه فالمفارقة هي الانفصال والافتراق والتشعب بين أشياء مختلفة. فهي نوع من التضاد بين المعنى والمعنى الأخر، ولهذا أقرت "نبيلة إبراهيم"بأن المفارقة "هي لعبة لغوية ماهرة بين طرفين، صانع المفارقة وقارئها على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقة تستثير القارئ وتدعوه إلى المعنى الحرفي، وذلك لصالح المعنى الخفي الذي غالبا ما يكون المعنى الضد "[4]. وبذلك فهي

[1] نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، ص 37.

[2]حامدعبدهالهوال ،السخرية في أدب المازني،ص 18

[3]سها عبد الستار السطوحي ، السخرية في الادب العربي الحديث " عبد العزيز البشرى نموذجا "، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،دط، القاهرة ، 2007، ص 110،111

[4]نبيلة إبراهيم،المفارقة،مجلةفصول ،مجلد7،العدد4/3،ص132

قول شيء والقصدنقيضه،فهي تبحث عن أكثر من معنى يكون الأول سطحيا غير مقصود، والثاني خفيا يمكن الاستدلال عليه بإشارات وإيحاءات وهو ما أراد المتكلم إيصاله. ولقد تعددت أنواع المفارقة فنجد:

أ-المفارقة اللفظية:ironie verbale للمفارقة اللفظية مكانة كبرى بين غيرها من المفارقات لذا اهتم بها الدارسون،فارتباط اللفظ بالمعنى له أهمية بالغة حيث يقال في ذلك:" فاللفظ جسم، وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنه عليه"[1]، أي أن ارتباط اللفظ بالمعنى كارتباط الروح بالجسم لا يمكن أن تفترق عنه تقوى بقوته وتضعف بضعه فهما متلازمان لا يمكن التفريق بينهما، لأنه إذا اختل أحدهما فسد الأخر وأصبح بلا معنى أو فائدة .

ويذهب خالد سليمان في حديثه عن المفارقة اللفظية بقوله :" نمط كلامي أو طريقة من طرائق التعبير يكون المعنى المقصود مناقضا أو مخالفا للمعنى الظاهر،وهنا تقترب المفارقة من الاستعارة أو المجاز وكلاهما مدلولان نقيضان الأول حرفي ظاهر .والثاني خفي سياقي ينشأ من كون (الدال) يؤدي بنية ذو دلالة ثنائية غير أن المفارقة إلى جانب كون المعنى الثاني نقيضا للأول"[2]، ومن هنا فالمفارقة اللفظية هي أن يكون المعنى الظاهر مناقضا للمعنى الخفي في النص، حيث تدنو المفارقة من الاستعارة والمجاز، وتحاكيهما لأن كلاهما يحملان دلالتين متناقضتين ، الأولى ظاهرة مباشرة، والثانية خفية سياقية، باعتبار أن الدال يخلق معنى ثنائي الدلالة في حين أن المفارقة تختلف عن المجاز في أن المعنى الاولى لا يخالف الثاني فقط، بل يناقضه ويعارضه، وتعد المفارقة اللفظية من أهم الطرق التي تستعين بها المبدع لتوليد السخرية في خطابه.

ب-مفارقة الموقف :ironie de situation(السخرية المقامية أو الموقفية):ويقصد بها تعارض حاصل بين فعلين متلازمين فهي تعتمد أساسا على المفارقة في الأحداث لتعرية العلائق الزائفة ضمن رؤية نقدية فاحصة ذات بعد تداولي محض.[3]

5.5-التلاعب بالألفاظ:

وهي أن نلبس الألفاظ معاني غير معانيها الواضحة،ويكون باختصار الفكرة أو الزيادة عليها وتبديل كلماتها وألفاظها، وهذا ما يخرجها من معناها الذي وضعت له،وهي تقنية أدبية وشكل من أشكال الذكاء فالساخر يمتلك خيالاواسعا،وذكاء في استخدامه للوسائل والأساليب التي تتداخل يبعضها، بحيث تصبح الكلمات المستعملة هي الموضوع الأساسي للعمل، وتكون دائما عرضة للابتكار؛ لأن الساخر يتناول الشخص المسخور منه بطريقة عبثية ،لذا فالألفاظ تعد عجينة لينة يشكلها الساخر كيف يشاء ويشتق منها الآلاف الألفاظ والكلمات للتعبير عن الأحاسيس بطريقة عبقرية وجميلة .[4]كما تشمل هذه الطريقة أيضا الاشتراك في لفظ واحد، ويكون أسلوبه مزدوج،

---

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة ، تح محمد قزقزان ، دار المعرفة ،ط1، ج1، بيروت ، 1988م، ص 252 .

[2]ينظر ، جاسم خلف إلياس ، شعرية القصة القصيرة جدا ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ،دط، دمشق ، سوريا 1430هـ/2010، ص 157.

[3]- ينظر ، عمر باصريح ، شعرية المفارقة – قراءة في منجز البردوني الشعري _ مؤسسة علامات للنشر والتوزيع ، ط1، 2016م، ص 174.

[4]ينظر، نعمان أمين طه،السخرية في الأدب العربي،ص47

وذلك باستخدام مهارة اللغة؛ لأنها تتداخل فيه ظاهرة اللعب بالألفاظ مع الرد بالمثل [1]، ويكون كذلك بتكرار اللفظة في غير موضعها الذي وضعت فيه فتحمل معنيين، ولعل الهدف الأساسي في المقام الأول من التلاعب اللفظي هو التأثير باعتباره مادة خصبة لتوليد السخرية .

6.5-الكناية:

وهي عبارة عن جملة يراد بها معنى أخر غير الذي ارتبط بالمعنى الأصلي،والذي يعبر به عن فكرة بألفاظ تؤدي صورة ساخرة ومضحكة، ومثال ذلك نجد الذي رد على صديقه حين سأله: ماذا ولاه الأمير،بقوله: " ولاني قفاه " ففي هذا التعبير سخرية من وجهين، سخرية بالأمير وهذا للانتقام منه، وسخرية من النفس بعودته خائبا، فهنا استخدم السخرية للتنفيس عما يختلجه من حرمان [2]، وبذلك فهذه الطريقة تعتمد التلميح لا التصريح، وهذا ما جعلها آلية فعالة في توليد السخرية.

7.5-التعريض :

ونعني به أن يطلق المتكلم الكلام ولا يقصد به معناه الحقيقي، وإنما يتعداه إلى معنى آخر،ولكن ليس بين المعنيين تلازم،والتعريض عكس الكناية التي تحمل ترابط والتزام بين المعنيين،ولجملة التعريض معنى فريد يبحث عنه السامع لفهم ما وراءه من مغزى[3]، ومن أمثلة التعريض قول عمر بن العاص لمعاوية :" رأيت البارحة في المنام كأن القيامة قد قامت ووضعت الموازين،وأحضر الناس للحساب،فنظرت إليك وأنت واقف قد ألجمك العرق وبين يديك صحف كأمثال الجبال فقال معاوية : فهل رأيت شيئا من دنانير مصر ".[4] ففي هذه الفقرة تشهد نوعا من السخرية تشمل اللعب بالمعاني، فهنا اتهام له بأخذ أموال مصر،وكان بطريقة تثير الحقد والكراهية لولا خاصية التعريض التي صيغت السخرية من خلالها فأخرجت المعنى المشحون بنوع من الكراهية إلى نوع من الفكاهة والضحك وهنا للتخفيف عن النفس .

8.5- الذم بما يشبه المدح:

ويعرف كذلك بمعالجة الشيء الحقير كأنه عظيم،ويعد أسلوبا، ووسيلة لتوليد وتعميق أثر السخرية ويكون ذلك بإعطاء عبارة طويلة تفهم كاملة ومثالا على ذلك نجد مخاطبة عالم يستهزئ بجاهل قائلا: " قل لي يا سيدي الأستاذ،أو أخبرني أيها العالم الجليل "[5]، فهنا عبارة عن ثناء معكوس؛ أي أريد به عكسه، أي أن الساخر أتلف صفة الثناء ولم يستوجبها؛ وإنما اقتضى بها السخرية والهزء من الجاهل الأبله والسخط منه فهنا أراد القائل تعزيز البعد الساخر في مقولته.

---

[1] ينظر، حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني،ص42

[2] ينظر، حامد عبده الهوال ، السخرية في أدب المازني، ص 43.

[3] ينظر،المرجع نفسه، ص44.

[4] م ،ن، ص44.

[5] - نعمان محمد أمين طه ، السخرية في الأدب العربي ، ص 39.

5.9-المبالغة:

تقوم هذه الاستراتيجية على الإفراط في الوصف وتجسيم الصورة والمبالغة الشديدة فيها، وتضخيمها وإعطائها حجما غير حجمها الحقيقي فتجعل الصورة تصل لحدها الأقصى مما يؤدي إلى كسر منطق التوقع لدى المتلقي، فيصبح العيب المقصود مضخما مما يولد ظاهرة الضحك والسخرية، وتعتمد المبالغة على خاصية التنكيت والتضحيك؛ إذ تجعل الشخص المسخور منه محط للنكتة والسخرية.[1]ومن هنا يمكننا القول:

تسهم الآليات السابقة الذكر في توليد السخرية داخل النص الأدبي، إذ تسعى إلى إبراز المفارقة بين ظاهر القول الساخر، وباطنه مما يضفي لذة وجمالا للنص ويدفع بالمتلقي إلى إعادة النظر فيه، ولعل هذه الآليات يسعى من خلالها المبدع إلى تحقيق تأثير نفسي وفكاهي يخفف من حدة النقد، وقساوته ويخرجه في طابع سلس مما يجعل القارئ يتقبل هذه السخرية بكل سهولة وسلاسة ،كما يمكن أن ندرك أهمية هذه الآليات من خلال ما تسعى إليه في تكثيف المعنى الساخر من خلال التلميح فهي تقوم على التخفي أكثر من التصريح ما يجعل السامع يقوم بتأويل المعاني وتوليد معاني متعددة من المعنى الواحد ، ولعل كاتب السخرية يستطيع من خلال آلياتها إلى تطويع لغته الساخرة وجعلها خادمة لموضوعه مما يُظهر عبقريته وبراعته وقوة شاعريته، ولعل ما نستنتجه أن المبدع يجنح إلى استخدام هذه الآليات في إبداعاته ليجعل نقده متستر في ثوب فكاهي جمالي ساحر ، حيث يخرج السخرية من طابعها التجريحي اللاذع إلى فن راق يجمع بين اللطافة والفكاهة، والجد في تعبيره عن موقف اجتماعي أو سياسي ... .

ثانيا- الهجاء:

1- مفهوم الهجاء:

يعد الهجاء غرضا من أغراض الشعر يعدد فيه عيوب الخصم ويُذكر فيه مساؤهويرمونه بأقبح العادات والصفات الذميمة، كما يحمل في ثناياه نوعا من التهديد للخصم،وقد عرف هذا الغرض عند العرب منذ العصر الجاهلي،حيث يقوم الشاعر بتحقير الأعداء والحط من شأنهم والرفع من شأن الممدوح، إذ نجد الهجاء حاضرا في مواطن الهزيمة في الحرب، الضعف، البخل، ولؤم الطباع ... ولعل الهجاء كان حاضرا أيضا في بقية العصور، وقد تلون بنوع من السخرية الشديدة والمؤلمة للخصم وذلك من خلال رسم الصورة الهزلية المضحكة. أما في البيئة الأندلسية فلم يكن للهجاء أسواقا رائجة وبخاصة الهجاء السياسي، وهذا لغياب الأحزاب السياسية؛ لأن الغاية من الهجاء التكسب والمجون،ولأنالهجاء في هذه البيئة كان مشحونا بالإقذاعوالفحش.[2]

ويمكن القول إن الهجاء هو "فن من فنون الشعر الغنائي، يعبر به الشاعر عن عاطفة الغضب والاحتقار،أو الاستهزاء، ويمكن أن نسميه فن الشتم والسباب،فهو نقيض المدح،ففي القصيدة الهجائية نجد نقائض الفضائل التي يتغنى بها المدح،فالغدر من الوفاء،والبخل ضد الجود،والكذب ضد الصدق والجبن ضد الشجاعة "[3]. وذهب

[1]ينظر ،حامد عبده الهوال ، السخرية في أدب المازني ، ص 49.

[2]ينظر، جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف بمصر، ط2، القاهرة، 1960، ص 115.

[3]سراج الدين محمد،الهجاء في الشعر العربي،دار الراين الجامعية، بيروت، لبنان، ص 6

ابن قتيبة إلى أن الهجاء هو " ضرب من الشعر نقيض المديح ويقوله الشاعر عندما يريد أن يعبر عن سخطه وغضبه من شخص أخر،إذا فلا فرق بين معناه اللغوي ومعناه الأدبي في صفحات الشعراء "[1]. وبذلك فالهجاء يتجسد من خلال سلب الفضائل. كما يبقى الهجاء " قوة هجائية بنائية إلى جانب المظهر الهدام الذي هو أول ما يطالع المتصفح له، فهو حين يهاجم شخص من الأشخاص أو نظاما من النظم أو نزعة من النزعات، يتصور في حقيقة الأمر حياة أخرى له فلسفة في الحياة يريد أن يؤديها إلينا " [2]، وبذلك فالهجاء رغم أنه يبدو للوهلة الأولىهدام، إلاأنه يتجاوز هذا المظهر السلبي، ويعمد إلى الكشف عن نزعة بنائية ايجابية في واقعه، فالهجّاء عند نقده لشخص أو موقف أو نظام فهو يحمل رؤية عميقة وبديلة لحياة جديدة، يريد أن يؤديها.

كما يستخدم الشاعر الهجاء كأداة فاعلة في الدفاع عن نفسه ومجتمعه من كل المظاهر السلبية والانحرافات التي تصيبه، وقد اقتصر الهجاء في كثير من الأحيان على مقطوعات قصيرة، أظهر فيها الشاعر عبقريته الفنية والإبداعية، وملكته الشعرية، وهذا ما جعله يضمن لشعره الذيوع والانتشار، والوصول بسرعة إلى جمهور المستمعين وإحداث التأثير المراد عليهم. وبخاصة أنه يكشف عن وجوه القبح واليأس، فهو يعمل على تجسيد ملامح الشر والاختلال، والشعور بالنقص والاختلاف. ولعل أكثر أنواع الهجاء تعقيدا، وأعمقها تجربة إنسانية هو ذلك الهجاء الذي يعلن نقمة الفرد على المجموع،وثورته على ما يشهد فيه من اختلال المقاييس والقيم.[3]

أما هجاء السخرية والتندر هو يتماجن الشاعر ويعبث بمصائر الآخرين وأقدارهم، ويهزأ من سخفهم وعاهاتهم ونقائصهم، فالشاعر لا يصدر هنا عن نقمة أو غيظ، بل عن خفة ولهو فهو يبدو في حالة طبيعية ولكن واقعه يكون تحت وطأة النشاز والشذوذ والعاهة، وهذا النوع من الهجاء ينطوي تحت معنى الاحتراف فهو يغلب في البيئات الحضارية المتقدمة، لأن الشاعر يتفرغ لدراسة موضوعه واستطلاع مكامن العاهة ونجد ذلك خاصة عند ابن الرومي.[4]

2- علاقة السخرية بالهجاء:

عرفت السخرية بأنها أسلوب فني ومصدر إبداعي لكثير من الشعراء تكشف عن إبداعاتهم وقدراتهم على التلاعب بالألفاظ واستخدام الغرابة لإيصال رؤيا معينة تثير من خلالها الإحساس ببراعة التصوير؛ لأنها تسعى إلى تجريد المسخور منه من كل صفاته الإيجابية، وهذا ما يسعى إليه الهجاء، إذ ارتبطت السخرية منذ ظهورها بفعل الهجاء، إذ استخدمها الهجاء كسلاح للتهزئة والانتقاص[5] ،وبذلك وعلى الرغم فضاضة الهجاء وخشونته إلا أنه يمثل نوعا من السخرية على الرغم من أنه يبعث الضيق والألم أحيانا في نفس المهجو إلا أنه يثير الضحك من خلال إبرازه

[1] ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري)، الشعروالشعراء، دار الحديث، القاهرة، ص311

[2] محمد محمد حسين، الهجاء والهجاءون في الجاهلية، ص 26.

[3] إيليا حاوي، فن الهجاء وتطوره عند العرب، دارالثقافة، بيروت، لبنان،1998/1418، ص9/8

[4]ينظر، المصدرنفسه، ص10

[5]-ينظر، أحمد شايب، الهجاء: إعادة تقديم نقدية، ضمن كتاب أبحاث في الفكاهة والسخرية (الورشة السابعة)، تنسيق بديعة الطاهري، رابعة سوساني، الناشر مختبر اللغة والمجتمع والخطاب، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2017، ص190.

للعيوب وتجسيمها والمبالغة في تصويرها [1]،ولكن المتتبع للهجاء والسخرية يرى بأن الهجاء ينطلق من نفس حاقدة غاضبة يهدف إلى التجريح والمبالغة ويرد على اعتداء، أما السخرية فتنطلق من نفس متهكمة ساخرة ناقدة تقوم على التأمل والتفكير لا على الغضب، والحقد بألفاظ لطيفة لينة على المسخر منه وهذا اللطف يحمل في طياته لذعا وإيلاما خفيا ،وبذلك فالسخرية في مضمونها هجاء مضمر؛لأن " ... الغرض من السخرية يكون غالبا هجاء مستورا أو توبيخا أو ازدراء"[2]وبالتالي يلتقي الهجاء مع السخرية من ناحية الأثر فالسخرية لها أثر احتقاري واستهزائي، والهجاء بدوره له أثر انتقاصي واحتقاري.

كما نجد قدامة بن جعفر في كتابه " نقد الشعر " يرى بأن الهجاء هو:" أدب غنائي يصور عاطفة الغضب، والاحتقار والاستهزاء «[3]، ويعني هنا أن الهجاء نقيض للمدح، وهو نوع من الأدب الغنائي العاطفي والانفعالي، الذي يعبر به الشاعر عن مشاعر الغضب والاستهزاء، والسخرية وسلاح لفضح عيوب المهجو وسلب فضائله بأسلوب ساخر وجارح، وهذا ما جعلها وسيلة من وسائل الهجاء.

ونجد القاضي الجرجاني يرى بأن أبلغ الهجاء وأحسنه ذلك الذي ارتبط بالهزل والسخرية حيث يقول:" أبلغ الهجو ما خرج من مخرج الهزل والتهافت وما اعترض بين التصريح والتعريض وما قربت معانيه، وسهل حفظه وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالذهن"[4]، فهنا الجرجاني يمزج بين الهجاء والسخرية أي بين الفكاهة والنقد ليسهل على القارئ الفهم وعلى المسخر اقتحام نفسيته ليحقق مبتغاه. والثعالبي (429هـ) بدوره"لا يرى أبلغ الهجو إلا فيما جرى مجرى التهكم والتهافت وما اعترض بين التعريض والتصريح..."[5]. وبهذا يمكن القول إن السخرية" تمثل نقطة مركزية في استراتيجية "الهجاء" فـ "السخرية" لها ارتباطاتها بـ "الفكاهة" ويمكنها أن تكون نقدية بامتياز... [وبذلك فـ] الموجه التلفظي الرئيسي لـ"الهجاء" يسجل معياره وفق "الجملة المضادة" وهو ما يسمح [بالقول] إن السخرية يمكن أن تضع نفسها في خدمة الهجاء بمجرد إضافة موقف معياري إلى روحها النقدي، والقيمي والفكاهي..."[6].

وبناء على ما سبق يمكن القول إن السخرية هي وسيلة أدبية راقية تقوم على نقد الرذائل،والنقائص،والمثالب التي تعتري المجتمع وتبرز عيوبه بطريقة فكاهية هزلية تستدعي الضحك، لذا فقد اعتمدها الشعراء كملاذ للهروب من واقعهم السلبي، والابتعاد عن ضغوطاته، وللترويح عن أنفسهم وإصلاح مجتمعهم، باعتبار أن السخرية ذات وظيفة ايجابية تقوم على تهذيب المجتمع وإصلاحه، وتطهيره من كل السلبيات، لذا عدت سلاحا فعالا في أيدي مستعمليها ومريديها للنيل من خصومهم بطريقة مهذبة ولطيفة، وتعد السخرية أداة عميقة في كنهها، ومكمنها لأن كاتبها يتصف بقدر من الذكاء والدهاء والبداهة، كما أن متلقيها يمتلك كذلك هذه الصفات وهذا للعمل على تفكيك

---

[1] حامد عبده الهوال ، السخرية في أدب المازني، ص 17

[2]- مجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 198.

[3] أبو الفرج قدامى بن جعفر ، نقد الشعر ،تح : كمال مصطفى، مكتبة انخانجي ،القاهرة ،ط3،دت، ص16.

[4] علي عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ،تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي ، ط3، دت، ص 24.

[5]- ينظر، محمد كاديك، سؤال السخرية: وأدوات الكتابة الساخرة، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2021، ص98

[6]- ينظر، المرجع نفسه، ص99

شفراتها والوصول إلى المعنى والمقصد الذي أراده الساخر؛لأن السخرية أساسا تقوم على ازدواجية المعني ؛ أي أنها تمتلك معنى ظاهرا ومعنى كامنا وخفيا يستدعي التحليل والتمحيص، وإعادة النظر للوصول إلى المعنى الحقيقي المضمر تحت طيات الفكاهة والضحك.

ولعل السخرية كمصطلح قد اصطدمت بعدد من المفاهيم والمرادفات المتشابكة في معناها والقريبة منها من حيث الدلالة، وحتى من حيث الغاية التي تسعى إليها ومن هذه المفاهيم نجد الهجاء، الفكاهة، الضحك، الهزل، المفارقة .... وغيرها. ولقد قامت السخرية على عدة ميكانيزمات منها: السخرية بالمحاكاة، المناداة بالألقاب .التصوير الكاريكاتوري، التلاعب بالألفاظ، المفارقة، المبالغة .....

وتعد السخرية من الأساليب المحركة للهجاء، لذا نجد أن هناك من عدّ الهجاء نوعا من السخرية، باعتبار أن الهجاء أساس الأنواع الفكاهية، ومصدرها، وهذا ما يعكس العلاقة الوطيدة، والصلة الوثيقة بينهما؛ لان السخرية تسعى إلى إلصاق العيوب والمثالب، والنقائصبالمسخور منه، كما أن الهجاء بدوره يعمل على إلحاق العيوب بمهجوه للإساءة إليه وفضحه، ومن هنا فالسخرية وسيلة يستخدمها الشعراء في شعرهم الهجائي لجعل خصومهم (مسخورهم) محل استهزاء واستخفاف، وللحط من مكانتهم وإذلالهم وجعله أكثر إيلاما وتأثيرا.

الفصلالأول: موضوعات السخرية في الشعر الهجائي

أولا- ما يتعلق بالعيوب الخِلقية (الجسدية).

ثانيا- مـــــا يتعلـــــق بالعيوب الخُلُقيـــــة.

(البخل،الكذب ، الفحش ،الجهل، البلاهة ...)

-توطئة:

تعد السخرية أسلوبا يستخدمه الفرد للاستخفاف والاستهزاءبالآخرين،واحتقارهم، وتتشكل هذه الممارسة عبر أنماط مختلفة؛ إذ قد تكون سلوكية أوإشارية،كالنظرة المصحوبة بالاحتقار؛ أيأن الساخر يستخدم نظرات الازدراء وملامح الوجه وتعابيره التي تحمل دلالات واضحة توحي بالاستهزاء كما تكون لفظية أيضا؛ إذ يستخدم الفرد أسلوبا لفظيا معينا يعكسسخريتهواحتقارهبطريقة تهكمية؛ لأن الساخرلايريدبسخريته عقابا بدنيا،بل إذلالا نفسيا للخصم في بعض المواقف، وهذا ما يضفي عليها تأثيرا أعمق وأشد من العقاب الجسدي،[1] لذا استخدمها الشعراء والمؤلفون كأسلوب فعال للتعبير عن واقعهم ومواقفهم بوصفها طريقة غير مباشرة للنيل من الخصم،وقدوظفوها أحيانا بأسلوب لاذع، حاد، ومقذع يحط من قدر الآخر وقيمته ومكانته، وهذا ما جعل الشعراء يدعمون ويعززون بها شعرهم الهجائي، فجاء ساخرا بغية النيل من الخصم، تحقيره، والانتقاص من قيمته، والغلو في التعدي عليه، وهذا الاستخدام أخرجها من طابعها المضحك الهزلي إلى طابع الكراهية والحقد في بعض الأحيان.

وقد تجلت ملامح السخرية بداية من العصر الجاهلي؛ إذ كانت مرتبطة بالهجاء الذي يوظفه الشاعر الجاهلي لإدانة خصومه؛ فكان الشاعر يسخر من صفات خصومه سواء أكانت معنوية أو جسدية، وكانت تهدف إلى إلحاق الضرر بالآخر/المهجو،والحط من شـــأنه أمام القبائل.أما في عصر صدر الإسلام فقد أسهم ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية في الحد والتخفيف من حدة الهجاء وقسوته وعنفه،مما أدى إلى تراجع السخرية؛ لأن الإسلام عمد إلى النهي عن هذه السمة في مواطن كثيرة من القرآن.أمافي العصر الأُموي فقد انتشرت بصورة كبيرة،وبخاصة بعد إحياء الأمويين للعصبية القبلية، وهذا ما أدى إلى ظهور شعر النقائض الذي اشتهر به جرير،والفرزدق، والأخطل؛إذ كان غرضها الإضحاك بأسلوب استهزائي ساخر.أما في العصر العباسي فقد وجد هذا الفن العديد من المقومات التي أسهمت في انتشاره وذيوع صيته منها الاحتكاك بالثقافات كالفرس، والهند،وكذا رغد العيش في هذا العصر والترف الذي جعل الشعراء يخرجون من الطابع الجاهلي القاسي، ويكتبون أشعارا تتماشي مع بيئتهم؛ لذا نبغ عدد من الشعراء الذي نظموا في هذا نحو: بشار بن برد،ابنالرومي،أبي نواس... .كما ظهر عدد من الكتاب أمثال :أبوالعلاء المعري ،بديع الزمان الهمذاني ،ابن المقفع ، والجاحظ... ويعد هذا الأخير شيخ الساخرين؛ إذ يقول عبد الحميد محمد محسن :"كانت السخرية فيما سبق قبل الجاحظ تأتي عفوية تارة ومقصودة تارة أخرى دون أن تقوم بالتفاصيل النابضة بالحياة تحليلا وتصويرا وتشخيصا ... من هنا كان الجاحظ أول مؤلف في تاريخ الأدب يخص كتبا بأكملها في السخرية تحليلا ودراسة كما فعل في كتاب البخلاء، ورسالة التربيع والتدوير "[2].

نعاين من السابق أن "الجاحظ" من أوائل الكتاب الذين تناولوا فن السخريةبشكل تحليلي، وتصويري؛ إذ كانت قبله تأتي عفوية غرضها الإضحاكوالترفيه،أو انتقاد موقف أو وضع معين، لكنها لم تدرس دراسة عميقة كما تجلى عند الجاحظ في كتابه البخلاء،ورسالة التربيع والتدوير التي سعت إلى " تلطيخ كرامة الخصم وإذلاله وتجريده

[1] ينظر عبد الحكيم حنفي، التصوير الساخر في القرآن الكريم،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992، ص14.

[2] عبد الحميد محمد محسن، السخرية في ادب الجاحظ، الجماهرية للنشر والتوزيع، ط1، 1398ه، ص87.

من كل مكرمة وإلصاق كل إساءة به" [1]، فهو من خلالها أراد السخرية التي تقود إلى الاحتقار والازدراء لا الضحك؛ أي أنها تضمنت هجاء قوامه السخرية، وهو ما يعرف بالسخرية القاسية، وعليه يمكن القول أن الجاحظ هو أول من ألف في أدب السخرية، وبخاصة أن مؤلفاته تقوم على التحليل والتشخيص، والتصوير، وهذا ما تجلى في كتابيه السابقين.(البخلاء، ورسالة التربيع والتدوير) .ومن هنا نستنتج أن السخرية مع الجاحظ أصبحت فنا قائما بذاته له أسلوبه وعباراته الخاصة، التي يتكئعليها،فلم يبق غرضه الإضحاك فحسب، بل أصبح عبارة عن نقد يحمل الإصلاح والتهذيب للمجتمع، ولقد عني شعراء الأندلس بالفكاهة والدعابة بدورهم، وساروا على منهج أقرانهم المشارقة،وهذا ما نستشفه من خلال ما خلفوه من آثاروأشعار تعكس حياة الأندلس في تلك الحقبة،وما تحمله من دعابة، وفكاهة، وهزل، كما لا يمكن أن نغفل الجانب النثري للفكاهة والسخرية ،الذي أتقنه الأندلسيون وبرعوا فيه كرسالة ابن شهيد "التوابع والزوابع"التي عدت من النفائس التي جادت بها قرائح الأندلسيين،وكذا رسالة ابن زيدون التي نسجها ساخرا من "ابن عبدوس"في حب "ولادة بنت المستكفي" .

كما نجد كذلك العديد من الشعراء الذين نحوا منحى الشعراء العباسيين في سخريتهم اللاذعة وهجائهم المقذع، وهذا ما يؤكد أن شعراء الأندلس كان لهم نصيب من الفكاهة والسخرية، وإن كان بعضهم لا يسخر من أجل الترف، بل يستغل السخرية لتعديل سلوك معين مخالف لأخلاق المجتمع أو لمواجهة الآخر المعادي، ولهذا تتجلى آليات السخرية في الهجاء؛ لأن كلاهما "يعمدان إلى التحقير والازدراء والإضحاك"[2]،وربما هذا ما جعل"القاضيالجرجاني"يصرح بأفضلية وجود المكون الهزلي في الهجاء؛ إذ يقول:"أما الهجاء فأبلغه ما خرج مخرج الهزل والتهافت،وما اعترض فيه بين التصريح والتعريض،وما قربت معانيه،وسهل حفظه "[3]، ويعنى هنا أنأفضلأنواع الهجاء ذلك الذي يأتي بصيغة ساخرة هزلية؛ أيأن الناقد اشترط ربط الهجاء بعنصر الهزل،وما كان مزيجا من التصريح والتلميح،معناه أن يكون الهجاء نقدا يحمل جزءا من الطرافة؛أي لا يتسم بالبلاغة إلا إذا سلك مسلك الهزل، وهذا يظهر أن الهجاء يستعين بالسخرية ليكون أشد إيلاما وتأثيرا في الآخر.

وقد اتبع الشعراء الأندلسيون المشارقة؛ إذ كان الشعر الهجائي يسير على خطى نماذجهم الشعرية ، وبخاصة ما عرف في العصر العباسي؛ إذ كان الشعراء يركزون في هجائهم على العيوب الخِلقية والخُلقية وأحيانا حتى الأصل والنسب، كما اتخذه الشعراء وسيلة للتكسب، وهذا ما جعله يلقى رواجا عند الشعراء، وأصبح أهل الأندلس يخافون من الهجاء، وبخاصة الساخر الذي يتضمن الأذى؛ إذ يستعين فيه الشاعر بالسخرية، وبخاصة أن موضوعاتها تقريبا هي نفسها في الهجاء، ومادام هذا التقارب موجودا فقد استعان بموضوعات السخرية وآلياتها ليجعل هجاءه أكثر قوة وإيلاما وتأثيرا واستمرارية في ذاكرة المتلقي، وهذا يعد أيضا تجاوزا لمجرد السب الصريح،وهذا ما أكده المقري بقوله:" كان لأهل الأندلس في الترف والنعيم والمجون ومدارة الشعراء خوف الهجاء محل وثير المهاد "[4].وقد تجلت هذه الرهبة حتى عند الحكام مما جعلهم يقتربون من شعراء الهجاء خوفا من حدة ألسنتهم،وبخاصة أن الهجاء في هذه البيئة استخدم السخرية بأسلوب يجمع بين الفكاهة والحسرة،وينقل بذلك الهجاء من النقد

[1] - أحمد الشايب، الضحك في الأدب الأندلسي، دراسة في وظائف الهزل وأنواعه وطرق اشتغاله، ص 170

[2] علي البوجديدي، السخرية في أدب الجاحظ، ص 78.

[3] القاضي الجرجاني (ابن عبد العزيز)،الوساطة بين المتنبي وخصومه،تح،وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم ،وعلي محمد البجاوي،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة ،1966 م،ص 24.

[4] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، تح: احسان عباس،دارصادر، ج1، بيروت ،1968، ص190.

المباشر إلى التهكم المبطن، ومن هجاء الأشخاص إلى نقد الأوضاع السياسية والاجتماعية، حتى إن بعض الشعراء وصل بهم الأمر لدرجة البراعة والإبداع في كتابة قصائدهم الهجائية ما جعل الشاعر يكتسب ذهنية ساخرة تهدف إلى تصوير خصمه تصويرا ساخرا،وذلك برسم صورة كاريكاتورية له تحمل مواضع الضعف بتكبيرها وتضخيمها والعبث بها سواء أكان هذا الرسم معنويا،أو حتى جسمانيا، في حين نجد البعض الآخر من الشعراء قد استخدموا ألفاظ السب والشتم والابتذال، وهذا ما جعل هجاءهم مقذعا وفاحشا.

وعليه يمكن القول إن الشاعر يستحضر السخرية في هجائه لقدرتها الفعالة في الحط من مقام وحال الآخر/المهجو؛ أي تكون أشد إيلاما وأكثر تأثيرا من التجريح المباشر، وبخاصة أن السخرية تنقل الشاعر من مرحلة الموجدة والغضب، وتدخله في مرحلة التفكير، والتأمل، وإعمال الفكر لتحقيق الإصلاح والتقويم، وهذا ما يدعم البعد الهجائي الرامي إلى إدانة عيوب الإنسان وسلبياته بنية أخلاقية ونزعة تعليمية.[1] ولعل من أبرز موضوعات السخرية التي عزز بها الشاعر هجاءه؛ بغية إضفاء شيئامن المرونة والقوة على أسلوبه؛ إذ لا يقتصر على كشف وفضح العيوب، بل يصيّرها مضحكة ومفجرة للسخرية، ويضفي عليه شيئا من التلميح، وبذلك يحقق ما يريده من مقاصد خفية، وقد يلفت انتباه القارئ بطريقة غير مباشرة، وهذا ما يمكنه من النيل من خصمه بهجاء ساخر، ومنها ما يأتي:

1-ما يتعلق بالعيوب الخِلقية (الجسدية) : يمثل الجسد مظهرا من مظاهر الجمال عند الإنسان، لذا فان الكمال الجسدي يعد رمزا للجمال ومعيارًا له في المجتمع منذ الأزل، وقد عرفه "ابن منظور" بقوله :"هو جماعة البدن أوالأعضاء من الناس والإبل والدواب "[2] كما يعبر عنه بأنه: «استعير الجسد للدلالة على الجوهر والحقيقة؛ لأن جسم الشيء حقيقته واسمه ليس بحقيقة "[3]، ويقصد هناأن الجسد هو البدن،أو هو مجموعة الأعضاء المكونة للكائنات الحية سواء أكانت للإنسانأمالحيوان،كما اعتبر أن الجسد هو الكيان الحقيقي والجوهر الأساسيللأشياء عكس الاسم الذي يعبر عن المظهر الخارجي فقط، فهو سطحي لا يعكس الجوهر الحقيقيللأشياء.

أما النقص الجسدي فهو مقياس للقبح ونقصان الجمال،وهذا ما جعل الإنسان يكون بسببه عرضة للسخرية والاحتقار،بليمكن أن يصل لمستوى الدناءة والوضاعة، بحيث يصبح الفرد وضيعا في نظر المجتمع ،ويصير شخصا منبوذامهمشاعلى الرغم أن "قدامه بن جعفر" يقر أن هذا المنحى يعد عيبا في الهجاء إذ : " ...متى سلب المهجو أمورا لا تجانس الفضائل النفسية كان ذلك عيبا في الهجاء مثل أن ينسب إلى أنه قبيح الوجه أو صغير الحجم أو ضئيل الجسم "[4]، وعليه فالناقد يرفض الهجاء الذي يركز على العيوب الخلقية، وهذا يوحي بأن الهجاء لا بد أن يركز على الصفات والسمات التي تتعلق بالفضائل النفسية وتتوافق معها، فهذا الفقد يعد عيبا ونقصا يلاحق الفرد، ولكن على الرغم من ذلك فالهجاء الذي يركز على الجانب الخِلقي كان موجودا عند شعراء الأندلس، ولكن أقل حدة من المشرق، وقد ركز على شكل الفرد من قبح وجهه،أو طوله وقصره، أو حجمه، أو شخصيته...لذا فهذه المفارقات الجسدية كانت مكونا أساسيا للسخرية وأسلوبا للتهكم المتجلي في شعر الهجاء.

[1]- ينظر، عليالبوجديدي، السخرية في أدب الجاحظ، ص 72.

[2]ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص284.

[3]المرجع نفسه، ص 284.

[4] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح،محمد عبد المنعم خفاجي،ط1، مكتبة الكليات الازهرية، مصر،1978، ص187.

ولعل المتتبع لأغلب شعراء الأندلس يرى بأن المفارقات الجسدية بين الساخر،والمسخورمنه،من حيث الكمال عند الساخر والنقص عند المسخور منه جعلها أسلوبا للتهكم؛ إذ يرى الساخر في نقصان المسخور منه جسديا عاهات تؤثر في خلقته وكماله الجسدي، وهذا ما يعرضه للسخرية والهجاء، والاستهزاء؛ لأنها تعد صفات وعيوبا لصيقة بشخصه يتخذها الساخر أداة للنيل من خصمه،ولقداستهزأ الشعراء **بسواد لون البشرة** وعدّوه عيبا يجعل صاحبه في مكانة دونية وممقوتة في المجتمع،بل وتجعل الناس ينفرون منه، ويضعونه موضع المنبوذ ويسخرون منه،وقد انتشرت هذه الظاهرة (السخرية من اللون الأسود)عبر العصور؛ إذ نجد في العصر الجاهلي، السخرية من اللون، فالسواد ينعت به العبيد وهو رمز العبودية ولاسيما إذا سخر به من أحد الشعراء ، وهذا ما يؤلم الشاعر ويجرح مشاعره ويقلل من قيمته،وقد طرح شعراء الأندلس هذا الموضوع في أشعارهم؛ إذ استخدموه كأداة للنيـل من المسخور منهم، فنجد "**ابنخفاجة**"في سخريته من رجل أسود البشرة؛ إذ يقول[1]: **(البسيط)**

يا جامِعاً لمَساويهِ وَطَلَـــعَتِهِبَينَ السَوادَينِ:مِن ظُلمٍ وَمِن ظُلَمِ

1. أَمِثلُهُ جَسَداً في مِثلِهِ حَسَداً،لَقَد تَأَلَّـــفَ بَينَ النـــــارِوَالفَحمِ

استخدم الشاعر السخرية في هجائه ليقدم لنا صورة ساخرة وحادة للمهجو؛ إذ افتتح خطابه الساخر بصيغة تهكمية وهزلية وبيّن أن هذا الشخص مصدر الأشياء السيئة سواء أكان ذلك فيأخلاقهأو حتى مظهره (طلعته) فكأن هذه الأشياءأصبحت ظاهرة تلازمه، أي يجسد القبح بكل أشكاله. وقوله:" بين أسودين من ظلم ومن ظلم " فهذه العبارة تحمل قوة عميقة المعاني تدل على مدى ظلمه وجوره، وسواد لونه. كما ألف الشاعر بين النار والفحم ليبن لنا أنه قد جمع كل الصفات الذميمة والقبيحة ،فالنار رمز للاحتراق والخراب، أما الفحم رمز الظلام والسواد الشديد، فهنا عمد الشاعر إلى تشبيه هذا الشخص بالفحم لقبحه كما رمز لصفاته وأفعاله بالنار في خرابها ودمارها، وكل هذا يوحي بطبيعته الفاسدة؛وعليه فالشاعر قد برع في تصوير خصمه بطريقة نقدية عميقة، وبأسلوب سلس يبرز عمق السوء والقبح الداخلي له،فكأن لونه (الأسود) انعكس على صفاته وأفعاله وهذه الصورة الساخرة هي ما عزز قيمة الهجاء في أبياته...كما عاب "**أبو حيان الغرناطي**" ذوي البشرة السوداء وفضل البيض عليهم بأسلوب يحمل روح الفكاهة والضحك قائلا:[2](الوافر)

إِذَا مَالَ الفَتَى لِلسُّودِ يَوْمًا فَلَا رَأَى لَدَيْهِ وَلَا رَشَـــادُ

أَتَهْـــوَى خُنْفُسَاءً كَأَنَّ زَفْـتًا كَسَا جِلْدًا لَهَا وَهُوَ السَّوَادُ

وَمَا السَّـــودَاءُ إِلَّا قَدَرٌفُرنٍ وَكَانُون وَفَحْمٌ أَو مَـــــدَادُ

وَمَا اَلْبَيْضَاء إِلَّا الشَّمْس لَاحَت تُنِير اَلْعَيْنُ مِنْهَا وَاَلْفُؤَادُ

سَبِيكَـــةُ فِضَّة حُشِيَتْ بِوَرْدٍ يَلِذْ اَلْسَّهْر مَعَهَا وَاَلْرَّقَادُ

وَبَيْنَ اَلْبَيْض وَاَلْسَّوْدَان فَرْق لَدَى عَقْل بِهِ اِتَّضَحَ اَلْمُرَادُ

[1]ابن خفاجة، الديوان، شرح وضبط وتقديم : عمر فاروق الطباع ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان ،دت ، ص 200.

[2]المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، ج3،ص328.

وَجُوهُ اَلْمُؤمِنِين بِهَا اَبْيضَاض وَوَجْه اَلْكَافِرِين بِهِ اِسْوَدَادُ

ورد هجاء الشاعر على وجه السخرية؛ إذ لم يكتف بالسب والتجريح، بل وظف آليات السخرية (الكاريكاتير والمفارقة) ليقدم هجاء ساخرا من ذوي البشرة السوداء؛إذ عبر عن إنكاره لهذهالفئة،وتجلى ذلك من خلال هجومه الساخرعليهم وتفضيله للبيض؛إذ يتصور أنكل من مال لونه إلى السواد، فلا يؤخذ برأيه ولا بحكمته، فهو في نظره غير حكيم ولا رشيد، ويستمر الشاعر في سخريته عندما شبه الشخص الأسود بالخنفساء المغطاة بالزفت، وهذا ما يدل على مبالغته في التصوير،وليقنع المتلقي عقدَ مقارنة بين البياض والسواد،إذشبه البياض بالشمس التي تنير العين والفؤاد في حين يشبه السودبجميع الأشياء السوداء كالفحم والحبر، القدر ...، أما في قوله " سبيكة فضة " فكأنه يبالغ في الوصف ويظهر إعجابه بالبيض حتى شبه المرأة البيضاء بسبيكة الفضة التي تبعث الراحة والأنسوالجمال في صاحبها، ويؤكد الشاعر أن هناك فرقا كبيرا بينهما في العقل والحكمة، ويختم الشاعر أبياته بتصور ديني حيث يرى البياض رمز للإيمانأما السواد دليل على الكفر، ومن هنا نجد الشاعر يقف موقفامعادٍ للسود،وتجلى ذلك من خلال تحقيرهم بأسلوب إبداعي وبألفاظ دقيقة وبلغة شعرية تدل على براعة الشاعر وقوة شاعريته وتمكنه من الإمساك بزمام آليات السخرية التي زادت من حدة وقساوة الهجاء، حتى يزيد من استحقار خصمه.

كما اتخذ الشعراء أيضا "**الرأس**" كمادة للسخرية، إذ يعد هذا الأخير من العناصر الأساسية المكونة للجسد،ويمثل مركز التفكير والعقل،فهو رمز للعقلانية والحكمة، لكن بعض الشعراء استخدموه كوسيلة لسخريتهم وبناء هجائهم، وهذا من خلال العيوب التي تطاله،من شكل الرأس أو الصلع ....،وهذا ما نجده عند الشاعر "**يحيىالغزال**" إذ وصف امرأة صلعاء وشبهرأسهـا بالصحراء الجرداء التي لا تنبت زرعا،ورسم لها صـــورة كاريكاتورية ساخرة؛ إذ يقول:[1](البسيط)

جَرْدَاءُ صَلْعَاءُ لَمْ يُبقِ الزَمَانُ لَهَاإِلّا لِسَـــاناً مُلِحّـــاً بِالمَلامَـــاتِ

لَطَمتُها لَطمَةً طَارَت عَمَامَتُهاعَنصَلعَـــةٍ لَيسَ فيهَا خَمْسُ شَعْرَاتِ

كَأَنَّهـــا بَيْضَةُ الشَّارِي إِذَا بَرَقَت بالمَأزِقِ الضَـــنكِ بَينَ المَشـــرَفِيّاتِ

لَها حُـــرُوفٌ نَوَاتٍ في جَوَ انِيهاكَقِسمَةِ الأَرضِ حيزَت بِالتُّخُـــومَاتِ

استحضر الشاعر آلية السخرية في هجائه ليرسم صورة شعرية ساخرة مبدعة ذات معان عميقة تعكس مشاعر الضعف والذل للمسخورمنه،وهذا للإنقاص من قيمته، ومن مكارمه ووضعه في موضع الانحطاط،فقد بدأأبياته بوصف هذه العجوز وشبهها بالصحراء الجرداء الخالية من النبات، كذلك رأسها الخالي من الشعر، وهذا دليل على غياب الجمال ووصولها إلى مرحلة الضعف والانكسار، غير أنها لم تيأس؛ لأن الضعف مس جميع جسدها،ولكن بقي لسانها الذي لا ينطق إلا بالانتقاد واللوم ،كما يصور لنا شيئا من الذل حين يقول (لطمتها لطمة طارت عمامتها)هنا دليل على المذلة والانحطاط؛ لأنها تتعرض للضرب ، فقد استحضر الشاعر صورة مجازية حينما

[1] يحي بن حكم الغزال،الديوان، جمع وتح وشرح، محمد رضوان الداية،دار الفكر المعاصر، بيروت،1993،ص185.

شبه العجوز ببيضة الشاري (فالشاري هو الطائر الصغير) التي تنكسر بسهولة، كما صور جوانبها بحدود الأرض في انقساماتها وحدودها ؛ أيأن جوانبها تشبه تقسيمات الأرض، وبذلك فقد صورها الشاعر بصورة ساخرة،وهذا ما جعلها في موضع الذل والمهانة، وبذلك فهو استغل موضوعا من موضوعات السخرية للحط من مقام وقيمة المهجو، وجعله مدار سخرية الآخرين وازدرائهم.

ولم يقتصر توظيف موضوعات السخرية على الشعراء فحسب،بل تعدى إلى الشاعرات أيضا ،وهذا ما يعكس قدرتهن وبراعتهن في منافسة أقرانهن الشعراء، ولعل من أبرز الشاعرات "حفصة بنت حمدون"،"ولادة بنت المستكفي"، و"نزهون بنت القلاعي" .....، إذ نجد هذه الأخيرة تهجو شخصا تقدم لخطبتها وهي كارهة له، فجمعت في هجائها بين الذم المباشر والوصف الجسدي لتسخر من بلاهته وعجزه، فحبكتأبياتها بأسلوب رصين سلس، سهلالألفاظ ،قوي التأثيريحمل المعاني البسيطة غير المعقدة، فكان وقعها في النفوس أشد قوة؛ إذ عمدت إلى رسم سخريتها بطريقة التضخيم والتكبير وهذا لجعل المسخور منه موضع تهكم وضحك،فقد برعت في رسم صورة كاريكاتورية له؛ إذ تقول[1]: **(المتقارب)**

عَـــذِيرِي مِنْ عَاشِقٍ أَنْوكسفِيهِ الإِشَارَة وَالمنْزَعِ
يَرُومُ الوِصَالُ بِمَا لَوْ أَتَيرُومُ بِهِ الصَّفْعُ لَمْ يَصْفَعِ
بِرَأسٍ فَقِير إِلَى كَيَّةٍوَوَجْهِ فَقِـــير إِلَى بُرْقـــعِ

استعانت الشاعرة في هذه الأبيات بالسخرية الجسدية والعقلية لتعبر عن نقصه بوصفه بالصلع والغباء، كما قامت باحتقاره بسبب عيوبه،إذ اعتذرت من نفسها من هذا الشخص الأحمق(الأنوك)والأصلع، وهذا دليل على مكانته الاجتماعية الدنيئة والمنحطة، كما تصفه بالسفيه في إشاراته وسلوكاته،وأسلوبه وهذا ذم للصفات الشخصية، كما تقول في البيت الأخير بأن(رأسه فقير) كناية عن عقله الفارغ الذي يحتاج إلى الكي،وأن وجهه يحتاج أن يغطى ببرقع بسبب ملامحه القبيحة والمخزية التي لا يستطيع إظهارها للناس، وهذه سخرية لاذعة.كما نرى في هذه الأبيات قوة اندفاعية كبيرة في التعبير عن المسخور منه، والهجوم عليه وانتقاده بحدة، وقوة لاذعة وذلك بوصفه بالغباء، والوقاحة وسوء الخلق.وتتجلى لنا الغاية من هذا الهجاء الساخر، وهو إيصالالمهجو إلى صورة دنيئة ومنحطة وإخراجه في صورة تنفر السامع منه.

كما أن السخرية شملت وجه الإنسان باعتباره مرآة لروحه،فهو عنصر مهم يسهم في تحديد هوية الإنسان وشخصيته، وملامحه.وقد اتخذ الشعراء من العيوب التي تصيبه والعاهات التي تكون فيه مادة للسخرية، كتشوهات الأنف الفم، وعمى العين.... مظهرا تهكميا ساخرا، وهذا الموضوع استعان به الشعراء في شعرهم الهجائي ما يعزز من فاعلية الهجاء؛ ويمكن أن نمثل لهذا النمط بعدة أمثلة على سبيل التمثيل لا الحصر؛ إذ نجد أحد الشعراء يهجو امرأة قبيحة الوجه فيقول: [2](البسيط)

تَبْدُو بِوَجْهٍ مَا رَآهُ اِمْرُؤ إِلَّا تَمَنَّى اَلْنَّفْخُ فِي اَلْصّورِ

[1]ابن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حُلى المغرب،تح : شوقي ضيف ، دار المعارف ج2، القاهرة ،1978، ص266.
[2]محمد بن الكتاني، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ،1966، ص258.

نعاين من هذا البيت أن الشاعر يصف وجه المرأة المفزع؛ إذ أن كل من رآه يشعر بالخوف،فمظهرها غير مألوف ومرعب، وقد استخدم الشاعر صورة شعرية، وهي النفخ في الصور لإبراز مدى الخوف الذي يتركه منظر هذا الوجه فيلإنسان مما يجعله يستحضر أهوال يوم القيامة، فهنا الشاعر استخدم أسلوبا ساخرا، وقوي ليكشف عنبشاعة وجه المرأة، وصوره في صورة مخيفة ومفزعة، فكل من يراها يتمنى النفخ في الصور؛ أيفضل القيامة على أن ينظر في هذا الوجه القبيح. كما هجا "ابن **عبد ربه**" أحد بوابي الوزراء هجاء ساخرا؛ إذ يقول:[1](البسيط)

مَا بَالُ بَابِكَ مَحْرُوسًـا بِبَوَّابٍ يَحْمِيـهِ مِنْ طَارِقٍ يـَأْتِي وَمنـْـتَابِ

لَا يَحْتَجِبُ وَجْهُـكَ المَقُـوت فَأَلقَت بِحَجْـبِه مِنْ غَـيْرِحِجـَـابِ

فَاْعْزل عَنِ اَلْبَابِ مَن قَد ظَلَّ يَحْجِبهُ فَـــان وَجهُكَ طَلسَـم عَلَى البَابِ

يستخدم الشاعر في هذه الأبياتأسلوبا ساخرا للتعبير عن مقصده، وهذا ما جعله أداة فعالة للهجاء؛ إذ ابتدأ بسؤال إنكاري ليعكس من خلاله سؤالا خفيا ساخرا، وهذا ما حط من مقام المهجو، فهو يتساءل من هو حتى يضع حماية لنفسه من كل زائر ومن كل طارق، فوجهه ممقوت ومكروه، ولا يحتاج إلى حجاب حتى، فقبحه هو الحجاب الذي يجعل الناس تنفر منه، فالشاعر استخدم السخرية في هجائه ليقوِم سلوك هذا الحارس؛ ولكن سخريته كانت لاذعة؛ إذ تمكن من خلالها تحويل القبح الذاتي للحارس/المهجو إلى أداة ردعية ذاتية، وهذا ما حول السخرية إلى هجاء ساخر نهش صورة المهجو، وذلك رغبة منه في توجيه النظر إلى سلوكه غير مقبول. كما تمظهر هذا الموضوع في بعض شعر "**أبي بكر بن سهل اليكي**"؛ إذ نظم هجاء قاسيا ولاذعا ضد المرابطين حين وصفهم بقبح وجوههم حتى أصبحوا يضعون عليه اللثام؛ إذ يقول:

الوَجْهُ مِنْهُ مَخْلَق لِقُبْحٍ يَأْتِيهِ فَهُو مِن أَجْلِهِ يَتلَثَّمِ

يكشف لنا الشاعر في هذا البيت أن قبح وجه أحد المرابطين (أي ملامح وجهه السيئة والبشعة)تؤدي به إلى الخجل من صورته، لذا يتجنب مقابلة الناس وإظهار وجهه لهم، فيقوم بتغطيته (يتلثم) خوفا من إظهار عيوبه للناس التي تعرضهم للسخرية وتجعله في موقف مضحك،وهزلي.أما"**أحمد بن نعيم**" فقام بهجاء امرأة شديدة انتفاخ الوجه وقد شبهها بإحدىالآلات الموسيقية.[2]

كَأَنَّ كِلْتَا صَفْحَتِي وَجهُهَا رَكِبَتَا مِنْ كَوْبَتِي نَافِخِ

لَوْكُنْتَ نَبْتًا مِنْ حَزْمَلِ اَو أَكَلَا كُنْتَ مِنْ الكَامِخِ

اعتمد الشاعر في هجائه على تشبيهات جسدية غير مستساغة ومنفرة، فشبه وجنتي المرأة المنفوختان بكوبتي النفخ فالكوبة (هي الطبل الصغير) فوصفه هنا دلالة على امتلائهما، حيث نجد الشاعر برع في استخدام الأسلوب

[1] ابن عبد ربه،الديوان، ص24.

[2] محمد بن الكتاني، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص 242

الساخر في هجائه من خلال تشبيهه لوجنتي المرأة بوصف بارع ودقيق، وهذا ما أضفي طابعا هزليا وفكاهيا للنص. كما نجد بعض الشعراء هجوا صورهم (الوجه)منهم «علي بن حزمون"وهومن أبرز شعراء الهجاءفي عصر الموحدين، وقد نال جاها عظيما وثروة عند قضاة المغرب رهبة، وخوفا منه ومن لسانه، وهجائه اللاذع حيث يقول[1]: (الطويل)

تَأَمَّلْتُ فِي المِرْآةِ وَجْهِي فَخِلْتُهُ كَوَجْهِ عَـــجُوزٍقَدْ أَشَـــارَتْ إِلَى اَللَّهْوِ

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَهْجُو تَأَمَّلْ خَلِيقَتِيفَإِنَّ بِهَـــا مَا قَـــدْ أَرَدْتَ مِن الهَجْوِ

قدم الشاعر "ابن حزمون" صورة ساخرة عن نفسه،وذلك من خلال قول (تأملت في المرآة وجهي فخلته وجه عجوز)وهذا دلالة علىكبره وهرمه فقد أصبح عجوزا، فهو يستخف بنفسه؛ إذ جعل من نفسه معادلا موضوعيا للهجاء من خلال أن كل من أراد الهجاء أن ينظر إلى وجهه أو خليقته، أي أن وجهه يستلهم معاني الهجاء ، فهنا الشاعر نجده قد استند إلى السخرية فقدم هجاء لاذعا وقاسيا أكثر منهجاءغيره له من الأعداء، فقد برع في تجسيد صورة ذاتية ساخرة، وقدم وبذلك هجاء لاذعا،وهذا من خلال ألفاظه الجزلة القوية المعبرة ووصفه الدقيق لنفسه بطريقة هزلية تهكمية مضحكة ما جعله محط سخرية أمام الآخرين .

كما كان للعين نصيب من سخرية وهجاء شعراء الأندلس بوصفها وسيلة أساسية للإنسان فمن خلالها يفهم الإنسان العالم الخارجي،ويتفاعل معه،لذا فقد استحضروا "ظاهرة العمى" في شعرهم الهجائي،وكذا العيوب التي تصيبها، والعاهات التي تشكلها، فالعمى في معظم الحالات يعد حالة خلقية مستدامة،ولكن بعض الشعراء استغلوها إذ جعلوا الناس ينظرون إلى الأعمى نظرة دونية ساخرة ومستهزئة به في المجتمع،وجعلوه يشعر بالنقص والازدراء، ومن ذلك قول الشاعر "**العباس بن جنون الاشبيلي**" يصور لنا ظاهرة العمى بطريقة تهكمية ساخرة حيث يسخر من رجل أشتر العين يشبهه بالزورق؛ إذ يقول(الكامل) :[2]

يَا طَلعَةً أَبدَتْ قَبَائِحَ جَمَّةً فَالكُلُّ مِنْهَا إِنْ نَظَرْتَ قَبِيحُ

أَبِعَيْنِكَ الشَّتْرَاءِ عَيْنٌ ثَرَّةٌ مِنهَا تَرَقرَقَ دَمْعُهَا المَسْفُوحُ

شَتِرَت فَقُلْتُ أَزَوْرَقٌ فِي لُجَّةٍ مَالَت بِإِحْدَي دَفَّتَيهِ الرِّيحُ

كَأَنَّمَا إِنْسَانُهَا مَلاحُهَا قَدْ خَافَ مِنْ غَرَقٍ فَظَلَّ يَمِيحُ

صور لنا الشاعر بطريقة ساخرة وهزلية طلعة الرجل القبيحة والمخزية، ليزيد هجاءه قوة وفاعلية؛ إذ وصف عينه التي فيها نوع من الحول (الشتراء) وشبهها بالزورق في البحر الهائج الذي تدفعه الرياح بإحدى دفتيه،وهذا كناية عن حركتها الدائمة والمستمرة، كما شبه مركز عين هذا الشخص بالإنسان الخائف من الغرق، فرسم بذلك صورة ساخرة بصورة بديعةمبتكرة، فوضع المسخورفي مكانة دونية منحطة .

---

[1] ابن سعيد المغربي علي بن موسى ،المغرب في حلى المغرب، ج 3، ص 214، 215.

[2] ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن بكر)، وَفَيَاتُ اَلْأَعْيَانِ وَأَنْبَاءِ أَبْنَاءِ اَلزَّمَانِ،تح: محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة، القاهرة ،1948، ج2، ص281.

ونجد من الشعراء الذين برعوا في توظيف السخرية في هجائهم"المخزوميالأعمى"فقد عرف بسلاطة وحدة لسانه وأذيته للناس حيث لا يمكن أن يسلم أحد من هجائه؛ إذ يقول عنه لسان الدين بن الخطيب:"كان أعمى شديد الشر معروفا بالهجاء مسلطا على الأعراض سريع الجواب ذكي الذهن فطنا للمعارضين سابقا في ديوان الهجاء فإذا مدح ضعف شعره "[1]، وبذلك فهو من الشعراء البارعين في غرض الهجاءلما له من قدرة، وموهبة في نسجه وإبداعه، وبدوره فقدرسم صورةساخرومبدعة إذ شبه عينا الرجل بعنزتين يتناطحان؛ إذيقول :[2]

وَتَزُورُ إِحْدَى مُقْلَتَيهِ لِأُخْتِهَا كَأَنَّهُمَا عَنزَ انِتَنَطحَان

يصف الشاعرعينا مسخوره بأنهما تميل إلى بعضهما كأنهما عنزتانتتعاركان، وتتناطحان وهذا دليل على الحول الذي أصابعينيه،فالشاعر عمد إلى تحقير خصمه من خلال وصف عينيه بالعنزة وهذا ما جعل مسخوره يشعر بالذل والمهانة، وبذلك كان هجاؤه أشد إيلاما. أما"**ابن المنفتل**" في هجائه لابن ميمون، فقد وصفه بصغير العين، وأعمى القلب قائلا :[3]**(المجتث)**

إِنُ كُنتَ أَخْفَشَ عَيْنٍ فَإِنَّ قَلْبَكَ أَعْمَى

فَكَيْـــفَ تَنْثُرُ نَثْراً وَكَيْفَ تَنظَم نَظمًا

استهل الشاعر أبياته بسخرية لاذعة ومريرة، حيث نعته بصفة العمى،وهذه الصفة تنقص من جمال الشخص لذا استخدمها الشاعر كرمز للاستهزاء والنقد لمهجوه .وفي الوقت نفسه اتخذها كمطية لهجاء أقسى "فإن قلبك أعمى " وهذا دلالة على أن العمى لم يقتصر على العين فقط،بل تعدى إلى القلب ، وهذا العمى أشد؛ لأن عمى القلب يشير إلى غياب البصيرة والإدراك ،وينقص الإحساس والعاطفة، وهذا ما يحول بينه وبين النثر والنظم، فالشاعر يهين خصمه وينزله من مرتبته، وبذلك فهو أظهر من خلال هجائه الساخر المفارقة بين ما يدعيه المهجو، وبين حقيقته(قلبك أعمى)، وهذا ما زاد من بلاغة السخرية وعمقها ووقعها القوي على نفسية المهجو؛لأن الشاعر كشف جهله وغفلته، وقلة بصيرته وهذا عين الهجاء. وقد ظهرت السخرية جلية في استخدام الشاعر للاستفهام الإنكاري في البيت الأخير والذي عزز فيه مدى عمق السخرية في توجيه النقد لابن ميمون الذي يدعي كتابة الشعر والنثر،وهو يفتقر إلىأهم المميزات التي تخوله أن يكون مبدعا، وغيرها من النماذج الشعرية التي تعكس كيفية اتخاذ الهجاء موضوعات السخرية كمطية لجعل الآخر /المهجو محل استهزاء وازدراء وتهكم.

وكان للأنف أيضا النصيب الأوفر بوصفه رمز الكرامة، والأنفة والشرف، فهو ليس جزءا من الوجه فحسب، بل رمز الشموخ والعزة ،وقد تفطن الشعراء العرب عامة له والأندلسيين خاصة ،فجعلوه ظاهرة بارزة في هجائهم، وسخريتهم، وتهكمهم من خصومهم ،فنجد الشعراء يستخدمونه للتقليل من شأن خصمهم، كما أن بعض الشعراء

[1] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح :محمد عبد الله عنان ،الشركة المصرية للطباعة والنشر، مجلد1،ط2، 1973م ،ص424

[2] خريدة القصر، ج2 ،ص 256.

[3] المقري(أحمد بن محمد)، نفح الطيب ،ج4 ، ص 358.

وجدوا من العيوب مادة خفية للتهكم والتندر، فأخذوا من ضخامة الأنف وطوله صورة كاريكاتورية ساخرة حيث قال "**عبد الله بن كليب**" لأنف الزهري :[1] **(السريع)**

أَنْفُكَ يَـــا زُهريُّ في قُبْحِهِ كَأَنَّهُ فِي صُورَةِ البُـــوقِ

يَقعَدُ فِي البَيْتِ لحَاجَاتِـــــهِ و أَنْفُهُ يَمْضِي إلى السُّوقِ

صور الشاعر أنف زهري بطريقة ساخرة تبعث على الضحك والفكه، حيث شبه أنفه بالبوق دلالة على كبر حجمه وقبحه، وهذا ما أضفى على أبياته طابعا هزليا تهكميا جعلت المهجو محل استهزاء واستخفاف، ووضعته في حرج نتيجة هذه الصورة الساخرة. كما تعكس أيضا رغبة الشاعر في إبراز هذا العيب الجسدي (ضخامة أنفه) لزهري فشكله غير طبيعي، وذلك من خلال استخدامه لعبارة " **يَمْضِي إلى السوقِ**"فهناإشارةإلى كبر حجم أنفه الذي تعدى حدود المكان،ومن الصور التي رسمها واستوحاها الشعراء من واقعهم نجد أن "**ابن هذيل**" يشبه ابن قزمان بالقدوم حيث يقول:**(الطويل)يُقَرِّبُ وَجْهًا مِنْكَ فِي خَلقِ قَرْبَةٍ كَأَنَّ انْهِدَالَ الأَنْفِ مِنهُ قدُومُ**

أعطى الشاعر للأنف صورة ضخمة جعلته محط هزل وتهكم؛فأنف "ابن قزمان" حسب تصويره ضخم، وشديد الكبر؛ إذ شبهه بالقادوم،فقدم صورة ذميمة وساخرة في هجائه، وهذا ما جعل سخريته قاسية، فجاء شعره الهجائي الساخر للحط من قيمة الآخر/ المهجو وتحقيره، وهذا ما مكنه من جعل خصمه موضع تهكم وضحك الآخر/القارئ. كما انصب هجاؤهم أيضا على "الفم" هذا الأخير الذي يعد عند العرب رمزا للبلاغة والفصاحة كما أنه رمز للجمال، وذلك بوصفهم لثغر محبوبا تهم؛لأنه يضفي سحرا وجمالا على الوجه، أماالأندلسيونالهجاؤون فقد اعتمدوه جسرا لنسج قصائدهم الهجائية الساخرة التي تبعث على الإضحاك والهزل،والتهكم.حيثنجدالشاعر"**ابنصارةالشنتريني**"هجا رجلا قبيح الفم حيث يقول:[2] **(البسيط)**

كَأَنَّ جَنَّ سُلَيْمَان بَنُوا فَمِهِ بُنْيَان تَدْمَر بِالصفَاح اَلْعَمدِ

صور الشاعر فم هذا المهجو بطريقة ساخرة؛ حيث استلهم قصة سيدنا سليمان الذي كان يتحكم في الجن، وكان يأمرهم بأعمال كبيرة وضخمة مثل بناء القصور.... ،فأخذ الشاعر من هذه القصة صورة أسقطها على مهجوهبأن فمه قد بني من طرف جن سليمان ما يوحي بضخامته وكبره ،كما شبه فم الشخص بآثار ضخمة في مبناها ما يجعل فمه قبيحا سيء المنظر،فهنا أبدع في رسم صورة ساخرة للمسخورمنه؛إذ جعل فمه بنيانا ضخما يحمل الصفائح والأعمدة،ولكن هذه الصورة لا يقصد بها التضخيم إنما يقصد التحقير، وعليه فالشاعر ابتدع أسلوبا شديد السخريةيعتمد على المبالغة والتضخيم تجعل الشخص منبوذا في المجتمع، وهذا ما حقق التهكم لذا استحضره الشاعر في هجائه لكشف مساوئ وعيـــوب المهجووجعله أضحوكة بين الآخرين. كما يقول في موضع آخر:[3] (البسيط)

لَهُ فَمٌ كَحرفِي شَكلِ صُورَتِهِ "تَرْمِى غوَارَبِه العبرين بِالزَّبَدِ"

[1] محمد بن الكتاني، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص260.

[2] ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج2، ص 845.

[3] المصدر نفسه ،ص845.

نرى سخرية الشاعر في هذا البيت من خلال ما رسمه لنا من صورة تحمل في ثناياها طابعا ساخرا وهزليا حيث بدأ بوصف فم خصمه في قوله (كحرفي شكل صورته) دلالة على أن فمه واسع ما يجعله بارزا، وظاهرا في ملامح وجهه أيأن فمه يشغل المساحة الأكبر في وجهه،كما صور لنا أطراف فمه (غواربه) بشكل يبعث على الاشمئزاز والقرف من خلال تطاير اللعاب تناثره على من حوله من الناس المحيطين به ويصيبهم به، وهذا دلالة على كثرة كلامه ما يجعل حواف فمه تشكل رغوة حتى تصبح كالزبد (زبد البحر)، وعليه فقد استطاع الشاعر أن يضع المهجو في موقف مضحك وهزلي من خلال تصوير فمه تصويرا دقيقا ينزل من مقامه، وهذا هجاء لاذع ومقذع يضعه في حرج شديد جراء هذه الصورة الساخرة، وغيرها من النماذج الشعرية التي تعكس كيفية اتخاذ الهجاء موضوعات السخرية كآلية للحط من قدر الآخر /المهجو وبلوغ المقصد.

كما جعل الشعراء الأندلسيون "الأسنان"معادلا موضوعيا لسخريتهم وتهكمهم، ومن ذلك قول **ابن صارة الشنتريني** في هجائه لشخص قبيح الفم، حيث شبه أسنانه بحد السيف؛ إذ يقول:[1] (البسيط)

يَبْدُو لِطَرَفِك مِنْهَا حِينَ تَبْصرَهَا سن كَمَثَلٌ حَسَنُ اَلْصَّيقِل اَلْفَرد

في هذا البيت يسخر الشاعر من سن خصمه شبهه بحدة السيف،فأسنانه من شدة حدتها تبدو وكأنها صقلت بعناية وأصبحت ناعمة مما أعطاها طابعا فريدا يشبه السيف. فهنا الشاعر يعبر بشكل ساخر عن وصفه للسن حيث أن الناظر له يلفت انتباهه هذه السن، وقد استخدم لفظة (حسن الصقيل) مما يوحي بمبالغته الشديدة في تشبيه حدة السن بالسيف، وهذا ما يضفي نوعا من التهكم،فجعل بذلك المهجو محط ضحك وسخرية،ومن صور السخرية في شعر الهجاء نجد **المنفتل**(عبد العزيز بن خيرة القرطبي أبو أحمد) يهجو أخاه الجزار في صورة تبعث على الاشمئزاز والقرف؛ حيث يقول: **(السريع)**

تَبْـــدُو عَلَى أَضْرَاسِه صُفْرة كأنَّه من فَمِهِ قَدْ خَرَى

حَدِيثُهُ أَوحَش مِنْ وَجْهِهِ وَشَعرِهِ يُشبِهُ ذَاكَالطرى

وظف الشاعر أسلوب السخرية في هجائه توظيفا بارعا؛ إذ استخدم ألفاظا لاذعة،حيث وصف أسنانه بالصفرة، وهذا دليل على عدم النظافة،مما يزيد من تنفير الآخرينمنه،كما شبه رائحة فمه بأشياء مقرفة، ومقززة فقد استخدم الشاعر لفظة - خرى- تشمئز منها النفس ليعكس رائحة فم المهجو،كما أشار أن كلامه أوحش من فمه وهذا دليل على أن هذا الشخص غير لطيف في حديثه وعباراته،أي يستخدم الألفاظ الخشنة والقاسية ولا يهتم للباقة في الكلام، كما أبرز قبح شعره، فهذه الأبيات تظهر براعة الشاعر في استخدام الأسلوب الساخر اللاذع من خلال رسم صورة مقززة للمهجو،مما جعله يبدع في خلق صورة منفرة له من خلال رسم مظاهر القبح،ونقص الجمال فيه،وتضخيمه لعيوبه، وتجسيده لملامحه المنبوذة، وهذا ما جعل عيوب المهجوأداة يطعنه بها، مما زاد من قوة السخرية وجعلها ذات بعد عميق في نفس القارئ.

كما استغل الشعراء اللسان في سخريتهم على الرغم من مكانته عند العرب وخاصة الشعراء فهو رمز البيان والفصاحة،والبلاغة؛ إذ يظهر به الشاعر براعته اللغوية،وشاعريته وإبداعاته، إلا أن الشعراء الأندلسيين وخاصة

[1] م ن،ص845

شعراء الهجاء استخدموه كأداة ووسيلة للحط من شأن غيرهم وخصومهم، وكسلاح ضدهم،خاصة أولئك الذين لهم عيب في ألسنتهم مثل: اللكنة؛ ومن ذلك تشبيه **"أبوإسحاقالألبيري"**لســـانأحد الأشخاص المكثرين للكلام بالجرس؛ حيث يقول :[1]**وَلَقَدْ عَجبْتُ لِمُؤْمِنٍ فِي شدِقهِ جَرَسٌ كَنَاقُوس ببيعَة كَافِرِ**

عزز الشاعر سخريته عندما وصف لسان هذا الشخص (صوته) بالناقوس، وهذا الأخير يستخدم عادة في الكنائس لقوة صوته العالي والصخب الذي يحدثه فهنا ربط بين الناقوس والكافر، فالشاعر شبه لسان هذا الشخص بالجرس الرنان، وهذه صفة منبوذة ومنفرة لكون هذا الشخص مؤمن، حيث استخدم لفظة الناقوس للمبالغة في علو الصوت وارتفاعه ما يجعل الآخرين ينزعجون منه، وينفرونمنهذاالشخص. لذا فالشاعر رسم صورة تهكمية بارعة فأنزله منزلة دنيا، وبذلك وضع المهجو في موقف حرج، ونفر منهالآخرين.

كما اتخذ شعراء الأندلس اللحية التي عدت رمزا للرجولة والوقار،والشجاعةوالحكمة عند العرب موضوعا للسخرية، وقد وظفوها في شعرهم الهجائي، ومن ذلك قول **"إدريس بن اليمان العبدري"** حينما وصف شخص لحيته طويلة؛ إذ يقول:[2]: **(الكامل)**

لَوْ أَنَّهَا دُونَ السَّمَاء سَحَابَة لَمْ تَخترِقْهَا دَعْوَةُ المَظْلُومِ

يعكس هذا البيت سخرية عميقة، حيث يشير أن طول اللحية تشكل حاجزا أو سحابة في السماء، أو حصنا منيعا لا يمكن أن تخترقه، أو تتعداه حتى دعوة المظلوم، فهنا دلالة على غزارتها وطولها المبالغ فيه، فالسخرية هنا تجلت في طول اللحية؛ فهو رسم صورة تهكمية يبرز بها قيمة المهجو وشأنه بين الناس، ويتهكم من شكل وضخامة لحيته التي جعلته محط هزء وفكاهة. وقد هجا**"أبو بكر بن مغاور السلمي"**أصحاب اللحى الذين يدعون الدين واعتبر أفعالهم عكس ما تصوره هذه اللحية، فقام بالسخرية منهم ومن أفعالهم حيث تخلّوا عن أداء واجبهم، وتساهلوا في أحكامهم، وأحلوا ما حرم الله وفي ذلكيقول(البسيط) :[3]

أَنَا إِلَى اللهِ مَاذَا حَـــــلَّ بِالدِّيــنِ مِنْ طِوَالِ اَلّلحَى اَلْبَيض اَلْعَثَانين

بَاعُـــوا رِضَى الله وَ ابْتَاعُوا مَسَاخِطَه وَغَيَّرُوا اَلْشَّرْعَيَالله للدِّين

أَضْحَتْ شَهَادَتَهُم بِالزُّورِ نَاطِقَة إِنَّ الشُّهُودَ لأَعْوَانِ الشَّيَاطِين

افتتح الشاعر لوحته الشعرية بسؤاله عما آل إليه هذا الدين بسبب هؤلاء المنافقين،الذين باعوا رضا الله أي ضحوا برضى الله واشتروا ملذات الدنيا فهنا نجدهم باعوا الثمين (رضى الله)واشتروا البخس والشيء الزاهد ،كما أن غيروا وحرفوا شرع الله ،فهنا نلمس من معنى الأبياتأنأصحابااللحى يمثلون فساد الدين في جوهرهم أما ظاهرهم فيردون الصلاح والفلاح، أما في البيت الأخير فيعبر عن نفاقهم وقيمهم البعيدة عن الدين حيث يشهدون الزورأي شهادتهم كاذبة وباطلة لا يمكن الأخذ بها ،لذا شبههم بالشياطين أيأنأصحاب اللحى الطويلة هم أعوان الشياطين،هذا لفساد أخلاقهم ودينهم. ومن هنا فالشاعر قد أبدع في رسم صورته الساخرة لهؤلاء المنافقين المتظاهرين بالدين،

[1]الألبيري، الديوان، ص 80.

[2]ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، ج1، ص400

[3]أبو بحر صفوان بن ادريس التجيبيالمُرسي ،زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر،تعليق : عبد القادر محداد ،دط ، 1358هـ، 1939م، بيروت ، ص38.

فقد أنزلهم منزلة دنيا مع الشياطين لنفاقهم وسوء أخلاقهم، وهذا ما يجعل المجتمع ينظر إليهم نظرة ازدراء، واستهزاء بسبب أفعالهم الخبيثة المكفنة تحت مظهرهم الذي يوحي بالنزاهة والصدق، وهذا الهجاء الساخر فضح مساوئهم، وجعلهم مثار الضحك. ويذهب **الرشاش** في هجاء لحية أبي هاشم قائلا:[1]

لَحيَة سَقْلَاب أَبِي هَاشِم أَشْبه شَيء بِشَكِير[2] اَستهِ

وَوَجْهُهُ يَحْكِي لَنَا اَلْقِرْد فِي صُورَتِهِ قبْحًا وَفِي نَعتهِ

اعتمد الشاعر على اللحية ليرسم صورة مذمومة وساخرة لأحدالأشخاصيدعى"أبا هاشم" حيث أقر أنها تشبه "بشكير استه" والذي يستخدم للتنظيف، فهذا تعبير ساخر عن قبح لحيته؛لأنه يقصد أنها غير منظمة ومرتبة،أيأنها سيئة الشكل والمظهر دلالة على عدم اهتمامه بها وبشكله، رغم أن اللحية منذ القدم رمز للوقار ومكانة صاحبها العالية . ويعزز الشاعر سخريته باستخدام الهجاء اللاذع والحاد من هذا الشخص، وذلك من خلال وصفه لوجهه المخزي الذي لو رآه أحد كأنه رأى قردا في صورته وشكله، وهذا ما يعبر عن مدى قبح هذا الوجه، كما أن الشاعر استخدم كلمة "نعته" وهنا كأنه يعنى أن هذا القبح لم يشمل وجهه السيئ فقط،بل تعدى حتى إلىأخلاقه وتصرفاته ومن هنا فهذه الأبيات تحمل شحنة من الهجاء الساخر،ونوعا من التهكم والاستهزاء من "أبي هاشم" فهذه الصورة الذميمة تجعل الناظر إليه ينفر منه، وعليه فقد تمكن الهجاء الساخر من وضعه موضع ضحك الآخر.

كما وصف **أحمد بن نعيم** لحية أحدهم وصفا دقيقا مستخدما في ذلك أسلوب التهكم والسخرية وذلك للاستخفاف وإلحاق العيوب به؛ حيث يقول[3]:

كَأنَّ لَحْيَتَهُ مَعْرُوشَة غُرِسَت فِي عَارِضِي قرْدَة مِنْ ذَيْلِ خِنْزِيرِ

يرسم هذا البيت صورة من التعبير التهكمي الساخر استخدمها الشاعر وهو يصف لحية أحد الأشخاص، حيث عمد إلى تشبيه لحيته بالشجرة المغروسة والمعروشة؛ أي أن هذه اللحية من ضخامتها وكثافتها غطت جميع وجههوكأنها غرست كالنباتات،ولقد استخدم التشبيه هنا حتى يضفي طابع التحقير علىالمهجو،والإساءة له، ولعله يستعين بالصور الحيوانية في وصفه حتى يضع المسخورمنه موضع انحطاط، لينفر الناس منه، وليرمز إلىالصفات غير المرغوب فيها (كالقبح والنفور). وذلك من خلال تشبيه عارضي وجهه أي خديه بعارضتي القرد وهذا دليل على عدم ترتيبه هذه اللحية؛ لأنه تبدو غير متناسقة ومتلائمة مع وجهه، ما يجعله يبتعد عن الجمال. وما زاد الصورة هجاء وسخرية عندما شبهها بذيل الخنزير،وهذا لمظهرها السيئ والقبيح،ولأن الخنزير يعد رمزا للقبح كما جمع بين "القرد"و"الخنزير" لأن كلامها يرتبطان بالصفات الذميمة، وقد أسقطهما على لحية ووجه هذا الشخص حتى يجعله موضع ضحك وازدراء واستخفاف من طرف الآخرين.ومن هنا نجد الشاعر استند في هذا البيت إلى السخرية، وهذا ما جعلهجاءه ساخرا مقذعا بهدف إهانة الشخص والحط من مكانته أمامالآخرين. وغيرها من النماذج الشعرية التي

[1] الكتاني ، التشبيهات من أشعار أهل الاندلس ،ص263

[2] بشكير :البشكير : هو منشفة كبيرة للحمام (ج) بشاكير (علي بن هادية ، بلحسن البليش ،القاموس الجديد للطلاب معجم عربي مدرسي ألفبائي ،تقديم : محمود المسعدي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط7، 1991م، الجزائر ، ص 150.)

[3] الكتاني ، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ،ص263.

تعكس استناد الشاعر الأندلسي إلى السخرية ليضفي على هجائه طابعا ساخرا، ويضع المهجو بذلك موضع استخفاف واستهزاء.

كما نجد أيضا استخدام الشعراء لصورة صاحب القامة القصيرة في الهجاء الساخر، من ذلك قول الشاعر**عبادة**يصف لنا رجلا قصير القامة؛ إذ اتخذ كمادة ساخرة للدلالة على حالة الضعف، وتحقير المظهر العام للمسخور منه ، وتقليل قيمته لأن البنية الكاملة للجسد تعنى القوة، والهيمنة والصلابة ، وهذا ما جعل الشعراء يتخذون موقفا عبثيا من قصير القامة ويطعنون في قوته وكمال جسمه ويخرجونه من الدائرة الجمالية،وهذا ما جعلهم يستهدفون خصومهم بهذه الصفة، ويقفون موقفا هجائيا ساخرا ضدهم، ويظهر ذلك في **"ابن بليطة"**؛ إذ يصف ساق رجل أحدب بطريقة ساخرة تستدعي الضحك قائلا:[1]

وَإِذَا سَعَى بِالكَأْسِ تَحْسَبهُ جَعلا يُدَحْرِجُ فَصَّ يَاقُوتَة

وَكَأَنَّـــهُ وَالكَأْس فِي يَدِهِ نَجْمٌ رمى مِن اَلْجَوّ عِفْرِيتَه

تحمل هذه الأبيات في ثناياها هجاء ساخرا، حيث يصف الشاعر شخصا أحدب وهو حامل للكأس ويسعى به نحوه بطريقة هزلية ساخرة، فيشير إلى حركته وكأنه يدحرج فص ياقوتة، كما شبهه وهو حامل للكأس في يده بالنجم الذي يسقط من السماء، فهنا تكمن روح السخرية ما يعطي للقارئ انطباعا وصورة تهكمية تثير ضحكه واستهزائه، وقد عزز الشاعر هجاءه الساخر من خلال توظيف التشبيه الذي أعطى قوة في إظهار عيب الشخص بأنه أحدب، وهذه العاهة اتخذها الشعراء أيضا كمطية للهجاء الساخر؛ إذ نجد **إبراهيم بن إدريس**يهجو المنصور ويرسم له صورة ساخرة فيها من معاني السب والشتم،والإقذاعمايجعله في موضع استهزاء، حيث وصفه بالملك الأحدب،كما نعته بالقرد، وهذا ما أضفى على هجائه قوة وجعله أشد إيلاما؛ حيث يقول: [2] (الكامل)

فِيمَا أَرَى عَجَبًا لِمَنْ يَتَعَجَّبُ جَلَـــتْ مُصِيبَتُنَا وَضَاقَ اَلْمَذْهَبُ

إِنيلَأُكَذِّبَ مُقْلَتِي فِيمَا أَرَى حَتّى أَقُـولَ غَلَطْتُ فِيمَا أَحْسبُ

أَيَكُـونُ حَيًّا مِنْ أُميّة وَاحدُ وَيَسُوسُ هَذَا المَلِك هَذَا الأَحْدَبُ؟

تَمْشِي عَسَاكِرَهُم حَوَالِي هَوْدَجٍ أَعْـــــــــــوَادهُ فِيهِنَّ قَردٌ أَشْهَبُ

أَبَنِي أُمَيَّة أَيْنَ أَقمَارُالدّجَمِنْكُم، وَمَا لِوَجْهِهَا تَتَغَيَّبُ؟

ويقول **ابن هذيل** وهو يصف رجلا أحدبا:[3]

شَكَا فِي ظَهْرِهِ حَدبَه فَقُلْتُ دَعُوهُ يَا كذْبَه

جَرَاب بَيْنَ فَخذَيهِ تَعلَّق صِيت اَلْجَلْبَة

[1]ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،ج1، ص 796

[2]ابن الأبار ، الحلة السيراء تح: حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ط1،ج1، القاهرة ، 1963، ص 227.

[3]محمد بن الكتاني، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص260 .

فَأَلْقَـــاهَ عَلَى كَتِفَيْـهِ فَهُـو عَلَيهِ كَالعَقَـــبَة

رسم الشاعر في هذه الأبيات صورة عبثية ساخرة لأحدالأشخاص بشكل هزلي تهكمي،ابتدأ مقطوعته بإظهار شكوى هذا الشخص من حدبته التي زادت من قبح مظهره،إلاأن الشاعر رد عليه بأسلوبإنكاري ساخر كذّب فيه شكواه. ثم عمد الشاعر إلى إرسال صفعاته الساخرة لخصمه؛ إذ وصف قبحه الجسدي بأنه لا يملك حدبة، وإنما يملك جرابا بين فخذيه يثير الجبلة، وهذا ما أعطى دلالة هزلية للصورة؛ لأن الشاعر عمد إلى فضح المسخورمنه وإذلاله بطريقة ثقيلة تزيد من قبح منظره ، وتنفر الناس من شكله، ويوظف الشاعر التصوير الكاريكاتوري الساخر ليزيد من تضخيم عيوب خصمه ليجعله في قمة السخرية،وبذلك استطاع الشاعر أن ينزل من قيمة المسخورمنه بطريقة بارعة، من خلال مبالغته في التصوير الكاريكاتوري الساخر، بلغة خشنة وقاسية، وبمعاني عميقة تبعث على حدة الهجاء ليفضح الشاعر خصمه ويهدم مكانته وصورته في مجتمعه وما يجعلهمنبوذا.أما**"ابن خفاجة"** فقد رسم لنا صورة ساخرة لامرأة؛ حيث شبهها بالقوس في حدب ظهرها قائلا :[1]

عَـــــوجاءُ تُعطَفُ ثُمَّ تُرسَلُتارَةًفَكَـأَنَّما هِيَ حَيَّةٌ تَنـسابُ

وَإِذا اِنحَنَت وَالسَهمُ مِنها خارِجٌفَهِيَ الهِلالُ اِنقَضَّ مِنهُ شِهابُ

يصورالشاعرأبياته بلغة سلسة وسهلة ومعاني عميقة ومؤثرة، تحمل طاقة كامنة من السخرية اللاذعة،وهذا ما جعل هجاءه مقذعا، حيث شبهها بحية تنساب وتتمايل في التوائها وهذا دليل على مرونتها، وهذا ما يستدعي الضحك، ويواصل الشاعر في تهكمه سخريته منها حينما شبهها وهي تنحني بالهلال الذي ينطلق منه شهاب، فهنا الشاعر يسخر من عاهة هذه المرأة الحدباء ويصورها بطريقة هزلية مضحكة، وهذا ما جعل هجاءه أشد إيلاما.ولعل "المخزومي الأعمى" من أهم الساخرين، حيث سخر من رجل أحدب سخرية قاسية ولاذعة حيث يقول: [2](المتقارب)

وَأَحْـــدَبُ لَيْسَ لَهُ هِمـــــَّةٌ وَلَا لَـــــذَّةٌ فِي سِوَى فِيشِهِ

يَقُولُ أَنَّ الْقَوْسَ فِي شَكْلِهِ فَلَا تُنْكِرُوا الْسهَمَّ فِي بَدْرَتِي

استعان الشاعر بالسخرية، وجعل هذا العيب- الحدب- مادة للتهكم والضحك، وهذا يخدم الهجاء في التحقير والانتقاص من الآخر؛ إذ يسخر الشاعر في هذه الأبيات من هذا الأحدب،حيث صور هيئته وشكله بطريقة هزلية تدعو إلى الاستهزاء والضحك ،فقد وصفه بأنه محدودب الظهر ليس له همة ولا شأن، فهو شخص بسيط أثقلت الهموم كاهله ،وقست الحياة عليه ،وكسرت طموحه وآماله ،حتى ذهب شغفه منها ، ولم يبق له إلا فيشه ،فهنا لفظة فيشة يمكن أن تكونشيئا يشعر من خلاله باللذة، والمتعة في هذه الحياة الباقية لهالتي كسرت ظهره وحطمت أمله ،كما شبه ظهره بالقوس في اعوجاجه،وهذا ما يدل على أن الحياة قد قست عليه بالهموم والمصاعب والشقاء مما انعكس على صحته (ظهره)، وهذا ما زاد أبياته دلالة ساخرة من خلال تصويره لهيئة وشكل هذا الشخص الأحدب ما أعطى النص شحنة من الإبداع في الوصف ،والبراعة في التصوير، لأن أبياته تحمل في طياتها

[1] أحمد بن محمد المقري ، نفح الطيب ،ج4 ،ص106 .

[2] ابن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حُلى المغرب ،ج1، ص299.

ألفاظا ساخرة للشخص، ومعاني هزلية عميقة ،تجعل القارئ يلمس نوعا من الهزل فيها،أما في قوله "لا تنكروا الهم في بدرتي" فهذا الأسلوب يحمل معنى الالتماس فكأن هذا الشخص الأحدب يطلب من الناس عدم إنكارهم لهموالتي هي سبب تغير ملامحه وظهورها (الهموم) في شكله ومنظره ، وفي انحناء ظهره .

وهنا نستخلص أن الشاعر صور لنا بشكل فكاهي ساخر حال أحد الأشخاصالذينأنهكتهم الهموم، وقست عليهم الحياة، مما انعكس على شكلهومظهره،وجعلته محدودب الظهر، كأنه قوس مُعوج،وهذه الصورة الساخرة هي التي دعمت الهجاء، ومنحته طابعا فكاهيا طريفا يخدم هدفه الرئيس، وعليه يمكن القول إن السخرية هي الطريقة التي يستعين بها الشاعر ليحول العيوب الخِلقية إلى مادة للتهكم والضحك وهذا ما يخدم البعد الأساسي للهجاء وهو التحقير والانتقاص من الآخر/المهجو.

ونستشف مما سبق أن موضوعات السخرية في الجانب الخِلقي تستهدف الصفات والعيوب التي تظهر في جسد الآخر،وقد استغلها الشعراء الأندلسيون،واستخدموها كوسيلة للتهكم والنقد في أشعارهم الهجائية، وبخاصة أن السخرية تملك قوة فعالة في منح الهجاء قدرة أكبر في التسلل إلى نفسية المهجو والقارئ، إذ تجعله أكثر تأثيرا وإقناعا، وبخاصة أن الشاعر في هجائه يعمل على سلب الصفات الحسنة من خصومهوالإنزال من شأنهم،ووضعهم في صورة دونية مبتذلة،وهذالفضحهم، وإبراز عيوبهم وتشويهها، ومهاجمتهم بها، وبذلك فهو يعمل على تحويل هذه السمات الخِلقية إلى عيوب وتحقيق الوعي بها بهدف إثارة الضحك والاستهزاء من المهجو، وأحيانا بهدف إثارة الضحك المرير والتحقير والانتقاص من قيمة الآخر بطريقة دونية سوداء،وعليه فقد برعوا في استخدام موضوعات السخرية لقدرتها على جعل تلك العيوب كصفات ملازمة للمهجو، ولهذا استطاعوا تقديم صورا هجائية عميقة ما جعل وقعها قويا في ذهن السامع، وقرب له الصورة السلبية للمهجو.

2/ما يتعلق بالعيوب الخُلقية:

عمد شعراء الأندلس إلى استخدام موضوعات السخرية المتعلقة بالعيوب الخُلقية في شعرهم الهجائي؛ لأن التشويه يعد آلية مهمة فيه، وبخاصة أنه لا يكون مقتصرا على الجانب الخَلقي، بل يشمل الجانب الخُلقي، لهذا اتكأ الشاعر على السخرية؛ لأنها قادرة على رسم صورة ساخرة هجائية؛ إذ تنقل المهجو من الصورة القبيحة السيئة إلى نمط آخر؛ أي تجعله مادة تهكمية هزلية مما يفقده وقاره ويصبح في موضع استخفاف ودونية، علما أن الشعر الأندلسي كان غنيا بهذه الموضوعات، وبطرق متباينة فمنهم من استخدم الأساليب الخفيفة، ومنهم من أخذ بالهجاء اللاذع المقذع، وقد جادت بها قرائحهم للتنفيس والترويح عن أنفسهم،وللتعبيرعن قساوة حياتهم وعن تجاربهم، فجاء بطابع يحمل أحيانا تهكما خفيفا بهدف إضحاك المتلقي وأحيانا يحمل مرارة وتحقيرا بهدف النيل من المهجو، وتحقيق صدمة لديه، وللمتلقي أيضا الذي بدوره سيحتفظ بصورة الضعف والهوان للمهجو في ذاكرته، وهذا ما منح الهجاء طابعا وحلة جديدة وجعله متميزا عن غيره . إذ وصف "المقري" أهل الأندلس بقوله: "ولأهلالأندلس دعابة وحلاوة في محاوراتهم وأجوبة بديهية مسكتة"[1]،فهنا نرى أن أهلالأندلسقد تميزوا بروح الخفة في محاوراتهموأحاديثهموكذا براعتهم، وذكائهم كما تميزوا بحلاوة ولطافة كلامهم، كما عرفوا ببداهتهم في إسكات خصمهم،وإفحامه بأحاديثهم القوية والمقنعة، ولعل من أهم موضوعات السخرية المتعلقة بالعيوب الخُلقية ما يأتي :

[1] أحمد بن محمد المقري، نفحالطيب ،ص216.

1.2-البخل: كان اهتمام الشعراء في الأندلس منصبا على الظواهر الاجتماعية التي مست المجتمع، وكانت مصدر إلهام لهم في أدبهم وشعرهم؛ إذ ركزوا عليها واستوقفتهم،ومن هذه الظواهر نجد ظاهرة البخل التي اهتم بها الشعراء واستثمروا طاقات الهجاء في شعرهم فتناولها بطريقة نقدية وفكاهية، ولعل الجاحظ هو أول من تحدث عن البخلاء في كتابه "البخلاء" الذي صور فيه حقيقة البخلاء بطريقة ساخرة، هزلية وطريفة.

وتعد هذه الظاهرة-البخل- من الصفات اللافتة في أشعار الشعراء الأندلسيين،وقد عدوه من الظواهر الذميمة المنافية للأخلاق والمناقضة لقيم المجتمع المعروف بكرمه وسخائه لذا استحضروا هذا الموضوع في شعرهم بصورة ساخرة، وبأسلوب هجائي لاذع، وهذا ما جعل البخيل موضع سخرية، ويظهر بصورة مبالغ فيها، والمتتبع لظاهرة البخل في تراثنا العربي بمصادره، يجد أن أغلب البخلاء هم من الطبقات الغنية والثرية في المجتمع وامتلاكهم للثروات ولكنهم تميزوا بالبخل،وهذا ما أثار رغبة الشعراءفي جعلها مادة لبناء شعرهم، وقد أشار المقري إلى ظاهرة البخل في كتابه "نفح الطيب" وبين أنها كانت منتشرة في الأندلس، وبذلك فهي تعكس الطبيعة الاجتماعية آنذاك،وقد اعتبرها من الظواهر السلبية والمنبوذة في المجتمع حيث يقول :"وهم أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال فلذلك قد ينسبون للبخل،ولهممروءات على عادة بلادهم،لو فطن لها حاتم لفضل دقائقها على عظائمه".[1]يبين هذا النص أن أهل الأندلس أشد حرصا وتدبيرا لأمور حياتهم خوفا من العوز،لذا قد اهتموا بهذه الصفة الذميمة (البخل)، حتى أصبحت لصيقة ومنسوبة لهم، ولكن المقري في قوله هذا يذكر بأن رغم وجود هذه الصفة في بعض أهل الأندلس، إلا أننا لا يمكن أن ننكر أن لهم مروءات وفضائل على عادة بلادهملو فطن لها حاتم الطائي الذي عد أيقونة عصره في الكرم والجود، لفضلها على مكارمه العظيمة، فالمقري لم ينكر وجود ظاهرة البخل عند أهل الأندلس .

ومن صور السخرية المتعلقة بظاهرة البخل نجد **الظافر أبو مروان عبد الملك** يهجو الملك ابن ذي النون الذي لقب بالمأمون حيث يقول:[2]**(الطويل)**

تَلَقّبْت بِالمأْمُونِ ظَلْمًا وَ إِنَّنِي لَآمِن كَلْبًا حَيْثُ لَسْـتُ مُؤْمِنَةُ
حَرَامٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُودَ بِبَشَره وَأَمَّا اَلْنَّدَى فَاندب هُنَالِكَ مَدْفَنَهُ
سُطُورُالمخَازِي دُونَ أَبْوَابِ قَصرِهِ بِحَجَابِهِ لِلْقَاصِدِين مَعْنُونَةُ

تتسم هذه الأبيات بهجاء قوي لاستخدامه سخرية لاذعة ومحقرة بهدف تشويه الخصم، فقد عبر الشاعر عن سخطه على المأمون،وتتجلى السخرية في المفارقة المتجلية في لقبه، فهو لا يستحقه ولا يناسبه بسبب أنه غير أمين ووفي، فهو غير صادق وخائن، فهذه الأبيات تحمل قوة اندفاعية غاضبة من المهجو،كما نعته بالبخل والشح في قوله "**حرام عليه أن يجود ببشره** "فهنا دلالة على أن الجود والكرم والسخاء غائب عنده ،حتى الندى قد مات ودفن عنده، فهذا إثبات لصفة البخل وإبرازللعيب،فقد ذكر كلمة "حرام عليه " أي أنه من المستحيل أن تجد العطاء والكرم في شخصية هذا المأمون فملفوظ "حرام" يحمل دلالة قوية ومعبرة في إبراز العيب والمبالغة فيه ،لذا وُصف قصره بالخزي وأنه مليء بالأفعال المشينة والسيئة ،حيث جعل العار والخزي عنوان قصره المغلق أمام قاصديه

[1] المصدر نفسه، ص216 .
[2] م ن، 363.

وعدم استقباله لأي أحد، وهذا الوصف يُجلي طبيعة السخرية الهجائية التي تعمل على النيل من الخصم بكشف أفعاله والتشهير بها، وعليه فالشاعر قد انتقد المأمون انتقادا لاذعا ما جعله محط سخرية،كما تؤكد هذه الأبيات عدم ثقة الناس في بعض الحكام والملوك بسبب طباعهم ومعاملتهم لهم .كما هجا**"أبو بكر بن سهلاليكي**"المرابطينبهجاء ساخر ولاذعا وقاسيا حينما وصفهم بالبخلاء حيثقال:[1]

إِنَّ المرَابط بَأْخَل بِنْوَالِه لَكنَّهُ بِعِيَالِهِ يَتَكَرَّمُ

يعكس البيت ظاهرة البخل عند المرابطين، وقد نسجه الشاعر بأسلوب يحمل الاستهزاء والاحتقار لهم،ذلك أنهم يظهرون بخلهم وشحهم واقتصادهم على عامة الناس، أما مع عيالهم وأهل بيتهم يظهرون عكس ذلك ؛أي أن سمة الكرم والجود والسخاء تكون مع أهل بيتهم فقط ،أما البخل والإقتاريتجلى مع الآخرين،وهذاما أضفى طابعا للسخرية والتهكم على المرابطين ،وقد رسم الشاعر صورة متناقضة بين العطاء البخل (الشح)ما جعل هذا التناقض يعطي رمزا للتهكم الاستهزاء من المرابطين، فالشاعر هنا دقق في نسج بيته بين ذمه لبخلهم على الآخرين وبين عطائهم لأهلهم ،وهذا لتبيان المفارقة بين أسلوب المرابطين مع أهلهم،ومع بقية الناس وهذا ما جعل بيته لهؤلاء المرابطين، ووضعهم في صورة ذميمة بسبب سلوكا تهم.

كما نظر الشاعر "**محمد ابن شخيص**" إلى البخل نظرة دونية، ولأن الشعراء سعوا من خلال شعرهم إلى التكسب وزيادة الرزق لكنهم قوبلوا بالرفض والذل والمهانة؛ إذ يقول:[2]

قَسَت بِالشِّعْرِ مَعْشَرًا فَإِذَا هم صُورُ الإِنْسِ فِي طِبَاعِ الحَمِيرِ
كُلَّمَا جِئْتُهُم لِأنشُدِ شِعْرِي طَمَعًا مِنْ نَوَالِـــهم بِاليَسِيرِ
فَكَأنّي وَضَعْتُ فَلَكَة بُـوقٍ فِي فَمِي أَو ضَغَطتُ أَنبُوبَ كِيرِ

نلاحظ في هذه الأبياتأن الشاعر يصف لنا فئة من المتلقين للشعر أو جمهور المستمعين الذين حكم إليهم شعره (قست) فوجدهم يشبهون البشر في أشكالهم فقط ،أماأسلوبهم وطباعهم فتشبه الحمير، وهذا ما يروم الى عدم امتلاكهم لأدنى مقومات الفهم والإدراك، ولقد رماهم بسهام النقد اللاذع لعدم تقديرهم لقيمة شعره وإبداعه ،وتفاعلهم مع فنه لانعدام روح الشعر فيهم ،كما أشارإلى انحطاط وهوان منزلة الشعراء ،فكلما حاول تقديم شعره أمامهم ناولوه نفس الرد،وهذا ما عبر عليه بخيبته المتكررة منهم؛ لأنه يطمع في كل مرة ويأمل في رد مغاير ومكافأته ولو بالقليل من التقدير والتقبل لشعره ،إلا أنه يصادف الفعل المشين نفسه،وأما ما عزز سخريته من هؤلاء المتذوقين للشعر والمتلقين له هو استخدامه لتشبيه صوته بآلة موسيقية (فلكة البوق) يصعب فهم كلامه ويمنع إيصال معانيه ،أو استخدام أنبوب الكير وهي أداة يستخدمها الحداد لنفخ الهواء في النار ،فهنا تشبيه في أن الحداد يحاول ضغط أنبوب الكير لإشعال النار ،لكن دون جدوى كما فعل هو في محاولته لإلقاء شعره ونيل استجابة منهم وتقدير ،لكن لم يلق أي رد أو استجابة، وإنما يتلقونه بالبرود والخيبة ولا يتجاوبون معه ،وهذا يدل على عجزه للوصول إلى مراده ومبتغاه، وعليه فالشاعر هجا المتلقي الذي لا يمتلك أدنى مقومات الفهم والتقدير، فصور جهله بصورة ساخرة.

[1] أحمد بن محمد المقري، نفحالطيب ،ج3،ص205

[2] محمد بن الكتاني، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ،ص254/253

كما ذم **أبو عبد الله بن الحسن بن الطوبي** البخل والبخلاء، وخاصة أصحاب الجاه والثراء، فحينما زاره أحد الأشخاص ظن أنه يريد النوال والعطايا وهذا دليل على الجشع؛ حيث يقول:[1]

أَتَيْتَـهُ زَائِـــرًا أُحَدِّثُهُ وَلَسْتُ فِي مَالِـهِ بِذِي طَمَعِ

فَظَـنَّ أَنِّي أَتَيْتُ أَسْأَلُهُ فَكَـادَ يَقْضِي مِنْ شِدَّةِ الجَزَعِ

عمد الشاعر في أبياته إلى ذم البخل بأسلوب السخرية؛ إذ بدأ بتبيان نية الزائر ، وهي طلب الود والصداقة؛ فغرضه من الزيارة الصداقة لا الطمع في المال ولا الرغبة في الحصول عليه وثم انتقل إلى تحديد النقطة الأساسية في الهجاء والتي تجلت في رد فعل المهجو المزار(فظـن أني أتيت أسأله)،ولكن هذا الشخص ظن به ظن السوء واعتبر زيارته لطلب المال أو سؤاله في أي شيء ، فأصابه الجزع الشديد حتى كاد يفنى ويموت: فجملة: (فكـاد يقضي من شدة الجزع) تمثل قمة الهجاء؛ فقد رسم الشاعر صورة ساخرة عن النية السيئة وسوء الفهم لبعض الأشخاص بسبب بخلهم وجشعهم بهدف فضح وتشريح هذه الصفة المذمومة في المجتمع، والسخرية هنا جعلت الهجاء أشد إيلاما للمهجو. ويصور الشاعر ابن عبد ربه بدوره سخطه وكرهه للبخلاء؛ حيث هجاهم بألفاظ مقذعة وبأسلوب ساخر؛ إذ يقول:[2](البسيط)

صَحِيفَةُ أَفنَيتَ لَيْتَ بِهَا وَعَسَى عُنوَانهَا رَاحَةَ اَلرَّاجِي إَذَا يَئِسَا

يَرَاعَة غَرَّنِي مِنهَا وَمِيض سنَا حَتَى مَدَدتُ إْلَيهَا الكَفّ مقَتَبِسَا

فَصَادَفت حَجَرًا لَوْكُنْتَ تَضْرِبُهُ مِنْ لَؤمِهِ بَعَصَا مُوسَى لَمَا اِنْبَجَسَا

كَأَنَّمَا صِيغَ مِن بَخلٍ وَمن كَذَبٍ فَكَانَ ذَاكَ لَهُ رُوحًا وَذَا نَفسًا

لقد حملت هذه الأبيات صورة ساخرة مشحونة بعبارات التهكم والاستهزاءفي حديث الشاعر عن أحد البخلاء ، حيث افتتحها بعنوان الراحة والاطمئنان لهذه الصحيفة التي تمنى فيها الأمل؛لأنهأفنى فيها عظيم جهده وراحته وذلك من خلال استعماله لـ " ليت "و " عسى " لكنه انخدع فيها وفي وميض سناها الذي اعتبره أولالأمل لكنه مجرد خدعة لجذب انتباهه، فالشاعر يأمل أن يكون هذا البخيل، لكنه تفاجأ بعكس ما كان متوقعا، فلم ير إلا حجرا فكأنه هنا يصور خيبة أمله الكبيرة من محاولاته المتواصلة لتغيير هذا البخيل ، لذا فقد شبهه بالحجارة الصلبة والقاسية التي حتى وإن وضعت عليها عصا موسى عليه السلام لما انفجرت وما أخرجت شيئا، فهو كالحجارة التي لا تنفع ، كما عاب الشاعر على هذا الشخص معدنه وأصله الذي صيغ من بخل ومن كذب فقد نعته بالكاذب في قوله "**كأنما صيغ من بخل ومن كذب** " وهذا يمثل ذروة الهجاء؛ **إذ** جعله ينزل إلى مكانة منحطة تبعث على الاحتقار، ويكون محط سخرية ،فقد اعتبره بلا روح أو نفس؛ لأنه مهما سعى إلى تغيير هذه الصفة (البخل) فيه كان عكس ذلك ما جعله يشعر باليأس والخيبة، فهذا الشخص عديم الجوهر ليس فيه خير ولا يسعى للبذل والعطاء فهو جامد بلا روح ، ومن هنا نجد الشاعر برع وأبدع في هذا التصوير بتشبيه المهجو بالجماد فسلب منه الإحساس

[1] عماد الدين الاصبهاني الكاتب ، خريدة القصر وجريدة العصر ،تح /محمد بهجة الأثري ،مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ج1964،1 ، ص254

[2] محمد بن الكتاني، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص252 .

والحياة، وعليه فالشاعر قد جمع في لوحته الشعرية بين الهجاء المقذع والسخرية المريرة التي تحط من قيمة المهجو وتضعه في المراتب الدنيا، وبذلك جعل منه نموذجا في البخل. وقد عمد الشعراء أيضا إلى وصف تصرفات البخيل مع ضيوفه فيما يخص طبيعة المائدة التي يقدمها لهم؛ إذ يقول ابن وهبساخرامن مائدة أحد البخلاء:[1]

وَمَائِدَة جِسْمهَا لُطْفهُ يَدلَ عَلَى صَفْقَةِ خَاسِرَة

فَتِلْكَ لَنَا قَدْ غَدَتنُقْطَة وَنَحْنُ عَلَيهَا نَرَى دَائِرَة

قدم الشاعر هجاءه بطريقة كاريكاتورية مضحكة، دالة على براعته وقوته في الوصف، حيث سخر من أحد البخلاء ومن مائدته التي وضعها لحضوره بسبب صغر حجمها، فهي زهيدة وضئيلة مقارنة بعدد الموجودين.أما في قوله " يدل على صفقة خاسرة " فكأنه شبه هذه المائدة والأكل فيها بالصفقة التجارية الخاسرة والفاشلة ، لأنها لا تكفي حتى لوضع الطعام فيها ، كما عد الشاعر هذه المائدة أنها مركز والحضور ملتفون حولها يمثلون الدائرة فهنا تمكن الشاعر من رسم صورة أكثر إثارة وقبولا من طرف المتلقي مما أدى جعل القارئ يتصور الموقف وكأنه أمامه،وهذا ما يدل على براعة الشاعر وقوة شاعريته، وعليه فالشاعر يظهر استياءه من هذا البخيل من خلال تصويره بصورة عميقة الدلالات،وقوية الألفاظ، تستدعي السخرية منه وتجعل الناس يتذمرون منه.ويهجو في موضع آخر نوعية طعام البخيل؛ بهدف الذم والسخرية من بخله؛ إذ يقول: [2] (السريع)

طَعَامُ مَنْ لَستُ لَهُذَاكِراً دَقَّ كَمَا دَقَّ بِأَن يُذْكَرَا
لَا يُفْطِرُ الصَّائِمُ مِن أَكلِهِ لَكِنَّه صَـــومٌ لِمَن أَفْطَرَا
في وَجِهِهِ من لُؤْمِهِ شَاهِدٌ يَكْفِي به الشَّاهِدُ أَن يُخْبَرَا
لَمْ تَعرِفِ المعْرُوفَ أَفْعَالَهُقَطُّ كَمَا لَمْ يُنكَرُ المُنكَرا

إن ما يمكن كشفه من هذه الأبيات أن الشاعر قدم هجاء صريحا بطابع ساخر وهزلي، حيث ركز على صفات أحد الأشخاص، وهي صفة البخل في الطعام؛ إذ استفتح أبياته بقوله "لست له ذاكرا " أي أن صاحب الطعام لا يذكره أحد ولا يثنى عليه ولا على فضائله، فهنا الشاعر ألصق به صفة اللؤم التي تحمل في ثناياها طابع الشروالشح والإقتار، لأنه لا يفطر الصائم من أكله، وحتى من هو مفطر يبقى صائما،وهذا يعد رمزا لبخله، ويكمل الشاعر سخريته وهزأه في ذكره لوجهه اللئيم حيث تظهر هذه الصفة مطبوعة فيه وجلية في ملامحه، وذلك بأن يكفي النظر إلى وجهه لإدراك ذلك السوء الواضح عليه ، أما البيت الأخير فيعمق البعد الهجائي؛ إذ يعكس نقدا لاذعا لهذا الشخص الذي لا يعرف الأخلاق الطيبة والصفات النبيلة (المعروف) ولا يأمر بالخير ولا ينهى عن المنكر، وهذا الهجاء الساخر يضعه في مرتبة أخلاقية متدنية، وتجعله موضع ذم واستخفاف من طرف الآخر.

وقد استخدم "يحي الغزال" أسلوبا بارعا في ذم البخل؛ إذ قدم أبياتا شعرية حطم من خلالها صورة الممدوح وجعله في موضع ذم وسخرية، وبخاصة أنه استخدم المفارقة والتشبيه اللاذع، فقدم هجاء لاذعا ومضحكا في الوقت نفسه؛ إذ يقول:[3] **(الطويل)**

[1] محمد بن الكتاني، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، ص246

[2] ابن عبد ربه،"الديوان ،ص 86

[3] محمد بن الكتاني، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص252

قَصَدْتُ بِمَدحِي جَاهِدًا نَحوَ خَالِدٍ أُؤمِل مِن جَـدْوَاهُ فَوقَمُنَائِي
فَلَم يعـــطِنِي مِن مَالِه غَيْرَ دِرْهَمٍ تُكَلِفـهُ بَعْدَ اِنقِطَاع رَجَائِي
كَمَا اِقْتَلَعَ الحجَامَ ضِرْسًا صَحِيحَةً إِذَا اِستَخْرَجْتَ مِن شِدَّةٍ بِبُكَاءٍ

إن المتمعن في هذه الأبيات يجد أن الشاعر استطاع بواسطة السخرية أن يحول المدح إلى هجاء لاذع لسمة البخل عند هذا الرجل/خالد؛ حيث ابتدأ الشاعر أبياته بقوله "قصدت بمدحي " أي توجهت بمدحي وثنائي لهذا الشخص رغبة للوصول إلى مرادي؛ أي يعطيه فوق ما يتوقعه أيأن يبالغ "خالد" في العطاء، وذلك في قوله " فوقمنائي " إلا أنه لم يعطه سوى درهم واحد، وهنا تتجلى المفارقة، وهذا ما يدل على بخله الشديد؛ لأن هذا الدرهم قد ناله بعد انقطاع الرجاء أي بعد زمن طويل من المدح والمحاولات المتكررة، "فلم ينله عن طيب خاطر إذ "أن هذا الشخص لا "يملك صفة السخاء والعطاء،أما في البيت الثالث فقد استخدم الشاعر التشبيه ما أعطى للسخرية طابعا فكاهيا لإظهار صورة الشخص البخيل،فقد شبه قساوة وصلابة هذا الشخص في إخراجه لهذا الدرهم كمكافأة للشاعر بالحجام الذي يقتلع ضرسا صحيحة بالقوة؛فكلاهما اشتركا في الجهد والمشقةالتي أُخذت منهما للحصول على مرادهم، وعليه فقد اعتمد الشاعر على السخرية في بناء صورة هجائية لاذعة تعكس حقيقة هذا البخيل حتى أنه شبهه بالحجام الذي يقتلع ضرسا صحيحة بالقوة، وهذا يعكس ألم البخيل أثناء العطاء، وهذه السخرية تجعل الهجاء أكثر قوة وإيلاما لهذا البخيل.

وقد بلغ الشعر الهجائي الساخر ذروته في النيل من الخصم وتحقيره؛ إذ استحضروا صورة الكلب في ذمهم للبخل؛ لأنه يحيل في المخيال العربي على الدونية والنجاسة؛ لذا فقد وصف **ابن عبد ربه** أهل عصره بالكلاب من شدة بخلهم وشحهم؛ حيث يقول: [1] **(الكامل)**

وَ أَيَّام خَلَتْ مِنْ كُلِّ خَـــــيْرٍ وَدُنْيَا قَدْ تُوَزِعُهَا الكِلَاب
كِــلَابٌ لَوْ سَأَلْتَهُم تُـــــرَابًا لَقَالُوا:عِندَنَا اِنْقَطَع التُّرَابُ
يُعَاقَبُ مَن أَسَاءَ القَوْلَ فِيهِم وَاَن يُحْسِنَ فَلَيْسَ لَهُ ثَوَابُ

توجه الشاعر في هذه المقطوعة إلى رسم صورة ساخرة لأهل عصره، حيث شبههم بالكلاب للنيل منهم والطعن في أخلاقهم،ونعتهم بالبخل الشديد،لأنهم لا يقدمون حتى الشيء البسيط والموجود (التراب) ، وهذا لصلابتهم وغلهم حتى لو ملكوا ذلك الشيء فهم يبخلون به،كما كشف لنا أنهم يقومون بعقاب من تكلم عنهم بالسوء ، حتى نعتوا بهذه الأشياء السيئة الموجودة فيهم فإنهم يغضبون ويعاقبون هذا المتحدث،فهم لا يتقبلون النقد،كما أنهم لا يولون أي أهمية لمن أثنى عليهم، أو أحسن إليهم فلا يلقى منهم أي شكر أو تقدير، وهذا لتعودهم على البخل، والجحود في كل الأشياء حتى البسيطة منها، فالسخرية جعلت الهجاء أكثر قدرة على تقبيح أفعال البخلاء.

وغيرها من النماذج الشعرية التي تعكس تجلي موضوع البخل في الشعر الهجائي، فنتج عن هذا التجلي هجاء ساخريلفت النظر إلى البخل ويحدد سلبياته، ويعمد إلى التحقير والاستخفاف، والازدراء، والضحك مكونا بذلك صورة استهجانية بهدف النقد والتقويم. خاصة أن ظاهرة البخل من الصفات الأكثر رواجا وانتشار في المجتمع الأندلسيلذا اتخذها الشعراء كمادة ثرية لإبداعاتهم، وقد تعددت أساليبهم في ذلك فمنهم من استخدمطريقة لطيفة يدعو بها إلىالإصلاحوالتهذيب، والدعوةإلى الحد منها، والبعض الأخر استخدم الأسلوب الحاد اللاذع بغرض الهجاء والحط من قيمة المهجو/ البخيل بسبب غيظه من هؤلاء البخلاء.

[1] ابن عبد ربه، الديوان، ص25 .

2.2-الخيانة:تعدالخيانةمنالسلوكاتالسلبية المنبوذة في المجتمع؛لأنها تمثل نقضا للعهد الذي بين الأفراد، وهي نقيضة للأمانة لذا اتخذها جمهور الشعراء كموضوع محوريلإبداعاتهمالأدبية والفنية، وسعوا من خلالها إلى السخرية من المتصفين بها وإذلالهم والاستهزاء بهم. فنجد في هذا السياق **أبا حيان الغرناطي** يسخر من أهل عصره ويتهمهم بالخيانة والفسوق حيث يقول:[1]**(الو افر)**

حَلَبتُ الدَّهْر أَشْطَرَه زَمَانًا وَأَغنَانِي العَيَان عَن السُّؤَالِ

فَمَا أَبْصَرْتَ مِن خَلّ وَفِيّ وَلَا أَلْفَيْت مَشْكُورَ الخَلَالِ

ذِئَاب فِي ثِيَاب قَدْ تَبَدَّت لِـرَائِهَا بِأَشْكَالِ الرِّجَالِ

وَمَن يكُ يَدَّعِي مِنْهُم صَلَاحًا فَزِنْدِيق تَغَلْغَلَ فِي الضَّلَالِ

تُرَى الجّهَال تَتْبَعُه وَتَرْضَى مُشَارَكَة بِأَهْلِ أَوْ بْمَالِ

فَيَنْهَبُ مَالهُمْ وَيُصِيبُ مِنْهُم نِسَاءهُمْ بْمَقْبُوحِ الفَّعَالِ

وَيَأْخُذُ حَالَه زُورًا فَيَرْمِي عَمَامَتُهُ وَيَهْرِبُ فِي الرِّمَالِ

وَيَجرُّونَ التُّيُوسَ وَرَاءَ رِجسِ تَقرمَط فِي العَقِيدَةِ وَالمقَالِ

تعكس هذه الأبيات هجاء ساخرا ومريرا يصف أحوال المجتمع؛ إذ قدم الشاعر صورة سلبية عن أهل عصره وبين شعوره بالخذلان من تصرفاتهم، حيث رماهم بشتى الصفات القاسية، وقد افتتح أبياته بصورة بيانية :"حلبت الدهر " كناية على خبرته الطويلة وتجاربه في رؤيته للحياة ما جعله يستغني عن سؤال الناس عنها، وذلك لغياب الوفاء والأخلاق في أصدقائهالذين يتخفون وراء ثياب الصدق والصلاح، ولكنهم ذئاب شرسة، وهذا ما يدل على نفاقهموخداعهم، ولعل الشاعر يزيد من حدة سخريته باستخدام لغة قوية بنبرة هجائية حادة تنتقد أفعالهم وتظهر باطنهم الذي يتخفون وراءه، فحتى الذي يدعي الصدق فهو زنديق فاسق وضال، فهنا كأن الشاعر عمل مفارقة بين ظاهر هؤلاء الخلان وباطنهم السيئ، ويستمر الشاعر في سخريته المقذعة حينما تحدث عن الجهلة الذين يتبعهم الناس وينقادون لأفعالهم بمشاركتهم الأموالوالأهل، فينهبون أموالهم ويستحيون نسائهم، لذا عمد هنا إلى تصوير الانحراف والفساد الأخلاقي الذي آل إليه مجتمعه، من خلال فضح أفعالهم البذيئة وأخلاقهم السيئة، فقد عاب عليهم إتباع هؤلاء الجهلة (التيوس) المنبوذين الذين يتظاهرون بالعقيدة، والدين، ويحتمون تحت ظله ونقدهم نقدا لاذعا، وبذلك فقد استطاع الشاعر من خلال مقطوعته تصوير أهل عصره بصورة ممقوتة تحمل كل صفات الذل والمهانة والخداع، بلغة صاخبة ومعاني قاسية وألفاظ حادة (ذئاب ، الرجس ، تيوس ، زنديق ...) ما يجعلالمسخورمنه رمزا للانحطاط والدونية والاستهزاء، وبذلك فاستحضار السخرية في هجائه ساعده على تضخيم العيوب إلى حد الهزل وجعل المتلقي يدينها بقوة، وهذا ما ضاعف من شدة الهجاء.

[1] أحمد بن محمد المقري، نفحالطيب ، ج2 ، ص 324/323.

وقد هم الشعراء بهجاء حتى الملوك والأمراء، واتهموهم بالخيانة ووصفهم بالذل، وهذا ما يدل على احتقارهم لهم ولأفعالهم، ومن بين الشعراء نجد **السميسر** فقد هجا بعض الملوك والأمراءواتهـــمهم بهذه الصفة القبيحة؛ إذ يقول :[1]**(مخلع البسيط)**

خُنتُم فَهُنتُم وَكَم أُهِنْتُم زَمَانُ كُنتُم بِلَا عُيُونٍ

فَأَنتُم تَحْتَ كُلِ تَحت وَ أَنتُم دُونَ كُلّ دُونٍ

سَكَنْتُم يَا رِيَاح عَادٍ وَكُل رِيحٍ إِلَى سكُونٍ

استحضر الشاعر السخرية في هجائه فرسم صورة فكاهية سوداء وساخرة للملوك والأمراء ،حيث أهانهم واحتقرهم،ووجه لهم نقدا لاذعا من خلال اتهامه لهم بالخيانة والغدر، ويظهر ذلك جليا في قوله " خنتم فهنتم " وهذا يعني أن خيانتهم قادتهم وآلت بهم إلى موضع الذل والمهانة في مجتمعهم،ونجد الشاعر يجسد صورة السخرية في أبياته من خلال استخدام لغته وأسلوبهمن المعجم اللغوي الساخر الذي يحمل ألفاظ السب والشتم، ومعاني الإهانة والاحتقار؛ وهذا لتصوير واقع هؤلاء الملوك،وإبراز المكانة المنحطة والمنحدرة التي آلواإليها من خلال قوله "فأنتم تحت كل تحت، وأنتم دون كل دون " فهنا نبرة ساخرة تعكس المستوى الدنيء،والنقص الذي يعيشه هؤلاء الناس، أما في قوله "سكنتم يا رياح عاد " هنا استحضر الشاعر قبيلة " عاد" التي عرفت بالقوة والعظمة،فكأن الشاعر هنا يُذكر هؤلاء الملوك بزمن قوتهم التي فقدوها،والضعف الذي أصبحوا فيه كرياح عاد التي سكنت وضعفت قوتها، فهنا إشارة واضحة إلىانهيار هذه القبيلة بسبب أفعالها، وقد أسقطها الشاعر على الملوك بأن عاقبة خيانتهم ورياءهم وقوتهم سيكون إلى الضعف والهوان والانحطاط لا محالة، وأن مجدهم سيزول بسبب أفعالهم الذميمة، وهذا ما جعل هجاءه أكثر دقة وإقناعا، وصورته أكثر سخرية وإثارة، وهذا ما جعل هجاءه الساخر يتسم بالفكاهة السوداء التي تجعل المتلقي يضحك من غفلة هؤلاء.كما هجاالسميسر أيضا الولاة الخائنين بقوله:[2] (الطويل)

وليتم فَمَا أحَسَنتُم منذ وَلَيْتُم وَلَا صُنتُم عَمَّن يَصُونَكُم غَرضًا

وَكُنتُم سَمَاءً لَا يَنَال مَنَالهَا فَصِرتُم لَدَى من لَا يُسَائِلُكُمأَرضًا

سَتَسترَجِعُ الأَيَّام مَا اقْرَضتُكُم إِلَّاأَنَّهَا سَتُرجِعُ الدِّين وَالقَرْضَا

تحمل هذه الأبيات نبرة من العتاب الممزوج بخيبة الأمل من الولاة الخائنين، وقد اعتمد في هجائه على السخرية فحول ذمه إلى سخط ونقد لاذع، إذ ابتدأ الشاعر كلامه بإظهار مدى سخطه عليهم ونقده لهم، لأنهم منذ أن تولوا الحكم لم يحسنوا فيه وهذا دليل على سوء تصرفهم ، كما أنهم لم يصونوا ويحترموا من صانهم فالشاعر هنا قدم سخريته في طابع من العتاب الحزين ، ويعبر الشاعر بألفاظ قوية الدلالة حينما أنزلهم من مكانتهم العالية إلى مكانة دنيئة ، في قوله "كنتم سماء لا ينال منالها" أي كنتم في كنزلة رفيعة لا يطولها أحد وصرتم في مكانة الذل والهوان وبذلك فالشاعر لم يكتف بالذم بل تجاوز إلى استخدام المفارقة، والنبرة التهكمية ليكشف حالهم، ويكمل

[1] المصدر نفسه، ج4 ،ص 108.

[2] المقري، نفحالطيب،ج4 ، ص108.

قوله بأن الأيام ستُرجع كل ما أخذتم وسينقلب الزمان عليكم، والسخرية تتجلى هنا في مطالبة القدر هؤلاء الولاة بإرجاع ما أخذوا مع الفوائد، وهذه عاقبة سوداء ومريرة، فالزمن يسترجع كل شيء (الدين والقرض).

وغيرها من النماذج الشعرية التي تعكس تجلي موضوع الخيانة في الشعر الهجائي، فنتج عن هذا التجلي هجاء ساخرا يلفت النظر إلى هذه الصفة الذميمة المستهجنة في المجتمعات،ومكونا بذلك صورة ساخرة استطاع من خلالها الشعراء تحويل الهجاء من الذم إلى نقد لاذع جعل المهجو في مكانة دنيا وكشف كل تناقضاته، وكل هذا يقود المتلقي إلى نوع من التحقير والاستخفاف، والازدراء، والضحك من المهجو/الخائن.

3.2-الفساد: يعد الفساد من الظواهر المنبوذة التي تهدد استقرار المجتمعات؛ إذ لا يمكننا اعتباره مجرد ظاهرة عابرة ، بل هو انعكاس لاختلال منظومات الحكم وضعف الضوابط، ولقد نهى الإسلام عن هذه الصفة لقوله تعالى :﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ (سورة البقرة ، الآية 30)،إذ نجده يحول السلطة من وسيلة لخدمة المصالح العامة إلى أداة لتكريس المصالح الخاصة؛ وما يضاعف خطورته أنه يعطل كل جهد إصلاحي، ومن هنا تبرز الحاجة الماسة إلى تناول الفساد نقديا بوصفه نتاجا لبنى مشوهة في السياسة والاقتصاد والاجتماع .ومن بين الشعراء الأندلسيين الذين رفضوا الفساد، واعتبروه سلوكا ذميما «**أبو بكر يحي بن سهل اليكي**"الذي عرف بجرأته في الهجاء، فقد كان لاذع النقد؛لذا شبه بابن الرومي في هذا الغرض؛ إذ نجده يهجو أحد القضاة لفساد رأيه، واستعجاله في قضاء أمور رعيته؛ إذ يقول :[1] (السريع)

أَعِد الوُضُوءَ إِذَا نَطَقتَ بِه مُتَذَكِّرًا مِن قَبلِ أَن تَنسَى

وَأحفَظ ثِيَابَك إن مَرَرْتَ بِه فَالظّل مِنهُ يَنجِس الشَّمسَا

يذهب الشاعر في مقطوعته إلى تصوير هذا القاضي تصويرا يستدعي السخرية والتهكم من طباعه السيئة وفساد رأيه وسوء أخلاقه، وحتى النطق باسمه يُذهب الوضوء ويبطله، فهو نجس يجب الابتعاد عنه باعتباره رمزا للنجاسة والقذارة؛لأنه تميز باستعجاله في قضاء الأمور بسبب قلة عقله وسوء تدبيره، أما في قوله "**وأحفظ ثيابك إن مررت به** " فكأنه يحذر الناس من ملامسة ثيابهم له حتى لا تتأثر بنجاسته، وخبثه الداخلي وفساده حتى أن ظله ينجس الشمس وهي رمز النور والصفاء، فهذه السخرية تزيدا عمقا وقوة للهجاء،ومن هنا فالشاعر بالغ في رسم صوّره المعنوية لهذا القاضي حتى يزيد من قوة احتقاره وإذلاله، كما أبدع في تركيب هجائه من خلال توظيف الصور المجازية واللغة القوية، والعبارات الحادة والقاسية، ولعل استخدامه للمبالغة في التصوير جسدت مدى استيائه من هذا القاضي الفاسد، كما قدمت صورة سوداء عنه ليزيد من الاستخفاف والاحتقار والانتقاص من قيمته.كما أن الفساد لم يتوقف عند شخصيات معينة في الدولة، بل انتشر بخاصة في دول الطوائف في قضاياهم الشخصية والعامة بسبب ظلمهم وخللهم الإداري حيث نجد "**أبا عامر الاصيلي**"يقول :[2](الوافر)

أَرَى الأوْغَاد يَعْتَمِرُونَ دُورًا وَمَالِي فِي بِلَاد الله دَار

[1] ابن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حُلى المغرب ،ج2 ،ص267 .

[2] ابن بسام ،الذخيرة ، ج2 ، ص860 .

إِذَا رَكبُوا المذَاكِي وَالمطَايَا فَرُكُوبِي عَلَى شَرِفِي حِمَار

أَجُول فَلَا أَرَى إِلَّا رَعَاعًا كِبَارهُم إِذَا اِختَبَرُوا صِغَار

أَبَاجة لَا وَقَاك الله شَرًا فَأهلُك أَهل مَفسَدَة شرَار

تحمل هذه المقطوعة نوعا من السخرية الصريحة، والهجاء اللاذع لدول الطوائف بسبب حكمهم الفاسد والظالم مما جعل أبا عامر يعبر عن استيائه من هذا الوضع ومن هؤلاء الأشخاص الذين يتقلدون مناصب السلطة ويسيطرون على الأوضاع، دون أن يكونوا أهلا لذلك وهذا لفساد أخلاقهم، فكأن الشاعر يقدم هنا نقدا اجتماعيا قاسيا، أما في قوله " مالي في بلاد الله دار" فكأنه ينكر وجوده وانتماءه لأي بلاد فهو يشعر بالغربة وعدم الاستقرار والراحة ، لهؤلاء الحكام الفاسدين لحكمهم عكس ما يجب أن يكونوا عليه، ويستمر في مهاجمته حينما وجه حديثه إلى أهل المال والجاه من الأغنياء الذين يمتلكون الخيول ، وهذا ما يعبر عن مكانتهم النبيلة، وقوتهم الشديدة أما مركبه هو فيكون على ظهر حمار ،فهنا كأنه يقيم مفارقة عظيمة تدل على تباين الوضع الاجتماعي،وهذا ما يدل على الحالة النفسية اليائسة والمحبطة للشاعر أمام الواقع غير العادل، ولقد استخدم الشاعر عدة عبارات قوية وألفاظ قاسية وهذا ما جسد سمة السخريةوالاستهزاء،والاحتقار للحكام والاشمئزاز من أفعالهم حيث وصفهم بألفاظ " الرعاع، الأوغاد، أهل مفسدة ...". أما في البيت الأخير فالشاعر يدعو بالهلاك والأذى للحكام؛ لأنهم أهل مفسدة وشر، ويتمنى لهم الزوال والفناء حتى ينقطع هذا الفساد والظلم من هذا المجتمع، وعليه فالشاعر نقدهم نقدا جارحا؛ لأنهم غير مؤهلين للحكم والسلطة، لصغر عقولهم وقلة حكمتهم، ولقد زاد من قيمة احتقاره وسخريته منهم حينما نعتهم بأبشع الصفات.كما لاحظ الشعراء أن ظاهرة الفساد لم تعد خاصة، بل انتشرت بين أهل الأندلس، وهذا ما جعل "**أبا بكر المخزومي**"يهجوهم بقوله:[1] (الوافر)

أَلَا لَا تَركُنَّ إِلى فُلَان فَتَسرِي مِنهَ فِي لَيلِ السَّلِيمِ

لَئِيم لَيسَ يَنفَعُ فِيه لُؤم يَرُوم وَرَاثَة العِرق اللَّئِيمِ

إِذَا جَرَّبتَهُيَومًا تَرَاه مَضَاع الجَار مَمطُول الغَرِيمِ

وَإِن كَشَفتَهُ لَاقَيتَ مِنهُ مصُون المَال مَبذُول الحَرِيمِ

تشير هذه المقطوعة إلى هجاءٍ قوي تجلى عبر سخرية حادة من طرف الشاعر، إذ وصف أفراد مجتمعه باللؤم والفساد بطريقة تهكمية، ولقد افتتح أبياته بالتحذير منهم ومن الاعتماد عليهم؛ لأن من يركن إليهم أو يعتمد عليهم فسينتقل وسيسرى لؤمهم إليه، ويستمر الشاعر في إرسال طعنات السخرية إليهم حينما يصف اللئيم بأنه قد بلغ الدرجة القصوى في هذه الصفة، فلا ينفع فيه لؤم، فكأن هذه الصفة متجذرة فيه ووراثة في عرقه ونسبه، فالذي يجربه أو يختبره يرى ما فيه من أخلاق فاسدة ومماطلة في الدين؛ لأنه لا يعطى الناس حقوقهم (ممطول الغريم) أما في البيت الأخير فيشير إلى أنه عند كشف حقيقة هذا اللئيم يظهر بخله وإقتاره في المال وعدم صيانة حرمه وشرفه

[1] ابن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حُلى المغرب ، ج1 ، ص231 .

فكأنه جمع كل الصفات السيئة والمنبوذة . ومن هنا فالشاعر استطاع أن ينقل من خلال أبياته صورة هجائية ساخرة، تقوم على تصوير اللئيم بكل صفات القبح، حتى ينفر منه الناس ويجعله ذليلا ومنبوذا بين الآخرين.

كما نجد السخرية الإثنية حاضرة عند شعراء الأندلس؛ إذ نجد **الحسن بن الجد** يهجو فردا يهوديا، ابن النغريلةاليهودي الذي جعله صاحب غرناطة كاتبا له، فقام بالتحريض على الهجاء والتسلط على أهلها،واستغلالأموالالدولة،والسيطرةعليها،مماأثار غضبهم من ظاهرة الفساد التي سادت، فانشد الحسن هذه الأبيات: [1](الوافر)

تَحَكّمَت اليَهُود عَلَى الفرُوجِ وَتَاهَت بِالبِغَالِ وَبِالسّرُوجِ

وَقَامَت دَولَة الأَنذَالِ فِينَا وَصَار الحُكم فِيهَا للعُلوجِ

فَقُل لِلأعوَرِ الدَّجَالِ هَذَا زَمَانُك إِن عَزَمتَ عَلَى الخُرُوجِ

يسخر الشاعر في هذه الأبيات من الحكام الفاسدين،وبخاصة اليهود ،كما ندد بأفعالهم المنحرفة، وسياستهم الخبيثة ، حيث افتتح أبياتهبالإشارةإلى الهيبة والقوة التي امتلكها اليهود في سياستهم وحكمهم، مما يدل على نفوذهم وسيطرتهم وخاصة باستخدامه لعبارة "الفروج " كناية عن التحكم في الأمور الحساسة في المجتمع، حيث سيطر هؤلاء اليهود عليها، واحتلوا مكانة لا يستحقونها، وهذا ما أدىإلى الانهيار والضعف لذا أعطى الشاعر صورة شعرية قوية أضفت على أبياته طابعا ساخرا جعل القارئ يذهب بمخيلته إلى تصور هذه الحالة من الفوضى والاضطراب والتشويش الذي ساد هذا الحكم ويظهر ذلك في قوله " وتاهت بالبغال وبالسروج " فهنا دليل على أن هذه السلطة منحرفة وغير عادلة، ومما زاد من قوة تعبيره هو استخدامه للفظة " الأنذال " للاستهزاء وتحقير هؤلاء الحكام، ووضعهم في مكانة منحطة ودنيئة وإذلالهم، وذلكلفساد حكمهم، فهم حكام جائرون ظالمون،وغرباء حكموا،وهذا ما تشير إليه كلمة "العلوج " ؛ أي أن هؤلاء اليهود لا يحملون أي هوية،وإنما هم غرباء حاولوا تقلد مناصب الحكم وهم يمثلون عنصر الشر والطغيان،وهذا من خلال توظيف الشاعر لكلمة " الأعور الدجال " و هو رمز للخداع والفساد، وهذا يعكس سخرية مريرة وسوداء من حالة الدولة التي وصل فيها الفساد إلى الذروة، وعليه فالشاعر قد صبغ هجاءه بسخرية مريرة تعكس يأسه من تغير الأوضاع، وهذا ما تجلى من خلال دعوته الساخرة للدجال بالخروج فهذا هو الوقت المناسب.

ووقف أيضا**أبو إسحاقالألبيري** موقفا معاديا من ابن النغريلة، إذ نقده نقدا لاذعا وحرض أهل غرناطة على قتله بسبب فساده واستغلاله للسلطة؛ حيث يقول:[2](المتقارب)

أَلَا قُل لِصَنهَاجَة أَجمَعِين بدُور النَّدَى وَأَسَد العَرِين

لَقَد زَلَّ سَيِّدُكم زَلَّــة تَقرَبَهَا أَعيُن الشَّامِتِين

تَحَيّزكَاتِبه كَـــــافِرًا وَلَو شَاءَ كَانَ مِن المسلِمِين

[1] الهجاء في الشعر العربي الأندلسي، نافع عبد الله، كلية الآداب، ط1، جامعة بيروت،1984،ص100.

[2] الالبيري، الديوان، تح محمد رضوان الداية، ط1 ص 108.

فَعَزّ اليَهُود بِه وَ انتَخُوا وَتَاهُوا وَكَانُوا مِن الأَرذَلِين

وَنَالُوا مَنَاهُم وَجَازُوا المدَى فَحَانَ الهَلَاك وَمَا يَشعُرُون

فَكَم مُسلِم فَاضِل قَانَت لِأَرذَل قِرد مِن المُشرِكِين

وَمَا كَانَ ذَلِك مِن سَعِيهِم وَلَكِّن مِنا يَقُوم المَعِين

يسخر "الالبيري" من هذا الفاسد اليهودي، حيث وجه له نقدا لاذعا بمعاني عميقة، وقد افتتح أبياته بالنداء لأهل صنهاجة ليبين لهم مدى أهمية الرسالة الموجهة إليهم، كما أقر أن سيدهم قد وقع في خطأ عظيم وارتكب هفوة في اختياره مما جعله محط سخرية وضعف من طرف الشامتين والحاسدين الذين ينتظرون سقوطه من أعدائه، ولأن أهل الطوائف هذه الفترة عُرفوا بضعف سلطتهم ودينهم، مما جعلهم يقعون في الأخطاء والزلات في حكمهم، ولعل اختار سيدهم لكاتب فاسد وكافر من دين أخرجعله موضع نقد وسخرية من هذا القرار غير الصائب ،وهذا ما يرمي إلى قلة ذكائه في تسيير أمور وشؤون دولته، حيث أنه لو اختار من المسلمين لكان أفضلوأكثرمنطقا،لكن باختياره هذا عبر عن مدى قلة وعيه بقيم ومبادئ المجتمع الذي هو فيه، ومن هنا فالشاعريسلط الضوء بطريقة ساخرة على قلة وعي وذكاء سيد صنهاجة في اختياره، وكيفية تسيير شؤون دولته مما جعله موضع استهزاء وسخرية من قبل الشامتين، فهو لا يمتلك العقلانية في التسيير وارتكب خطأ عظيما، "وهذا ما دفع بالشاعر إلى ذمه بأسلوب سلس وبألفاظ عميقة أعطت للنص طابعا هزليا مميزا من خلال نقده الصريح والمباشر وحتى يتمكن أفراد المجتمع من رؤية عيوب سيدهم لأن هدف الشعر الهجائي الشاعر هو كشف العيوب والدعوة إلى التقويم والإصلاح، وغيرها من الأشعار التي هجا فيها الألبيري اليهود، ودعا إلى ضرورة التخلص منهم؛ إذ أقر في أكثر من موضع أن قتل هؤلاء اليهود لا يُعد ظلما ولا غدرا وإنما الغدر الحقيقي هو تركهم يزدادون في الفساد والعبث بالآخرين والاستلاء على أموالهم، وهذا ما يدل على فساد حكمهم . ولقد برع الشاعر في استخدامه للمعجم اللغوي الساخر بهدف فضح المسخورمنه والتقليل من شأنه.

أما الشاعر "**خلف بن فرج الألبيري**"(السميسر) فقد ركز في هجائه على المفسدين من الملوك، والمتقاعسين في أعمالهموالسفهاء، فقد وجه لهم عدة انتقادات لانشغالهم بملذاتهم،وإهمالهم لشؤون الناس وعدم الدفاع عن أرضهم، لذا فقد ألف كتابا في هذا السياق عنونه بـ"**شفاء الأمراض في أخذ الأغراض « فنجده** يهجو حاكم غرناطة عبد الله بن بلقين قائلا :[1](مخلع البسيط)

صَاحِب غَرنَاطَة سَفِيه وَاعلَم النَّاس بِالأُمُورِ

وَشَادَ بُنيَانُه خِلَافًا لِطَـــاعَةِ الله وَالأَمِيرِ

يَبْنِي عَلَى نَفسِهِ سفَاهًا كَأَنَّه دُودَة الحَرِيرِ

وظف الشاعر في هذه الأبيات النقد الساخر المشحون بوخزات التهكم والإذلال للملك عبد الله بن بلقين وذلك لانشغاله ببناء مملكته دون الاهتمام بشؤون رعيته، والنظر في احتياجاتهم ، رغم الهجومات التي تعرضت لها

[1] الهجاء في الأدب الأندلسي، فوزي عيسى،ص49 .

الأندلس من الدول الشمالية آنذاك ، لذا عمد السميسر إلى هجائه هجاء ساما يحمل من المعاني السلبية ما توحي بجهله ، وضعفه من خلال استخدامه للفظة " سفاها "وتعني الجهل والحمق، فهنا الشاعر يصف حال الملك الذي أساءإلى ذاته وكينونته، حيث شبهه بدودة الحرير التي تنسج خيوطها على نفسها ممايؤدي بها إلى الموت،كذلك هذا الملك يبنى قصره على نفسه وهو سبب هلاكه، ولعل ما زاد أسلوب الشاعر قوة ورصانة هو استخدامه للصور البيانية، ولقد وظف لفظة "يبني " وتعني يشيد وهي دلالة على الزيادة والخير والنفع إلا أنه وظفها في غير معناها الحقيقي وهو السلب والنهب فكأن هذا الملك يسعى إلى تخريب ذاته بنفسه "يبني على نفسه " وأن هذا البناء يؤول به إلى الهلاك والموت، لذا استطاع الشاعر من خلال أبياتهأن ينقل صورة هذا الملك بكل سخرية وتهكم من خلال عمق أفكاره، وقوة تراكيبه التي تجعل القارئ يشعر بمدى قدرته على نقل هذه الصورة الساخرة. وبخاصة أن هذا الشاعر يعد من أبرز شعراء الأندلسالذين برعوا في فن الهجاء،فقد تجاوز فيه رغباته الشخصية ومصالحه الذاتية، وسعى إلى نقل أحاسيس واحتياجات الناس عامة فقد صور مشاعر الغضب والسخط الذي يختلجهم إزاء الملوك الظالمين، والحكام الفاسدين الخائنين، لذا عُد هجاؤه أقرب إلى الخلود؛ إذ يقول عنه **ابن بسام:** " كان باقعة عصره، وأعجوبة دهره، له طبع حسن، وتصرف مستحسن في مقطوعات الأبيات، وخاصة إذا هجا وقدح ...وله مذهب استفرغ فيه مجهود شعره من القدح في أهل عصره ".[1]وبذلك فهو كثير الهجاء، حسن الطباع ما جعله يفوق شعراء عصره في هذا الفن المميز الساخر والقدح...ويتبنى**إحسان عباس**رأي ابن بسام في قوة شعر الهجاء عند السميسر فيقول : " إن مقطعات السميسر في الهجاء تشبه أن تكون نوعا مما يسمى في اللاتينية " الابجرام " **Epigram** اللاذع المستدير سواء أقصد بها الهجاء العام أو التعبير عن نظرة فلسفية "[2]، وهذا يعني أن الشاعر تميز بمقطوعات شعرية قصيرة ذات أسلوب هجائي لاذع ، وهي تشبه إلى حد ما يسمى في الأدب اللاتيني بالابجرام وهو لون من الشعر أو النثر القصير يقوم على الهجاء الساخر واللاذع، ويحمل كل معاني القوة والعمق ،سواء أكان قصدها الأول الهجاء المباشر العام للإفراد أو أن يحمل بعدا فلسفيا عميقا يستدعي التأمل والنظر فيه،وحتى الطبقة المثقفة لم تسلم من الذم والتهكم بسبب فساد بعضها؛ إذ نجد الشاعر**محمد بن جبير** يهجو الفلاسفة بوصفهم طائفة مفسدة فيالأرض، ويظهر ذلك في قوله :[3]

قَد نَبَتَ الغَي فِي العِبَادِ طَائِفَة الكَونِ وَالفَسَاد

يَلعَنُهَا الله حَيثُ كَانَت فَإِنَّهَا آفَة العِبَــادِ

يَعتَقِدُونَ الأَمر دُورًا وَالنَّاس كَالزَّرع وَالحَصَادِ

تتناول هذه الأبيات نقدا حادً وصريحا للفلاسفة بسبب فسادهم في المجتمع، حيث يؤكد أن هذه الطائفة سبب زيادة الظلال والانحراف بين الناس حتى عم الكون كله ، وذلك في قوله " نبت الغي " أي أن الفساد كالزرع الذي ينبت ، ويذهب الشاعر في سخريته إلى استخدام التعابير الدينية حيث يقر بأن هذه الفئة يلعنها الله تعالى ويطردها من رحمته حيثما حلت، وهذا دليل على أنها مرض أو بلاء يصيب العباد ، وكأن هؤلاء الفلاسفة مصدر هذا البلاء

[1] ابن بسام،الذخيرة، ق1، مج 1، ص 882.

[2] إحسان عباس، تاريخ الادب الاندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط2، عمان الأردن، 1997، ص 104.

[3] المقري، نفحالطيب، ج 3، ص611.

وهاته النقمة التي أصابت المجتمع ، ويوظف الشاعر الصور الشعرية القوية في قوله " والناس كالزرع والحصاد " هنا استعارة تدل على أن هذه الطائفة في حكمهم لا يرون الناس بمنظور بشري وإنما هم كالزرع الذي يحصدونه دورا. ومن هنا نقول أنالشاعر يحمل نظرة تشاؤمية في نكرانه لهاته الفئة الفاسدة، وما تحمله من ظلال وانحراف، وهذه الصورة الساخرة تحط من مرتبة الفلاسفة.

ولم يقتصر الفساد على الملوك والأشخاص فحسب بل تعدى إلى الزمان وفي ذلك نجد الشاعر **علي بن عبد الرحمن البلنوي الصقلي** وهو يعيب زمانه الذي يرفع من شأن الجاهلين حيث يقول:[1]

زَمَانُنَا مُتَقَلِّبٌ فَاسِـــــد يَرفَعُ أَهل الجَهل وَالعَجَب

كَالنَّقش فِي الخَاتَم لَا يَستَوِي خَتـــم بِه إِلَّا مَعَ القَلبِ

لقد أتت السخرية في هذه الأبيات بصورة شاحبة باهتة وغير مبهجة ،لأنهاتعبر عن واقع مؤلم ،فقد سلط الشاعر الضوء على زمنه الفاسد والقاسيحيث قدم سخرية مريرة تفتقر إلى عنصر الإضحاك؛لأنها في الأساس جاءت لنقد هذا الزمن الفاسد، والتعبير عن تقلبه، وقد وصفه الشاعر بطريقة سيئة حيث يشير إلى أنه أعطى مكانة رفيعة وحظ عظيم للجهلة والمغرورين بدلا من الذين يستحقونها ، وهم أهل العلم والحكمة،وقد شبه ذلك بالنقش على الخاتم الذي لا يؤدي أي معنى أو وظيفةإلا مع القلب فهنا رسم صورة فنية غرضها إذلال هؤلاء الجهلة والسخرية منهم وعيبه للزمان بطريقة حادة ولاذعة لأنه يسير عكس طبيعته. ويسخر **أبو محمد بن سارة** من حال الدنيا ويصور جهل الناس الذين أعطوها قيمة عظيمة؛ حيث يقول :[2]

بَنَو الدُّنيَا بِجَهلٍ عَظَّمُوهَا فَعَزَّت عِندَهُم وهِي الحَقِيرَة

يهاوشبَعضَهم بَعضًا عَلَيهَا مُهَاوشَة الكِلَاب عَلَى العَقِيرَة

استطاع الشاعر أن يظهر جهل الناس في تعظيمهم للدنيا وكيف تعلقوا بهابطريقة فكاهية ساخرة ، وبلغة بسيطة وسهلة تتضح تلقائيا دون تصنع، رغم أن قيمتها عكس ذلك فهي فانية زائلة، حيث شبههم بالكلاب التي تتصارع على المقابر، وبخاصة أن الكلاب في المخيال العربي توحي بالدونية والازدراء،وهذا للحط من قيمة الإنسان، وجعل سعيه للدنيا مضحكا، فالدنيا كالمقابر، فهذه الأخيرة لا تحتوي إلا على بقايا وجيف، وهذا يوحي بالسعي العبثي من أجل شيء لا قيمه له، وربما المقابر هنا رمزللفناء، وهذا ما يدل أن هذه الدنيا لا طائل منها وأن مصيرها الزوال، فحضور السخرية تجعل الهجاء أكثر عمومية، فهو لا يوجه إلى شخص معين، بل يهاجم هذا السلوك بوصفه ظاهرة اجتماعية لا تتعلق بفرد معين .

وغيرها من النماذج الشعرية التي تعكس استفادة الهجاء من هذا العيب وحولته إلى أداة للذم المقذع اللاذع بواسطة أسلوب التهكم والفكاهة السوداء والمبالغة، فنتج عن ذلك هجاء ساخر،يعمل على النقد اللاذع الذي يثير الضحك المرير، بهدف لفت النظر إلى هذه الصفة الذميمة المستهجنة في المجتمع، وبذلك استطاع الشعراء عن

[1] المصدر نفسه، ج2، ص490.

[2] أحمد بن محمد المقري، نفحالطيب ، ج2، ص490.

طريق السخرية تحويل الهجاء إلى نقد لاذع يقلل من منزلة المهجو،ويكشف عيوبه وكل تناقضاته بطريقة متميزة ومؤثرة، وكل هذا يقود المتلقي إلى نوع من التحقير والاستخفاف، والازدراء، والضحك من المهجو/الفاسد.

4.2-الكذب: يُعد الكذب سمة سيئة تصيب الفرد سواء أكان ذلك في أخلاقه أو في معاملاته، بسبب ما أصاب الحياة من طغيان المصالح الذاتية والفردية على المصالح الاجتماعية، وهذا ما جعل الفرد يسعى إلى التخفي وراء كذبه حتى يتمكن من قضاء مصالحه وشؤونه، ولهذا عده الشعراء نقصا وعيبا يصيب الفرد، فعمدوا بدورهم إلى محاربة هذه الصفة السلبية، وذلك بهجاء أصحابهاهجاءلاذعا،وفي هذا السياق نجد "**محمد بن الحسين الطبـــني"** يهجو أحد الأفراد الذي أظهر له صدقه، ولكنه يخفي باطنه الكاذب؛حيثيقول :[1]

وَوَغد إنأَرَدتَ لَهُ عِقَابًا عَفَـا عَن ذَنبِـــه حَسبِي وَدِينِي
يُؤَنِّبُنِي بِغَيبَة مُستَطِيل وَيَلقَانِي بِصفحَة مُســـتَكِين
وَلَولَا الحلم أَن لَه لِجَامًا لدَاس الفَحل بَطن اِبن اللَّبُون

افتتح الشاعر لوحته الشعرية بلفظة "وغد"؛ إذ توحي أن هذا الشخص لئيم، وبالتالي فهو يسخر منه ويبين حقارته فهو يظهر الصدق، والأمانة والاحترام لهأما باطنه فقد طغى عليه طابع الشر، والغيبة والنميمة، لذا فقد سما وترفع عن عقاب هذا اللئيم بسبب وازعه الديني وأخلاقه الفاضلة؛إذ يقول :" **عفا عن ذنبه حسبي وديني"**، فهنا كناية عن حسن طباعه وأخلاقه،وعفوه عند المقدرة، وتمالكه لنفسه في رد الأذية، ويستمر الشاعر في استخدامه للسخرية بلغة راقية المعاني، جزلة الألفاظ، مضمرة الأبعاد ،حينما وصف غيبة هذا الوغد بأنه يهجوه ويؤذيه، وينعته بكل أنواع الكلام الطويل (المستطيل) ولكنه يُظهر الاستكانة عند لقائه، وهذا دليل على التناقض الداخلي وسوء الخلق ما جعل الشاعر يفضح أكاذيبه. أما في قوله " **لداس الفحل بطن ابن اللبون**" فهنا الشاعر يعكس ضعف هذا اللئيم لذا شبهه بالجمل الصغير(ابن اللبون) الذي لا يقوى على تحمل أي شيء، وبالتالي لا يقدر على مواجهته فهو رفع من شأن نفسه وشبهها بالفحل القوي فهنا يرسم مفارقة في المنزلة والمكانة بينه وبين هذا اللئيم. وعليه فالشاعر عمد إلى فضح أفعال هذا الكذاب بطريقة هزلية ذات ألفاظ بسيطة، ومعاني عميقة تحيلنا إلى السخرية المضمرة، حيث حط من مكانة المسخور منه وإنقاص قدرته وذم صفاته بغية تحقيره وإهانته، وبالتالي فالسخرية التي تم توظيفها ليست للفكاهة فقط، بل عززت من البعد الهجائي، وجعلت نقد الشاعر نقدا مقذعا، وبغية التنبيه إلى هذه الصفة الذميمة وتقويم السلوك.

أما **أبو بكر محمد بن سهل اليكي**فقد ذم صفة الكذب والفسق والفحش وهجا أحد القضاة وقدمه في صورة قبيحة وساخرة تحمل ألفاظ جريئة وقبيحة؛ حيث يقول (الطويل) :[2]

ثَمَانِ خِصَال فِي الوَزِيرِوَعُرسِه وَثْنَتَانِ وَالتَّحقِيقِ بِالمرءِ أَلِيق
(...)وتَزْنِي فعلَهَا مْثل فِعلَهُ فَان لَاط يَومًا فَهِي لَاشَكَّ تَسحَق

[1]أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، تح محمد بن تاويتالطنجي ، مكتب نشر الثقافة الاسلامية ، ط1، القاهرة ،1952 ، ص 47.

[2]ابى بحر صفوان بن ادريس التجيبيالمرسي ،زادالمسافر وغرة محيا الادب السافر ،ص122 .

وَيَكذِب أَحيَانًا وَيَحلِف حَانثًا وَيَكفر تَقلِيدًا وَيزنِي وَيَسرِق

وَعَاشرة وَالذّنْبِ فِيهَا لِأُمّهِ إِذَا ذَكَرتَ لَمْ يَبْقَ لْلشَّكِ مَنطِق

لقد جسد الشاعر في هذه الأبيات صورة شعرية ساخرة، تحمل دلالات نفسية قوية ما جعل الخصم في وضعية ازدراء، إذ استخدم المعجم اللغوي الساخر واللغة الشعرية المتينة ذات المعاني العميقة والألفاظ الجريئة، وهذا في وصفه للقاضي، وقد نفى عنه صفة القضاء؛إذلاتتوفر فيه السمات اللازمة، والأخلاق الحميدة لذا نعته بكل الصفات الدنيئة والسيئة التي تحط من قيمته وشأنه في المجتمع، فوصفه بالكاذب، والحانث اليمينوالأحمق الزاني ....، فالشاعر هنا تمكن بطريقة بارعة من رسم صورة هزلية للقاضي، تنكره وتحط من منزلته عند قومه، فالسخرية حولت نقاط ضعف المهجو إلى مادة للتهكم والضحك المرير، لفضحه وإنزال مكانته.

ويذهب **عبادة** في صفة الكذب مذهب الساخرين، يقول في ذلك:[1]

مَذ كُنت لَا تَنفَك تُخبِر عَن حَدِيث لَمْ يَكُنْ.

فَكَأَنَّمَا غُديتَ طِفْلاً بِالكَذَّابِ مَعَ اللَّبنْ

سخر الشاعر في أبياته من الفرد الكذاب، وبذلك كشف عيب المهجو؛ إذ نعته بصفة الكذب وقام بمهاجمته قائلا " مذ كنت لاتنفك " أي منذ نشأتك وأنت لا تتوقف عن هذا الفعل المشين (الكذب)وقول الأحاديث الباطلة والمغلوطة التي تجعلك منبوذا بين الناس، وهذا دلالة على ترسخ هذا الفعل في طبعه وتكوّن مع شخصيته فقد تغذى به مع اللبن منذ أن كان طفلا، ولعل ما يمكن ملاحظته في هذه الأبياتأن الشاعر استخدم السخرية البسيطة كأداة في هجائه المباشر ولغته كانت سلسة واضحة، ولكنها مؤلمة المعاني، عميقة الدلالة ، ما أدى إلى فضح المسخور منه بطريقة بارعة، وتبيان مدى خطورة هذه السمة التي تأصلت فيه منذ الطفولة، وبالتالي فالسخرية حققت غاية الهجاء وهي الحط من قيمة كل كذاب أشر.وقد عمد **يحيى الغزال**إلى السخرية من القضاة الذين اشتهروا بهذه الصفات وإبراز عيوبهم، حيث يقول:[2]

رِجَال إِذَا صَبُّوا عَلَيك شَهَادَة حَكَت فِيكَ وَقع المرهِفَات القَوَاطِعِ

أَقُول لَدَيكِ إِذَ رَأَيتُ وُجُوهَهُم تعزَّ فَقَد جَاءَتكَ إِحدَى الفَجَائِعِ

رَثَى وَاستَهَلت عِندَ ذَاكَ دُمُوعُه وَقَال: كَثِيرًا مَـا أَفَاضُوا مَدَامِعِي !!

وغيرها من النماذج الشعرية التي تعكس تجلي صفة الكذب بوصفها ظاهرة اجتماعية منتشرة، معتمدا على السخرية من هذه الصفة الذميمة المستهجنة في المجتمعات، فنتج هجاء ساخرا، وعليه فالسخرية مكنت الشعراء من تحويل الهجاء من الذم إلى نقد لاذع جعل المهجو في مكانة دنيا وكشف كل تناقضاته، وكل هذا يقود المتلقي إلى نوع من التحقير والاستخفاف، والاشمئزاز من المهجو/الكذاب.

[1] محمد بن الكتاني، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ،ص 259.

[2] يحي بن حكم الغزال،الديوان، ص 73.

5.2- الحمق والجنون والجهل:تجلت هذه الصفات الذميمة في شعر الأندلسيين؛ إذ نجد الحمقمن الصفات المنبوذة عند العرب، وقد ارتبط منذ القدم بالجنون لذا صعب التمييز بينهما لاشتراكهما في الصفات والخصائص نفسها، لذا عمد الشعراء إلى السخرية منها؛ لأنها تخالف ما هو متعارف عليه في المجتمع، ولقد اهتم العرب القدامى وبخاصة الشعراء والمفكرين بهذا الموضوع حيث ألفوا فيه عديد الكتب أشهرها : **عقلاء المجانين للنيسابوري، أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي** ...وهذا دليل على أن هذه الظاهرة سائدة منذ الأزل، ويذهب **الجاحظ** إلى تعريف الأحمق فيقول: " هو الذي يتكلم بالصواب الجيد ثم يجيء بخطأ فاحش "[1].

ولايقتصر الحمق على الأشخاص العاديين فحسب، بل قد نجده حتى عند الفقهاء والخطباء والأئمة ....كما يمكن أن تتعدد أنواعه؛ لذا من غير السهل أن يحيط المرء بجميع جوانبه تحديدا وتعريفا، فقد قيل **لإبراهيم النظام** وهو ذو علم ومعرفة : " ما حد الحمق " فأجاب قائلا :" سألتني عما ليس له حد "[2]، فكأنه هنا رغم علمه ومكانته إلا أنه لم يستطع تقديم جواب دقيق، وشاف لهذه الظاهرة، واعتبر تعريفه ضربا من المستحيل، وربما هذا ما جعله فنا من فنون العبث بحكم طبيعته اللامتناهية؛ أيأن معانيه لا تنتهي، وفي ذلك نجد **خلف الأحمر**يقول :" سألت أعرابيا عن الهلباجة فقال : هو الأحمق الفدم الأكول ، الذي ... الذي ... الذي ... ،ثم جعل يلقاني بعد ذلك فيزيدني في التفسير كل مرة شيئا ، ثم قال لي بعد حين وأورد الخروج : هو الذي جمع كل شر "[3]، ويقصد هنا أن الحمق لا يمكن ضبطه في معالمه وماهيته ولا يمكن حصر حدوده لتشعب معانيه وتنوع أفكارهفالأعرابي هنا لولا اضطراره للخروج، وشعوره الملح له لأغدق من التعريفات السابقة الكثيرة لذا فقد أحالهإلى مفهوم أخر يتعسر الإحاطة به وهو مفهوم الشر فكأن الأعرابي زاد لخلف تشعبا وتعسيرا لمفهوم الحمق حينما ربطه بالشر .

ومن الصعب كذلك تحديد مفهوم الجنون لتباين مستوياته ومظاهره بسببأن هذه اللفظة مجردة؛إذيمكن القول بأن الجنون:" كل ما كان غير عادي أو مألوف، ذلك أنالأمر الملاحظ يوصف بالجنون كلما تجاوز الحدود المعتادة بالعلو خاصة "[4] فالجنون هو كل شيء خرج عمّا ألفه الناس سواء أكان ذلك في السلوكات والتصرفات أو حتى الأفعال، فتكون بطريقة غريبة تتجاوز الحد الطبيعي الذي يجب أن تكون عليه.

ونجد كذلك المتقدمين يرون أنالجنون هو " عدم الالتزام بنسق محدد يضمن للأفعال الصادرة شيئا من التناسق سواء كانت تلك الأعمال ملموسة أو مجردة "[5]، ولعل ما نفهمه من هذا القول أن ظاهرة الجنون هي عدم الخضوع والانقياد لأي نظام أو نسق أو منطق، فبذلك تؤدي إلى عدم تناسق الأفعال، وافتقارها إلى المعايير المحددة التي يجب أن يكون عليها السلوك السليم للفرد سواء أكانت في تصرفاته الجسدية أو حتى النفسية والعقلية (المجردة).

كما ارتبط الحمق والجنون بالجهل والغباوة والبلاهة وسلب كل الصفات والسمات الحسنة للفرد وفي ذلك ذهب أبو هلال العسكري قائلا :" أبلغ الهجاء ما كان بسلب الصفات المستحسنة التي تخص النفس من الحلم

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين،تح : عبد السلام هارون، دار الجيل، دط ،بيروت،لبنان، ج1 ،1996، ص 249.

[2] ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين،شرحه: عبد الامير مهنا، دار الفكر اللبناني، ط1 ،1990، ص26 .

[3] ابن منظور، لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير واخرون ،دار المعارف، القاهرة ،دط، 1300هـ /1882 م ، ص4683 .(مادة هلبج)

[4] أحمد خصحوصي، الحمق والجنون في التراث العربي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت ،1413هـ/1993، ص 44

[5] المرجع نفسه، ص 44

والعقل وما يجري مجرى ذلك، وليس الهجاء بقبح الوجه وضؤولة الجسم وقصر القامة ...؛ وينبغي أيضا أن يتضمن الهجاء والمديح من نعوت المهجو والممدوح وأسمائهما وصفاتها ما هما مشهوران به "[1]ويقصد هنا أن من أجمل الهجاء وأعمقه وأكثره تأثيرا في المتلقي هو ذلك الذي يسلب الفرد مزاياه وفضائله، وسماته النبيلة.وهذا ما فعله الشاعر **لسان الدين بن الخطيب** وهو يهجو أبا الفتح حيث نعته بالجهل والغباوة، كما استخدم ألفاظ السب والشتم التي كانت شائعة في البيئة الأندلسية وهذا لإذلال الخصم، وضمان شيوع أبياته وتداولها على الألسنة، حيث يقول :[2] (المنسرح)

يَا مُفرِط الجَـهل وَالغَبَاوَة لَا يَحسِب إِلَّا مِن جُملَة البَقَر
يَا نَاقِصَ الدِّين وَالمُرُوءَة وَالعَقـ ـلِ وَمَجرَي اللِّسَانِ بِالهَدر
يَا بَغل طَاحُونَـة يَدُورُ بِهَـا مُجتَهِد السَّـير مُغمَض البَـصَر

تحمل هذه المقطوعة انتقادً قويا وسخرية لاذعة، حيث جمع الشاعر كل الصفات السلبية والسمات المنبوذة في هذا الشخص، بسبب جهله وغبائه ونقص دينه، لذا صنفه من جملة البقر ، كما عاب نقص عقله من خلال ما يظهر في مجرى لسانه بالهدر، أيأن كلامه كله دون مغزى أو فائدة فهو مجرد تفاهات، ويكمل الشاعر في السب والشتم بطابع ساخر وقوي من خلال تعزيز كلامه بصورة مجازية أعطتدافعا للضحك والاستهزاء منه حيث شبهه بالبغل الذي يقوم بتحريك الطاحونة ، فالبغل يحمل عدة دلالات منها البلادة والعقم؛ لأنه من الحيوانات الهجينة التي تنتج عن التزاوج بين الحمار والحصان، وقد أسقطه الشاعر على خصمه لزيادة سخريته وللدلالةعلى عدم إنتاجيته، وأن كل عمله دون فائدة رغم الجهد الذي يبذله دون علم بما يفعله ويؤكد ذلك قوله " مجتهد السير مغمض البصر ". لذا فقد استطاع الشاعر أن يرسم لنا صورة ساخرة وقبيحة لأبي الفتح ذات طابع هزلي بوصف حالته المزرية بجميع الأوصاف البذيئة، فقد استخدم المعجم النقدي الساخر (الجهل، الغباوة، نقص الدين والعقل، البغل ...) وهذا ما زاد أبياته قوة في النقد وتأثيرا في السامع.

ومما يروى من أخبار **عبد الله بن الشّمر** أن قاضيا اسمه يخامر كانت فيه غفلة حيثقال ابن الحارث:"وحدثني الأمير ولي العهد الحكم بن الناصر لدين الله – وقد جرى ذكر يخامر وما وصف من بلههوغفلته – قال :" ألقى عبد الله بن الشّمِر الشاعر يوما بين سِحاءات يُخامر بن عثمان التي كان ينادي بها الخصوم للتقدمإليه سِحاءة مكتوبا عليها " يونس بن متى " و "المسيح بن مريم " ، وخرجت السحاءة إلى يده ،فأمر أن يُدْعى له بها ،فهتفالهاتف : يونس بن متى ، والمسيح بن مريم ! واتصل الهاتف بخارج المجلس، ولا مجيب، إلىأن صاح ابن الشمر : إن نزولهما من أشراط الساعة ؟ .. ثم تناول سحاءة فكتب فيها:[3](الطويل)

يَخَامر مَا تَنفَكّ تَأتِي بِفَضحَةٍ دَعَوت اِبنَ مَتّى وَالمسِيحَ بَن مَرْيَما

---

[1]أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، عن نسخة الامامين العظيمين الشيخ محمد عبدو، والشيخ محمد محمود الشنقيطي، عالم الكتب، ج1، 1352 هـ،ص202 .

[2]أحمد بن محمد المقري، نفحالطيب، ج141،5.

[3]ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الاندلس، تح وقدم له وعلق عليه محمود علي مكي ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية لجنة احياء التراث الاسلامي،القاهرة، 1415هـ/1994م ، ص201.

فَثَوّب فِينَا ثمَّ نَادَاك صَائِح:فَإِنَّهُمَا لما عَلَى الأَرضِ يُعَلمَا

قِفَاك قِفَا جَحشَ وَوَجهُك مُظلِم وَعَقلك مَا يَسوَى مِن البَعرِ دِرهَمَا

فَلَا عشت مَودُوداً وَلَا رُحتَ سَالِمًا وَلَا مُتَ مَفْقُودًا وَلَا مُت مُسلِمًا

اعتمد الشاعر السخرية اللاذعة والألفاظ القاسية في ذممهجوه، حيث وصفه بصفات سلبية وناقصة، بأنه دائما ما يجلب الفضائح والمصائب لنفسه، مما يجعله موضع ضحك وتهكم وسخرية من الآخرين؛ حيث لجأ الشاعر إلى الاستدعاء الديني وذلك بذكره ليونسبن متى، والمسيح عيسى ابن مريم، ليكشف جهله، وهذا ما زاد هجاءه بعدا ساخر لاعتماده المبالغة في تصوير هذه الفضائح والعيوب التي لا يمكن تحملها وتصورها، كما استخدم الصور الشعرية حيث شبه قفا يخامر بقفا الجحش وهذا للتقليل من شأنه، وإضفاء طابع التهكم على مقطوعته ، كما وصف وجهه بالظلام وإظهار مدى احتقاره له واستهزائه بشكله ،ويستمر في بعث وخزات السخرية في قوله " **وعقلك لا يسوى من البعر درهما** " فكأن عقله لا يساوي شيئا؛أي بدون قيمة ولا أهمية وهذا ما أعطى للسخرية بعدا جارحا وجريئا ، يزيد من إذلال الشخص ويضعه في مكانة دونية في مجتمعه، لذا فقد عمد الشاعر إلى استخدام العبارات القاسية والهزلية ليرسم للمسخور منه صورة كاريكاتورية مضحكة تجعله بلا قيمة ولا مكانة أمامالآخرين، فحضور السخرية جعلت هجاءه أشد إيلاما وانتقادا، وبالتالي فالسخرية فضحت هذا الصفة أمام المتلقي، والهجاء فوصفه وصفا فضح عيبه، وجسده في مظهر مضحك بغية إبراز هذا العيب الخُلقي بشكل أعمق.

كما هجاه **يحي بن الحكم الغزال** ووصفه بالجهل والبلادة والبلاهة حيث استطاع أن يضعه في صورة ساخرة ومضحكة في قوله :[1]**(المجتث)**

لَقَد سَمِعت عَجبًا مِن أَبدَاتِ يُخَامر
قَرَأ عَلَيه غُلَام "طَه" وسُورَة"غَافر"
فَقَال: مَن قَال هَذَا؟ هَذَا لَعَمرِي شَاعِر
أَرَدت صَفع قفَاه فَخِفت صوْلَة جَائِر
أَتَيتُ يَومًا بِتَيْسٍ مُسْتَعبِراًمُتَحَاسر
فَقُلتُ: قُومُوا اِذبَحُوه فَقَال: إِنِي يُخَامر

نعاين من هذه الأبيات أن الشاعر لم يكتف بالهجاء الصريح بل اعتمد على موضوع السخرية مما جعل هجاءه لاذعا؛ وبخاصة أنه صير العيوب مادة للتهكم؛ حيث استهل الشاعر بنوع من التعجب من صفات القاضي يخامر حينما أسمعه الغلام سورة طه وغافر ،فأجزم أنه من تأليف شاعر، وهذا دليل قاطع على جهله وبلاهته، فرغم مكانته ومنصبه إلا أن عقله لا يساوي شيء، وعليه فآلية المفارقة كشفت منزلة هذا القاضي والعلم الذي يملكه مما جعل السخرية تبلغ ذروتها، ويستمر الشاعر في استهزائه من يخامر وسخطه عليه حتى أراد أن يصفع قفاه لكنه خشي من الحاكم الجائر، وقد أسقط الشاعر صورة التيس على هذا القاضي لزيادة الذل والمهانة عليه،وإخراجه من صورته الآدمية وإنزاله لمرتبة الحيوان الفاقد للعقل، والجاهل للأمور، فهنا تصوير كاريكاتوري

[1] المصدر نفسه، ص 201 .

ساخر شديد التهكم للقاضي ، وقد اختتم أبياته بنوع من الاستهزاء منه حتى يزيد من قوة تصويره ، ومن هنا استطاع الشاعر أن يصور لنا مشهدا هزليا يحمل العديد من المفارقات الساخرة للقاضي يخامر ومدى جهله وغبائه مما يجعله غير مؤهل لهذا المنصب، وعليه فالسخرية كشفت حقيقة هذا الشخصية، وعليه فالهجاء اتكأ على السخرية وتمكن من توجيه نقد لاذع للخصم وذلك للحط من منزلته، وهذا ما يفقده الاحترام من طرف الآخر.

ونجد أيضا**حفصة بنت حمدون** من الشاعرات اللاتي تميزن بنبرتهن الساخرة والفكاهية وبلغتهن الرصينة وبراعتهن في الشعر؛ إذ نجدها تسخر من عبيدها وتنعتهم بالجهل والبلاهة قائلة :

يَا رَبِّ إِنِّي مِنْ عبيدعلى جمر الغضا[1]مَا فِيهُمُ مِنْ نَجِيبْ.

إِمَّا جَهُولٌ أَبْلَهٌ مُتْعِبٌ أَوْ فَطِـــنٌ مِنْ كَيْدِهِ لَا يجيبُ

استعانت الشاعرة بالسخرية لتضفي عمقا ومرارة على الموقف الذي تعرضت له، وبخاصة أن الهجاء في هذه الأبيات ليس سوى ذما مباشرا، لذا فالسخرية صبغت الموقف بالتهكم واليأس من جماعة العبيد؛ إذ شبههم (بالغضا) وهو نوع من الشجر الذي يعرف جمره بشدة الاحتراق ، فتصف ألمها منهم، كما وصفتهم بالبلاهة والجهل، لأنهم أفراد يصعب التعامل معهم بسبب غبائهم، كما صنفتهم إلى صنفين منهم الفطن الذكي، ولكنه ماكر كائد، ومنهم الأبله المتعب، فالاستعانة بالسخرية حط من قيمة المهجوين، وكشفت عيوبهم (الجهل، البلاهة، الكيد)بأسلوب لاذع، وبذلك فالهجاء عكس الذم، أما السخرية أضافت التهكم والمرارة .ولقد رسم**السميسر** صورة ساخرة ومنحطة في نقده للشعراء؛ إذ وصفهم بالجهل والحمق والغرور رغم شاعريتهم وحكمتهم قائلا :[2] (السريع)

أَنَا أحِب الشِّـعْر لَكِنَنِّي أَبْغَضُ أَهْلَ الشِّعْرَبِالفِطرَهْ
فَلَسْت تَلقَى رَجلًا شَاعِرًا إِلَّا وَفِيـــــهِ خِـلَة نَكِـرهْ
إِن لَمْ يَكُنْ كَـفَـر تَكُن أَفَّة تُلَازم الظَّـــــهر أَوالسَرهْ
وَالعَجَب واَلنُوك إِلَى الجَهْلِ فِي أَكثَـــرهم إِلَّا مَعَالنُّدرَهْ

يتجلى لنا من هذه الأبيات نقدا للشعراء، ولكن الشاعر لم يكتف بذلك، بل استعان بالسخرية وهذا ما جعل هجاءه لاذعا بهدف الحط من منزلة الشعراء؛ إذ استهل أبياته بالمفارقة التي تجلت في حبه الكبير للشعر وبغضه له في الوقت نفسه، وهذا لب السخرية فهو يعكس التناقض بين الشعر ومن ينظمونه، وقد عمم حكمه على كل الشعراء إذ أقرأن كل شاعر يملك صفات منبوذة وسيئة، كما عاب عليهم نقص الدين والإيمانوإنهم غير منزهون، فهم كذلك يتسمون بعيوب لا تفارقهم كالعجب (الغرور)،والنوك (=الحمق) فهذه الصفات الذميمة تؤدي بهم إلى الجهل والحماقة وتحط من منزلتهم وقيمتهم الأخلاقية،إلا أنه استثنى فئة من الشعراء الذين تميزوا بالبراعة والحكمة في قوله " في أكثرهم إلا مع الندرة ".وبذلك فالسخرية فضحت عيوبهم، وزادت من حدة الهجاء الذي عمل على دك حصونهم وكشف فسادهم وسخفهم عبر نغمة تهكمية، وهذا ما أسهم في تحويل الهجاء إلى هجاء ساخر لاذع.

---

[1] الغضا :هو شجر خشبه من أصلب الخشب ، وجمره يبقى زمانا طويلا لا ينطفئ .(علي بن هادية ، بلحسن البليش ،القاموس الجديد للطلاب معجم عربي مدرسي ألفبائي ،تقديم : محمود المسعدي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط7، 1991م، الجزائر، 731.

[2] ابن بسام ، الذخيرة ج1،ص 893.

كما نجد أيضا الشاعر **المخزومي** يهجو أهل الأندلس بهجاءمقذعوينعتهم بالجهل والضلالة وعدم الشبع؛ إذ يقول: [1](الكامل)

أَلحَق أَبلَج لَيْسَ أَنْتَ وَحَقّ مِنْ أَحْيَا بِكَ الأَجْلَاف مِمَنْ يُفْلَح

لَا تَهتَدِي بِفَضِـــيلَةٍ لَا تَرْعَوِي بِمَلَامَةٍ لَا أَنْتَ مِمَنْ تَصْلح

يَزْدَادُ عَقْلكَ مَا كَبرتَ تَنَاقَصَا وَتَلِج فِي صممٍإِذَا مَا تَنْصَح

أَكلٌ وَسِلَح كُل حِينَ لَا تُرَى لِسِوَاهُمَا مَا دَامَت حَيًا تَطْمَح

أَسخنت عَيْن المَجْدِ يَا اِبنَ عُمَيْرَة وَلَقَـد تَقرعُيُونـه لَوْ تُذْبَح

يستحضر الشاعر هذه العيوب في هجائه ليكون أشد تأثيرا؛ إذ اعتمد على المبالغة والمفارقة، وهذا ما مكنه من توجيه سهامه الساخرة صوب أهلالأندلس؛ إذ يهجو جهلهم وغباءهم، وقلة علمهم، حيث أشارإلىأن الحق واضح كالشمس في الأفق، ولكنالمهجو لا يمثله هو وأمثاله من الأجلافأي الجاهلين الناقصين علما ودينا،وهذه سخرية من المهجو، كما يقدم الشاعر مفارقة ساخرة في وصفه لابن عميرة بأنه كلما زاد عمره نقص عقله ومال إلى الغباء والجهل، حتى أن كل من أدلى له بالنصيحة صمت أذناه ، فحياته دون هدف أو غاية يطمح إليها ويستخدم الشاعر النداء في البيت الأخير "يا ابن عميرة " وهذا لتحقير هذا الشخص وإذلالهوإنزال قيمته، حيث يقول بأن عين المجد تدمع حزنا منه ومن جهله وأن الفرح لا يتحقق إلا بهلاكه، وهذه مبالغة ساخرة تمثل الإهانة القصوى، ومن هنا استطاعالمخزومي أن ينقل لنا صورة حية بعبارات دقيقة الهجاء لاذعة المعاني، مزروعة بروح السخرية المريرة لهؤلاء الجهلة والأغبياء لتحقيرهم وإنزال مكانتهم.ويسخر **ابن خفاجة** من أحد الأشخاص ويهجوهم على غبائهم وجهلهم؛ إذ يقول:[2]

دَعْ عَنْكَ لَوْمَ قَوْمٍ لَسْتَ تُخْبِرُهُم إِلَّا تَكْشف سِتْرالغَيْب عَن عَيْبِ

عوج عَلَى الدَّهْرِهَوَجٌ غَيْرَأَنهم سُود مِنَ الجَهْلِ بَيْضَان مِنَ الشَّيْبِ

ترسم هذه الأبيات صورة ساخرة، وتقدم نقدا لاذعا لبعض الأشخاص نظرا لجهلهم وعدم معرفتهم، حيث أمر بعدم لوم هؤلاء القوم لعدم معرفة حقيقتهم؛ لأن كثرة اللوم تحول إلى الكشف عن عيوب سترها وأخفاها الغيب، فكأن الشاعر يقدم هنا نصيحة، كما اعتبر أن هؤلاء الجهلة عوج على الدهررغم كبر سنهم وتقدم عمرهم (بيضان من الشيب) إلاأننا نجدهم يفتقرون إلى العلم والحكمة، فهم سود من الجهل، دلالة على الضلالة التي هم فيها فهنا الشاعر يوظف مفارقة ساخرة بين الأعمار المتقدمة لهؤلاء الناس وبين مستواهم الفكري المتدني؛ حيث لا يملكون علما ولا فكرا. لذا نجد أن هذه المقطوعة تميزت بهجاء ساخر؛ إذ نجد الشاعر ينبه الخصم إلى عيوبه.

[1] ابن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حُلى المغرب ، ج1، ص229.

[2] ابن خفاجة،الديوان، ص 77.

ولم يسلم حتى الوزراء من النعت بالجهل؛ إذ نجد **المنصور بن أبي عامر** زعيم الدولة العامرية أجاب المصحفيبعد أن طلب رحمته بأبيات لعبد الملك الجزيري؛ إذوصفه بالجهل والزلل وعدم إقامة شؤون دولته؛ بأبيات لعبد الملك الجزيري إذ يقول: [1](البسيط)

الآنَ يَا جَـاهِلاً زَلَّت بِـكَ القَدَمُتَبـتَغِي التَكَرُّم لَمّا فاتَكَ الكَرَمُ

أَغـرَيـتَ بي مَلكـتاً لَولاتَثَبُّتُـهُما جـازَلي عِندَهُ نُطق وَلا كِلَمُ

فإيأَس مِنَ العَيشِ إذ قَد صِرتَ في طَبَقٍ إنَّ الملوكَ إذا ما إستُنقِموا نَقَموا

نَفسي إذا جَمَحَت لَيسَت بِراجِعَةٍوَلَو تَشَفَّع فيكَ العُربُ وَالعَجَمُ

افتتح الشاعر أبياته باحتقار الوزير وهجائهبشكل صريح ومباشر (يا جاهلا)بأن القدم قد زلت به ونزلت مكانته بسبب جهله، وهو لم يكتف بالذم فقط بل صير أفعاله إلى عيوب بغية التهكم والازدراء؛ إذ يسخر منه بأنه يريد التكرم والترفع بعد أن فاته ذلك لأنه لم يسبق له الكرم،ويحذر الوزير بأن لا يشعر بالراحة الكبيرة مهما ارتقى أو ارتفعت منزلته (صار في طبق)؛ لأنه سيسقط وسيلقى حسابه، ويؤكد موقفه من هذا الوزير أنه إذا غضبت نفسه من شخص فلن يرضى عنه حتى لو شفع له جميع الناس من عرب ومن عجم وهذا يضفي بعدا تهكميا على الموقف ويوحي بسقوط المهجو مهما فعل، وبذلك فالهجاء استفاد من السخرية، وحول الذم إلى عيوب حطت من منزلة المهجو وجعلته سقوطه حتمية لا مفر منها، وربما الشاعر هنا يحذر المهجو والآخرين من محاولة الإيقاع به، مهما كانت مكانة هذا الآخر.

ولقد **هجا أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم** ابن عمــه الإمام الفقيه ابن حــزم هجاءً صريحا؛حيث اتهمه بالجهل قائلا:[2]

نَعَقْتَ وَلَمْ تَدْرِكَيْفَ الجَوَاب وَأَخْطَأْتَ حَتَّى أَتَاكَ الصَّوَاب

وَأَجْرَيْتَ وَحْدَكَ فِي حَلبَة نَأت عَنْكَ فِيهَا الجِيَاد العرَاب

وَبت مِنَ الجَهْلِمُسْتَنْبِحًا لِغَيْـرِي قرى فَأَتَتكَ الذِّئَاب

تعكس هذه الأبيات هجاء قويا للإمام الفقيه بسبب جهله، واستفاد من موضوع السخرية ليجعله أكثر إيلاما وشدة، حيث صوره بصور تهكمية بارعة ، إذ جعل لفظة النعيق وهي صوت الغراب أو البوم دلالة على أن كلامه دون مضمون فهي تبعث على الزلل والجهل ، حتى جاءه الصواب من غيره ، ويستمر الشاعر في هجائه حين وصف تسرعه في دخول حلبة المنافسة (ميدان الفكر والمعرفة)، لكن سرعان ابتعدت عنه الجياد العراب، أي أهل العلموالمعرفة ذوو العقل والفهم، لعدم قدرته على المنافسة ، وهذا ما دفع به إلى أن يبقى وحيدا مستنبحا لغيري قرى، فهنا الشاعر بلغ ذروة السخرية؛ إذ جعله كلبا ينبح في ليل يطلب القرى حتى أتته الذئاب؛ أي أن جهله هو سبب هلاكه،وهذا ما زاد من ذل ومهانة الخصم وحط من مكانته،وعليه فالشاعر قد استخدم صورا شعرية قوية ومبطنة جعلت القارئ يتخيل الذل الذي فيه هذا الجاهل، كما وظف اللغة القوية الساخرة والمعجم الهجائي الحاد (نعقت ، مستنبحا ....)وهذا ما جعل هجاءه أكثر إيلامًا وتأثيرًا؛ إذ استطاع أن يرسم صورة سلبية عن المهجو في ذهن القارئ.

[1] المقري، نفحالطيب، ج1، ص 384.

[2] ابن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حُلى المغرب، ج1، ص 357.

ويذهب **عبد الرحمن بن وليد بن غانم في** هجائه لأحدالأشخاصمن جهله وعدم معرفة أحكام الفقه وأسرار اللغة، يدعى "عبيد الله بن يحي الليثي" الذي كان من كبار جلساء الأندلس حتى أنه لقب بالشيخ،سُئل مرة عن النعامة ففسرها بطير الماء فقال فيه ساخرا :[1]

ذَهَبَ الزَّمَان بِصَفوَةِ العُلَمَاء وَبَقِيت فِي ظُلمٍ وَفِي عَميَاء

وَ أَتَى طغَـام رُقِع مِنْ بَعْدِهِـم لَا فَرْقَ بَيْنَهُم وَبَيْن الشَّـاء

فَإِذَا سَأَلْتَ عَن النّعَام أَسَدَهم عِلمًـا، يُفَسِّرهُ بِطِير المَاء

لعل المتمعن في هذه الأبيات يكتشف مدى استفادة الهجاء من آليات السخرية، فالشاعر من خلال نظمه بين التدهور العلمي بأسلوب مقذع ولاذع ومستندا في الوقت نفسه إلى المبالغة والمفارقة الساخرة التي تجلت من خلال المقارنة بين الماضي والحاضر (ذهب الزمان/وبقيت=الحاضر)؛ أي ذهب أهل العلم وبقي أهل الجهل، حيث استهزأ به الشاعر عندما سئل في أحد المجالس عن " النعام" ففسرها بأنها "طير الماء"،وهذا ما دفع به إلى السخرية منه بطريقة تهكمية، وهذا ما دعم الهجاء وجعله لاذعا مقذعا حط من مكانته وكشف حقيقته، وأظهر بلاهته وضعف علمه.

وغيرها من النماذج الشعرية التي تعكس تجلي صفتي الجهل والحمق بوصفهما ظواهر اجتماعية متفشية، مستندة إلى السخرية التي جعلت هذه الصفات الذميمة في صورة سوداء ومستهجنة في المجتمعات، فنتج عن هذا هجاء ساخر، وعليه فالسخرية عززت من قوة الهجاء وحولته من الذم إلى النقد اللاذع الذي يصغر المهجو ويبرز فشله ويضعه في منزلة وضيعة، وكل هذا يقود المتلقي إلى نوع من التحقير والاستخفاف، والاشمئزاز من المهجو/الجاهل، كما يحث الجاهل على تقويم نفسه وتحسين حاله.

6.2-الغرور: استهجن المجتمع الأندلسي هذه الصفة الذميمة؛ لأنها تجعل صاحبها منبوذا لكبريائه وحبه المفرط لذاته وهذا ما يخلق نوعا من الحقد والكراهية للآخرين. إذ نجد**لسان الدين بن الخطيب** قد وجّه هجاء قاسيا لأبي الفتح حتى أن الأذن لا تطيق سماعه؛ إذ اتهمه بالغرور، مبينا أن هذا الســـلوك سيهلكه لا محالة، إذ يقول في قصيدة مطلعها:[2]**(المنسرح)**

كُنْ مِنْ صُروفِ الرّدى على حَذَرِلا يَقْبَلُ الدّهْرُعذْرَمعتَذِرِ

ولا تُعـوّلْ فـــيهِ علـى دَعَةٍفأنتَ في قلْعـةٍ وفي سقَـرِ

فكُلُّ رِيّ يفْـــــضي إلى ظمأ وكُلُّ أمْنٍ يدْعو الى غَرَرِ

وكلُّ حيٍّ فالموْتُ غـــــايَتُهُوكلُّ نفْعٍ يُدْني الى ضرَرِ

كمْ شامِخِ الأنْفِ ينْثَني فرَحاًبالَ عليْهِ زمانُهُ وخَري

قُلْ للوَزيرِ البَليدِ قد ركَضَتْفي ربْعِكَ اليوْمَ غارَةُ الغِيَرِ

استند الشاعر في هجائه إلى السخرية بوصفها أسلوبا فعالا ولاذعا في نقد الوزير والواقع السياسي؛ إذ سخر لسان الدين بن الخطيب في هذه المقطوعة من غفلة أبي الفتح فحذره من تقلبات الدهر ونوائبه، التي تؤدي إلى الهلاك، كما بيّن له أن هذا الزمن لا يؤتمن حتى لو بلغت فيه نصيبا من الراحة والأمان، لأنه سينقلب عليه وسيواجه

[1] ابن الآبار، الحلةالسيراء، ج1، ص 164.

[2] أحمد بن محمد المقري، نفحالطيب، ج5، ص146.

مصيره،وهذه سخرية من قلة إدراكه وثقته المزيفة، ويواصل الشاعر في تهكمه الساخر من هذا الوزير بألفاظ قوية حيث وصف مصير المتكبر بالذل والمهانة، لأن هذه الصفة توهم صاحبها بعد الانحناء والسقوط وهذا ما سماه الجاحظ بالغرور الأبله أو الزائف،لأنه يقلب الصفة إلى ضدها، وهذا ما يؤكده الشاعر هنا في أن الغرور سيقلب عليه ويحولهإلى ضد هذه الصفة، وينقله إلى درجه الذل وهذا ما يؤكده قول الشاعر (كم شامخ الأنف .... بال عليهالدهر وخري)، فهذه الملفوظات تحيل إلى سخرية لاذعة ومهينة، وتكشف عن قوة الزمن التي لا ينجو منها حتى المتكبرين وهذا ما عزز الهجاء الذي استطاع تعرية حقيقة السلطة، وتفنن في إذلال الخصم وتصغيره واحتقاره .

كما استخدم الشاعر **إبراهيم بن خلف** صيغة التصغير وهو يهجو أحد الكتاب للحط من شأنه والسخرية منه حيث يقول :[1]

أَعرَضت عَنْهُ فَدَلَّانِي كُويتبه مِنَ الغُرُورِبِحَبل جِدّ مَضعُوف

استند الشاعر إلى السخرية، وهذا ما جعل هجاءه نقدا لاذعا لهذا الشخص المغرور المتكبر، ويسخر الشاعر منه؛ لأنه فضح عيوبه بنفسه (فدلاني كويتبه) وهذا ما جعل هجاءه أكثر فعالية وشدة وإيلاما.

ولعل من المعارضات البارزة في الشعر الأندلسي ما كان بين نزهون بنت القلاعي والأعمى المخزومي ، وبخاصة أن المرأة الأندلسية زاحمت الشعراء في جميع الأغراض؛ لأنها كانت تتمتع بقسط وفير من النفوذ وكانت أكثر تحررا عما كانت عليه في مختلف أصقاع الإمبراطورية الإسلامية، لذا فقد أسهمت بجهدها في كل أنواع الثقافة المنتشرة في تلك الحقبة، وبلغت كثيرا منهن شهرة واسعة لدورهن في مجال العلم ومزاحمة الرجال في قرض الشعر ، ولعل من أهم أسباب نبوغ الشاعرات في الأندلس أن المرأة الأندلسية كان التعليم عندها مألوفا، كما أن بعض الأمراء والأعيان يعينون معلمات لبناتهم لتعلم مختلف العلوم كـ :الفقه وعلوم الدين ...ومنهن مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري،حفصة بنت الحاج الركونية ... .كما انتشرت عدة منتديات أدبية لعديد النساء في الأندلس ولعل ندوة ولادة بنت المستكفي أكبر دليل على النشاط النسائي وتحرر المرأة الأندلسية.[2] وقد هجا الأعمى المخزومي نزهون في قوله:[3](الطويل)

عَلَى وَجْهِ نَزهُون مِنَ الحَسنِ مَسحَة وَإن كَانَ قَد أَمْسَى مِنَ الضَّوْءِ عَارِيًا

اعتمد الشاعر على سخرية لاذعة غير مباشرة في هجائه ليحط من قيمة المهجو؛ إذ افتتح أبياته بالمفارقة فوصف جمال نزهون الطبيعي؛ أي أن وجهها فيه مسحة من الجمال، ولكنه بعد ذلك يصرح أنه يفتقد الضوء والنور وهو بذلك يعكس صورة ساخرة، فهو وصفها بداية بالجمال ولكن بطريقة ذكية نزعه عنها بعد ذلك، فردت عليه برد قاس يحط من قيمته ومكانته ويجعله محط سخرية حيث اتهمته بالغرور في قولها:[4]**(المجتث)**

قُلْ لْلوَضِيعِ مَقَالًا يتْلَى إِلَى حِينِ يَحشر

مِن المدُورأُنشِئَـ ـت وَالخَرَا مِنْهُ أَعطَر

[1] زاد المسافر، ص103.

[2] ينظر : الشعر النسوي الاندلسي، اغراضه وخصائصه الفنية ، سعد بوفلاقة ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية ،1995 ، ص 34،35،36.

[3] المقري، نفحالطيب ، ج1، ص 192 .

[4] المصدر نفسه ، ص 192،193 .

حَيْثُ البَدَاوَة أَمْسَت فِي مَشْيهَا تَتَبَختَر

لِذَاكَ أَمسيت صَبَا بِكُل شَيءٍ مَـدُور

خُلِقت أَعْمَى وَلَكِن تَهِيمُ فِي كُل أَعوَر

جَازيت شِعرًا بِشِعرٍ فَقل لِعمرِي مَن أَشْعَر

إِنْ كُنْتَ فِي الخلْقِ أُنْثَى فَإِنَّ شِعْرِي مُذَّكَر

في هذه الأبيات استخدمت الشاعرة أسلوبا ساخرا ولاذعا في نقدها للمخزومي، حيث وصفته بالوضيع وهذا دلالة على مكانته المنحطة والدنيئة، وأن سيرته المتدنية ستبقى عالقة تتلى إلى يوم القيامة يتداولها الناس، كما أنها وضعت لفظة ساخرة حادة جدا وصلت إلى قمة الإساءة من الخصم منه حين قالت: " والخرا منه أعطر " كما عابت عليه غروره وتباهيه رغم أنه لا يستحق كل هذا الغرور والتكبر ؛ لأنه كان متواضعا وأمسى يتبختر، ولعل قولها " مولعا بكل شيء مدور" فتقصد اهتمامه ببسيط الأمور وترك أهمها وأعمقها، كما عابته بعيبه الخلقي أنه "أعمى" فهنا سخرية قوية من خلال إهانته بأنه رغم أنه أعمى يميل إلى كل أعور ، فهو لا يستطيع رؤية جمالها كاملا لأنه يرى الأشياء الناقصة فقط، كما أنها تتحداه بردها على شعره بشعر أكثر قوة وجودة وبنفس وزنه أي أنها تتفوق عليه بشاعريتها في قولها " فقل لعمري من أشعر" أي من شعره أكثر قوة وجودة فهنا الشاعرة تعبر عن ثقتها بنفسها وبشعرها الذي نعتته بالمذكر في قوته ووقعه في النفوس، وعليه يمكن القول أن الشاعرة كتبت أبياتها بخيط شعوري واحد، وقد دعمتها بالصور الفنية وخاصة الاستعارة في البيت الرابع وهذا ما جعلها تظهر قوة إبداعها في زيادة قيمة سخريتها والحط من قيمة المهجو.وقد رد عليها الشاعر المخزومي بأبيات أكثر سخرية، وهذا ما شكل معارضة حامية بين الشاعر ونزهون؛ إذ يقول :[1] (المتقارب)

أَلَا قُل لنَزهُون مَـالَها تجر مِن التِّيهِ أَذْيَالَهَا

وَلَوْ أَبصَرْت فِيشَه شَمَّرت كَمَا عَوَّدَتني سربَالهَا

قدم المخزومي هنا هجاء صريحا بطريقة ساخرة مقذعة، حيث وصفها بالغرور والكبرياء في قوله " **تجر من التيه أذيالها** " أي تجر ثوبها من الغرور والتعالي وهذا من الصفات الممقوتة والمنبوذة، لكنه عندما يذكر أمامها اسم امرأة أخرى "فيشه " ترتبك وينتهي غرورها أي تنزع ثوب الغرور الذي تعودت عليه (شمرت) فهنا تكمن السخرية في أتم معانيها بوضع نزهون في موضعالهزء والذل والتقليل من قيمتها،فاستعانة الشاعر بالسخرية في هجائه مكنه من إنزال مكانة نزهون، وتشبيه غرورها بالثوب الذي ترتديه وتنزعه وقت ما شاءت.

وغيرها من النماذج الشعرية التي تعكس تجلي هذا العيب الذي فنده الشعراء، واستعانوا بأسلوب المفارقة لفضح المهجو بأسلوب غير مباشر، وهذا ما يخلق صورا سوداء لاذعة تقلل من منزلة المهجو، وتسمه بسمة مضحكة، وهذا هو جوهر عمل السخرية في الهجاء، فيصبح هجاء ساخرا،وبذلك استطاع الشعراء بواسطة

[1] أحمد بن محمد المقري، نفحالطيب ، ج1 ، ص 193.

السخرية تحويل الهجاء من الذم المباشر إلى النقد اللاذع الذي يعمل على التقليل من شأنالخصم، ويكشف عيوبه وكل تناقضاته بطريقة متميزة ومؤثرة، وكل هذا يقود المتلقي إلى الاستخفاف والازدراء والتقليل من قيمة المهجو/المغرور.

7.2-النفاق والرياء:اتخذ شعراء الأندلس صفتي **النفاق والرياء** مادة ثرية لسخرياتهم، لذا فقدحَظِي النفاق بنصيب وافر في شعرهم، ولعل هذا المصطلح لم يكن معروفا في لغة العرب؛ إذ أقر ابن قتيبة أن " النفاق لفظ إسلامي لم تكن العرب قبل الإسلام تعرفه "[1]؛ أي أنه يشير إلى أن هذا المصطلح هو مصطلح إسلامي لم يشتهر عند العرب، ولم يكن موجوداقديما؛ لذا عرف المنافق بأنه ماكر، كثير الحيلة،ويخفي مالا يظهر؛ أي أن باطنه عكس ظاهره، وأن أفعاله مخالفة لأقواله، وفي ذلك يهجو أبو **عامربن عبدوس**أحدالقضاة، فيقول :[2]

لَنَا قَاضٍ لَهُ خُلُق أَقَلّ ذَمِيمَة النَّزق[3]

إِذَا جِئْنَاه يَحجبنَا فَنَلْعَنه وَنَفْتَرق

تشير هذه المقطوعة إلى أن الشاعر يدين هذا القاضي غير العادل،ويسخر من تصرفاته غير المتزنة ، كما نعته بالرياء والتكبر على الآخرين مما يجعلهم ينفرون منه ويلعنونه، كما أشار إلى قبح أخلاقه وسوء معاملته في حكمه التي تقوم على الطيش ؛ لأن القاضي يجب أن يتحلى بالأخلاق الحميدة حتى تخول له حب الناس وارتباطهم به، ولعل هذا القاضي عكس ذلك بسبب حكمه الطائش وفكره الناقص، ومعاملته الذميمة ، أما في قوله " **إذا جئناه يحجبنا** " فهنا يقودنا الشاعر إلى تصور هذا الشخص الذي يتميز بالرياء والتكبر بسبب منصبه ونفوذه وسلطته وهذا ما يجعله يرفض ويمنع أي أحد من الوصول إليه والتحدث معه ، كما يمنع مساعدة كل من احتاج إليه مما جعل الناس ينفرون منه ويلعنونه ويقومون بالافتراق عنه . ومن هنا فهذه الأبيات تحمل هجاء صريحا وسخرية واضحة تكشف أخلاقه الذميمة ونفاقه، فهو يظهر الخير ويخفي الدناءة والسوء، كما وصفه بالرياء والتكبر ما جعل رعيته يدينونه ويرفضونه، وبذلك فالشاعر استفاد من السخرية في هجائه برسم صورة سوداء لهذا القاضي بهدف السخط عليه والتقليل من قيمته.

ونجد كذلك الشاعر **أحمد بن محمد الأبيض** يهجو الفقهاء هجاء لاذع المعاني،صريح الألفاظ، فهم حسب تصوره يلبسون لباس الرياء ويتسترون تحته لانشغالهم بجمع الثروات، ويبتعدون عن الاهتمام بمصالح الناس، كما يستغلون نفوذهم لتحقيق مصالحهم، لذا فقد رماهم بأسوأ الصفات؛ حيث يقول(الكامل):[4]

أَهلَ الرِّيَاء لَبستم نَامُوسكُم كَالذِّئب يَدلجفِي الَّظلَامِ العَاتِم

فَمَلَكتُم الدُّنيَا بِمَذهَب مَالِك وَقَسَّمتُم الأَمْوَال بِابنِ القَاسِم

---

[1] ابن قتيبة عبد الله، غريب القرآن، دار الكتب العلمية، دط ،1398 هـ/ 1978 م، ص 29 .

[2] أحمد بن محمد المقري، نفحالطيب، ج4، ص 251.

[3] النزق: هو الخفة والطيش في كل امر – العجلة في جهلٍ وحمقٍ. (علي بن هادية، بلحسن البليش، القاموس الجديد للطلاب معجم عربي مدرسي ألفبائي ،تقديم : محمود المسعدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط7، 1991م، الجزائر ، ص 1214.)

[4] أحمد بن محمد المقري، نفحالطيب، ج3 ، ص 448.

وَرَكِبتُم شُهب البِغَال بِأَشهب وبِأَصبغٍ صَبغت لَكُم فِي العَالَم

استند الشاعر في هجائه إلى السخرية ليكون أكثر إيلاما وقدرة على كشف حقيقة هؤلاء الفقهاء، فصورتهم توحي بالتناقض بين الداخل والخارج، وقد رسم صورة شعرية مبدعة، تحمل سخرية قوية من أهل الرياء،وقد ابتدأ بالحديث عن الذين يتظاهرون بالدين والعلم وبحسن الأخلاق ووصفهم بالمنافقين الذينيتناقض جوهرهم مع باطنهم، لما يخفون من نوايا خبيثة، وأفعال سيئة، ولقد وفق الشاعر في اختيار كلمة (لبستم) التي تدل على القوة التي يخفونها تحت قناع المثالية والالتزام بالدين والقيم، حيث شبههم بالذئب الذي يعد رمزا للشر والخيانة،والغدر،والفتكبوصفه من الحيوانات المفترسة، وقد شبه الشاعر خصمه بالحيوان، لإذلاله والتقليل من قيمته وكشف عيوبه الأخلاقية المضمرة تحت قناع الفضيلة، ويستمر الشاعر في نقده للفقهاء حينما أظهر استياءه لاتخاذهم مذهب مالك وسيلة لتحقيق مصالحهم ، وتسهيل أمورهم وتبرير أفعالهم، وأما في قوله " وقسمتم الأموال بابن قاسم " فهنا ابن قاسم هو أحد تلاميذ الإمام مالك الذي عرف بعلمه وأمانته وزهده ، فهنا أهل الرياء قد تظاهروا بتقسيم الأموال حسب ما ورد عند ابن قاسم في أحاديثه وتعاليمه ،وهذا دليل على خبث نواياهم وضعف إيمانهم، ومن هنا فالشاعر قد وظف كل حمولاته ودلالاته النفسية في رسم صورة مبالغ فيها لتحقير هؤلاء المنافقين ونقدهم نقدا لاذعا، وتوظيف السخرية جعلهم في مكانة مهينة،كما جعلت الهجاء أكثر إثارة وإيلاما.

ويرى"**شوقي ضيف**" أن الشاعر في هذه الأبيات"يتهمهمبالمراءاة وأكل الأموال بالباطل، ويزعم أنهم ملكوا الدنيا بمذهب مالك وأئمته المصريين الذين تتلمذ عليهم فقهاء الأندلس، واتخذوا كتبهم مصدرا لفتاويهم وأحكامهم، وهم ابن القاسم (ت 191) وأشهب بن عبد العزيز (ت 204) وأصبغ بن الفرج (ت 225) "[1].نعاين من هذا النص أن هؤلاء الفقهاء منافقون؛ إذ استغلوا مكانتهم ونفوذهم في تحقيق مصالحهم، والاستيلاء على الأموال من غير وجه حق، وذلك من خلال اتخاذ المذاهب الفقهية كأداة لتنفيذ مصالحهم .وغيرها من النماذج الشعرية التي تعكس تجلي هذا العيب الذي استهجنه الشعراء، واستعانوا بأسلوب المفارقة والتناقض، والفكاهة السوداء والمبالغة في الذم والتقليل من منزلة المهجو، وجعله في صورة مضحكة، وهذا هو جوهر عمل السخرية في الهجاء، فنتج عن ذلك هجاء ساخر،يعمل على النقد اللاذع الذي يثير الضحك المرير، بهدف التنفير من هذه الصفة الذميمة، وبذلك فالسخرية نقلت الهجاء من الذم إلى النقد اللاذع الذي يحاول الكشف والفضح والتقويم والتصحيح، وكل هذا يقود المتلقي إلى التقليل من قيمة المهجو/المنافق. المرائي.

8.2-الجبن :ومن الصفات المشينة التي تُعري الأخلاق وتتنافى مع قيم المجتمع نجد ظاهرة **الجبن** التي نظر إليها الشعراء نظرة سلبية؛ لأنها تتعارض مع سمة الشجاعة التي ميزت المجتمع الأندلسي، وهذا ما أدى إلى مهاجمتها ونقدها ويظهر ذلك جليا عند **ابن حزمون** في وصفه لأحد ملوك الأندلس بالجبن فيقول :[2]

يَود بِأن لَوْكَانَ فِي بطْنِ أُمِّه جَنِينًا وَلَم يَسْمَع حَدِيثًا عَن الغَزْو

نعاين في هذا البيت هجوما مباشرا وسخرية علنية، حيث عبر الشاعر عن نفوره واستيائه من صفة الجبن التي لازمت هذا الملك، وهذا من خلال رغبته وتمنيه العودة إلى بطن أمه،وهي كناية عن جبنه، فبطن أمه هو مصدر الأمان والحماية والهروب من الواقع المضطرب، كما أشار إلى أن هذا الملك من كثرة خوفه لا يحب سماع الحديث

[1] في الأدب الأندلسي، محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر،بيروت، لبنان، ط1، 1421 / 2000، ص75 .

[2] أحمد بن محمد المقري، نفحالطيب ، ج5 ، ص 37 .

عن الحروب وعن الغزوات والأحداث السيئة، ومن هنا فالشاعر استخدم الأسلوب الساخر كوسيلة لإظهار هذا الملك بصورة كاريكاتورية بغرض الاستهزاء به وبقوته ومكانته،فهو جبان لا يقوى على تحديات الحياة، وفضل العودة إلى أول مراحل حياته حيث الأمن والاستقرار، وهي سخرية مريرة تظهر المفارقة والتناقض بين منزلة الملك بوصفه مسؤولا عن شعبه وبين حقيقته في الواقع، وهذا يعد تدنيسا لهذا اللقب.

9.2-النحس والشؤم: ومن العيوب الخُلقية التي ترددت في أشعار الأندلسيين **صفة النحس والشؤم** التي عابها الشعراء واتخذوها مادة غنية لإثراء إبداعاتهم الشعرية، ومن الذين تردد الشؤم في هجائهمنجد**"الأعمى المخزومي"** حينما سخر من الكاتب ابن أبى الخصال كاتب علي بن يوسف بن تاشفين بطريقة لاذعة وفاحشة حيث يقول :[1]

طوِيس الشُّؤْم يَا أَبَى الخصَال لَقَد نَكَبت عَن كَرَم الخِصَالِ
تَرغَب فِي النّقَائِص وَالمخَازِيوَتَزْهـــــد فِي المكَارِم وَالمَعَالِي

نَكَحت حزُورًا وَسَلَكت طِفلًا وَلَمْ تَقلَـــع وَشَيْبك فِي اِكتِهَالِ

فَفِي وَجـــعَـاك آثَارَالفيَاشَى كَمَـا فِي آثَـــــار الحبَـــالِ

يذهب الشاعر في هذه الأبيات الى استخدام الأسلوب الساخر، وهذا ما جعل هجاءه قويا صاخبا، ونقدا حادا، وهو يصف هذا الكاتب بطريقة تهكمية، حيث قذفه بأقذع الصفات وأبشعها وبخاصة صفة الشؤم التي لازمته، كما عاب عليه ابتعاده وزيغه عن كرم الخصال وأفضلها، وذلك بحبه للرذائل والنقائص وزهده عن الفضائل والمكارم، وهذا إقرار بفساد أخلاقه، وسوء طباعه. ويسترسل الشاعر في إرسال هجومه الساخر نحو الكاتب حينما اتهمه بالفحش وارتكاب المفاسد في تزوجه من امرأة سيئة الخلق وهذا ما يحيل إلى أن هذه الرذائل مطبوعة فيه على الرغم من كبر سنه وشيبه إلا أنه لم ينأ عنها، فهنا مفارقة صارخة رصدها الشاعر بين عمر هذا الشخص الذي يوحي بالحكمة والرزانة والعقل، وبين سلوكه الذي يرمز إلى الانحراف والانحلال الأخلاقي. ومن هنا فهذه الأبيات ترصد لنا نموذجا من الهجاء العنيف والساخر من ظاهرة الشؤم وسوء الخلق التي ميزت هذا الكاتب.

ويكمل "**صفو انبنإدريس"** في هجاء هذه الصفة في الكتاب الجهلاء بطريقة طريفة حيث يذكر أحد الكتاب يدعى " ابن لجين " وهو كاتب الأمير أبى حفص الموحدي ملصقا ظاهرة الشؤم به "حيث أمره ذات يوم أن يكتب في أمر خديم لأحد إخوانه كان وجه عنه لشغل، فلما فرغ عنه قال له: اكتب معه إلى مخدوم هانا قد صرفناه بعد أن فرغ مما وجهناه فيع عنه،فكتب:" وكنا قد استدعينا فلانا، فلما قضينا منه وطرا صرفناه إليكم " فقال له لما وقف عليه:" هل فعلنا به ما لا يكنى ؟" وقطع عليه الكتاب فكتب في آخره:" فلما قضى نحبه انصرف إليكم ". كما كتب عن مخدوم له "فاشتهدوا " يريد الأمر بالاجتهاد" [2]،حيث يقول (الكامل)[3]

هَلْ الكِتَابَة يَا ابنَ أَلف لَئِيم إِلَّا نَتِيجَة فقرَة وَقسيـم؟

[1] خريدة القصر وجريدة العصر، ج2، ص 256/255.

[2] زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر، ص93

[3] المصدر نفسه .ص 93..

وَأَرَاك قَد سَمَّيْتَ نَفسَكَ كَاتِبًا خلوًا مِن المنثُوروَالمنْظُومِ

حَتَّى كَتَبتَ الاجتِهَاد غَبَاوَة بِالشِّين مُعجَمه مَكَان الجِيمِ

لَو أَنَّنِي حَكمت فِيكَ فَنَطق مَا كَتَبت يَدَاك بِعنقكِ المخزُوم

وَجَعلتُك من يَمْشِي وَرَآكَ قَائِلًا هَذَا جَزَاء الكَـاتِب المشْؤُوم

يَا أَيّهَا الشَّيخ المعظَّم قَدرهُ (وَالشُّؤم يَهدِم سُورَكُل زَعِيمِ)

اِحْذَر – وَقَاكالله- شدّة شُؤمه فَالكَـاتب المشؤُوم شَرّخَدِيم

كما هجا"**لسان الدين بن الخطيب**" الوزير إبراهيم بن أبي الفتح الأصلع الغوي؛ إذ نعته بالشؤم والنحس قائلا :[1]

فِي طَالع النَّحس حَزت رُتبتهَا وكُل شَيءٍ فِي قَبضَة القَدَر

أَي اختِبَارلَمْيَأل نَصبته فِي جَسَد لِلنحُوس أَو النَّظـر

بَات لَهُ المشتَرِي عَلَى غَبنٍ وَأَحرَقت فِيهِ قرصَة القَمر

تأخذنا هذه الأبيات إلى عوالم السخرية والاستهزاء التي أعدها الشاعر لسان الدين لمهجوّهبن أبي الفتح حيث نعته بجميع الألفاظ السيئة والمشينة، وعدهسيدا للنحس وللحظ السيئ، أي إن حياته كلها مليئة بالإحباط والاستسلام لقبضة القدر ،لأن القدر شيء غيبي وقوة ربانية كبرى لا يمكن التحكم فيه، إلا أن أباالفتح قد حاز مكانته ورتبته في النحس وسوء الحظ، والقدر هو من سيطر عليه وحدد مصيره لذا لا يمكنه تغييره وتحويله، لذا عدت حياته جملة من الاستسلام والفشل لهذا النحس، ولقد استلهم الشاعر أسماء الكواكب (المشتري ،القمر ...) للتعبير عن مهجوه بأنه نذير شؤم ونحس يجلب الشر أينما حل ، ولعل براعة الشاعر وتمكنه من الثقافة أن جعل من كوكب المشترى الذي يعد أسطورة للطاقة الإيجابية والخير نذير شؤم ونحس وأسقطه على ابن أبي الفتح بأنه لا يأتي إلا بالغبن. ويعزز الشاعر سخريته من خصمه حينما حول القمر الذي هو رمز للنور والجمال والضوء إلى الاحتراق والظلام بسبب هذا النحس الذي لازم أبا الفتح في حياته. ويستمر في هجاء ابن أبي الفتح وينسب له كل نقص ويرميه بالشؤم إذ يقول:[2](المنسرح)

يَا ابنَ أَبِي الفَتح نَسبت عَكست فَلَا بفَتحٍ أَتَيتَ وَلَا ظَفـر

وَزَارَة لَمْ يَجِد مِقـــلّدهَا عَن شُؤمِهَا فِي الوُجُود مِن وزَر

تأخذنا هذه الأبيات إلى تصور معالم السخرية التي رسمها الشاعر لهذا الوزير بأسلوب نقدي لاذع، وقد افتتحها بصيغة النداء لأبي الفتح وهذا للفت الانتباه، حيث أكد أن اسمه عكس صفاته أي أن نسبه يدل على " الفتح والخير " إلا أنه عكس ذلك، لأنه لم يحقق أو يأتي بأي فتح ولا ظفر، فهنا هذا البيت يحمل سخرية مبطنة

[1] لسان الدين،الديوان ، ج1 ، ص428

[2] أحمد بن محمد المقري، نفحالطيب ،ج5 ، ص146

أرسلها الشاعر للمسخورمنه الذي كان اسمه عكس أفعاله، ويكمل الشاعر في نقده وهجائه لهذا الوزير بأن وزارته مصدر الشؤم والنحس؛ لأنه لم ير لها مثيلا بين الوزارات؛ ومن هنا فالشاعر اعتمد على الهجاء المباشر بلغة قوية ومتينة لإذلال خصمه.

ويبدو أن الخليفة محمد بن هشام بن عبد الجبار كان شؤما على البلاد والعباد حيث قيل فيه :[1](مخلع البسيط)

أَشَأم خلقٍ عَلَى العِبَـاد وَالنَّـاس مَن حَاضِرٍ وَبَاد

أَبُو الوَلِيد الذِي اقشَعرَت لَنحسِـه شَعرةُ البَـــلَاد

كَانَ عَلَى قَومِـه جَمِيعًا مـزَارعَادٍ لِـقَومِ عَـــاد

استحضر السخرية في شعره ليضفي صورة فكاهية سوداء على "أبي الوليد"؛ إذ أظهر سخطه من خلال وصفه بأنه نذير شؤم ونحس على جميع الناس من حضر وبدو، فهنا كأن الشاعر يبالغ في وصف هذه الصفة السلبية التي تلازم هذا الشخص، ولقد ذكر " أبو الوليد" دلالة على تخصيصه له دون غيره بتميزه بهذه الظاهرة التي اقشعرت منها البلاد ، فهنا الشاعر يوظف الصور البيانية حتى يجعل الصورة محسوسة من خلال تشبهه للبلاد بأنها إنسان يشعر ويقشعر من الفزع وهذا ما زاد من قوة سخريته ، ومدى تأثيرها في المتلقي، ويستحضر الشاعر التراث الديني لإذلال خصمه، وبيان مدى الضر الذي سببه لقومه من خلال استدعائه لقصة عاد؛ أي أن شؤم ونحس أبا الوليد سبب هلاك قومه ودمارهم ، وهذا ما حل بقوم عاد عند عصيانهم وطغيانهم هلكوا جميعا .ومن هنا فالشاعر استطاع تجسيد سخريته من خلال إنكاره لصفة الشؤم والنحس، وهذا الأسلوب يجعل هجاءه أكثر قوة وحضورا في ذاكرة الآخر.

ويذهب **محمد بن جبير** وهو يهجو الفلاسفة ويسخر منهم بسبب انحرافهم عن تعاليم الدين وبأن ظهورهم شؤم على العصر قائلا:[2](السريع)

قَد ظَهَرت فِي عَصرِنَا فِرقَة ظهُورهَا شُؤم عَلَى العَصر

لَا تَقتَدِي فِي الدِّينِ إِلَّا بِمَا سنّ ابنُ سِينَا وَ أَبُو نَصْر

استند الشاعر في هجائه إلى السخرية فكان نصه أشد مبالغة وتأثيرا؛ إذ نقد فئة من الفلاسفة نقدا لاذعا بسبب انحرافهم عن العقيدة والدين، حيث يؤكد أن ظهور هذه الفرقة شؤم على العصر وهذه تعد مبالغة في طبيعة الشؤم الذي يجسدونه،نظرا لما تحمله هذه الفرقة من خطر فكري وعقدي لعدم اتباعها للدين والأخذ بتعاليمه ، وإنما تسعى إلى الأخذ بآراء الفلاسفة والمتكلمين كابن سينا، وأبي نصر في إقامة الدين والشريعة عن طريق التأويل الفلسفي والمنطق،وبالتالي فهم ليسوا من أئمة الدين والتشريع، وهنا تكمن المفارقة؛ لذا فالشاعر استخدم الأسلوب التحذيري بنبرة حادة وقاسية لما تحمله هذه الفرقة من أغاليط وانحرافات للإسلام، وبذلك فقد كشف خطأها بطريقة غير مباشرة، إذ جعلهم في موقف يظهر زيفهم بشكل مهين، وعليه فالهجاء استفاد من السخرية من خلال المبالغة والمفارقة من أجل لتقويض مصداقيتهم، وجعلهم في موضع استهزاء وازدراء من طرف الآخر.

[1] نافع عبد الله، الهجاء في الشعر الأندلسي، ص65،66.

[2] أحمد بن محمد المقري، نفحالطيب، ج3، ص145.

وقد هجا"**أبوبكراليكي**" المرابطين الملثمين وسخر وتذمر منهم حيث اعتبرهم نذير شؤم ونحس كما أنهم أصحاب دناءة في قوله (الكامل):[1]

فْي كُل من رَبط اللِّثَام دَنَـاءَة وَلَو أَنَّه يَعلُو عَلَى كيـــــوَان

مَا الفَخر عِندَهُم سِوَى أَن يَنقلُوا من بَطنِ زَانِيَة لظَهرِ حِصَان

المنتَمُون لِحَمِيـــر لَكِنَّهُـــــم وَضَعُوا القُرُون مَوَاضِع التِيجَان

لَا تَطلــبن مرَ ابطًا ذَا عِفَّة وَاطلُب شُعَاع النَّارفِي الغدرَانِ

جسد الشاعر من خلال أبياته هجاء لاذعا معززا إياه بسخرية قوية ذات معان دقيقة في ذمه للمرابطين،حيث عبر عن هؤلاء الملثمين بتعبير نقدي؛ حينما وصف أن كل من يغطى وجهه فهو دليل على الدناءة والانحطاط حتى لو علا عن كيوان ، فهنا سخرية ضمنية رصدها الشاعر لزيادة قيمة الذل والمهانة لهؤلاء الفئة ، ويظهر في قوله " يعلو على كيوان " ، كما عد الفخر عندهم هو أن يلدوا من علاقة غير صحيحة " الزنا "، وهذا ما يحيل إلى انتشار الفجور والفسق في هذه البيئة ، ويزيد الشاعر من قوة سخريته حينما استحضر صورة الحمير الذي يرمز للجهل، والذل واسقط ذلك عليهم ، حينما وضعوا القرون وهي دلالة على الذل والمهانة في مواضع التيجان للتي ترمز للسيادة والمكانة الرفيعة .ومن هنا فهذه الأبيات ترسم نقدا لاذعا بطريقة هجائية ساخرة، حيث استخدم الشاعر اللغة الصريحة والألفاظ الجريئة لفضح انحرافهم وفسوقهم وانتشار الفجور في أوساطهم،وقد دعم ذلك بالصور المجازية العميقة لتقريب المعنى للسامع .

ويسخر ابن عبد ربه من البخلاء حيث عاب عليهم بخلهم ومعرفتهم بسبب نحسهم، حيث رسم لهم صورة ساخرة ومشاهد تستدعي الضحك:[2](السريع)

من وَجهِهِ نَحس، وَمن قربَه رِجسٌ، وَمِن عرفَانِه شُؤم

لَا تَهتَضم إِن بِت ضَيْفًا لَهُ فَخبزَه فِي الجَوفِ هَاضُوم

تَكلمه الأَلحَــاظ مِن رقَة فَهُو بلَحظ العَيْن مَكـلُوم

تحمل هذه الأبيات طابعا من السخرية والهجاء، حيث يصف الشاعر خصمه بأسلوب لاذع، فقد أسرف في هجائه بطريقة مبالغ فيها من خلال وصف أن من يرى وجهه يصاب بالشؤم والنحس وسوء الحظ وحتى معرفته بلاء وشر فكأن هذا الشخص مصدر الشر والنحس في معرفته وقربه، كما يؤكد على بخله الشديد من خلال إبراز ضيافتهبأنهاتؤذي ويظهر ذلك في قوله " فخبزه في الجوف هاضوم "، فالشاعر هنا استخدم المبالغة في تصوير الشؤم والنحس لهذا الشخص تصويرا بارعا، يبرز قدرته على استخدامه للغة والتعابير المجازية ما جعلت خصمه مصدر هزء واحتقار.

[1] ابن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حُلى المغرب، ج2، ص 268/267.

[2] ابن عبد ربه الأندلسي ،العقدالفريد، ص211 .

10.2- الظلم والجور: لقد عبّر الشعراء عن رفضهم الصريح لظاهرة **الظلم والجور** التي وجدت ضالتها في البيئة الأندلسية، لذا فقد وقف الشعراء موقفا معاديا ومنافيا لها من خلال تصوير رفضهم في متن أشعارهم وقصائدهم، ولعل المتمعن فيها يجدها لا تخلو من السخرية والنقد لهذه الصفات المكروهة والذميمة، وفي ذلك نجد أحد الشعراء يهجو أميرا ظالما في حكمه ولكنه يتظاهر بالتقوى والورع من خلال كثرة تسبيحه، مشبها إياه بالجزار الذي يذكر الله ويذبح :[1]

قَد بُلينَا بِأَمِيـر ظَلَم النَّاس وَسبح

فَهُوكَالجَزَّارفِيهم يَـذكَرالله وَيَذبَح

افتتح الشاعر أبياته بنوع من الاستنكار والسخط إزاء هذا الوضع، وهذا الشخص الذي هضم حقوق الناس بظلمه واستغلاله لهم من خلال سلطته عليهم ، ولعل استخدام لفظة " بلينا " دليل على البلاء والمحنة التي واجهت الناس وصعبت حياتهم بسبب الظلم والقمع الذي واجهوه من أميرهم الفاسد ، كما بين لنا الشاعر تناقض ومفارقة كبيرة في شخصية الحاكم من خلال عدم توافق أقواله مع أفعاله ويظهر ذلك جليا " ظلم الناس وسبح " فكأنه يقيم شعائر الله من ذكر وتسبيح ويخفي الظلم والاضطهاد وهذا ما يعكس صفة أخرى وهي النفاق ، ويزيد الشاعر من قوة سخريته ولذعته من خلال تشبه هذا الأمير بالجزار كدليل على وحشيته وقساوته لأن الجزار يعرف بقوة القلب وهذا ما جعل الصورة أكثر قوة وصلابة لأنها تدل على موت قلب هذا الملك في فتكه وقتله وظلمه لرعيته، وقلة قساوة معاملته وتصرفاته ، فكأنه جسد بلا قلب وإحساس ، ولعل سيطرته عليهم جعلهم ضعفاء تجاهه عاجزين عن التعبير عن حقوقهم في قولهم "يذكر الله ويذبح " .ومن هنا فهذه الأبيات تحمل قوة اندفاعية خفية عميقة من الهجاء، والسخرية المنطوية تحت ألفاظ البسيطة، والمعاني السهلة والتراكيب السلسة ضد ظلم الحاكم وقسوته ووحشيته اتجاه شعبه.

كما هجا**ابنالياسمين**"أبا الحجاج بن نمري الفارسي"؛ إذ يقول :[2]

إِنَّمَا الشَّأن فَقِيه عَالـم لَيسَ بِعلمِ

لَا تَرَاه الدَّهـر إِلَّا بِغَرِيم النَّاس مغرَمِ

وَإِذَا صَلَّى رِيَاء كَانَ فِيهَا مثل أَبكَمِ

ذَا جَوَابِي وَهُو ظُلم لَكَ وَالبَادِئ أَظلَمِ

استخدم الشاعر السخرية في هجائه، فجاء لاذعا؛وما نستشفه من هذه المقطوعة أنها تكشف عن ظاهرة اجتماعية منبوذة في المجتمع ، سخر منها لما تحمله من مظاهر سلبية،وهي الظلم والرياء؛ لأن صاحبها يخفي مالا يظهر، وقد اعتمد على المفارقة؛ إذ وسم الشاعر الفقيه بالعلم والمعرفة؛ وفي الوقت ذاته عالم ليس بعلم، وهذا ما جعل هذه المكانة لا تليق به بسبب ادعائه للعلم والدين في ظاهره، أما جوهره فعكس ذلك، وهذا التناقض أدى إلى

[1] أحمد بن محمد المقري، نفحالطيب ، ج6 ، ص263.

[2]فوزي عيسى،الهجاء في الأدب الأندلسي، ص196.

سخرية واستهزاء، كما عاب عليه صفة الرياء خاصة في الصلاة ، وهذا دليل على إظهار التدين والعبادة أمام الآخرين دون التقيد بها وذلك لكسب ودهم ، وإبراز قيمته وإخلاصه للدين، مما يجعله يتحلى بصفة النفاق التي سعى الشاعر إلى ذمها وإظهار الحقيقة ، ويستمر الشاعر في نقده القاسي ، وسخريته الحادة حينما عاب وأنكر ظاهرة الظلم ودعا إلى الابتعاد عنها، لأن البادئ بالظلم سيعود عليه بظلم أكبر ، لذا وجب ضرورة تحقيق العدل. ومن هنا فهذه الأبيات تعكس التناقض الكبير بين الظاهر والباطن، وخاصة الإنسان الظالم والمنافق الذي يسعى إلى كسب ود الناس بالأعمال الصالحة بدافع الرياء، لذا عمد الشاعر إلى السخرية منه وتحذيره من هذه الصفات الذميمة.

ولم تقتصر السخرية على الظلم فحسب، بل تعدت إلى صفة **الشر** التي تجلت في أفعال بعض أفراد المجتمع الأندلسي؛ إذ نجد"**المخزومي**" يقدم هجاء صاخبا بلسان بذيء لأهل مُرسيةٍ عن شرهم وبأسلوب لاذع وساخرمن خلال لعنه للمدينة بأكملها؛ إذ يقول(المتقارب):[1]

عَلَى أَهلِمَرسيةٍلَعنَة تَعمّ الدِّيَارَوَأَربَابَهَا

كِلَاب تهر إِلَى شَاعِر وَتَكشِف لِلشَرّأَنيَابَهَا

يستخدم الشاعر السخرية اللاذعة والهجاء القاسي في تعبيره عن سخطه الشديد وغضبه من أهل هذه المدينة من خلال توظيف لفظة " لعنة " والتي زادت من حدة التهكم والسخط لأسياد وأرباب مرسيةٍ،وديارها. كما قام باحتقارهم ووصفهم بالشر دلالة على فساد أخلاقهم وطباعهم، ولقد وظف اللغة السهلة والبسيطة والأسلوب الرصين حتى يزيد من وقع سخريته، ولعل ما زاد تهكمه قسوة هو تشبيه أهلها بالكلاب التي تكشف أنيابها للشر دلالة على القوة، والحقد والضغينة المنتشرة في هذه المدينة؛ وإنزال مكانتهم بين الناس. وغيرها من النماذج الشعرية التي تبرز هذا العيب الذميم الذي رفضه شعراء الأندلس عبر شعرهم.

11.2-السرقة:لقد تصدى الشعراء لعديد الصفات الذميمة والانحلال الأخلاقي، والآفات الاجتماعية:كالسرقة، والرشوة، حيث قاموا بنبذها تارة، والسخرية منها تارة أخرى، وهذا لما ينجم عنها من فساد للمجتمع وأخلاقه، ولعل توظيف الشعراء لهذه الآفات في قصائدهم دليل على شعورهم بالمسؤولية الكبيرة تجاه مجتمعهم على تغيير هذا الواقع، وباعتبار أن الشعر مرآة عاكسة للمجتمع لذا فقد قاموا بنقد هذه الظواهر. ويقول الشاعر"**أليكي**" في أحد قضاة مُرسيةٍ عرفوا بقبول الرشوة، وعدمإقامة العدل، وأكل أموال الناس:[2]

بِمَرسِية قَاضٍ تَجَاوَزحَدَّه وَأخطَأ وَجه الرّشد فِي كُل مَقصَد

يُطَالِبه الأَيتَام فِي جَل مَالهم وَيطلبُه فِي حَقـــهِ كُل مَسجد

فَمَا بيضَّت كَفَّاكَ بِالَعَدلِ لَم تَزَل تَسُودهُ بِالجُورِكَفَّ اِبن أسو

يقدم الشاعر هجاء قويا لأحد قضاة مرسية بسبب سوء استغلال منصبه، حيث قدم له نقدا لاذعا كشف به ظلمه وجوره على الضعفاء وأخذ أموالهم من غير وجه حق، حيث يؤكد أن هذا القاضي قد تجاوز حدوده دليل

[1] زاد المسافر، ص 118.

[2] ابن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حُلى المغرب، ج2 ،ص270 .

على طغيانه في الظلم والابتعاد عن العدل، وعن الطريق السويّ، كما عبر عن أخذه لأموال الأيتام والسطو عليها رغم مطالبتهم له إلا أنه لم يأبه لهم، حتى المساجد تطالبه بحقوقها المسلوبة من أموال الصدقات وغيرها،فالشاعر هنا يعبر بسخرية عن هذا القاضي الجائر ويضعهفي منزله الأنذال بسبب انعدام ضميره، وغياب عدالته حتى أن كفاه لم تعرف النزاهة والعدالة . ولقد استخدم الشاعر الصور البيانية القوية لتأكيد سخريته من خلاله قوله «تسوده بالجور كف ابن أسود" هنا دليل على الظلم والجور، فالشاعر يسعى من خلال أبياته إلى تقديم صورة هجومية مبطنة بطابع السخرية لهذا القاضي الخائن للأمانة، الظالم في حكمه والسالب لأموال الضعفاء والأيتام. ونجد كذلك "**عبد الرحمن بن مغاور الشاطبي**" يهجو أحد القضاة يدعى "ابن بيش" لتعطيله للمصالح وتزييف الأحكام، كما أنه يحلل ما حرم الله في صورة ساخرة، كما أبدع في التهكم حيث يقول(المجزوء) :[1]

لَا تَظنوا ابن بِيش فِي قَضَايَاه يَرْتَشِي

إِنَّمَا الشَّيخ هَلهَل فَهُو يَصْحُو وَيَنْتَشِي

فَتَرَى الحكم غدوة وَتَرَى النّقص بِالعَشِي

تنهض الأبيات على نقد ساخر لمنظومة القضاء، حيث ينفي الشاعر بداية تهمة الرشوة، ليشير بدلا من ذلك إلى خلل يتعلق بتقلب المزاج الشخصي وانعدام الثبات في الأحكام ففي البيت الثاني يظهر " الشيخ هلهل " الذي يفترض أن يكون في حالة يقظة ووعي، غير أن صحوه يقوده إلى انتشاء، في مفارقة ساخرة تقوّض صورة العدالة المنتظرة. ويبرز هذا الخلل بوضوح في البيت الثالث إذ تتناقض الأحكام بين الصباح والمساء، فتعلن بصرامة في الغدوة ثم يطرأ عليها " النقص " في العشي مما يعكس هشاشة ميزان القضاء وخضوعه لاعتبارات آنية لا لمبادئ ثابتة. وبذلك لا يكون الفساد في المال فحسب، بل في الانضباط الأخلاقي والمهني، أما على المستوى الفني فقد اتسم النص بتركيز كثيف وصور هجائية ساخرة وموحية ولا سيما التوازي بين " غدوة " و" العشي " الذي يضفي إيقاعا دالا على التناقض وهكذا يوفق الشاعر بين البعد الجمالي والبعد النقدي الساخر، في رسم صورة تهكمية لهذا القاضي الجائر وتحذر من عدالته المتذبذبة التي تحكمها الأهواء بدلا من المبادئ وهذا ما جعل هجاؤه أشد قوة وإيلاما.

ويذهب **ابن الزقاق** في السخرية من أحد القضاة الذي عرف بالظلم والجور وقبوله للرشوة قائلا :[2]

قَاضِي يَجُورعَلَى الضّعِيفِ ورُبَّمَا لَقِي القَوي بِمثل حُلم الأَخنَقِ

لَعِبت بِطَلعَتـه الرشَا لعب الرشَا بِفُؤَادِ خفَاق الجَوانب مدنَقِ

إذا تمعنا في هذه الأبيات نجدها تصور معالم السخرية بطريقة هزلية حيث يظهر الشاعر سخطه من هذا القاضي الظالم والفاسد، من خلال التعبير عن التناقض الكبير بين معاملته للضعفاء والأقوياء ، حتى إذ جاءه الضعيف يطلب حقه ويلتمس إنصافه جار عليه ظلما ولاقاه بوجه غليظ لا يعرف الرحمة ،في حين إذا لقي القوي

[1] أبوصفوان، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، ص39.

[2] تاريخ الأدب العربي عصر الدول والأمارات الأندلس، شوقي ضيف، دار المعارف، ط2،القاهرة،دت ، ص213.

قابله باللين والتساهل كالحلم الأخنق؛ أي كأنه مخنوق خشية من أن يثور عليه، وهذا ما يظهر دناءة القاضي في إظهاره للشدة والصلابة أمام الضعفاء الأبرياء، واللين والخضوع أمام الأقوياء ، ولقد طوع الشاعر سخريته لتحقيق مبتغاه في إذلال هذا القاضي وهجائه، ولعل ما زاد من حدة السخرية وصفه لتأثير الرشوة على طلعة هذا القاضي ووجهه حتى صار يلين ويخضع لها ، حيث شبه تأثيره عليه بلعب الغزال على الفؤاد والقلب في اضطراب دقاته وجعله ذليلا خاضعا ، فكأنه يعبر عن ضعف القاضي أمام هذه الصفة الذميمة واستسلامه لها ، ولعل هذه الصورة البيانية عبرت بشكل بديعي على قدرة الشاعرة وقوة مخيلته في فضح خضوع مهجوه، وجعله ذليلا أمام المال حتى صارت الرشوة تعبث به .

كما ظهرت فئة من الناس يتظاهرون بالتدين والأخلاق الحسنة لكسب ثقة الناس والائتمان لهم وهذا ليحققوا مصالحهم منهم ويستولون على أموالهم، ولعل أغلب هذه الفئة من الفقهاء والقضاة، وأصحاب الدين، لذا فقد عمد الشعراء الأندلسيون إلى هجائهم والسخرية منهم لفضح ما يخفونه تحت مفهوم لباس التدين والعبادة، وممارسة العدل، ولكن أفعالهم عكس ذلك ومن ذلك قول "**يحي بن حكم الغزال**"فيأحد القضاة الذي يستغل منصبه للاستيلاء على أملاك الآخرين :[1](الطويل)

يَقُولُ لِي القَاضِي معَاذ مشَاورًا وَوَلِي اِمرءً فِيهَا يَرَى من ذَوِي العَدلِ

فَدَيتكَ؛ مَاذَا تَحسب المرْءَ صَانِعًا؟ فَقُلت: وَمَاذَا يَصنَع الدّب بِالنَّحلِ؟

يَـدُق خَلَايَاهَا، وَيَأكُل شَـــهدهَا وَيَترك للذّبَان مَا كَانَ من فَـــــضلِ

ويذهب "ابن حزمون" في هجاء المجريطي وهو أحد عمال مرسيه والذي اتهمه بالنهب والسرقة لأموال الدولة حيث يقول:[2]

إِلَى الله أَشكُو مسترئبا إلى الغنى حريصا على كسر المخازن حافزا

إِلَا أَنّ قَارُون اِستَعَزَّ بِكَنزِه فَوَاهَا لِمَنْ أَضحَى كَقَارُون كَانِزًا

فَمَا بَاله اِسْتَغنَى فَنَهنه وَاجِبًا وَجَوزَ مَالَم يَجعَل الله جَائِزًا

افتتح الشاعر أبياته بالشكوى إلى الله من هذا الشخص الذي عرف بفساد أخلاقه، حيث يسعى إلى الغنى بالاستيلاء على أموال الدولة،مندفعا إلى كسر المخازن والسطو عليها ، فالشاعر يظهر سخطه الشديد اتجاه هذا الشخص الذي يأخذ أموال الناس دون ضوابط تحكمه، لذا استحضر قصة قارون الذي أهلك بسبب غروره بماله وقد أسقطها على المجريطي لنقده وذمه بأسلوب صريح، ثم نقده نقدا تهكميا ساخرا من أفعاله السيئة من خلال تحليله لما حرم الله ،وذلك باستخدام أموال الناس والأيتام ،والصدقات مصدرا لغناه مما يدل على تجاوزه لحدود الله

[1] يحي بن الحكم الغزال،الديوان، ص 65.

[2] الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، تح: إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، 1965/1964، السفر الخامس، القسم الاول، ص 144.

في جمع أمواله، وهذا نمط من اللوم والهجاء.كمايهجو"**عامر بن الأصيلي**"قواد"ابن أبي النون" لأكلهم أموال الناس بالباطل قائلا :[1]

قُل لِابنِ ذِي النُّون الرَّئِيس الذِي لَيسَ لَه شَيء من البَختِ

يَا مَالكًـــا يَجعَل قوَاده قَومًا عَدوا عَلَيْه بِاللَّفتِ

جَاءُوا عَلَى الشَّرقِ جِيَاعًا فَمَا يَشبَعهُم شَيء من السُّحتِ

مِن كُـــل حَراث لَه لَحيَة تَدْهن بِالشَّحمِ وَبِالزَّيـــتِ

إِن صَارَفِي حِصنٍ رَأَى أَنَّهُ قَد أَدخَل العَالَم فِي تَخْتٍ

يُجَسِّد فِرْعَونَ عَلَى قَوْلِهِ "وَهَذِه الأَنهَار مِن تَحتَي"

ترسم الأبيات صورة هجائية حادة للرئيس" ابن ذي النون " إذ يبدأ الشاعر بتقويض مكانته من خلال وصفه بقلة البخت، ثم يوجه سهام نقده إلى قواده الذين يفترض أن يكونوا سندا له فإذا بهم يتحولون إلى عبء وأعداء له، إذ جاءوا من الشرق جياعا لا تشبع من "السحت "؛ أي من المال الحرام وتزداد حدة السخرية حين بصور الشاعر هؤلاء القواد بلحى متزينة بالشحم والزيت، في مفارقة تكشف التناقض بين المظهر الديني وبين الجشع والانغماس في الملذات المادية. وينتقل الشاعر إلى هجاء الحاكم نفسه مبرزا غروره واستبداده ؛ فإذا تحصن في قصره ظن أنه قد سيطر على العالم بأسره، في إيهام يعكس تضخم الذات وانفصاله عن واقع الناس، ويبلغ التصوير ذروته حين يشبه الشاعر خطابه بفرعون، وهذا إشارة الى الطغيان والجبروت في قوله " وهذه الأنهار تجري من تحتي "ولقد استطاع الشاعر تطويع سخريته لخدمة هجائه وتعزيره، وجعله أشد قوة وإيلاما، من خلال إبداعه من الناحية الفنية؛ إذ جعل نصه يقوم على المفارقة والتصوير الكاريكاتوري، وتوظيف المقابلات الدلالية بين الجوع والشبع ،الظاهر والباطن ، الحصن والتخت، ليجعل لغته شاهدة على فساد الحكم ، وهكذا يغدو النص وثيقة نقدية ساخرة تدين الحاكم وحاشيته معا ، وتفضح الاستبداد والفساد بلغة حادة جريئة مشحونة بدلالات رمزية قوية .

12.2-الفسق والفجور: شهدت البيئة الأندلسية نوعا من الازدهار والتقدم إلا أننا لا يمكن أن نهمل بعض الظواهر السلبية التي عانى منها المجتمع والتي مست الأخلاق الاجتماعية للأفراد، لذا نلمح نوعا من الحنكة لشعراء هذه البيئة في استغلالهم لهذه الظواهر لزيادة رصيدهم الشعري، والدعوة إلى الابتعاد عنها هذه الآفات منها **الفسق والفجور والانغماس في الرذائل** ...ويتجه الشاعر "**أليكي**"في هجائه للمرابطين (الملثمين) ويذم فيهم انتشار ظاهرة الفسق والفجور والزنا بصورة تستدعي السخرية؛ إذ يقول (الكامل):[2]

فِي كُل من رَبط اللّـــثَام دَنَاءَة وَلَو أَنَّه يَعـــــلُو عَلَى كيوَانِ

[1] خريدة القصر، ج2، ص311.

[2] ابن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حُلى المغرب ، ج2 ، ص 268 ، 269.

مَا الفَخْر عِندَهُم سِوَى أَن يَنْقَلُوا مِن بطْنِ زَانِيَة لِظَهرِ حِصَانِ

المُنتَمُونَلِـــحَمِيرلَكِنَّهُم وَضَعُوا القُرُون مَوَاضِع التِّيجَانِ

لَا تَطلُبَنَ مُرَابِطًا ذَا عِفَّة وَاطْلُب شُعَاعَ النَّارِفِي الغدْرَانِ

أفرط الشاعر في هجائه من خلال استعانته بسخرية قوية ذات معان دقيقة في ذمه للمرابطين ،حيث عبر عن هؤلاء الملثمين بتعبير نقدي؛ حينما وصف أن كل من يغطى وجهه فهو دليل على الدناءة والانحطاط حتى لو علا عن الحيوان ، فهنا سخرية ضمنية رصدها الشاعر لزيادة قيمة الذل والمهانة لهؤلاء الفئة ، ويظهر في قوله " يعلو على الحيوان " ، كما عد الفخر عندهم هو أن يلدوا من علاقة غير صحيحة " الزنا " وهذا ما يحيل إلى انتشار الفجور والفسق في هذه البيئة ، ويزيد الشاعر من قوة سخريته حينما استحضر صورة الحمير الذي يرمز للجهل والذل وأسقط ذلك عليهم، حينما وضعوا القرون وهي دلالة على الذل والمهانة في مواضع التيجان التي ترمز للسيادة والمكانة الرفيعة .ومن هنا فهذه الأبيات ترسم نقدا لاذعا بطريقة هجائية ساخرة اعتمدها الشاعر ليعبر عن رفضه وغضبه وليطفئ جمرة غيظه. وقد استخدم الألفاظ الجريئة لفضح انحرافهم وفسوقهم وانتشار الفجور في أوساطهم،ودعم ذلك بالصور المجازية العميقة لتقريب المعنى للسامع.

كما عمد"**الأعمىالمخزومي**" الذي عرف بحدة وسلاطة لسانه وإقذاعه إلى هجاء أحد الأشخاص واتهامه بالانحلال الأخلاقي والفسق، والشذوذ؛ لأنه خلا بأحد أبناء الوزير حيث يقول:[1]

زَنْجِيكم بِالفُسُوقِ دَارَى يَدْلِي مِن الحِرصِ كَالحِمَار

يَخْلُو بِنَجلِ الوَزِيرِ سِرًا فَـــيُولِج اللَّيلَ فِي النَّهَارِ

يذهب الشاعر من خلال مقطوعته إلى تسليط الضوء على ظاهرة الفساد الأخلاقي، حيث قدمها بطريقة هجائية لاذعة تجمع بين السخرية المباشرة والنقد الصريح من خلال مهاجمته لأحد الأشخاص الذي عرف بفسقه وشذوذه وقد أشار إليه بكلمة " زنجيكم " التي تدل على ذوي البشرة السوداء فهنا احتقار وازدراء الشاعر لمهجوه. ويستمر الشاعر في سخريته حيث وصف تصرفاته واندفاعه بالحمار فهنا شبهه بالحيوان ليوحي بغياب العقل والوعي ويحط بذلك من منزلته ويزيد من حدة الهجاء.ولعل من الصفات الدالة على الفساد والانحلال الأخلاقي هو خلوة هذا الشخص بابن الوزير وفعل كل ما هو محرم، في موقف فاضح ومشين وهذا ما يؤكد اختلال القيم. ومن هنا فالشاعر سعى إلى تقديم أبياته بطريقة هجائية ساخرة ذات معاني عميقة ترسم قبح هذا الشخص وذله وازدراء مكانته بسبب أخلاقه وصفاته. كما هجا أيضا شخصا آخر متهما إياه بالفسق، فيقول (الكامل):[2]

لِابنِ القَصِيرمَعَ اِبنهِ وَصَغِيره حُجَج بِهَا سُوق الفُسُوق تَقُومُ

أَلْقَاه يَوْمًا تَحتَ أُسُود حَالك فَبَدَا يُعَاتِبُـــــه لذا وَيلُومُ

فَأَجَابَه مُتَعَجِّبًا وَجَوَابُـــه بَيت عَلَى مَرِّالزَّمَـانِ قَدِيمُ

[1] ابن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حُلى المغرب ، ج1، ص 231.

[2] زاد المسافر ، ص 118.

لَا تَنْهَ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيـمُ

يذم الأعمى المخزومي ظاهرة الفسوق ويسخر من أصحابها،حيث افتتح مقطوعته بهجاء ابن القصير وابنه على تحليهم بهذه الصفة الذميمة التي تدعو إلى الانحلال الأخلاقي، حتى أنها أصبحت تقام لها أسواق لنشر الرذائل ويظهر ذلك من خلال استخدم الشاعر للفظة " سوق الفسوق" دلالة على انتشار الفساد والترويج له من طرفهم ، ولقد صادف ابن القصير ابنه في ظلام حالك أي في ظلمة الفساد والمعصية والأفعال المشينة، فطفق يعاتبه ويلومه على أفعاله لتقويمها وتحسينها إلا أن الولد استغرب ورد عليه بأن هذه الأفعال قديمة وموروثة تناقلها منه عبر الزمن مما يوحي أن هذه الصفة متأصلة عندهم . وينهي الشاعر أبياته بتضمين من بيت أبي الأسود الدؤلي وهي عبارة عن حكمة، يؤكد فيها الشاعر عن الابتعاد وترك الأخلاق السيئة وغير الحميدة ولكنك في الوقت ذاته تقوم به وتتصف بهذا الخلق الذي نهيت عنه، لهذا يعد عارا عظيما عليك فيأنك تقول عكس ما تفعل، فهنا دلالة على النفاق، وهذا ما أراد المخزومي إيصاله لابن القصير عندما نصح ابنه بترك المفاسد والفسوق ولكنه هو يتصف بهذه الصفات .

ويهجو أيضا " **أبو جعفر بن سعيد**" ظاهرة الفجور والشذوذ الأخلاقي:[1]

قَوَادَة تَفْخَر بِالعَــارِ أَقْوَد مِنَ لَيلٍ عَلَى سَارِ
وَلَّاجَة فِي كُل دَارٍ وَمَا يَدْرِي بِهَا مِنْجَذقهَا دَارِي
ظَرِيفَة مَقْبُولَة المُلتَقَى خَفِيفَة الوَطءِ عَلَى الجَارِ
لِحَافهَا لَا يَنْطَوِي دَائِمًـا أَقلَــق مِن رَايَةِ بِيكَارِ
قَد رَبَيْتَ منذ عَرَفَت نَفْعَهَا مَا بَيْنَ فَتَـاكَ وَشَطارِ
جَاهلَة حَيْث ثَوَى مَسجِد عَارفة حَانَة خمَّـــار
بَسَّامَة مُكثَرَة برّهَــا ذَاتَ فَكَاهَــات وَأَخْبَارِ
تَكَــادُ مِن لُطْفِ أَحَادِيثُهَا تَجْمَعُ بَيْنَ المَاءِ وَالنَّارِ

يقدم الشاعر في هذه الأبيات هجاء لاذعا مدعما إيه بسخرية قاسية في نقده لأحد النساء لارتكابها الأفعال المشينة وتحليها بالفاحشة فقد تصدى لها بهذه المقطوعة، من خلال وصفه لها بكلمة قوادة دلالة على الدناءة والتباهي بالفضيحة والعار،أما في قوله " أقود" فهنا يعبر عن سيرها بالناس إلى الفساد والرذيلة كالليل الذي يقود السائر في الظلام ،ويكمل في وصفها بقوله " ولاجة في كل دار "؛ أي أنها تدخل البيوت خفية دون أن يشعر بها من قوة براعتها وحذقها، وهذا ما يرمز للخداع والمكر،كما أنها ظريفة سلسة الكلام لطيفة الشكل يستأنس الآخرين بها لحسنها وقبول مظهرها ، خفيفة لا يشتكي منها الجار دلالة على براعتها في التخفي في ثوب الحسن والخداع، أما في البيت الرابع فيورد الشاعر عبارة "لحافها لا ينطوي"؛ أي لا تخلو من الزنا فهنا كناية عن الفاحشة والفجور، أما في قوله " أقلق من راية بيكار " دليل على العمل الدائب دون توقف، ويكمل الشاعر في سخريته من طبيعة نشأتها وتربيتها بين الفتاكين (اللصوص) والمجرمين؛ لذا أخذت طباعهم وتعلمت منهم ، كما يصفها بالجاهلة بأحكام الدين وأماكن العبادة والصلاة (مسجد) لكنها خبيرة بأماكن الخمر ومجالس الشرب والحانات ما يدل على فسقها ووقوعها في المحرمات، كما ينعتها بكثيرة الضحك والتبسم تتظاهر بالكرم والأخلاق الفاضلة ، والإحسان ، وتستعمل الفكاهة

[1] أحمد بن محمد المقري، نفحالطيب ، ج5 ، ص316.

والنكت لتجذب الناس بحلو كلامها ، تتميز بالدهاء ونعومة الكلام وقدرة فائقة على التأثير على الآخرين حتى أنه من حلو أحاديثها تستطيع أن تؤلف بين الماء والنار ،رغم أن هذه الأشياء يستحيل الجمع بينها إلا أن براعتها ومكرها وقوتها في الإقناع جعلتها تستطيع الجمع بينها ، ومنه فالشاعر استطاع من خلال هذه القصيدة أن يسخر السخرية ليخدم هجاءه نحو هذه المرأة التي تميزت بالفسق والفجور بدهائها وخبثها ، مما زاد من حدة التهكم وقسوته ومرارته .

ويذهب "**ابن شهيد**" في هجاء "جعفر بن محمد بن فتح" و"أبي الحسن بن علي" على أفعال الفاحشة والزنا واللواط قائلا:[1]

هَلَا سَتَرتَ الشّينَ بِالزِينِ من قَبلِإِحْضَار الوَزِيرَينِ؟

قَدْ عَلمَـا أَنّهُمَا أَحْضَرَا لَخُلْوَة أَثْقَـل مِن دِينِ

لمَا تَدَانَت قَابَ قَوْسَيـن أَصَابَهَا الحَاسِـدُ بِالعَينِ

فَانْصَرَفَا مْثلَ اِنصِرَافِ الفَتَى أَسْلَـم إِلفَا لْيَد البينِ

صَدَّ همَا مِن قردكَ المُصْطَفَى نَطحَة نِطَاح برُوقيـنِ

وَمَا أَرَى النَّاس عَلَى مَا مَضَى مِن قبلَة "قِردًا " بِقَرنَيْنِ

أَربَعَـة فِي مَجلس جَمَعُوا فَطَـارهَذَان بَهَذَيْنِ

قَد لزمَا جَنبَيكَ لَمْيَبرحَا لَهفَى عَلَى ضِيعَة جَنبينِ

فَأَنْتَ مَا بَيْنَهُمَا جَالِس جلُوس أَير بَين خصِيينِ

نلحظ من هذه الأبيات أن الشاعر يصور مشهدا هجائيا ساخرا ، حيث افتتحها بنبرة ساخرة يعاتب فيه مهجوه على أفعاله المشينة وأخلاقه الذميمة ، لعدم إخفائه للقبح وتستره بشيء من الحسن قبل الجلوس مع الوزيرين ،حيث اظهر رذيلته ،كما وصف حضوره معهما بأنه أثقل من الدين، وتبلغ السخرية ذروتها في هذه الأبيات حينما وصف الشاعر مهجوه بالقرد الذي يمتلك قردين فهذه صورة شديدة السخر حيث شبهه بالحيوان الذي يطارد الناس ، كما يختم أبياته بتصوير فاحش وجارح يبعث على التحقير للمهجو مما يدل على تشويه صورته وهيئته وهذا ما جعل السخرية تظهر في أقسى صورها ،ولعل براعة الشاعر وقوة شاعريته تظهر من خلال نسجه اللفظي وحسه اللغوي ، من خلال الإيقاع المنتظم والقوافي المتناغمة ، إلى جانب قدرته على التصوير والتخييل ، ما اخرج أبياته في لون من الشعر النقدي المؤلم .

ويذهب"**ابنالخطيب**"في تصوير أبي الفتح تصويرا هزليا يستدعي الضحك بألفاظ الشتم والسب، حيث رماه بأبشع وأقذع الصفات؛ إذ يقول :[2](المنسرح)

[1] ابن شهيد الأندلسي،الديوان ، ص 67.

[2] أحمد بن محمد المقري، نفحالطيب ، ج5 ، ص 142/141.

يَا نَاقِص الدِّين وَالمُرُوءَة وَالعَقْ ل وَمَجْرَى اللِّسَانِ بِالهَدرِ
يَا وَلد السّحق غَـــيرَ مكتَم حَدِيثهُ ، يَا ابْنَ فَاسِد الدّبرِ
عَهدِي بِذَاكَ القِفَا الغَلِيظ وَقَد مَدّ لوَقع المهنـــد الذّكرِ

تحمل هذه الأبيات قوة اندفاعية كبيرة في تعبير الشاعر عن مهجوه بأسلوب ساخر، حيث رماه بأقذع الصفات وأقبحها من خلال اتهامه بضعف الدين والإيمان ونقص المروءة والشرف، كما عده من الجاهلين (نقص العقل) فكأن الشاعر جمع في هذا الشخص كل الخصال السلبية التي تدعو إلى الذل والهوان ،كما وصف كلامه بأنه مجرد لغو لا يمكن الأخذ به ، ويقدم الشاعر سخريته من أبي الفتح بألفاظ حادة وبطريقة جارحة تدل على انحطاطه خلقيا حينما وصفه بلفظة (ولد السحق) وهذا دليل على الفحش والفسوق وسوء الخلق الذي تميز به ، كما أهانه في نسبه وأصله ويظهر في قوله " يا ابن فاسد الدبر ". فجاء هجاؤه ساخرا بغية إذلال خصمه وتشويه صورته، والحط من قيمته بسبب سوء أخلاقه، وقبح خصاله. كما هجا «**مرج الكحل**شخصايسمى«الشريف"؛ إذ يقول(المتقارب):[1]

أَيَا نَاقِصًا يَدَّعِي أَنَّـــهُ كَرِيم الجدُود شَرِيف السّلفِ
أَلَا جِيءَ لَنَا بِأَبٍ وَاحِد وَضِيع وَنَحن نَحط الشَّرفِ

تتضمن هذه الأبيات سخرية صريحة، مما جعل هجاءه شديدا؛ إذ أذل الخصم وحط من قيمته من خلال اتهامه بالنقص وادعاء الكرم والشرف، فقد تحداه في قوله:"ألا جيء لنا بأب واحد "فهذا الاقتراح يمثل ذورة السخرية؛ إذ لا يطلب منه إثبات شرفه، بل يطلب منه أن يأتي بأب وضيع فهو الذي سيصير نسبه شريفا، وهذا تناقض بغية الحط من قيمته وشرفه، وقد استخدم أسلوب التحدي مع الخصم لإثبات دناءة خصمه.

كما نجد هذا النمط أيضا تجلى عند الشاعرات نحو الهجاء الفاحش التي وجهته "**ولادة بنت المستكفي**" وهي تهجو خصال ابن زيدون بكلام بذيء ومعاني صاخبة، وبلسان سليط وفاحش لا تظهر بأن هذه المرأة من البيت الأموي حيث رمته بالفجور والشذوذ قائلة :[2](الوافر)

وَلُقبت المسَدَس وَهُو نَعْت تُفَارِقكَ الحَيَاة وَلَا يُفَارِق
فَلُوطي وَمَـــأْبُون وَزَانٍ وَدَيُوثٍ وَقرنَـــان وَسَارِق

تعتمد هذه الأبيات على السخرية اللاذعة، والإهانة القوية والقاسية، وهذا ما جعل هجاءها لاذعا شديد التأثير، حيث استخدم الشاعرة الألفاظ المشينة لإذلال خصمها من خلال إطلاقها عليه لقب المسدس الذي اعتبرته نعت فقط أي أن هذا اللقب مجرد وصف للاستهزاء به وإلحاق الذل له، فهنا تناقض كبير بين الاسم الذي أطلقته عليه (المسدس) وبين الشخص وأفعاله،حيث تكمل في سخريتها منه مؤكدة أن هذه الصفة ستلازمه حتى لو فارق الحياة لأن هذا اللقب محمل بالعار والتحقير والمذلة له، كما أهانته بألفاظ قوية واتهامات فاضحة حيث وصفته بكل الصفات اللأخلاقية التي تنفر السامع (لوطي ، مأبون، زان ، ديوث ، قرنان ، سارق ...) وهذا للحط من مكانته، وتشويه سمعته بين الآخرين. ومن هنا فهذه الأبيات اعتمدت على السخرية اللاذعة فجعلت الهجاء ساخرا لتحقيق

[1] زاد المسافر ، ص 83.
[2] أحمد بن محمد المقري، نفحالطيب ، ج5 ، ص337.

الإهانة المباشرة لتحقير المهجو، وإذلاله والسخرية منه. ولعل ما دار بين "**مهجة القرطبية**" و"ولادة بنت المستكفي" حين اتهمتها بأبشع الأوصاف، وبألفاظ بذيئة وفاحشة يستقبح حتى النطق بها حيث تقول :[1](السريع)

وَلَّادَة قَد صَرت ولَادَهْ مِن غَيرِبَعْلٍ ، فُضِحَ الكَاتِم

حَكَت لَنَا مَـريَم لَكِّنه نَخلَة هَـــذِي ذَكَر قَائِم

نعاين من خلال هذه المقطوعة هجاء صريحا بطريقة تهكمية تحمل العديد من معاني السخرية والاستهزاء لولادة بنت المستكفي ، حيث اتهمتها مهجة القرطبية بالفجور والزنا من خلال تصوير ولادتها وحملها من غير بعل ، فكأن الشاعرة هنا تفضح سرها وتنزل من مكانتها ، وتكمل الشاعرة في إرسال وخزات السخرية لولادة، حينما أقامت مقارنة بين مريم عليها السلام التي هي رمز العفة والطهر والشرف حينما حملت دون بعل وهذه معجزة عظيمة وبين ولادة التي هي نموذج للفسق والفجور، فكأن الشاعرة هنا تقيم مفارقة ساخرة بينهما أهانت فيها ولادة بسبب فحشها وسوء أخلاقها ، وقد استخدمت سخريتها بلغة جريئة وصريحة لتعزز هجائها.

ومن مظاهر انتشار الفساد والانحلال وظهور الموبقات والفجور في البيئة الأندلسية ما قال عنه أحد الشعراء وهو يهجو الخليفة "محمد بن عبد الجبار" الذي اشتهر بارتكاب المنكرات والفسق والسفاهة وشرب الخمر دون أن يراعي المكانة والمنزلة الاجتماعية التي فيها :[2] (الوافر)

أَمِيرالنَّاسِ سخنَة كُل عَين يَبِيـت اللَّيل بَيْنَ مُخَنَثَيِن

يَجشم ذَا وَيلثَم خدّ هَذَا وَيَسكر كُل يَومِ سَكْرَتَيـن

لَقَد وَلُّوا خِلَافَتَهُم سَفِيهًا ضَعِيف الرَّأْي شينًا غَيرزين

إذا تمعنا في هذه الأبيات نجد الشاعر قد أفرد في هجائه؛ إذ رسم صورة هزلية ساخرة بارعة الأبعاد ، محكمة الألفاظ حيث يظهر الشاعر تذمره من أخلاق هذا الأمير بفضحه لأفعاله المشينة، من خلال أنه يفترض أن يكون قدوة للناس بأخلاقه وأفعاله ووقاره، إلا أنه يظهر عكس ذلك فهو محط عار واشمئزاز، كما زاد الشاعر من حدة السخرية حينما فضح فساده الأخلاقي في قوله " يبيت الليل بين مخنثين " كما عبر بتهكم شديد على عدم اكتفاءه بالفسق والفجور، بل تعدى إلى السكر وشرب الخمر بطريقة مفرطة " ويسكر كل يوم سكرتين" دلالة على انهماكه في المجون والفجور ، أما ما زاد من استياء الشاعر هو سوء اختيار القوم لهذا الأمير السفيه عديم العقل، فاقد الحكمة ، لا يليق بهذا المنصب ، لضعف رأيه مما زاد أمته قبحا وذلا ، ومنه فالشاعر استخدم السخرية كوسيلة للاستهزاء بالمسخور منه وإذلاله والطعن في أخلاقه مما جعل هجاءه أشد قوة ووجعا ..

ولم ينج أيضا الوزراء من ألسنة الشعراء لفجورهم وفسقهم؛ إذ نجد «عبد الرحمن بن مغاور الشاطبي"يهجو الوزير ابن بيش؛ لأنه أحل الفحش وشرب الخمر :[3]

---

[1] المصدر نفسه ، ج6 ،ص 29.

[2] البيان المغرب في أخبار المغرب، ابن عذاري المراكشي،تحلولانوبروفسال ، دار الثقافة ،بيروت ،دت ، ج3 ، ص 80 .

[3] زاد المسافر، ص 39 .

قَالَ ابن بِيش المَشْهُور مَوضعه قَولًا يعَاب عَلَيْهِ آخَر الأَبَدِ

الخَمْرُوَالزّمْرُوَالفَحْشَاء أَجمَعهَا حِلّ وَبِل وَتَبقَى خُطَّتِي بِيَدِي

تحمل هذه الأبيات طابع السخرية المباشرة، والنقد اللاذع حيث قدمها الشاعر في صورة هجائية للوزير ابن بيش الذي عُرف بمنصبه ومكانته الاجتماعية، والسياسية عندما قال قولا معيبا يلازمه طول زمانه ويدوم معه إلى أخر الدهر، حيث أباح وأحل الفواحش والخمر والغناء، وحتى الموسيقى، وهذا دليل على أن هذا الوزير أحل كل المحرمات وجعلها محبوبة بين الناس،وكل هذا كان عن وعي ومعرفة منه؛ أي ليس جاهلا بذلك، ويظهر ذلك في قوله " وتبقى خطتي بيدي «فالوزير هنا يتحدى الجميع بقراره وبأسلوبه. ومن هنا فالشاعر عمد إلى السخرية من هذا الوزير الذي أحل الفواحش وحرم المكارم،وهذا يعكس سعيهإلىنشر الرذائل والفسوق بين أفراد المجتمع.وفي هذا نجد **رئيف خوري** وهو ينقد الملوك بقوله:" كنت اسمع من الحكماء قبلي تقول: إن الملوك لها سكرة كسكرة الشراب. فالملوك لا تفيق من السكرة إلا بمواعظ العلماء وأدب الحكماء، والواجب على العلماء تقويم الملوك بألسنتها وتأديبها بحكمتها وإظهار الحجة البينة اللازمة لهم ليرتدعوا عما هم عليه من الاعوجاج والخروج عن العدل "[1].

كما أن الفلاسفة أيضا لم يسلموا من ألسنة الشعراء؛ إذ اتهموهم بالزندقة، إذ نجد "**الأعمى المخزومي"يهجو** أحد الفلاسفة بصورة طريفة وساخرة ، إذ يقول(السريع):[2]

مَا لِزِنْدِيق بَنى فَــاعِل يَذم مني كُل مَا يَحمَد

يَلحَظنِيشزَازإِذَا مَرَّبِي كَأَنِّي فِي عَينهِ مسجِد

يسخر الشاعر من أحد الفلاسفة؛ إذ نعته بالزنديق، وهي لفظة لها دلالة قوية في الثقافة الإسلامية؛ إذ تعمل على تحقير الشخص، وذمه،وهذا ما أنتج هجاء ساخرا.كما أن هذا الزنديق لا يرى في الشاعر إلا كل شر بسبب الحقد والحسد الذي يكنه له،حيث وصف نظرات هذا الزنديق له بأنها نظرة ازدراء، واحتقار فهو يراه كأنه مسجد أو مكان مقدس، فهنا تكمن قيمة وبلاغة السخرية والتهكم، لأن هذا الزنديق يخفي الكفر والفسوق ويظهر الإيمان، وهذا ما جعل هجاءه ساخرا مقذعا ولاذعا.

ونظرا لشيوع ظاهرة الزنا والفحش نجد الشاعر "**أبي حريز محفوظ بن مرعي الشريف"**يهجو بصفة عامة كل من يتصف بهذه السمة الذميمة؛ إذ يقول (البسيط) :[3]

يَا دَائِبين عَلَى الفَحشَاءِ وَيلَكم أَلَبستُم شَيخَكُم ثَوْبًا مِن العَارِ

الِابن فِي دَارِكــم صِهرلِوَالده وَالأَخ قَد ينِثني عَن كَلبه الحَارِ

مَا تَحفَظُون أَبَاكم فِي حَلَائلَه وَالكَلْب عَرس لَحاه الله مِن دَارِ

أَحَيْتُم سُنّة دَان المجُوس بهَا فَعَظَمُوا مِثلَهُم بَيْتًا مِن النَّارِ

[1] رئيف خوري، النقد والدراسة الادبية، مكتبة الطالب منشورات دار المكشوف، بيروت ، 1939، ص105 .

[2] زاد المسافر، ص 83.

[3] المصدر نفسه، ص81 / 82.

قدم الشاعر أبياته بأسلوب هجائي قوي سعى من خلاله إلى فضح الواقع الأخلاقي لفئة من الناس بسبب انتشار الفاحشة والانحرافات الأخلاقية بينهم، حيث افتتح أبياته بصيغة النداء لتخصيص جماعة بعينها ولتنبيههم بأنهم مستمرون في الفاحشة والفساد ، وهذا ما جعل شيخهم وكبيرهم يلبس ثوب العار أي أنهم الحقوا بقائدهم العار والخزي وهذا ما يدل على الانحطاط والرذيلة التي لازمتهم ،كما اتهمهم بالانحراف الأخلاقي حتى وصل بهم أن تزوجوا من محارمهم، كما استمر في سخريته منهم بأن وصفهم بقلة احترامهم وحفظهم لحلائلهم وهذا ما زاد من قيمة ودلالة السخرية والتهكم، كما شبههم بالمجوس في ضلالتهم وانحرافهم، فالشاعر استطاع من خلال أبياته أن يصور هؤلاء القوم المعروفين بالفجور والانحلال الأخلاقي بطريقة تبعث على الاحتقار والاشمئزاز وهذا ما ظهر في أسلوبه الهجائي الصريح.

وبناء على ما تقدم يمكننا القول إن العيوب الخُلقية كانت دافعا أساسيا للشعراء لترجمة سخريتهم وخاصة في البيئة الأندلسية، لما انتشر فيها من انحلال إخلافي وفساد وفسق وفحش، وظهور آفات اجتماعية وأخلاقية، جعلت الفرد يتلقى الإهانة والسخرية من مجتمعه ومن أفراده، لذا عمد الشعراء إلى توظيفها في قصائدهم للدعوة إلى التخلص من هذه الموبقات الاجتماعية، والسعي إلى إصلاح الفرد والمجتمع، باعتبار السخرية سلاحافعالا يعبر به الشخص عن حاجاته ورغباته في صورة فكاهية وهزلية.

وغيرها من النماذج الشعرية التي تبين أن موضوعات السخرية-العيوب الخِلقية والخُلقية-هي نفسها موضوعات الهجاء، ولكن استعانة الشاعر بالسخرية في شعره الهجائي بطرق مختلفة عززت تأثيره أكثر، وهذا ما أنتج هجاء ساخرا يلفت النظر إلى طبيعة الموضوع ويحدد سلبياته، ويعمد إلى التحقير والاستخفاف، والازدراء، والضحك مكونا بذلك صورة استهجانية بهدف النقد والتقويم والتوجيه. وبناءً على ما تقدم يمكننا القول:

- تعد السخرية وسيلة مهيبة وقوية في إصلاح المجتمع من العيوب والرذائل والمثالب التي تعتريه، كما تسعى إلى تهذيب النفس وتقويمها وتوجيهها، وهذا ما جعل الشعراء الأندلسيين يستخدمونها في هجائهم فجاء ساخرا، يعمل على النقد اللاذع الذي يثير الضحك المرير بهدف التنفير من هذه الصفات الذميمة، وبذلك فالسخرية نقلت الهجاء من الذم إلى النقد اللاذع الذي يصور الخصم في صورة ساخرة بغية إبراز العيب بشكل أظهر وأعمق. وبذلك فهو يعمل على الكشف والفضح والتقويم والتصحيح، وكل هذا يقود المتلقي إلى التقليل والحط من قيمة المهجو وإضعافه.
- استعانوا بأسلوب المفارقة والتناقض، والفكاهة السوداء والمبالغة لذامالمهجووالتقليل من منزلته، وهذا هو جوهر عمل آليات السخرية في الهجاء، وهذا ما عكس براعة شعراء الأندلس في استخدامها لتكوين صورة هجائية ساخرة للنيل من أعدائهم والتهكم منهم وتحقيرهم والاستخفاف بهم حتى وصل بهم الأمر إلى السب والشم، والإقذاع أحيانا، كما جعلوها سلاحا فعالا للتعبير عن واقعهم الاجتماعي والسياسي.
- اتخاذ الشعراء العيوب الخِلقية الخُلقيةمادة خصبة للسخرية والتندر من خلال تضخيمها والمبالغة فيها وإبرازها بصورة مضحكة، وهذا ما جعل هجاءهم مقذعا ولاذعا وأشد تأثيرا باعتباره وسيلة ناجعة لمعالجة جوانب الحياة المختلفة، وتصوير الواقع ونقده.
- اتخاذ السخرية للضحك كثوب لتتستر به عن غرضها الحقيقي وهو إبراز العيوب والمبالغة فيها، والوقوف ضد موقف أو حادث معين وإصلاحه، وهذا ما منح الهجاء أيضا صفة التصحيح والتقويم بدلا من التركيز على الذم فقط.

- وظف الشعراء الأندلسيين اللغة البسيطة والأسلوب السهل الذي لا يحمل التعقيد ولا الألفاظ الغريبة ولا المعاني الصعبة البعيدة التي تستدعي التحليل وإعادة النظر، كما استخدموا الصور البيانية، والتي كان لها أثر كبير وواضح في إعطاء عمق للصور مما زاد من حدة السخرية وقوة التأثير في نفس المتلقي، والتصاقها في ذهنه.

الفصل الثاني: مقومات بناء الشعر الهجائي الاندلسي ودورها في تعميق المعنى الساخر

1-اللغة

2- الأسلوب

3- الصورة الشعرية

3- الصورة الكنائية

4- التشاكل الإيقاعي

توطئة:

يعد الشعر شكلا من أشكال التعبير الأدبي الذي يترجم به الشاعر أفكاره ومشاعره، بأسلوب راق وألفاظ دقيقة حسنة السبك، ومعاني عميقة الدلالة؛ لذا تنوعت دلالات الشعر عند الدارسين والباحثين؛ إذ أقر أرسطو بأنه «محاكاة للطبيعة حيث يحاكي ما يمكن أن يكون حقيقيا في الواقع أو الاحتمال وليس الموجود فقط، فهو يصور الأشياء، كما كانت، أو كما هي في واقعها أو كما يضعها الناس"[1]. أما الجاحظ فيرى أن "أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم أنه أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا ... حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة "[2]، وبذلك فالشعر المتقن هو ما كانت ألفاظه ومعانيه متماسكة لا اضطراب فيها وكلماته سلسة وسهلة، تجعل المتلقي يراها كأنها صبت في قالب واحد، وكتبت بشعور واحد وتوحي بأن أبياته ذات وحدة لغوية واحدة لا يمكن الفصل بين أجزائها.

كما ذهب "ابن طباطبا العلوي" في رؤيته للشعر إلى القول بأن " أحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما ينسق به أوله مع أخره على ما نسقه قائله "[3]، وهذا يعني أن الشعر شكل "من أشكال اللغة له مقوماته التي تمثل عناصر بنائه وتحدد مستواه الإبداعي والفني. وهذه المقومات ...هي الأسلوب والصورة والإيقاع، وتمثل هذه العناصر ...مختلف إمكانات اللغة التعبيرية والدلالية والموسيقية التي تنتظم ضمن نظام خاص لتشكيل المستوى اللائق بالخطاب الشعري"[4]. وعليه فجودة الشعر لا تتحقق إلا من خلال حسن توظيف هذه المقومات بطريقة متكاملة من طرف الشاعر، وبخاصة أن الشعر لغة كاملة النظام، ولا يمكن للمعنى الشعري أن يتحقق إلا من خلال نسيج محكم من العلاقات اللغوية المتفردة والمتميزة.[5] وبذلك لا بد من الكشف عن طبيعة الشعر الهجائي، وإماطة اللثام عن ماهيته، وذلك من خلال تعقب تقنيات البناء المشكل من: اللغة والأسلوب والصورة.

1-اللغة:يتضمن كل غرض معنى معينا مناسبا لطبيعته، وهذا ما يستدعي ألفاظا مناسبة؛ أي أن الشاعر عليه أن ينسق ألفاظه على رتب معانيه؛ لأن الألفاظ " هي الترجمة اللغوية للمعنى، والمادة الأولية للتعبير، والجزء الأصغر الذي يتألف منه الأسلوب"[6]، وبذلك فقدرة الألفاظ على استيعاب المعاني هي التي تُعين وتحدد قيمته الأصلية والجوهرية، لذا أقر النقاد بأهمية اختيار الألفاظ بشكل دقيق، فاللفظ عند "قدامة بن جعفر" لا بد أن يكون "سمحا، سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة"[7]، ولكن الشعر الهجائي لم يخل من البشاعة اللفظية، وتبقى اللغة مرتبطة بنوع الغرض، فنجدها في الغزل تتميز بنوع من الرقة والعذوبة والعاطفة الصادقة الشجية والنعومة واللين، فهي مغايرة للغة المدح

[1] أمير حلمي مطر، جمهورية أفلاطون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة،1994، ص 50.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص67.

[3] ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: طه الحاجري، ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1956م، ص 126.

[4]- ينظر، بديعة الخرازي، مفهوم الشعر عند نقاد المغرب والأندلس، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 2005، 183.

[5]- ينظر المرجع نفسه، ص 177.

[6]- كمال أبو مصلح، الكامل في النقد الأدبي، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، ط5، 1986، ص 87.

[7]- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح مصطفى كمال، القاهرة، 1949 ص 28.

التي تتسم بالقوة والجزالة والفخامة، أما لغة الرثاء فتكون مشبعة بالألم والحزن العميق، والصدق العاطفي؛ لأنها تصور مشاعر الفقد والحرقة؛وهذا ما يعكس التمايز الأسلوبي بين الطرق الشعرية.

ويعد الهجاء من الأغراض الشعرية التي تستمد خصائصها من عاطفة الغضب، ولا بد أن ينعكس هذا على لغته، فنجدها تأتي مشحونة بالحدة والتوتر، والانفعال،وهذا ما يميز لغته بصفة عامة،ولكن هذه اللغة قد تختلف باختلاف الزمن والبيئة، فقد تتسم بالعنف والقوة أحيانا، ويرجع ذلك إلى طبيعة البيئة وخشونتها وقساوتها مما يؤثر على ألفاظها، ومفرداتها.وبذلك فلغة الشعر الهجائيالأندلسي تأثرت بما عرف في البيئة من تطور سواء أكان حضاريا أم زمنيا، وهذا ما جعلها تتأثر بأساليب الحضارة، وثقافة تلك الحقبة وما تقتضيه هذه البيئة عكس ما كان في البيئات القديمة التي قامت على الخشونة والبداوة والغلظة [1]، ولعل التطور الذي شهدته البيئة أثر أيما تأثير على تطور العقول والأذهان والأذواق ؛ لأن التطور العقلي يعطي قدرة فائقة على التقاط ولمح دقائق العيوب والمثالب، كما أن اختلاف البيئة يصنع اختلافا في طريقة نظم الشعراء للشعر، حيث أن شعراء الأندلس لم يتناولوا الهجاء بطابعه الغليظ القاسي، وإنما عالجوا ما وقعت عليه أعينهم من عيوب ونقائص بصورة مغايرة ومخالفة وبطريقة جديدة تشع بطابع السخرية والتهكم، حيث أن الشاعر الهجّاء يهجو بطريقة تناسب ذوقه وفكره[2]، وبخاصة أن الناظر في علاقة السخرية بالهجاء يتضح له "وجود صلة وثيقة بينهما؛ ذلك لأن السخرية تقوم على نسب عيب من العيوب إلى الشخص بنية التهكم والاستهزاء به وأيضا الإساءة إليه، وهذا عين الهجاء؛ إذ بدوره يسعى فيه الشاعر إلى إلحاق العيوب بالمهجو من أجل فضح مساوئه بين الناس، وجعله أضحوكة بينهم".[3]

ومن المعروف أن الشعر الهجائي في البيئة الأندلسية يصعب حصره وإعطائه صورة كاملة المعالم، وهذا راجع إلى قلة وندرة الإنتاج الشعري الهجائي المروي والمثبت آنذاك، لذا عسر تحديده، ولعل مؤرخو الأدب والنقاد عمدوا إلى تجاوز الأدب الهجائي في هذه البيئة، وبخاصة الشعر المفحش، وعلى الرغم من توفر دواعي ومقتضيات الهجاء وأسبابه من انقسامات وحروب إلا أن كثير من الشعراء امتنعوا وتعففوا عن الكتابة في هذا الغرض، وفي ذلك نجد "ابن بسام" في مصنفه الذخيرة يقول :"ولما صنت كتابي هذا عن شين الهجاء ، وأكبرته أن يكون ميدانا للسفهاء ، أجريت ها هنا طرفا من مليح التعريض في إيجاز القريض، مما لا أدب على قائليه، ولا وصمة أعظم على ما قيل فيه . والهجاء ينقسم قسمين: قسم يسمونه هجو الأشراف، وهو ما لم يبلغ أن يكون سبابا مقذعا ولا هجرا مستبشعا ... والقسم الثاني هو السباب "[4].نعاين من هذا النص عزوف "ابن بسام" عن الحديث عن قبيح الهجاء الفاحش والقبيح، الذي يذم الآخر ويحط من قيمته، ويفكك أواصر المجتمع، فقد عد مصنفه أرقى وأعظم من أن يجعله ميدانا للحديث عن هذا الغرض المشين، فلم يذكر فيه الأشعار غير المستملحة التي لا تستسيغها الأذن، وقد سانده كذلك في هذا الرأي **عبد الواحد المراكشي** صاحب كتاب " المعجب في تلخيص أخبار المغرب".

---

[1]-ينظر ، فوزي عيسى ، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص 195.

[2]-ينظر ، المرجع نفسه ، ص 18.

[3]-فاطمة صغير، السخرية في القصيدة الهجائية النسائية، ضمن كتاب السخرية في الأدب العربي، 141-142.

[4] ابن بسامالشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، ص 543-544.

ولعل ما شهده المجتمع الأندلسي من رقي وتقدم أدى إلى ظهور نمط جديد في غرض الهجاء وهو المزج بين السخرية والهجاء، بهدف الإمعان في هجاء الخصم والمبالغة في الحط من مكانته، وقيمته، حيث قام بعض الشعراء بنسج أشعارهم في مقطوعات قصيرة لا تتجاوز الأبيات القلائل، ويتجلى ذلك عند عديد الشعراء أمثال : السميسر، ابن صارة الشنتريني،إذقال ابن بسام في هذا الأخير :" أنه - ابن صارة - أولع بالقصار، فأرسلها أمثالا، ورشق بها نبالا، لاسيما قوارع كدرها على مردة عصره ، وسم بها أنوف أحسابهم ، وتركها مثلا في أعقابهم "[1].

ولقد اتخذ الشعراء الأندلسيين هذه الخاصية(المقطوعات) كقالب للهجاء، فأدى إلى انتشاره،وذيوعه،وحفظه، وعلوقه في أذهان السامعين، ولقد استلزمت الضرورة على الشاعر في أن يهجو بأبيات قليلة يركز فيها على معاني معينة ما يرجوه من سرعة إيلام المهجو، ويضمن سرعة تفشي وسريان أبياته بين الجماهير، وهذا النوع من التقصير في الأبيات عند أغلب شعراء الأندلس؛ إنما هو امتداد واستمرار لما جاء به بعض الشعراء القدامى أمثال: الحطيئة وجرير والفرزدق[2]. ولكن هذا لم يمنع من وجود قصائد تثبت مقدرة الأندلسيين على النظم في هذا الغرض الشعري الذي تضمن ألوانا من الاستهزاء والتهكم مما أضفى عليه صبغة ساخرة تحرج المهجو، وتحط من قيمته ومكانته في المجتمع، ويمكن القول أيضا أن شعراء الأندلس قد تأثروا بالنموذج المشرقي فقلدوا أشعارهم ونماذجهم؛ حيث أخذ بعضهم طريقة الحطيئة في هجاء الذات، والبعض طريقة ابن الرومي في التصوير الهزلي الكاريكاتوري.

وقد عمد بعض شعراء الهجاء في الأندلس إلى كتابة أهاجيهم بلغة سهلة عذبة الألفاظ، سلسة الأسلوب، لينة المعاني لا توعر فيها ولا إغراب وهذا حتى تتوافق وتتلاءم مع الذوق الحضاري، والمعيار الجمالي وما يستتبعه من رقة وسلاسة، ليضمن لها الذيوع والانتشار، وتلقى رواجا وصدى بين جمهور السامعين، وهذا ما جعلها تقترب إلى حد بعيد من لغة الحياة اليومية، كما اقتربت من النثرية بشكل ملحوظ، واحتوت على العبارات والألفاظ التي يرددها العامة في مقام التخاصم، وموضع النزاع والعداء.ومن الشعراء الذين تميز شعرهم بالبساطة والوضوح نجد «**لسان الدين بن الخطيب**"؛ إذاستخدم لغة سهلة، وتعبيرا مألوفا في هجائه لأحد الأشخاص الظالمين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ويهضمون حقوقهم؛ إذ يقول: [3](الوافر)

حَلَفْـــــتَ لَهُمْ بِأَنَّكَ ذُو يَسَارٍوَذُو ثِقَةٍ وَبِـــرٍّبِالْيَمِينِ

لِيَسْتَنِدُوا إِلَيْكَ بِحِفْظِ مَالٍ فَتَأْكُلُ بِالْيَسَارِوَبِالْيَمِينِ

تميزت هذه الأبيات بسهولة لغتها وبساطة ألفاظها، فقد اختار الشاعر عبارات مألوفة وقريبة من الاستعمال اليومي مثل (حلفت، يسار، ثقة، حفظ المال، تأكل، يمين...) وهي ألفاظ مباشرة لا تحتاج إلى الرجوع إلى المعاجم اللغوية أو إلى الشروحات، باعتبارها من الألفاظ الشائعة التي يفهمها المتلقي، كما أن تراكيبه النحوية جاءت مناسبة ومتوازنة على نحو مألوف، خالية من التعقيد، أو من أي تقديم أو تأخير مما جعل

[1]المصدر نفسه، ج2، ص 834.

[2]ينظر، فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص 191-192.

[3]المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، ج6، ص469.

المعنى يصل بكل سلاسة وسهولة، كما نجده في هجائه اعتمد على التصوير البلاغي القريب والمعروف والمأخوذ من الحس اليومي، فقد وظف عبارة " تأكل باليسار واليمين " فهذه الصورة البلاغية تعبر عن مدى طمع وجشع هؤلاء الأشخاص الذين يأكلون أموال الناس من غير وجه حق ، فهذه الصورة واضحة المعالم يمكن لأي متلق أن يفهمها بسهولة، وعلى الرغم من البساطة في اللغة والأسلوب عنده إلا أنه استطاع أن يظهر قوة وعمق المعنى في نقده لهذه الصفة الذميمة والسلوك القبيح المعيب ، مما أدى إلى إيصال فكرته وسخريته بطريقة مؤثرة بعيدة عن كل غموض أو إبهام. ونجده كذلك يهجو زمانه وأهله؛ إذ يقول:[1]

أَحِي بَينَ أَمْـوَات ركُودٍ وَيَقظَان لَـــدَى زَمَـنٍ نَؤُوم
أَدورفَمَا أَرَى إِلَّا نِيَامًا كَأَنِّي بَين أَصحَاب الرَّقِيم
عَفت أَقْلَام آدَابِي وَعِلْمِي بهم فَبَقَيتُ كَالرَّسم القَدِيم

يهجو الشاعر في هذه المقطوعة من أهله وزمانه،ويسخر منهم باستخدام عبارات مألوفة؛ إذ يعبر عن سخطه وغيظه من أنه يعيش بين أناس كأنهم أموات، وهذا دليل على غفلتهم وجهلهم، حيث شبه حاله كأنه بين أصحاب الكهف النائمين وهو الوحيد اليقظ، كما بين عدم اهتمامهم بالأدب والعلوم وهذا ما جعل الشاعر يرى نفسه كالرسم القديم بينهم، ورغم قساوة الهجاء في هذه الأبيات إلا أن الشاعر أعده في لغة مباشرة وواضحة ، وألفاظ مألوفة كـ(أموات ، ركود ، نؤوم ، نيام، أقلام أدبي وعلمي ، الرسم القديم) فهذه المفردات لا تحمل أي نوع من الغموض، والغرابة أو الندرة ، فكلها ألفاظ متداولة ، وهذا ما جعل معناها يصل بسرعة إلى ذهن المتلقي، كما اقتبس بعض الألفاظ القرآنية مثل (أصحاب الرقيم) ليدعم نصه، ويمنحه بعدا دلاليا واسعا يعكس سعة ثقافة الشاعر الدينية، كما أن تراكيب نصه قصيرة فكل شطر في هذه الأبيات يقدم معنى كاملا وتاما، مما يجعل المتلقي يفهم النص بسهولة، وبخاصة أن أسلوبه جاء مباشرا وواضحا مشحونا بعبارات السخرية، والاستهزاء تنحو منحى هجائيا، وقد وظف فيه الشاعر الصور البلاغية البسيطة كتشبيه حالته بأصحاب الكهف، وكذا المحسنات البديعية، وكالمقابلة في البيت الأول التي أضافت عمقا للمعنى المقصود، وأفصحت عن مفارقة بين ذات الشاعر وما هو كائن في واقعه؛ إذ عكست فخرا مخفيا، والتعريض في الوقت نفسه من الواقع.

وبذلك يستعمل الهجاء أسلوبا راقيا للتعبير عن محتوى ساخر، وهذا ما يحقق مفارقة بين جمال اللغة المستخدمة وقبح الدلالة، وهذا ما يزيد أيضا السخرية بعدا وعمقا، وبخاصة أن الهجاء لا يتوقف عند حدود نقل العيوب، بل يعيد بناءه فنيا ليصير سخرية مثيرة تعمل على إضحاك المتلقي، وتحط من قيمة المهجو، فكل التقنيات البلاغية التي يستخدمها الشاعر (الاستعارة، التشبيه، كناية....) وجل المفارقات المتجلية فيه، تزيد من قوة الاستهزاء والتهكم، وهذا ما يجعل الهجاء يتجاوز مجرد النقد، ويصبح فنا ساخرا قد يعتمد التعريض لا التصريح.كمارسم **"السميسر"** من خلال هجائه صورة ساخرة تجلت من خلال نقده للشعراء

[1] الكتاني الطبيب (أبو عبد الله محمد)،التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، ص 276.

بأسلوب أقرب إلى السهولة والبساطة، والدعابة حيث نعتهم بالجهل والحمق والغرور رغم شاعريتهم؛ إذ يقول: [1](السريع)

أَنَا أُحب الشِّـعرَلَكنَّني أَبْغَض أَهْلَ الشِّعرَبِالفِطرَهْ
فَلَست تَلقَى رَجلًا شَاعِرًا إِلَّا وَفِيــه خِـلــة نَكِـرَهْ
إِن لَمْ يَكُن كَـفرتَكُن أَفَّة تُلَازم الظّهرَأَو الســـــرهْ
وَالعَجب وَالنُّوك إِلَى الجَهلِ فِي أَكثَـــرهم إِلَّا مَع النّدرهْ

تمظهر الهجاء عبر هذه الأبيات في صورة نقدية ساخر لحالة الادعاء الإبداعي في ميدان الشعر، فهو يظهر استيائه من الشعراء الذين يسؤون إلى الشعر، وقد دعم هجاءه بسخرية لاذعة معتمدا على لغة تبعث على السهولة والطلاوة خالية من كل غموض، سلسة الأسلوب، مباشرة الدلالة، حيث بيّن حبه الكبير للشعر وبغضه لمن يمارسونه؛ لأنه لا يمكن أن نجد شاعرا إلا ويحمل صفة سيئة ومذمومة أو عيبا يلازمه أو مرضا كما زاد من حدة سخريته حينما نعت الشعراء بأن أغلبهم يتصفون بالغرور والجهل، ولعل براعة الشاعر وفصاحته وتمكنه من فن الشعر جعل ألفاظه عذبة المخرج، سهلة المبنى، لا غربة فيها ولا حوشية (أحب ، أبغض، بالفطرة، آفة، الظهر، السره، العجب، النوك، الجهل ...) حتى يستطيع المتلقي فهم أبياته واستساغتها ، كما اعتمد على وضوح الدلالة فقد تمكن من الانتقال من بيت إلى أخر بطريقة سلسة تجعل المتلقي يفهم المعنى دون عناء، كما استحضر في شعره صورا قريبة من الحياة التي لا تكلف فيها، ولقد اعتمد الشاعر على الوزن الواحد والقافية الثابتة حتى يجعل أبياته سهلة الحفظ والعلوق في ذهن السامع. وعليه فالشاعر دافع عن الفن الشعري عبر هجائه لكل شاعر مشوه أخلاقيا وثقافيا، وقدم ذمه بأسلوب استهزائي يجدب المتلقي في كشف المفارقة بين الشعر الجيد الراقي والشعراء غير مؤهلين الذي وضعهم في مكانة منحطة، وهذا ما خلق نوعا من المفارقة الساخرة التي تدعو المتلقي إلى التعجب والضحك في الوقت نفسه.كما نجده يسرف في هجائه للملوك والحكام بسبب إهمالهم لبلدانهم وانشغالهم بملذاتهم، وإهمال شعبهم وظلمهم لهم وطغيانهمعليهم؛ حيثيقول :[2](الوافر)

رَجَونَاكُم فَمَا أَنْصَفتُمُونَـا وَأَملنَاكُم فَخَذَلْتُمُونَـا
سَنَصبِروَالزَّمَان لَهُ انقِلَاب وَ أَنتُم بِالإِشَارَة تَفْهَمُونَا

نعاين من هذه الأبيات أن الهجاء مضمر؛ إذ سلب من المهجو كل الصفات الحسنة (الكرم، الوفاء...) وجعله في صورة جاحد وخاذل، وبذلك فقد تجاوز السب والشتم، وعرض ذمه في صورة فنية مكنته من تهديد وإدانة المهجو بطريقة خفية تعكس سخرية لاذعة تدعم الهجاء، وقد اتسمت لغته بالوضوح، والسلاسة؛ إذ سخر من الملوك والحكام المنشغلين بشهواتهم ورغباتهم، والغارقين في أهوائهم، فقد بيّن كيف وضعوا فيهم كل رجاء وأمل، لكنهم لم ينصفوهم وخيبوا ظنهم وآمالهم، كما بين أن هذه الحالة لن تدوم فسينقلب الزمان عليهم وينصفهم، ولقد صاغ الشاعر عباراته بألفاظ حسنة وعذبة يسهل استعملها وفهمها كـ(رجوناكم ،

[1] مصطفى الشكعة،الأدبالأندلسي ، موضوعاته وفنونه، ، دار العلم للملايين، ط3 ،بيروت ،1975 ،ص92.

[2] ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص885.

أنصفتمونا ، أملناكم ، خذلتمونا ، الزمان ، الإشارة ...)، كما انتقى الجمل قصيرة التركيب لا تحمل أي تعقيد نحوي أو تركيبي، أما معانيه فهي قريبة تصف خيبته ورجاءه من الحكام فهذه المعاني يفهمها الجميع لوضوح ألفاظها مما جعل رسالته تصل إلى المتلقي بطريقة سلسة وسريعة . كما نجده يهجو أقاربه بألفاظ عذبة المخرج، سهلة المبنى، بعيدة عن التعقيد، مستساغة لدى المتلقي ما تدل على براعته وحسن بيانه؛ إذ يقول:[1](البسيط)

أَقَارب السُّوء دَاء سُوء فَاحـمِل أَذَاهُم تَعِشَ حَمِيدًا

فَمَن تَكُـن قُرحَـة بفيه يَصبر عَلَى مَصه الصَّدِيدَا

يهجو الشاعر في هذه المقطوعة أقاربه السيئين الدنيئين؛ حيث برع في التشبيه؛ إذ شبههم بالداء أو المرض الخبيث الذي يكون آذاه كبير وخطير، لذا وجب الصبر على آذاهم، ومعاملتهم السيئة للعيش في راحة وسعادة، كما يكمل في بعث سهام هجائه، وصورته القاسية لهم بأن مثّل هذا الموقف بالذي يملك جرح أو قرحة في فمه فهو يصبر لإفرازاتها الصديدة ، فقد أسقط هذا المثل على أقارب السوء بأنه ملزم على التعايش معهم وتحمل أذاهم وبأسهم، ولقد استطاع الشاعر بقوة خياله وتصويره أن يبدع في تشبيه أقاربه بالداء الخبيث الذي يمص صاحبه صديده، وهذا يدل على قوة الألم الذي يلازم الشاعر، حيث نجده أبدع وتفنن في تقديم أبياته بلغة بسيطة وسهلة، ولكنها مشحونة بمعاني عميقة تعبر عن شدة معاناته،. كما تميزت أبياته بقصرها وقوة دلالتها، وهذا ما عمق من سخريته،قد قامت على إيقاع متماسك من خلال توظيف وزن واحد (البسيط) وقافيةمتناغمة مما زاد النص نغما موسيقيا فريدا.كما نجده يهجو مدينة المرية بألفاظ سلسة وواضحة؛ إذ يقول :[2] (الخفيف)

بِئسَ دَارِ المرِية فِيهَا لَيْسَ فِيهَا لسَاكن مَا يحب

بَلدَة لَا تمَار إِلَّا بَرِيح رُبَّمَا قَدْ تَهِبُ أَو لَا تَهـــب

ويقول سعيد بن الفرج الرشاش في هجائه للبخل والبخلاء مستعملا اللغة البسيطة والمتداولة؛ إذ يقول: [3]

إِنَّكَ لَا تَعرف الجَمِيل وَلَا تُفَرّق بَينَ القَبِيح وَالحَسَن

استطاع الشاعر أن يبني أبياته بلغة سهلة واضحة، قريبة من اللغة العادية، وخالية من الألفاظ المهجورة أو الغريبة التي تستدعي تحليلا واستنباطا، ويظهر ذلك من خلال قوله (تعرف، الجميل، تفرق، القبيح، الحسن) فهذه الألفاظ البسيطة ولدت سخرية ضد البخلاء؛ إذ يرميهم الشاعر بعبارات النقد المباشر الصريح؛ لأنهم ينكرون الجميل ولا يفرقون بين ما هو قبيح، وما هو حسن، وهذا ما جعل الشاعر يلجأ إلى الأسلوب الواضح اليسير والألفاظ المفهومة، واللغة الميسورة، والتضاد (قبيح وحسن) الذي حقق المفارقة فكل هذه السمات أسهمت في تعميق المعنى الساخر، ومررت بذلك هجاءً مدعوما بسخريه لاذعة، وتمكن الشاعر من تحويل الذم إلى صورة مضحكة، وذلك لإذلال المهجو والحط من مقامه، وهذا ما جعل

[1]المصدر نفسه،مج1، ص 884.

[2]ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق 1 ، مج 1 ، ص 882.

[3]الكتاني،(أبو عبد الله محمد بن الطبيب)،التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، دار الثقافة،بيروت، لبنان،253

وقعه على النفس أكثر شدة وعمقا . وقد هجا «**مؤمن بن سعيد**" زرياب هجاءً لاذعا، رغبة منه في الحط من قيمته، وجعله وضيعا بين الناس، فوظف الهجاء القاسي والانتقاد الجارح، بلغة جلية مفهومة تقترب إلى لغة العامة؛إذ يقول:[1]

تَبَارَك من أَذل الخزّ حَتَّى تَمعك فِيه أَفوَاه الكِلَابِ
وَمَن جَعَل الغَوَالِي سَائِلَات عَلَى أَصدَاعِ اَسوَد كَالغُرَابِ

لقد ارتكزت هذه الأبيات على الهجاء القاسي، إذ عمد الشاعر إلى الحط من مكانة زرياب (مغني مشهور) وأهانه إهانة شديدة وأنزله إلى مرتبة الحيوان، وهي مبالغة ساخرة؛ حيث هجاءه بألفاظ فاحشة وبذيئة تستقبحها الأذن، حيث جعل الغوالي، وهي الأشياء ذات القيمة الثمينة تسيل على أصداع أسود كالغراب، فقد شبه الأشياء الغالية كلون الغراب في سوادها، وهذا يعكس مفارقة بين الغالي والرخيص مستخدما ألفاظا بسيطة (الكلاب ، الغوالي ، أصداع ، الغراب ...) ، كما أظهر نبرة تهكمية من خلال قوله: "تبارك من أذل"، فهذا يعكس مباركة الشاعر الذل، وهذا ما كشف عن سخرية مضمرة في تمجيد واه، كما نجد الجمل القصيرة، والتراكيب المألوفة وضعها في قالب بعيد عن التعقيد والالتفاف البلاغي، وخال من التكلف لا يستدعي أي تعمق فكري أو تعقيد ذهني، وهذا ما جعل نصه يخرج في مستوى من التصريح المباشر والنقد الواضح، وعليه فكل السمات السابقة قد أسهمت في تعميق المعنى الساخر، وقلب صورة زرياب إلى صورة مشوهة مثيرة للضحك، وهذا ما يبين قدرة الشاعر على استقاء المعاني القريبة وتوجيهها لخدمة نصه وغرضه الشعري . ويعد "ابن خفاجة" من أبرز شعراء الأندلس، وقد هجا بدوره شريحة الفقهاء بقوله[2]: (الكامل)

دَرَسُوا العُلُوم لِيَملكُوا بجِدَالهم فِيهَا صُدُور مرَ اتب وَمَجَالس
وَتَزهَدُوا حَتَّى أَصَابُوا قَريَة فِي أَخذ مَسَاجِد وَكَنَائِس

تميزت عباراته بالسهولة، فجاء كلامه سائغا للنفس بعيدا عن كل تعقيد أو تركيب ركيك، أو غموض في اللفظ والمعنى، لذا نلمح في شعره نوعا من المتانة وحسن التركيب في العبارات، حتى وان تكررت المعاني فيه نجد أن القارئ يرى أثرها وبراعة الشاعر في حسن اختيارها؛ لأنها كلما مرت على نفسه تجدد الأثر فيها [3]. كما هجا **"ابن عبده ربه"** البخلاء، واستخدم لغة سهلة، وألفاظا بسيطة التي لا تحمل تعقيدا ولا تكلف حيث يقول:[4]

حِجَارَة بَخل مَا تَجُود وَرُبمَا تَفجر مِن صَم الحجَارَة مَاء
وَلَو أَنَّ مُوسَى جَاءَ يَضرب بِالعَصَا لمَا اِنبَجَسَت مِن ضَربَة البُخَلَاء

ورد هجاء الشاعر في صورة ساخرة مستهدفة البخلاء، وقد استخدم ألفاظا سهلة، ولكنها قوية ومعبرة نحو: حجارة، تفجر، انْبَجست، ضربة، البخلاء، صم، وهذا ما عزز من حدة الهجاء، كما أنها استطاعت أن

[1] المصدر نفسه، ص 285.
[2] ابن خفاجة ،الديوان ، ص155.
[3] ينظر، أحمد ضيف، بلاغة العرب في الأندلس، مطبعة مصر، ط1، 1924، ص 195،193.
[4] ابن عبد ربه، الديوان، ص 15.

تستدعي مشاهدة حسية وقربت المعنى إلى الذهن المتلقي، كذلك التناقض (الجماد والبشر، الجود والبخل) كل هذا أسهم في تعميق المعنى الساخر، إذ حقق مفارقة حسية ساخرة، كما أنها ألفاظ سلسة قريبة من ألفاظ الحياة اليومية (حجارة ، بخل ،تفجر ،العصا ،انبجست ،ضربة ..) وهي كلمات لا تحتاج إلى أي جهد من المتلقي لفهمها، مما اكسب أبياته جمالا بلاغيا، وأثرا قويا، يقنع المتلقي ويؤثر فيه، وبذلك فلغته الشعرية تضمنت معاني تعبيرية كشفت عما بفكر الشاعر من كره وذم للبخلاء. وقد قال صاحب كتاب " يتيمة الدهر" عن ابن عبد ربه بأنه " أحد محاسن الأندلس علما وأدبا ونبلا، وشعره في غاية الجزالة والحلاوة، وعليه رونق البلاغة والطلاوة "[1] ومن الشعر الهجائي الذي عرف بسرعة شيوعه وانتشاره في أواسط الناس، وتداوله بينهم، ويعزي ذلك إلى سهولة ويسر ألفاظه، وعذوبة تعابيره، ووضوح دلالاته، نجد هجاءات ابن حزمون، حيث قال فيه المراكشي :" ولا أعلم في جميع بلاد المغرب بلدا، إلا وأهاجي هذا الرجل تحفظ فيه وتدرس"[2].حيث عمد الشاعر في وصفه لأحد ملوك الأندلس يصور لحيته الضخمة بصورة تهكمية ساخرة بألفاظ بسيطة لا تحمل أي تعقيد أو تكلف حيث قال: [3]

تَمِيل بِشد فِيه إِلَي الأَرض لَحية تَظن بِهَا مَاء يَفرغ مِن دَلْوٍ

يهجو الشاعر في شعره صاحب اللحية، ولكنه لا يقصد المظهر الخارجي، وإنما عدها كرمز لكل تصنع، وهذا تعريض لكل من يحرص على جمال مظهره، وهو لا يملك جوهرا نقيا، وقد وظف الشاعر في هذا البيت لغة حسية كشفت عن ذم مبالغ فيه، ولكنه اعتمد على معجم لغوي سهل ومألوف، في رسم صورته الساخرة، والهزلية للحية هذا الملك، في استرسالها المبالغ فيه حتى تكاد تلامس الأرض بطولها، حيث ماثل كثافتها بانسياب الماء وانحداره من الدلو وهذا لتقريب الصورة للمتلقي، وتمت صياغتها بألفاظ معروفة أخذها الشاعر من الحياة اليومية للأفراد " يفرغ الماء من الدلو " وهذا ما جعل المعنى أوضح وأعمق، كما زاد أثرا ووقعا في نفس السامع؛ لأنها تعد ضربة شعرية ساخرة، تثير ضحك القارئ، وتكشف حقيقة المهجو دون ذكر اسمه.

وعليه يمكن القول إن شعراء الأندلس تخيروا ألفاظهم بشكل دقيق وفني في هجائهم؛ لأن وظيفتها لا تتحدد بالوظيفة الجمالية فقط، بل تتعدى إلى الوظيفة التعبيرية المتمكنة من الإحاطة بجميع الانفعالات والمقاصد، وبخاصة أن بناء الخطاب الهجائي متجه اتجاها ساخرا، وبذلك لا بد أن تتماشى وتنسجم الألفاظ مع طبيعة الغرض الذي ترمي إليه وهو الهجاء المعزز بالسخرية، وهذا باعتبار الألفاظ مرآة المعنى والترجمة لها لذا أولوا أهمية خاصة لها،فاستخدموا اللغة السلسلة العذبة الألفاظ والمرنة الأسلوب ذات التأثير القوي، وهذا حتى يضمنوا لأشعارهم التداول والانتشار بين ألسنة السامعين، كما تميزت اللغة في أشعارهم بأنها تقترب إلى لغة العامة المباشرة ، والشائعة وهذا ما يظهر الثقافة اللغوية والأدبية الكبيرة للشعراء الهجائين في هذه البيئة .

[1] أحمد ضيف، بلاغة العرب في الأندلس، ص 91.

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 374.

[3] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، ج5،ص37.

ولكن بعد أن تميزت لغة الشعر الهجائي بداية بالسهولة والسلاسة تغير الوضع وبخاصة بعد الانفتاح على ثقافات جديدة، فقد تجاوز الشاعر المعجم اللغوي القديم، وأصبحت اللغة ميدانا خصبا تمازجت وأثرت فيه الثقافات، مما أدى إلى انتشار وتسلل ألفاظ ومصطلحات جديدة، ودخيلة وغير معهودة على الهجاء، وهذا ما جعله يكتسب تعددا لفظيا، وثراء دلاليا كبيرا.ومن ذلك نجد هجاء **"ابن الياسمين"**لأحدالأشخاص هجاء ساخرا موظفا المصطلحات النحوية في شعره؛ إذ يقول:[1](البسيط)

يا أعرق الناس في نسل اليهود دوما تأبى شمائله التفصيل للجمل

خدها بحكم اجتماع الدم واحدة تغني عن النعت والتوكيد والبدل

لقد استعان الشاعر في هجائه بتوظيف المعجم النحوي العربي الأصيل، ليدمج عمله بطابع نحوي، وهذا ما يدل على ثراء معارفه، وانفتاحه واطلاعه على حقول معرفية جديدة واكتساب معارف مستحدثة، ولعل براعة الشاعر وذكاءه جعل هذه المصطلحات خادمة لسياقه الساخر، حيث هجا بطريقة هزلية ساخرة أحد الأشخاص؛ إذ خاطبه ووصفه بأنه أقدم الناس وأعرقهم أصلا في نسل اليهود، باعتبار أن فضائله ترفض التفصيل، دلالة على قبح طباعه وسوء أخلاقه ، فهذه النقائص والمثالب اجتمعت فيه بسبب دمه وأصله اليهودي، فهي تغني على أن يوضحها بتوكيد أو بنعت، فالشاعر عزز سخريته بتوظيف ألفاظ ومصطلحات نحوية (النعت . التوكيد ، البدل ..) بطريقة فنية وفي إطار هجائي ما يعكس تشبعه بالثقافة والمعارف الجديدة.كما هجا " **ابن عبد ربه"** من العلماء المنشغلين بالفلك والحساب أمثال ابن موسى، ومعاوية بن الشبانس؛ إذ يقول :[2]

زَعَـــمت بهَرَام أَو بَيَدخت يَرزقنَا لَا بَل عَطَارد أَو مِريخ أَو زُحَلا

وَقُلت إِن جَمِيع الأَرض فِي فَلَك بِهِم يُحِيط وَفِيهِم يُقَسّم الاجلَا

وَالأَرضُ كُرَوِيَّة حف السَّمَاء بهَا فَوقَا وَتَحتا وَصَارَت نُقطَة مَثَلا

صَيف الجَنُوب شتَاء للشَمَالِ بِهَا قَد صَارَبَيْنَهمَا هَذَا وَذَا دُولا

كَمَا اِستَمَرَّابنَ مُوسَى فِي غِوَايَتِه فَوعر السَّهل حَتَّى خَلته جَبَلا

أَبـــــلغ مُعَاوِيَة المصغِي لِقَولِهمَا أَنِي كَفرت بِمَا قَالَا وَمَا فَعَلَا

وظف الشاعر في هذه الأبيات ألفاظا وعبارات مغايره لما عهدناه في قصائده الهجائية، حيث قرن ألفاظه العادية المألوفة بألفاظ مبتكرة كأسماء الكواكب، والمصطلحات العلمية، والجغرافية والفلكية، فقد استغل كل موهبته الفنية، وطاقته الإبداعية في إدراج هذه المصطلحات في قاموسه اللغوي حتى يحمل معاني مستحدثة، ومضامين مبتكرة تدل على تأثر الشاعر بتيارات فكرية جديدة، وانفتاحه على ثقافات وموروثات علمية، فنجده يورد أسماء بعض الكواكب (بهرام اسم كوكب المريخ باللغة الفارسية)، بيدخت (نجم عند الفرس والهنود) (عطارد ، المريخ ، زحل) التي كان المنجمون يعتمدون عليهم في ممارساتهم وطقوسهم، كما

[1] الياخرزي (علي بن حسن بن علي أبي الطيب)، دمية القصر وعصره أهل العصر،ج1، ،تح : محمد التنوخي ، دار الجيل ، ط1، بيروت ، 1993، ص 155.

[2] فوزي عيسى ، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص125.

يبين كيف أنهم جعلوا الأرض في فلك يحيط بهذه الكواكب المسؤولة عن مصائر الناس وآجالهم، ويؤكد الشاعر على أن هؤلاء المنشغلين بالعلوم جعلوا الأرض كروية ، كما يورد حديثهم على تعاقب الفصول (الصيف ، الشتاء ..) وعن الظواهر الفلكية، ويستمر في سخريته التي وجها لابن موسى، ومعاوية بن الشبانس، وبيّن الشاعر كفره وعدم تصديقه لهؤلاء المنجمين سواء أكان ذلك من الجانب الفعلي أو القولي وكل ذلك بفضل لغته الهجائية الساخرة التي أدان بواسطتها مجمل التيارات التي ظهرت في بيئته، والتي تعكس الضلال والكفر والغواية حسب تصوره، وهذا يعكس أيضا الصراع الثقافي المتجلي في هذه البيئة في تلك الحقبة.

وعليه فثقافته الكبيرة والواسعة قد أسهمت في ثراء ألفاظه، ومعجمه اللغوي من خلال استخدامه لبعض الألفاظ الدخيلة ذات أصول فارسية، ويونانية، وهندية مما أضفى بعدا شعريا إبداعيا على أبياته، وخلق روحا شعرية جديدة فلم تجعله حبيس معجمه التقليدي، كما أنه استطاع بلغته تعميق المعنى الساخر والتجديد في موضوعاته، وإثراء سعة مخيلته الشعرية إلى تصور موضوعات جديدة جمع فيها بين الشعر والعلوم، مما يعكس تأثره الفكري، وهذا ما زاد من قوة هجائه وقدرته على تعميق معنى السخرية وتحويلها من الضحك إلى النقد العميق، وتحقيق وبلاغتها، وتبيان قدرتها على التأثير في المتلقي والحط من مقام المهجو.

كما وطد الشعراء الأندلسيون قوة وعمق أشعارهم الهجائية ودلالتها ومنحوها جاذبية، من خلال استلهامهم من النص الديني؛ باعتبار أن القرآن هو المصدر الأول للعلم، والمورد الذي استقى منه الشعراء والأدباء لغتهم وصقلوها ورفعوا من قيمتها؛ لأن لغته تعد سر البيان، وجزلة البنيان، وهذا ما دفع بشعراء الأندلس إلى الاغتراف من لغته السامقة الرصينة، وذلك لتحريك مشاعر المتلقي، وإقناعه بإبداعاتهم للوصول بأشعارهم الهجائية المدعمة بالسخرية إلى أعلي درجة من الشاعرية والإبداع. وهذا ما تجلى على سبيل المثال لا الحصر عند بعض الشعراء منهم ، حيث احتكم أحد الشعراء في سخريته من امرأة قبيحة الوجه إلى الألفاظ الغليظة والقاسية، والجارحة؛ حيث يقول: [1]

تَبْدُو بِوَجهِ مَا رَأَه امرُؤ إِلَّا تَمنَى النَّفخ فِي الصُّورِ

اتكأ الشاعر في هجائه على ألفاظ قرآنية ليبين غرابة المشهد فقد أخذ ألفاظه من قوله تعالى :﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات والأرض إلا من شاء الله ﴾(سورةالزمر ، الآية 68) ، وهذا ليظهر أن ملامح هذه المرأة لا تضارع شيئا مألوفا، وإنما من رأى وجهها تمنى قيام الساعة، فكأن وجهها يثير الفزع والخوف، فهذا البيت عكس هجاء شديدا وسخرية لاذعة؛ إذ جمع فيه الشاعر بين منظر الشخص وأهوال يوم القيامة فهذا البعد الديني أضفى قوة على هجائه، ووقعا بالغا على نفس متلقيه.

كما نجد أيضا الشاعر أبي إسحاق الإلبيري يهجو الحاكم باديس بن حبوس لاختياره كاتبا يهوديا ومنحه الصلاحية للتدخل في نظام الحكم وتسيير أمور المسلمين، فعمد إلى هجائه والسخرية منه في قوله (المتقارب):[2]

[1] الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ،ص 246.

[2] الالبيري ،الديوان ،تح محمد رضوان الداية ،ط1 ص 108.

أَلَا قُل لِصَنهَاجَة أَجمَعِين بدُور النَّدَى وَأَسَد العَرِين
لَقَد زَلَّ سَيدكم زَلَّــة تَقْرَبهَا أَعيُن الشَّامِتِين
تَحيزكَاتبَه كَـــــافِرا وَلَو شَاءَ كَانَ مِن المُسلِمِين
وَ أَنزَلَهُم حَيثُيَستاهلُون وَرَدهم أَسفَل السَّافِلِين

ولقد استلهم الشاعر بعض ألفاظه من قوله تعالى :" لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين " (سورة التين ، الآية 4،5) وهذا دليل على تأثر الشاعر بالثقافة الدينية وتأييد كلامه بكلام القرآن مما يجعل لنصه قداسة وتفردا، ويزيد لغته فصاحة وبلاغة مما يضاعف قوة تأثيرها في النفس وهذا ما جعل هذه القصيدة تحمل نوعا من التميز والبراعة من خلال استعانته بالمعاني الدينية والإسلامية أدى إلى رفعها إلى مستوى الإتقان وجعلها تبلغ ذروتها من الإبداع ، وبلغ بها الشاعر مرامه الذي كتبها من أجله،ويستدعي**"لسان الدين ابن الخطيب"**صورةأصحاب الرقيم في هجائه لأهل عصره؛ حيث يقول:[1]

أَدورفَـــمَا أَرَى إِلَّا نِيَامًا كَأَنّي بَين أَصحَاب الرَّقِيم

تجلى الهجاء في صورة ساخرة؛ إذ رسم صورة بألفاظ ليست بشعة وجارحة، بل اكتفى بتقديم صورة تنم عن الرزانة والاتزان: «فما أرى إلا نياما "، فهذه اللغة صبغت هجاءه بصبغة تهكمية؛ وكأنه يُعيب التغافل التراخي والتهاون بأسلوب ساخر، كما أن لفظة" أدور" تفيد الحركة، أما " نياما" تشير إلى السكون والتراخي والغفلة، وهذا يعكس مفارقة بين نباهة الشاعر ويقظته، وسكون ما حوله، وعليه فاللغة في هذا البيت تفضح الواقع وتبرزه في صورة ساخرة، وبذلك فكل لفظ أدى وظيفة دلالية، وهذا ما جعل اللغة آلية هجائية رفيعة تثير ضحك القارئ وتحط من قيمة المهجو. ويقول ابن عامر الأصيل هاجيا:[2]

يَحسد فِرعَون عَلَى قَولِه " وَهَذِه الأَنهَارتَجْرِي مِن تَحْتِي "

يهجو الشاعر شخصا متكبرا؛ إذ قدم صورة ساخرة تفضح تكبره وغروره، وتعالِيه على الآخرين، وهذا ما يحيل إلى الصفات الذميمة التي تلازمه، كما يبين حسده لفرعون على قوله: " وهذه الأنهار تجري من تحتي "، فهذه العبارة اقتباسها من قوله تعالى : ﴿ ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون﴾ (سورة الزخرف ، الآية 51)، فهذا الشخص تمنى أن يكون مكان فرعون، وتلفظ بهذه العبارة، فهذا الهجاء يميط عن المهجو التواضع والحياء، ويبرزه في صورة من التكبر والادعاء، وبخاصة أنه مغرم بعبارة "فرعون" التي تنم عن غروره ونكرانه وكفره، وعليه فالهجاء ليس فقط ضد التفاخر والتكبر، بل ضد الانبهار بالباطل والاستبداد، وهذا ما جعل المهجو يُبرز في صورة مشينة أخلاقيا وثقافيا، وبهذا قد تفنن الشاعر في اقتباس عبارة القرآن معززا أبياته وغرضه المنشود وهو الهجاء المدعم بالسخرية، مما أدى إلى تكثيف دلالة الأبيات وجماليتها. وقد لجأ أيضا "ابن حجاج الاشبيلي" إلى القرآن الكريم واستحضر ألفاظه وعباراته في شعره الهجائي، ليزيد لغته قوة ورقيا؛ إذ يقول(البسيط) :[3]

---

[1] الكتاني ،التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، ص 618.

[2] الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ج2، ص 311

[3] التجيبيالمرسي(أبو بحر صفوان بن ادريس)،زادالمسافر وغرة محيا الادب السافر، ص 61.

عَلَى مُعَادٍ قرُون لَو يُعَاينهَا فِرعَون مَا قَالَ " أَوقَد لِي الطِّين
قَالَت لَهُ عِرسُهُ إِذ جَاءَ يَنكِحُها مَاذَا دُهيتُ بِهِ مِن كُلِّ عِنّينِ
هَلا اِستَعَنتَ بِمَيمونٍ فَقالَ لَهاإِنّي اِستَعَنتُ عَلى نَفسي بِمَيمونِ

نعاين في هذه الأبيات هجاء ساخرا؛ إذ يبرز الشاعر المهجو في صورة مهينة وبشعة عبر صور بلاغية لاذعة السخرية، ومفارقات تميط عنه الاحترام، وتجعله رمزا للادعاء، فهو قد اعتمد على السخرية الملتحمة بالمبالغة في رسم صورة تهكمية هزلية لهذا الشخص (معاد) بطريقة تثير الضحك والاستهزاء ، من خلال وصف قرونه العظيمة التي تعلو رأس، إذ بالغ بقوله لو يعاينها فرعون ما قال: " أوقد لي الطين فهذه العبارة استنبطها الشاعر وأخذها من قوله تعالى : ﴿ وقال فرعون يا أيها الملا ما علمت من اله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ (سورة القصص ، الآية 38) فالشاعر استحضر في شعره ألفاظ هذه الآية التي تدل على القوة والجبروت وأسقطها على هذا الشخص ليظهر مدى ضخامة هذه القرون حتى أن فرعون المعروف بقوته وسطوه لو رآها لطلب أن يجعل له مثلها وهذا تشبيه مضمر تحت السخرية اللاذعة، وهذا ما جعل لغته الهجائية راقية قادرة تعميق المعنى الساخر قصد الاستهجان، وبخاصة أنه تمكن من خلق صورة هجائية ساخرة تعكس الجوانب السلبية المتجلية بين بعض أفراد المجتمع، وتعميق الوعي بما هو كائن، ولقد عمد الشاعر إلى الاقتباس من الآيات القرآنية دليل على تشبعه بالثقافة الدينية، وحتى يضفي قوة على ألفاظه، مما أدى إلى زيادة تأثيره على نفس المتلقي . أما الشاعر "**إبراهيم بن أغلب**"فيضمن خيوط شعره من سورة المسد، وذلك ليستقي من عباراتها سطورا هجائية ذات تأثير قوي على خصمه؛ حيث يقول (البسيط):[1]

سَائِل بِقَفصَة هَل كَانَ الشَّقِي لَهَا بعلا فَكَانَت لَهُ حَمَالَة الحَطَبِ
تَبَـــــت يَـــدَا كَافِرِبالله أَلهَبَهَـــا فَكَان كَالكَافِرِ الأَشْقَى أَبَى لَهَـــبِ
لمَا زَنَت وَهِي تَحتَ الأَرض مُحصنَة رَجَمتُمُوهَا اتّبَاع الشَّرع بِالحصبِ

يتجلى لنا من خلال هذه الأبيات هجاء موجها نحو زوجة أحد الأشخاص؛حيث شبهها بزوجة أبى لهب " حمالة الحطب" وهذا لما تحمله من شر الطباع وسوء الأخلاق، فهذه الألفاظ أضفت طابعا ساخرا على الموقف، فالشاعر استحضر المقدس في مضمون هجائي، وخلق بذلك مفارقة ساخرة بين المقدس وما هو كائن، وأظهر المهجو/الزوجة في صورة قبيحة، معتمد في ذلك على ألفاظ سورة المسد، ربما ليجعل الزوجة وزجها رمزا للفساد الأخلاقي؛ حيث صرح الشاعر أن زوجها خسر وهلك وقد شبهه بأبي لهب الكافرويستمر الشاعر في سخريته من هذه المرأة وزجها بألفاظ قاسية وهجاء صريح. ولقد استمد الشاعر ألفاظه ومعاني أبياته من القران الكريم وهذا لتقويتها وجعل السخرية أكثر تأثيرا وأعمق دلالة.

وبناءً على ما سبق يمكن القول:

لقد اتخذ شعراء الأندلس من القرآن الكريم مادة ثرية لأشعارهم،ونبعا يستقون منه ألفاظهم وأفكارهم ، ولعل ما يمكن أن نلحظه أنه لا يمكن أن يخلو أي عمل فني وإبداعي من التناص القرآني لأنه الركيزة التي يستلهمون منها انتاجاتهم وإبداعاتهم، ولقد تجلت الثقافة الدينية في أشعار الهجائين الأندلسيين

[1] الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر ، ج2،ص168.

حيث ارتووا منها ووهجوا أبياتهم بألفاظها ومعانيها ، فجاءت أشعارهم ومقطوعاتهم قوية المعنى عميقة الأثر مما عزز جماليتها ، ولعل ما يميز القرآن الكريم من قداسة وهيبة أشعت في هذه الأشعار التي استقت منه حيث أعطاها نوعا من الهيبة واكسبها قوة واثر روحانيا خاصا، ومنه فاستقاء شعراء الأندلس من القرآن منح أشعارهم قوة في المعنى وجمالا في التعبير وعمقا في الدلالة مما جعل قصائدهم أكثر تأثيرا وأعمق أثرا .

كما استحضر الشعراء أيضا ألفاظا وعبارات تم اقتباسها من الأحاديث النبوية الشريفة؛ إذ نجد "ابن صارة الشنتريني"يهجو ظاهرة البخل ويذم الحرص الشديد على المال وجمعه خوفا من نوائب الدهر فيقول:[1]

اَسعد بِمَالك فِي الحَيَاة وَلَا تَكُن تَبقَى عَلَيه حِذَار فَقر حاَدِث

فَالبَخل بَينَ الحَـادثَين وَإِنَّمَا مَال البَخِيل لحَادث أَو وَرَاث

يصور الشاعر في هذه الأبيات أحد البخلاء بطريقة تهكمية ساخرة، مبينا طمعه الشديد وجشعه من خلال تكديسه للأموال وحرمان نفسه من السعادة، حيث افتتح أبياته بإسداء نصيحة له بأن يترك السعي وراء جمع المال وحثه على الإنفاق ، لان مال البخيل معرض للزوال لا مفر من ذلك إن لم ينفق في وجه الخير والصلاح ، إما عن طريق حوادث ونوازل الدهر التي ستفاجئه أو عن طريق وارث له بعد مماته ، لذا فالشاعر يحذر البخيل وينذره بأن هذا المال لا بد من هلاكه بآفة من الآفات ، وقد استمد هذا المعنى من الحديث الشريف في قول علي رضي الله عنه :" بشّر مال البخيل بحادث أو وارث "[2] فهذا الحديث يفتتح بكلمة " بشر " فهذه الكلمة استخدمت على سبيل التهكم والاستهزاء وهي تدل على التحذير والإنذار بأن ماله لا محالة إلى زوال ، لذا نجد تناص الشاعر متوافقا في الشكل والمعنى مع الحديث وهذا ما يحقق توضيحا لما يريده من الدعوة إلى الإنفاق واستغلال المال في الخير والابتعاد عن البخل؛ لذا فالشاعر وجه طعناته الجارحة لهذا البخيل بأسلوب ضمني ساخر ينبهه من الانشغال بمتاع الدنيا وجمع الأموال لأنها لا محالة إلى زوال، وأن يسعد بماله في الحياة.

كما اعتمد الشاعر الأندلسي على الموروث الشعري العربي، وبخاصة أنه يمكن للشاعر أن يستعين بخاطر شاعر آخر؛ ولكنه لا يكتفي باستحضار الكلمات والعبارات فقط، بل قد يجلب الموقف الذي له علاقة بذلك الشعر، ويعيد صياغته بلغة مغايرة تعبر عن موقفه المتفرد والخاص، وهذا التداخل يعد ظاهرة لغوية تكشف عن كيفية تفاعل الشاعر مع تراثه الشعري، وهذا ما يغني لغته الشعرية، ويضفي على نصه المغاير والجديد عمقا دلاليا، وهذا ما تجلى في الشعر الهجائي الأندلسي؛ إذ نجد بعض الشعراء على سبيل المثال لا الحصر، يتفاعلون مع الموروث الشعري، ويستحضرونه في شعرهم؛ إذ نجد "**الأعمى المخزومي**"قد وظف ما نسجه الشعراء الأوائل من أشعار فأنار بها دلالات شعره، حيث نجده يأخذ بيتا مشهورا من أبيات "أبي الأسود الدؤلي" ويضمنه في مقطوعته وذلك ليذم ظاهرة الفسوق، فقد قام بهجاء ابن القصير وابنه على تحليهم بهذه الصفة المشينة التي تؤدي إلى سوء الأخلاق وانحلالها حيث يقول: (الكامل)[3]

---

[1] ابن الآبار ، التكملة لكتاب الصلة ، تح وضبط : بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، ج2 ،ص 252.

[2] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، الآداب الشرعية والمنح المرعية، مطبعة المنار ، ط1،ج3، 1349هـ، مصر ،ص 317.

[3] التجيبيالمرسي ،زادالمسافر وغرة محيا الادب السافر ، ص 76.

لِابنِ القَصِير مَعَ اِبنِهِ وَصَغِيره حَجج بِهَا سُوق الفسُوق تَقوم
أَلقَاه يَوْمًا تَحتَ أسود حَالك فَبَدَا يُعَاتِبـــــه لِذَا وَيَلُومُ
فَأَجَابَه مُتَعَجِبًا وَجَوَابُــه بَيْت عَلَى مَرِّ الزَّمَـان قَدِيمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيكَ إِذَا فَعَلتَ عَظِيـمُ

عمد الشاعر في هذه الأبيات إلى إرساء معالم سخريته اللاذعة المتضمنة في هجائه الحاد من ابن القصير وابنه وذلك لتحليهم بالخصال الذميمة، والطباع المنحطة، والأخلاق المنحرفة، ووقوعهم في شباك الرذيلة والفسوق وذلك في قوله " سوق الفسوق "، ويكمل الشاعر في ذمهم وإنزال مقامهم في أن الوالد وجد ابنه على ضلالة وفي ظلام الانحلال الأخلاقي ، فأخذ يلومه على هذه الأفعال ولكن الولد اندهش واستغرب من نصيحة والده؛ لأن هذه الصفات ورثها منه ومن طباعه، أما ما زاد من سخريته حدة وصرامة وتأثيرا هو تضمين بيته الأخير من بيت أبي الأسود الدؤلي حينما قال :[1]

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيكَ إِذَا فَعَلتَ عَظِيـمُ

ومعناه لا يمكن أن ينهي الناس على الأخلاق الذميمة، ولكنه في الوقت ذاته يمارسها ويقع في السلوكيات المشينة، فهذا التناقض الكبير بين القول والفعل؛ أي بين النصح الذي يوجهه للآخرين، وبما يفعله يؤدي بصاحبه إلى العار؛ لأن النصح يكون بالفعل ليس بالقول فقط، فهنا ابن القصير يدعو ابنه إلى التحلي بمكارم الأخلاق وترك كل ما هو مشين وقبيح، ولكنه هو يمارس هذه الأفعال. ولعل توظيف الشاعر للتضمين أعطى شحنة دلالية خاصة لأبياته، كما انه زادها بعدا جماليا وفنيا مما أدى إلى سهولة فهم معناها ودلالتها.

ولقد تعمد الشاعر الأبيض (**أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري**) في سخريته من أحد الأشخاص يسمى ابن حمدين إلى استخدام لغة مفهومة المعالم، واضحة المسالك، مستمدا في ذلك أبياته من أبيات جرير في الهجاء؛ إذيقول:[2]**(المتقارب)**

يُرِيد اِبنَ حَمدين أَن يَعتفَى وَجَدوَاه اَنأَى مـــن الكَوكَبِ
إِذَا ذَكَر الجُود حَك أَسته لِيثبـــتَ دَعــوَاه فِي تَغلبِ

وقد اقتبس بيته الأخير من بيت جرير عندما هجا الأخطل؛ إذ يقول:[3]

وَالتَّغلَبِي إِذَا تَنَحْنَحَ لِلقُــرَى حك أَستهُ وَتمثـــل الأَمْثَالَا

لقد أدمج الشاعر معنى نص جرير وهو يهجو الأخطل في مقطوعته، وهذا ما منحه فرصة إغناء لغته الشعرية وتحويرها للتعبير عن موقفه، وقد أضفى بذلك بعدا دلاليا جديدا على نصه؛ حيث أعاد صياغة

1- البغدادي (عبد القادر بن عمر)، خزانة الأدب ولب لُباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ج8، ط2، 1409هـ، 1989م، القاهرة، ص567

[2]ابن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 128.

3-جرير، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، دط، 1406هـ، 1986م، بيروت، ص 362.

المعنى بلغة تهكمية ساخرة، تبرز صورة ابن حمدين الذي يريد أن يعتفى؛ أي يريد أن يمدحه الناس على جوده وعطاياه ، ولكن جوده بعيد المنال بُعد الكواكب في السماء ، ويستمر الشاعر في هجائه حينما وصفه بأنه إذا ذكر الجود أمامه حك أسته ، فهنا الشاعر يهجوه بأسلوب تهكمي قاسي يظهر فيه احتقاره وازدرائه لهذا الشخص البخيل وعن فعله المشين الذي قام به ، أما في قوله " ليبث دعواه في تغلب " فكأنه يصف أنه يدعي الانتماء لقبيلة تغلب التي عرفت بكرمها وجودها ومروءتها ، فالشاعر هنا يهجو بطريقة ساخرة ابن حمدين الذي يدعي الجود، ولكن أفعاله تناقض ادعائه ، فجوده بعيد كالكواكب، ولقد أخذ الشاعر هذا المعنى من معنى جرير حينما سخر وهجا الأخطل التغلبي التي عرفت قبيلته بكرمها ، انه إذا أتى وقت الضيافة وتقديم الطعام يفعل أشياء مشينة (حك أسته) ما يدل على تجاهل الضيف. ويمكن القول إن الشاعر أعاد صياغة المعنى بلغته الخاصة، فقدم صورة هجائية ساخرة جعلت المهجو في مكانة دنيئة ومنحطة، مما زاد أبياته قوة وتأثيرا. ونجد قول **المخزومي** وهو يسخر من نزهون بنت القلاعي الغرناطية لا يكتفي باستحضار الألفاظ، بل يجلب الموقف ؛ حيث يقول :[1](الطويل)

عَلَى وَجه نَزهون مِن الحَسن مسحَة وَان كَانَ قَدْ أمْسَى مِن الضَّوءِ عَارِيًا
قَوَاصِد نَزهُون توارك غَيرَهَا ومن قَصد البَحر استَقَل الســـــتو اقيا

فهذا البيت للمخزومي يضمنه من بيت الشاعر ذي الرمة في قوله:[2]

عَلَى وَجهِأُمي مسحَة مِن مَلَاحَةٍ وَتَحتَ الشَّيْبِ العَارِلَو كَانَ بَادِيًا
أَلَـــم ترَ أنّ المَاءَ يَخبُثُ طعمَهُ وَلَو كَانَ لَونُ المَاءِ أَبيَضَ صَافِيَا

يصف الشاعر في هذه الأبيات جمال نزهون بطريقة تهكمية ساخرة وبمعاني هجائية ، يُظهر فيها نوعا من الإعجاب لها من خلال قوله " على وجه نزهون من الحسن مسحة" أي على وجهها لمحة من الجمال الخفيف ، الذي بالكاد يمكن رؤيته ، ولكنه عاري من الضوء، باهتا من النور، رغم ظاهرها الجميل إلاأن جوهرها مظلم، كما نجده يعلي من شأنها ويظهر تفوقها على أمثالها من خلال أن كل من يقصدها يتخلى عن غيرها ، كما يشبهها بالبحر في عطاءها ، ورغم هذا المدح إلا انه أراد به السخرية منها ، فأبياته تحمل في ظاهرها المدح أما باطنها فهو هجائي قاسي، فمضمون هذه الأبيات ودلالتها وفكرتها استقاها الشاعر وحاكاها من أبيات ذي الرمة الساخرة في وصفه لصاحبته مي، فأبيات ذي الرمة كذلك تقوم على الهجاء المبطن الساخر ، وهو يصف محبوبته بأن جمالها فيه نوع من الملاحة أي فيه أثر رقيق وباهت من الحسن فهي لا تملك جمالا كاملا، وهذا ما فعله الأعمى المخزومي في وصفه لنزهون، كما يؤكد الشاعر أن ضعف الجمال لا يعد عيبا أوعار ، وإنما العار تحت الشيب أي ما تحمله هذه المرأة من انحلال أخلاقيأو سوء فالشاعر لم يعب مي على جمالها فحسب بل حتى من سلوكها السيئوأخلاقها الذميمة .وهذا التفاعل أسهم في إغناء اللغة الشعرية وإثرائها من خلال جعل النص الشعري يتفاعل مع اللغة القديمة ويسهم في تجديدها وإعطائها حلة جديدة،

[1] المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، ج1، ص 192 .

[2] عبد الله نافع، الهجاء في الشعر الأندلسي، ص118.

ويوسع دلالاتها ومعانيها من خلال استحضار الشاعر للنصوص القديمة واضافة معاني جديدة حيث تجعل أبياته تحمل تأويلات متعددة ، كما أن الشاعر عندما يستدعي هذا النص القديم، فإنه يمزج بين نصين بطريقة فنية،مما يخلق عمقا جماليا وفكريا .

ولقد سخر**"المعتمد"**من ابنه الراضي بالله (أبو خالد يزيد)، الذي كان كلفا بمطالعة الكتب والدواوين، ومولعا بالشعر؛ حيث لامه أبوه، ورماه بسهامه حينما أهمل قيادة دولته وجيشه رغم أن العدو قد جيش جيوشه لمحاربتهم، ورغم دعوة المعتمد الراضي بالخروج ومحاربته ومضاربته، إلا أنه أظهر التمارض وأكثر التقاعس والتلكي فرارا من المصادرة، وجزعا من منازلة الأقران، ورأى أن المطالعة أرجح من المقارعة ، ومعاناة العلوم أربح من مداواة المكلوم[1]، فكتب إليه بهزل هذه المقطوعة، غلب فيها كل منزع جزل؛ إذ يقول :[2]

المِلك فِي طَي الدَّفَاتر فَتَخلّ عَن قُود العَسَاكِر
طف بِالسَّرِير مُسلِمًا وَارْجَــع لِتَودِيع المَنَابِرِ
وَازْحَف إِلَى جَيش المعَا رَف تَقهر الحِبر المقَابرِ
وَاطْعَن بِأطرَ افِاليرَا ع نَصرت فِي ثَغر المحَابِر
وَاضْرب بِسِكِين الدوَا ة مَكَان مَاضِي الحَد بَاتِرِ
أَو لَستَرَسطَالِيس إِن ذكر الفَلَاسِفَة الأَكَابِرِ؟
وَكَذَلك إِنَّ ذكر الخَلِيل فَأَنتَنَحوِي وَشَاعِـرِ
وَ أَبُو حـنِـيفَة سَـاقِط فِي الرَّأي حِين تَكُون حَاضِرِ
مِن هِرمُس مِن سِيبُوِيـهْ مِن ابن فورك إِذ تَنَاظر؟
هَذِي المدَام، فَكُن لَهَا وَلِـكُلّ مَن حَـابَاك شَـاكِر
وَ اقعـد فَإِنَّكَ طَـاعم كَـاس وَقُل: هَلْ مِن مَفَاخِر؟

لقد ربط المعتمد معاني أبياته وضمنها من أحد الأبيات المشهورة التي كتبها الحطيئة؛ حيث يقول :[3]

دَعْ المكَارِم لَا تَرْحَل لبغيتهَا وَ اقعد فَإِنَّك أَنتَ الطَاعِم الكَّاسِي

نعاين من هذه الأبيات هجاء لاذعا؛ إذ ينكر الشاعر على ابنه هذا التقاعس، وقد اعتمد على التعريض، وتجلى ذلك في دعوته إلى العدول عن تسيير الجيش والبقاء مع الدفتر واليراع، وهذا يعد استخفافا بعدم أهليته ومهارته في تسيير وتوجيه الجانب العسكري، كما أنه في هجائه يتعمد المبالغة، وهذا ما حقق سخرية؛ إذ مدحه بأنه: أرسطاطاليس، الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو حنيفة" وغيرهم من العلماء، ولكن ما ذكره لا يقصد به المدح بحد ذاته؛ إنما هو سخرية من ادعاء المهجو الذكاء في مختلف العلوم نحو: النحو،

[1] ينظر،ابن خاقان (أبو نصر بن محمد بن عبيد الله القيسي الاشبيلي الشهير)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تح: حسين يوسف خريوش ، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع،الأردن، ط1، 1989، ص114.

[2] المصدر نفسه، ص116.

[3] الحطيئة، الديوان ،شرح :أبو سعيد السكري ، دار صادر ،بيروت،ط1998،2، ص 105.

والفلسفة والفقه وغيرها، ولجأ إلى المبالغة في التقريظ، وعمد أيضا إلى الربط بين الألفاظ القوية السامية والمرموقة، والمعاني المنحطة والمتدنية ما جعل هجاءه أكثر وأشد وقعا وإيلاما، وهذا ما جعل لغته محكمة .

وقد تجلى استحضار الموروث الشعري من خلال تضمين بيت الحطيئة في بيته الأخير ومزج دلالته ليكثف دلالات الهجاء الموجودة في أبياته ويختصرها في قول واحد؛ أي أنه بتوظيف هذا البيت قد جعل الدلالة أكثر قوة وأعمق تأثيرا، حيث نجده في بيته الأخير يأمره بالقعود والتزام مكانه فهو شخص يأكل ويلبس فقط، فكأن حياته محصورة في الأشياء المادية دون أي مكارم أو فضائل، لذا عمد إلى السخرية والاستهزاء به ، أما في قوله " وقل هل من مفاخر " فهنا تبلغ السخرية ذروتها في أنه يفتخر بالمجد وهو ليس أصل فيه، فالشاعر في هذه الأبيات يهجو ابنه هجاء قاسيا من خلال اهتمامه بالدواوين والأشعار وترك قيادة الجيوش والعساكر، لأن تولي القيادة ما تجعله يبلغ المجد والمعالي، ولكن الراضي فضل الكتب على ذلك، أشرك الشاعر هجاءه بهجاء الحطيئة لزيادة وقعه في النفس، وعليه فهذا التفاعل يعد ظاهرة لغوية مكنت الشاعر من صياغة معاني ودلالات جديدة أثرت نصه الشعري وعمقت البعد الساخر فيه، ومنحته عمقا وبعدا ثقافيا يعكس مهارة الشاعر.

أما **ابن الآبار**فقد ردد معاني النابغة الذبياني حيث يقول :[1]**(الكامل)**

قُل لِابن شَلبُون مَقالَ تنَزَه غَيرِي يُجَارِيك الهَجَاء فَجَار

[إِنَّا اقْتَسَمنَا خَطتينَا بيننَا فَحَملت برَة واحتَملتَفَجَار]

تقوم هذه الأبيات على السخرية المبطنة استخدمها الشاعر في هجائه لابن شلبون بلغة جزلة تتسم بطابع أخلاقي ديني من خلال ألفاظ: خطيئة ، برة ، فجار .، مما يمنحها وقاراويخفي هجاءً ساخرا من خلال اختلافهما في أن الشاعر يسير في طريق الفضيلة (برة) أما خصمه فيسير في طريق الفجور وهذا ما يعكس التهكم ، ولعل الشاعر في هذه الأبيات استخدم التضمين في البيت الثاني ، ضمنه من أبيات النابغة الذبياني في قصيدته التي مطلعها : نبئت زرعة والسفاهة كاسمها " التي يهجو فيها " زرعة بن عمرو " حيث استعار التركيب والمعنى معا مما أضفى على أبياته هيبة شعرية ، ووزنا أدبيا ، وعمقا دلاليا وبلاغيا ، ولعل أبيات الشاعر تبدو في ظاهرها ذات بعد أخلاقي أما باطنها فيحمل هجاء لاذعا، وبهذا التضمين اكتسبت الأبيات بعدا دلاليا ، ومفارقة فنية تجمع بين الرصانة اللفظية واللدغة الساخرة ، فصار الهجاء لطيفا في عباراته ، جارحا في معانيه، وهذا ما زاد سخريته عمقا.

كما نجد بعض الشعراء يضمنون ألفاظا قديمة في أبياتهم، ومن ذلك ما استخدمه **أحمد بن نعيم** من ألفاظ بدوية صحراوية في هجاءه لامرأة قائلا:[2]

لَو كُنتَ نبت كنتَ حَرمل أَو كَلَا كنت مِن الكَامخِ

[1]المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، ج2، ص 593.

[2]الكتاني ،التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ،ص 240.

يسخر الشاعر في هذا البيت من أحد النساء من قبح شكلها ومنظرها موظفا في ذلك الألفاظ القديمة التي استمدها من البيئة الصحراوية الجاهلية ، حيث ربط دمامة شكلها وهيئتها بنبتتي " الحرمل " الذي يعد من أكثر النباتات مرارة في طعمه ورائحة غير الطيبة، كما أنه يستخدم قديما لطرد الأرواح ، أما " الكامخ " فهو نبات رائحته كريهة ، وقد تعمد الشاعر في اختيار هذه الألفاظ لإثارة الاشمئزاز والنفور من هذه المرأة وهذا ما عزز السخرية والهجاء في بيته، باعتبار أن هذه نباتات كانت جزء أساسيا من حياة القدماء وأشعارهم مما جعل النص يشع بعبق تراثي ورمزي قديم، ولعل استخدام الشاعر لهذه الألفاظ القديمة أضفى طابعا تراثيا على هجائه، وجعل صورته الساخرة أكثر واقعية وأقرب إلى ذهن السامع وهذا ما زاد من حدة السخرية وقوة تأثيرها على المتلقي .

ونستشف مما سبق أن شعراء الأندلس قد اعتمدوا على ظاهرة التداخل بين النصوص، حيث استحضروا نصوصا وألفاظا وعبارات وأفكار شعراء سابقين، وبخاصة ظاهرة التضمين، إذ لعبت دورا بارزا في إثراء لغتهم الشعرية من خلال اغناء المعجم اللغوي بألفاظ قديمة مما يزيد من التنوع اللغوي ، وهذا ما يثري اللغة بموروث شعري جديد يربط بين تنوع الألفاظ القديمة والجديدة، كما تسعى إلى تعميق المعنى وإكسابه بعدا دلاليا جديدا، ولعل تضمين الشاعر من النصوص الشعرية القديمة خلق تفاعلا كبيرا بين النصوص مما منح اللغة بعدا جماليا، فكأن القصيدة الجديدة تحاور وتحاكي القصيدة القديمة مما ينتج عنه حوار أدبي مبدع ، ولعل استخدام الشاعر للتضمين يدل على عمق ثقافته وتمكنه من اللغة وقدرته على توظيف التراث الشعري مما يمنح شعره قيمة فنية وإبداعية، وفخامة لغوية .

2/ الأســـلوب: يعد الأسلوب طريقة، أو خاصية ينفرد بها كل شاعر عن غيره من الشعراء؛ إذ من خلاله يمكن له أن يفصح عن عمق مشاعره، وأفكاره، وكنه مكنوناته، وإخراجها في صورة كلمات وعبارات يرسلها إلى المتلقي الذي يقوم بدوره بتحليلها وفهم مقصدها، وما ترمي إليه، ولعل الأسلوب هو ترجمان الشاعر لمدى سيطرته وقدرته على تطويع اللغة في صياغة إبداعاته، ومواكبة تطلعاته، ونظرته الفنية، ورؤيته الإبداعية وعليه فالأسلوب هو تشكيل فني مبدع يبني من خلال اختيار أجود الألفاظ، وانتقاء أروع العبارات لبناء لبناته باعتباره معيارا جماليا، ونسقا تعبيريا محكما تتناغم فيه الألفاظ، وتتلاءم فيه المعاني من خلال التحكم فيها، وتشكيلها على نغم دقيق يطرب السامع، ويأسر إحساسه، فالأسلوب يدل على مدى براعة الشاعر أو الكاتب في تكييف لغته، وألفاظه، وتراكيبه بما يخدم موضوعه، وما يستدعيه سياقه لأن الأسلوب هو انعكاس واضح لمشاعر المبدع وترجمة لأفكاره، ووجدانه، ولهذا يبقى الأسلوب هو "... المنوال الذي تنسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع الكلام باعتباره إفادته كمال المعنى، وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها" [1].

[1] ابن خلدون، (عبد الرحمن بن محمد)، المقدمة ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، لبنان، 1993م، ص 489.

وعليه فالأسلوب هو النمط الذي تتآلف به المفردات، وتصاغ به الجمل؛ إذ لا ينظر إليه من زاوية المعنى فحسب، بل من حيث الصورة الذهنية للتراكيب، كما يدل الأسلوب كذلك على أنه قالب يصب فيه الكاتب أو الشاعر كلامه بحيث ينتزع الذهن هذا النمط من التراكيب المنتظمة وفق نسق معين يميزها عن غيرها، بغض النظر عن اختلاف الموضوعات والأفكار، ومنه فالأسلوب هو بصمة لغوية تميز صاحبها، ولهذا يعد الأسلوب من القضايا المهمة التي لها علاقة بطبيعة الغرض الشعري، فالنسق الأسلوبي يتمثل في مجموع القوانين الكلية التي تعاين بها أحوال الطرق الشعرية،[1] وهذا يعني أن كل غرض يتميز بخصوصية تتجلى من خلال المنحى الأسلوبي الذي يميزه ويفصله عن غيره من الأغراض الشعرية، ويعد الهجاء من أبرز الأغراض التي عرفها الشاعر العربي، ونظم فيه شعرا، وقد اتسم بسمات أسلوبية ميزته عن غيره من الأغراض؛ إذ قد يسلك الشاعر الهاجي سبيل السخرية استغراقًا في هجائه وإيغالا في الحط من قيمة من يتعرض له بالهجاء[2].

وعليه فالأسلوب متمم للغة التي استخدمها شعراء الأندلس في شعرهم الهجائي، وقد تميز أسلوبهم بالسهولة والوضوح، وقد فضلوا الأسلوب الذي يرفد البعد الساخر في شعرهم، لصياغة صورة هجائية لاذعة، وتصوير المهجو تصويرا ساخرا يليق بصفاته الدنيئة، وقد انطلق بعضهم في هجائهم من أسلوب الشرط، ويعني "... تعليق حصول مضمون جملة بحصول مضمون أخرى "[3]، ونستشف من هذا المفهوم أن الشرط يكون بوقوع الحدث أو المعنى في الجملة الأولى لا يتحقق إلا إذا تحقق مضمون الجملة الثانية ، أي أن وجود الأول مرتبط بوجود الثاني، فالشرط هنا علاقة ربط جملتين أحداهما شرطية والأخرى جوابه، بحيث يكون مضمون الجواب نتيجة مترتبة على تحقيق مضمون الشرط، ومنه فالشرط هو أن الأمر أو الفعل في الجملة الثانية (جواب الشرط) لا تتحقق إلا بإلزامية وقوع الأمر الأول ؛ أي لا يتحقق الأمر الثاني إلا إذا تحقق الأول، وفي هذا السياق نجد "**محمد بن الحسين الطبني**" يهجو أحد الأشخاص الذي يبدي الصدق، ولكن باطنه كاذب وخادع؛ حيث يقول :[4]

وَوَعْد إِن أَرَدتَ لَهُ عقَابًا عَفَا عَن ذَنبِه حَسبِي وَدَينِي
يُؤَنِبنِي بِغَيبَة مُستَطِيل وِيَلقَانِي بِصفحَة مُستَكِين
وَلَولَا الحلم أَن لَهُ لجَامًا لدَاس الفَحل بَطن ابن اللبُون

وظف الشاعر في هذه الأبيات أسلوب الشرط لإبراز موقفه الشعوري من خصمه، فنجده في قوله "إن أردت له عقابا عفا عن ذنبه " نجد شرطا مكونا من أداة الشرط " إن" وأفادت الربط، وفعل الشرط " أردت" وجوابه " عفا عن ذنبه " وهو تركيب يفيد التعليق بين فعل العقوبة ونتيجة العفو، ليظهر تناقضا ظاهريا يعكس كرم الشاعر وحلمه؛ أما في قوله " لولا الحلم أن له لجاما لداس الفحل بطن ابن اللبون " فهنا يوظف

[1]- بديعة الخرازي، مفهوم الشعر عند نقاد المغرب والأندلس، ص 176.

[2]- ينظر، رابح ملوك، الصورة الساخرة في شعر أبي الشمقمق، ضمن كتاب السخرية في الأدب العربي، ص 49.

[3] الفاكهي عبد الله بن أحمد، شرح كتاب الحدود في النحو ، تح: رمضان أحمد الدميري ،ط2، مكتبة وهبة ،القاهرة ،مصر ، 1414،1993، ص 275.

[4]الحميدي (أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله)،جذوة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس،تح محمد بن تاويتالطنجي ، مكتب نشر الثقافة الاسلامية، القاهرة، ط1 ،1952، ص 47

تركيب لولا الشرطي الامتناعي ليدل على أن الحلم هو المانع من الانتقام، فالشاعر في هذه المقطوعة يزاوج بين أسلوب الشرط فقد استخدم الأداة " إن " ومرة " لولا " وهذا ما منح بعدا دلاليا مركبا لنصه، حيث جمع بين دلالة الشرط في الموقف الأول وبين دلالة الامتناع في الموقف الثاني مما جعل أسلوب الكاتب يجسد ما يرمي إليه من خلال هجائه لهذا الشخص المنافق، ويعمق البعد الساخر الذي يعزز به هجاءه. كما هجا "أبو بكر اليكي"بدوره المرابطين (الملثمين) هجاء لاذعا يذم فيهم انتشار الصفات الذميمة والأخلاق السيئة؛ إذ يقول:[1](الكامل)

فِي كُل من رَبط اللّثَـــام دَنَاءَة وَلَو أَنَّه يَعلُـــو عَلَى كيوانِ
مَا الفَخر عِندَهم سِوَى أَن يَنَقلُوا من بَطن زَانِيَة لِظَهر حِصَان
لَا تَطلـــبن مرابطا ذَا عِفَّـــة وَأطلُب شُعَاع النَّار فِي الغَدرَانِ

يهجو الشاعر في هذه الأبيات المرابطين ويهاجمهم، وخاصة الملثمين منهم، حيث اعتبر تغطية الوجه رمزا للدناءة والوضاعة، حتى لو ارتفعت قيمته على كيوان، فهو في نظره دنيء، ويستمر الشاعر في إرسال نغزات سخريته من خلال تهكمه من نسبهم الزائف القائم على الفسق والانحلال الأخلاقي.

وقد استعان الشاعر في هجائه بأسلوب الشرط " لو " لتعزيز سخريته وتهكمه والذي أضاف بعدا فنيا خاصا باعتباره وسيلة تصوّر المفارقة الساخرة بين المظهر والجوهر، كما أنه أعطى عمقا دلاليا للمعنى وجاذبية للأسلوب، فنجد أن أسلوب الشرط هنا لم يقتصر على أنه مجرد أسلوب نحوي، بل تحول إلى أداة فنية فعالة تقوي المعنى وتؤثر في المتلقي من خلال تعميق الإحساس بالسخرية مما يجعل المعنى أكثر قناعة ورسوخا في الأذهان.

ويبدع**"ابن عبد ربه"**في هجاء بعض حواشي السلطان عندما سأله إطلاق محبوس فتلكأ فهجاه بلغة دقيقة، وألفاظ دالة، وأسلوب يسير، حيث يقول :[2]**(الو افر)**

لَوْ أنَّ لؤمَكَ عَادَ جُوداً عُشْرُهُما كانَ عِنْدَكَ حاتِمٌ مَذْكورا

وظف الشاعر في هذا البيت الشعري أسلوب الشرط عبر أداة الشرط " لو" ليحدث مقارنة بين البخل والجود ؛ فالشرط في هذا البيت يفيد الامتناع؛ إذ أن الشاعر يتخيل أن هذا الموقف لن يكون أبدا؛ لأنه مستحيل أن يتحول لؤم هذا الشخص وجشعه إلى جود غير متوقع، فهنا الشاعر يخلص إلى نتيجة مفادها أن هذا الشخص حتى لو فاق حدود الجود لن يرق إلى منزلة حاتم الطائي في كرمه وجوده وسخاءه. لذا يمكن أن نؤكد أنالشاعر وظف أسلوب الشرط في هجائه باعتباره وسيلة فنية ترفد المعنى الساخر وتصور المهجو في صورة ساخرة تعكس لؤمه وانحطاط أخلاقه، وعليه فقد قدمت نقدا وتقويما من خلال الدعوة إلى مكارم الأخلاق والابتعاد على البخل والشح، وهذا ما أضفى بعدا فنيا على نصه، وقد استثمر أيضا "أبو حيان الغرناطي" هذا الأسلوب ليسخر من أصحاب البشرة السوداء بأسلوب هزلي تهكمي؛ إذ يقول: [3]**(الو افر)**

---

[1] ابن سعيد المغربي علي بن موسى،المغرب في حلى المغرب، ج2،ص 268 - 269.

[2] محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، ص 307.

[3] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب،ج3، ص328.

إذا مالَ الفَتى للسودِ يَوماًفَلا رَأي لَدَيهِ وَلا رَشادُ.

استعان الشاعر بأسلوب الشرط ليسخر من سواد البشرة؛ إذ استخدم أسلوب الشرط من خلال الأداة " إذا «، للتعبير عن النتيجة التي تترتب عن هذا السواد، فهو حدث محتمل الشرط، إذ يربط بين ميل الفتى نحو السواد وانعدام الرأي السديد والحكمة والرشاد، حيث يؤكد أن تصرفاته لا حكمة فيها ولا صواب، ولعل توظيف الشاعر لأسلوب الشرط يوضح العلاقة بين السبب والنتيجة، وهذا ما يؤدي إلى فهم العلاقة بين الأحداث وتفسيرها تفسيرا منطقيا، وهذا ما جعله أداة فنية وإبداعية تزيد من جمالية النص.

كما انطلق بعض الشعراء من أسلوب الأمر للتعبير عن رفضهم لبعض الأقوال والأفعال، وبخاصة أنه "...موضوعه لطلب الفعل استعلاءً، لتبادر الفهم عند سماعها لذلك المعنى «وهذا ما جعل النقاد يقرون أن الأمر يجب أن يكون على سبيل الاستعلاء. وفي هذا نجد الشاعرة نزهون بنت القلاعي في هجائها للأعمى المخزومي، حيث تقول:[1](المجتث)

قُل لِلوَضِيع مَقَالا يتلَى إِلَى حِين يحشَـر
من المدور أنشئـ ت وَالخَرَا منه أَعط
حَيثُ البَدَاوة أَمسَت فِي مَشيِهَا تَتَبَخْـتَر...

تهجو الشاعرة في هذه الأبيات الأعمى المخزومي، حيث نعتته بأكثر الصفات دناءة خاصة في منزلته ومكانته بين الناس ، ولقد عمدت إلى توظيف أسلوب الأمر عبر الفعل " قل " الذي وجهته لمخاطبها لتبين أن صفة الدناءة والذل ستلازمه إلى يوم يحشر، أي أنه وصمة عار في تاريخه، ولعل الغرض من هذا الأسلوب ليس طلب القيام بالفعل فقط، بل هو توجيه وتبليغ رسالة التحقير والتوبيخ، والإذلال لخصمها حتى تفضحه وتقلل من قيمته في أعين غيره ، ونجد أن أسلوب الأمر في هذا البيت قد أعطى قوة اندفاعية لخطابها ورسالتها من خلال حدة وقوة نبرتها، باعتبار أن غرض الهجاء يستدعي هذه الحدة، ويزيد من وقع السخرية والاستخفاف، وهذا ما جعل أسلوب الأمر وسيلة فنية وجمالية تعزز الهجاء وتجعله أكثر حدة وتداول بين الناس . كما هجا أيضا «**أبوإسحاقالالبيري**" الحاكم باديس؛ إذ يقول:[2] (المتقارب)

أَباديسُ أَنتَ اِمرؤٌ حاذِقٌتُصيبُ بِظَنِّكَ نَفسَ اليَقين.
تَـأَمَّل بِعَينَيكِ أقطَارهَا تَجِدهم كِلَابًا بِهَا خَاسِئِين

يهجو الشاعر " الحاكم باديس " وقد عمد إلى التعريض؛ إذ خاطبه مخاطبة ظاهرها الثناء وباطنها التهكم والسخرية، إذ يصفه بالحذق ثم يدعوه إلى التأمل في أرجاء الواقع ليكتشف انحطاط الناس وخسّتهم حيث وصفهم بالكلاب دلالة على الدناءة ؛ ويأتي الفعل تأمل في صيغة أسلوب الأمر الذي تجاوز وظيفته النحوية إلى دورٍ فني ودلالي ؛ فهو لا يراد به مجرد الطلب، بل يُستعمل كوسيلة لإثراء الوعي وتحريك الوعي ودفع المخاطب إلى الرؤية النقدية للواقع ، وبهذا يسهم أسلوب الأمر في فهم الدلالة، إذ يُحوّل الموقف من

[1]-المصدر نفسه، ج1، ص 192.
[2]الالبيري ،الديوان ، ص 110،111.

وصف جامد إلى دعوة للتبصّر وكشف الزيف ، وهذا ما عمق المعنى الساخر، وبذلك أضفى النص بعدا فكريا وفنيا .

وينحو الالبيري إلى استخدام أسلوب الأمر من خلال مقطوعته التي حرض فيها على قتل ابن النغريلة حيث يقول :[1](**المتقارب)**

فَبَادَر إِلَى ذَبحه قُربَة وَضح بِه فَهُو كَبش سَمِين

يذهب الشاعر في هذه المقطوعة إلى استخدام الهجاء الصريح المباشر، الذي يحمل المعاني القاسية والحادة في ثورته على اليهود الذين تقلدوا مناصب الحكم ، واستغلوا نفوذهم وأكلهم لأموال الناس من غير وجه حق ، حيث عمد الشاعر إلى التحريض على قتل اليهودي " ابن النغريلة " في سياق هجائي ساخر ، من خلال الأمر بذبحه للتقرب به إلى الله كأنه قربان، كما يدعو إلى التضحية به كأنه كبش ، فكلام الشاعر يحمل معنى خفي ساخر ولاذع للمهجو، ولقد استخدم الشاعر أسلوب الأمر في الفعل " بادر" وكذا " ضحِ" فهنا الأمر ليس طلب حقيقي، وإنما غرضه الاستهزاء والتحقير للمسخور منه ، كما أضفى على الأبيات قوة تأثيرية، تزيد من حدة الصورة الساخرة، وتعزز من براعة الأسلوب ، مما يُظهر قدرة الشاعر في تطويع لغته وأسلوبه لخدمة غرضه الهجائي .

كما استعان أيضا "**أبو جعفر أحمد بن سعيد**" بأسلوب الأمر ليسخر من "أبى سعيد بن عبد المؤمن" أحد ملوك غرناطة:[2]

فَقُل لِحَرِيص أَن يَرَانِي مُقَيدَا بِخِدمتِه لَا يُجعل البَاز فِي القفصِ
وَمَا كُنتَ إِلَا طوع نَفسِي فَهل أَرَى مطِيعًا لَمن عَن شَأو فَخرِي قَد نقص

عبر الشاعر من خلال أبياته عن عزة نفسه ورفعته، ويعتاد بكرامته فهو يرفض كل أشكال الخضوع والانقياد لهذا الملك؛ لأنه ينقص من شأنه، فقد جاء البيت الأول يحمل أسلوب الأمر من خلال الفعل " فقل" الذي أراد به الشاعر التوكيد وإيصال رسالته، إذ شبه نفسه بطائر الباز الذي لا يليق به أن يحبس في قفص، فهو يشير هنا إلى أنه لا يقبل أي قيود لحريته أو استعباده لخدمته، أما في البيت الثاني يوضح الشاعر أنه كان دائما طوع نفسه وإرادته؛ لذا لا يمكن أن يكون مطيعا لشخص أساء إلى فخره ومجده . فهنا يمكننا القول أن الشاعر في هذه المقطوعة يفتخر بنفسه وبشخصه وأنفته، وفي الوقت نفسه يسخر من ملك غرناطة الذي أراد إخضاعه لخدمته وتقييده، وهذا ما جعله يجمع في أبياته الخطاب الهجائي المباشر والتشبيه الرمزي (طائرالباز) ليمنح نصه قوة في المعنى ووضوحا في الدلالة لإيصال رسالته الساخرة .

ويوظف "**أبو بكر يحي بن سهل اليكي**"أسلوب الأمر في هجائه اللاذع، والنقد الجارح للتقليل من شأن مسخوره، حيث نجده يهجو أحد القضاة الفاسدين؛ حيثيقول :[1](السريع)

---

[1] المصدر نفسه ، والصفحة نفسها.

[2] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، ج5، ص 313.

أَعِد الوُضُوء إِذَا نَطقتَ بِه مُتَذَكِّرًا من قَبل أَن تَنسَى
وَأحفَظ ثِيَابكَ إِن مَرَرْتَ بِه فَالظّل مِنهُ يَنجس الشمسَا

يعرض الشاعر في هذه الأبيات حال هذا القاضي بروح الاستهزاء والسخرية، حيث يبين فساد رأيه وقلة حكمته، وانحراف تفكيره، كما يوضح قبح طباعه ودناءته، ولقد عمد إلى توظيف صيـــغة الأمر في كلمة " أعد" لتقوية فكرته وبيان أنه يجب إعادة الوضوء عند النطق باسم هذا القاضي الجائر، الذي يسؤ التدبير، ويلجأ الشاعر كذلك إلى أسلوب الأمر في هجائه ويسخره لتدعيم السخرية في قوله " وأحفظ ثيابك "، وهذا يدل على أن حتى المرور به وملامسة ثيابه تصاب بنجاسته وخبثه، فالشاعر عمد إلى المبالغة في سخريته من هذا القاضي الفاسد، ليكشف عمق استيائه منه، كما أنه وظف صيغة الأمر المزدوجة ليؤكد فكرته ويستعين به لتحقيق مقصده غرضه الشعري وهو تحقير المسخور وإذلاله من خلال دعوة المتلقي إلى القيام بالفعل على وجه الإلزام، كما سخر أبو عثمان سعد بن أحمد التجيبي الأندلسي من صفة البخل وعارضها بشدة كبيرة باعتبارها من أسوء السمات؛ حيث يقول:[2]

اِحذَر البخـل اِنَّه شَر خُلـق يَتَحَـلَّى بِه وَشر طَريـقه

نعاين من هذا البيت أن الشاعر يأمر بالابتعاد عن صفة البخل والشح، باعتبارها صفة دنيئة وممقوتة قد تجر صاحبها إلى الاحتقار والهوان لما تحويه من أذى وسوء وشر على الأفراد، لذا فقد عارضه الشاعر معارضة شديدة، وقد تجلت السخرية من خلال التناقض بين "التحلي" و"البخل"، فلفظة التحلي تقتضي فعلا محمودا وبين البخل بوصفه صفة دنيئة وغير محمودة، لذلك فهو يسخر ضمنيا عبر لفظة "التحلي" من كل شخص يزهو ببخله، وبالتالي فاللفظة أدت دلالة معاكسة، وهذه السخرية عززت البعد الأخلاقي المتجلي في البيت الشعري، فغاية الشاعر هي نقد هذه الصفة الذميمة، وكشف قبحها، وهذا ما جعله يستعين بأسلوب الأمر الذي تجلى في الفعل " احذر " فهو طلب مباشر ومبالغ فيه، وربما هذا يدعم البعد الساخر عبر التلميح بأن طبيعة المأمور الغافلة تستدعي تحذيرا بائنا من هذا التصرف المذموم؛ لذا راح يطلب منه أن يتخلى عن هذه الصفة لما تلحقه من أضرار بالبخيل، ولقد برع الشاعر في هذا التوظيف إذ من خلاله أعطى لنصه بعدا نقديا وإرشاديا وتحذيريا، فهنا قد جمع بين التحذير من البخل والنصيحة بالابتعاد عنه، كما أن هذا الأمر أتي بصيغة مباشرة تؤدي إلى القيام بالفعل وهذا ما زاد أبياته قوة وتأثيرا ووضوحا سهولة إذ تجعل المتلقي يتفاعل مع رسالته . كما هجا صفوان بن إدريس الكتاب؛ إذ يقول:[3]

اِحذَر – وقَاك الله- شدَّة شُؤمه فَالكَـاتِب المَشؤُوم شَر خَدِيم

يسخر الشاعر من صفة الشؤم وخاصة في الكتاب، موظفا أسلوب الأمر في قوله " احذر " وقد جاء هذا الأمر لتحذير المخاطب من هؤلاء الكتاب ومن الضرر والشؤم الذي سيلحقه من تعيينه لهم ، كما أنه يدعو الله أن يحفظه ويقيه من شؤمهم، كما يبين ما يحمله الكاتب المشؤوم من شر وأذى لصاحبه ، لذا عمد

[1] ابن سعيد المغربي علي بن موسى ،المغرب في حلى المغرب ،ج2 ،ص267 .

[2] المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، ج5، ص589

[3] التجيبيالمرسي ،زادالمسافر وغرة محيا الادب السافر، ص134

الشاعر إلى التحذير منهم ، ولعل توظيف الشاعر للفعل " احذر" عمد به إلى لفت انتباه المخاطب لهذا الأمر وضرورة الابتعاد عنه، مما أعطى وقعا قويا لشد مسامع المخاطب فالأمر هنا غرضه التحذير والانتباه، وصياغة صورة ساخرة تعكس سلبية هذه الصفة التي يتحلى بها بعض الكتاب.

كما استثمر بعض الشعراء الأساليب الإنشائية الأخرى في شعرهم الهجائي نحو الاستفهام، وهو "...استعلاء ما في ضمير المخاطب وقيل هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن فان لكل تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين اولا وقوعها فحصولها هو التصديق وإلا فهو تصور "[1]. وقد استثمره لسان الدين بن الخطيب، وهو يهجو ابن أبي الفتح؛ إذ يقول :[2](المنسرح)

وَمن "أَبُو الفَتح" فِي الكِلَاب؟ وَهَل لِجَاهـلِ فِي الأَنَام كَم خَطر؟
قَـــد سَتر الدَّهــر مِنك عَوْرَته وَكَــان لِليَــومِ غَير مُسْتَتِرِ
حَانُوت بَزّى يَمْـــشِي عَلَى فَرَسِ وَثَور عُرسٍ يَخْـــتَال فِي حِبَر...

يصوب الشاعر سهام هجائه اللاذع نحومسخوره الوزير أبي الفتح مستهزأ به، بأن لا قيمة ولا منزلة له، حيث قاسه بمرتبة الكلاب لزيادة حدة سخريته وتحقيره، وخفضه إلى درك الحيوانات، كما اعتبره بأنه لا وزن له فهو جاهل بين الناس، ولقد لجأ الشاعر في هذا البيت إلى توظيف أسلوب الاستفهام في قوله " ومن أبو الفتح ؟ " فهنا استفهام إنكاري ينكر فيه قيمة هذا الوزير ويقلب منزلة الوزير إلى منزلة الكلاب، وهذا ما يقر إلى أن الشاعر عمد إلى رسم هذه الصورة المنحطة التي تجرد المهجو من أدميته، أما في قوله " وهل لجاهل في الأنام " فهنا كذلك استفهام إنكاري يبين الشاعر من خلاله أن هذا الجاهل فاقد للعقل عديم الشأن والاعتبار، فالشاعر برع في توظف الاستفهام الإنكاري المزدوج مرة بـ " من " لطلب معرفة الشخص ومرة بـ " هل " لإنكار قيمته، وهذا ليظهر قيمة مسخوره المنحطة، كما جعل هذا الأسلوب يخدم سخريته خاصة في غرض التحقير والازدراء ، فالاستفهام هنا يحمل نبرة تهكمية استهزائية، فهو لم يأت ليطلب جوابا، بل هو إنكاري أتى لإضفاء قوة هجائية ساخرة للنص. واستعان أيضا **إبراهيم بن إدريس** بأسلوب الاستفهام، وهو يهجو المنصور حيث وصفه بالملك الأحدب للسخرية منه والحط من مكانته؛ حيث يقول: [3]**(الكامل)**

فِيمَا أَرَى عَجَبًا لِمَن يَتَعَجَّب جلت مُصِيبَتُنَا وَضَاقَ المَذهَبُ
إِنِي لَأُكَذِّبَ مُقْلَتِي فِيمَا أَرَى حَتَّى أَقُول غَلطتُ فِيمَا أَحسبُ
أَيَكُون حَيًا مِن أُمَيَّة وَاحِدُ وَيَسُوس هَذَا المَلِك هَذِهِالأَحدَبُ ؟
أَبَنِىَ أُمَيَّة أَيْنَ أَقْمَارُالدَّجَى مِنكُم، وَمَا لِوَجهِهَا تَتَغَيَّبُ ؟

يصور الشاعر من خلال شعره شدة الفاجعة التي حلت ببني أمية، حيث وظف أسلوب الاستفهام توظيفا فنيا بليغا يعكس شدة انفعاله وحزنه، ففي قوله " أيكون حيا من أمية واحد ويسوس هذا الملك هذه الأحدب " استخدم الاستفهام الإنكاري الساخر فهو لا يسأل عن حقيقة ولا يطلب أي جواب، بل ينكر أن

[1] الجرجاني (على بن محمد الشريف) ،التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، 1969، ص18.

[2] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج5 ، ص146

[3] ابن الآبار، الحلةالسيراء ،ج1 ،ص 227.

يبقى الملك في يد شخص ضعيف كهذا الملك (المنصور) بعد أن زال عن بني أمية، هنا يبين انقلاب الزمان وتولي هذا الحاكم الأحدب فكأن الشاعر يستهزأ به، ثم ينتقل إلى استفهام أخر في قوله " ابني أمية أين أقمار الدجى منكم " فهنا جاء الاستفهام استنكاريا تحسريا يعبر فيه الشاعر عن آلمه لفقدان عظماء بني أمية الذين شبههم بالأقمار الساطعة في ظلمة الليل وهذا دليل على الأسى الذي يكابده الشاعر من زوال المجد وضياعه، فالاستفهام في هذه الأبيات لم يأت لمجرد السؤال بل استعمله كأداة استنكارية لتوبيخ هذا الملك والحط من مكانته، والتحسر على اندثار الأمجاد .كما هجا أيضا الكتاب الجهلاء بطريقة فكاهية ؛ حيث يقول :[1] **(الكامل)**

وَهَل الكِتَابَة يَا ابنَ أَلف لَئِيم إِلَّا نَتِيجَة فَقرة وَقسِيـم؟
وَأَرَاكَ قَد سَمَّيْتَ نَفسَكَ كَاتِبًا خِلوًا مِن المَنثُورِوَالمَنظُومِ
حَتَّى كَتَبت الاِجتِهَادَ غَبَاوَة بِالشِّينِ معجَمه مَكَان الجِيم

ترسم هذه الأبيات صورة هجائية ساخرة، حيث عمد فيها الشاعر إلى التهكم من الكُتاب بطريقة لاذعة، ولقد افتتحها بالنقد المباشر حيث يصفه بأقبح الأوصاف" يا ابن ألف لئيم " أي يا ابن أحقر الناس وأشدهم لؤما، ويكمل في هجومه؛ إذ يؤكد أن كتاباته مجرد فقرة، وقسيم أي كلام لا قيمة ولا بلاغة فيه، كما زاد من حدة سخريته؛ إذ اتهمه بادعاء الكتابة من خلال تسمية نفسه بالكاتب، وهو لا علاقة له لا بالمنظوم (الشعر) ولا بالمنثور، كما اتهمه بالجهل والغباوة من خلال خلطه بين الجيم والشين ، وحينما كتب كلمة اجتهاد بالشين لا بالجيم، وهذا ما يدل على افتقاره إلى أبسط القواعد اللغوية وجهله لها، ولعل توظيف الشاعر لأسلوب الاستفهام في البيت الأول عبر الأداة " هل " لإنكار المسخور وتوبيخه واحتقاره والاستهزاء به، فالاستفهام هنا ليس حقيقيا فالشاعر لا يريد من خلال جواب، بل جاء للاستهزاء والسخرية؛ لأن الكتابة الحقيقية فن وإبداع وبلاغة، تقوم على قواعد اللغة وسلامتها، بينما كتابات هذا الكاتب مجرد فقرات وسطور تعوز إلى الفن والإبداع، لذا أتى بهذا الاستفهام الإنكاري لجعل سخريته أقوى حدة ، وأوقعها إصابة في نفس المسخور .

ومن الأساليب الإنشائية التي استعان بها الشعراء في هجائهم لرفد البعد الساخر فيه أسلوب النداء، وهو "... توجيه الدعوة إلى المخاطب وتنبيهه للإصغاء والسماع وما يريده المتكلم « وعليه فهو دعوة أو مناشدة المخاطب للانتباه إلى المتلقي وسماعه ما يريده من كلامه والمقصد الذي يرمي إليه، والنداء أيضا هو " ...طلب الإقبال باستعمال أداة خاصة ، وتتألف جملة النداء من أداة النداء والاسم المنادى نحو :" يا محمد" [2] وبذلك فهو أسلوب لغوي يعني استدعاء أو طلب المجيء ويشترط في ذلك وجود أداة خاصة بالنداء حتى تثبت نوع الأسلوب وتتركب جملة النداء من مكونين أساسيين وهما أداة النداء والاسم المنادى. وبناءً على ما سبق يمكن القول إن النداء في معناه الأصلي هو طلب الحضور والإقبال للمخاطب أي للشخص المنادى عليه، ولا يتحقق النداء ويكتمل إلا بوجود أداة من أدوات النداء المعروفة، وذلك حتى يؤدي النداء غرضه ومعناه.

[1] التجيبيالمرسي(ابو بحر صفوان بن ادريس)،زادالمسافر وغرة محيا الادب السافر ، ص92.

[2] عبد الهادي الفضلي ظن مختصر النحو، دار الشروق، ط7، جدة، 1400، 1980م، ص2000.

ويتجلى هذا الأسلوب عند كثير من الشعراء، إذ نجده على سبيل المثال لا الحصر في قول **السميسر** وهو يهجو ملوك الطوائف؛ إذ يقول:[1] (مخلع البسيط)

يَا مَشفَقَا مَن خُمُول قَوم لَيس لَهُم عِندَنَا خَلَاق
ذلُّوا وَقَد طَالمَا أَذَلُّوا دَعهُم يَذُوقُوا الذِي أَذَاقُوا

يوجه الشاعر خطابه الساخر لملوك الطوائف؛ حيث يبين خمولهم وضعفهم ، ويشفق من حالهم وما آلوا إليه، مؤكدا أن هؤلاء الملوك ليس لهم نصيب، أو حظ بين الناس بسبب نزول منزلتهم، وانحطاط مكانتهم وذلهم ومهانتهم، رغم ما امتلكوه في الماضي من قوةوسلطة وقدرة على إذلال واهانة الناس، لكن الزمان انقلب عليهم وأذلهم،حيث يؤكد على ضرورة تركهم يذوقون مما كانوا يفعلوا بغيرهم من ظلم وأذى ولقد استهل الشاعر مقطوعته بصيغة النداء، وهذا ليأسر انتباه السامع إلى فكرته التي أراد إيصالها للمتلقي بعدم الشفقة على هؤلاء الملوك الذي اتصفوا بجورهم وظلمهم، فهذا النداء لم يأتِ لجذب الانتباه فحسب، بل كأداة بلاغية تخدم غرض الهجاء والسخرية التي أرادها الشاعر، لذا فهذه الأبيات تحمل شحنة كبيرة من الهجاء المبطن الساخر . ويذهب **لسان الدين بن الخطيب** وهو يهجو ابن أبي الفتح؛ إذ يقول:[2]**(المنسرح)**

يَا بغْلَ طَاحُونَةٍ يَدورُبِهَا مُجْتَهِدَ السّيْرِمغْمَضَ البَصَرِ
في أَشْهُرٍعشْرَةٍ طحَنْتَهُمُ فَيا رَحى الشّؤمِ والبَوارِدُري

استخدم الشاعر أسلوب النداء في قوله "يا بغل طاحونة" حيث استخدمت أداة النداء هنا للفت الانتباه، وجذب المنادى، لكن ما يتضح أن هذا النداء ليس حقيقيا، وإنما جاء في موضع الاحتقار، وإذلال المسخور منه، لان لسان الدين بن الخطيب لا ينادي بغلا فعليا حقيقيا، وإنما شبه المخاطب بهذا التشبيه الاحتقاري . فالبغل رمز للجهل والغباء ونقص القيمة، فهنا الشاعر شبه مسخوره بالبغل الذي يدور حول الطاحونة بدون وعي أو إدراك .ويوضح ذلك بقوله " مجتهد السير، مغمض البصر " أي أنه يعمل بجد لكن دون تفكير، فالغرض البلاغي الذي يرمي إليه النداء هو السخرية والتهكم من أبي الفتح، وتصويره في أدنى صورة كشخص يجهد نفسه دون هدف. ونجد كذلك ابن **خفاجة** يهجو رجلاأسود البشرة وسخر منه موظفا أسلوب النداء حيث يقول:[3]

يَا جَامِعًا بِمُسَاوِيه وَطَلعتَه بَين اَسوَادَيـن مِن ظلم وَمن ظلمِ
أَمثله حَسَدًا فِي مثله جدًا لَقَــد تَألف بَينَ النَّـاروَالفَحمِ

يخاطب الشاعر في هذه الأبيات أحد الأشخاص من ذوي البشرة السوداء بطريقة تهكمية ساخرة حيث جمع فيه كل الصفات السيئة والقبيحة، والأخلاق الذميمة، حيث وصف طلعته بأنها تحمل كل عيب بسبب لونه الأسود ، ولقد زاد من حدة سخريته عندما جمع بين لونه الذي يشبه ظلمة الليل وبين ظُلمه الحقيقي وجوره، وهذا لتبيان أن السواد يلازمه داخليا وخارجيا أي في شكله وجوهره ، ولقد افتتح الشاعر أبياته

[1] ابن بسام الشنتريني ،الذخيرة ، ج1، ص 886.

[2] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، ج5، ص 589.

[3] ابن خفاجة ،الديوان ،ص 77

بأسلوب نداء وهذا حتى يجذب انتباه المتلقي، ويشد مسامعه للإصغاء إليه وهو يوجه سهام الذم والاحتقار لمسخوره، ولعل الغرض الذي يسعى إليه الشاعر من هذا النداء هو السخرية والاستخفاف والاستهزاء من هذا الشخص والتشهير به وبعيوبه ومثالبه ، وهذا ما أضفى على النص أثرا قويا يدل على قوة الهجاء الموجه. وعليه يمكن القول أن الشعراء الأندلسيين قد أبدعوا في أشعارهم أيما إبداع، ولكنهم كانوا بعيدين عن التكلف، وعدم احتفاءهم بمنزع التوليد العقلي الذي أغرم به شعراء المشرق الذي دفعهم إلى الرغبة في الابتكار، مما أدى إلى وقوعهم في شراك التكلف والاتكاء على الألفاظ والمصطلحات العلمية والفقهية، أما الأندلسيين فلم يكن من هذا إلا عند القليل النادر، وهذا ما جعل النص الشعري الأندلسي بصورة عامة واضح النسق مترابط البنيان، لا يلجأ إلى المقدمات الثكله فهو يجنح إلى التعبير عن مدى إقبال الشعراء على الحياة وشغفهم بها، وبما فيها من ترف وجمال ، وهذا ما جعل كل أشعارهم واضحة الأفكار والتراكيب والصور، حيث يصفونه بالسطحية وعدم الجزالة وقلة التأنق [1].

وأخيرا نستشف من هذا الطرح أن لغة الشعر الهجائي الأندلسي قد طغت عليها روح البساطة والليونة والوضوح، فهي سهلة المعاني بعيدة عن كل تعقيد أو غرابة، لا نرى فيها أي نوع من التكلف، إذ تتميز بعذوبة وطلاوة الألفاظ، وليونة الأسلوب تجذب السامع، وتضمن كثرة التداول، ولكن هذا لم يمنع من دخول ألفاظ من ثقافات أخرى رفدت البعد الدلالي، كما تميزت أشعارهم بالإيجاز والاقتضاب، وذلك ما يدل على براعة الشعراء وذكائهم، وفطنتهم إلى وضع أشعارهم في ألفاظ قليلة ومعاني عميقة، وتنبههم إلى مدى فاعلية الإيجاز، ونبذهم للإسهاب، الذي اختصت به قصائد الأوائل من القدامى الذين اشتهروا بالأشعار الطوال، ولعل شعراء الأندلس حرصوا على تحقيق غاية التوسع لأشعارهم من خلال قلة أبياتها، حتى تحظى بالانتشار والذيوع السريع، وتداول واسع بين جمهور المستمعين، ولكن ذلك لم يمنع من وجود بعض القصائد، وعلى الرغم من سهولة الألفاظ، وسلاسة الأسلوب إلا أنهم لم يحيدوا عن نهج المشارقة في كتاباتهم فقد نحوا منحاهم وساروا على خطاهم.

3/ **الصورة الشعرية :** تحتل الصورة مكانة محورية في بنية الخطاب الأدبي ، إذ تمثل الجسر الذي تعبر عليه الفكرة من حيز المجردات إلى عالم المحسوسات، وتصبح المعاني أقرب إلى التلقي، وأكثر قدرة على التأثير، فالصورة ليست مجرد زخرفة لفظية، أو إضافة جمالية ثانوية، بل هي عنصر أساسي في بناء النص، إذ يسهم في تشكيل رؤيته للعالم وتحديد نبرته الشعورية؛ ولذلك فدراسة الصورة في النص الأدبي لا تكشف عن الجانب الجمالي فحسب، بل تتيح للقارئ قراءة أعمق لوعي المبدع بالعالم ، وتبرز قدرته الإبداعية على إعادة تشكيل التجربة الشعورية في إطار فني يجمع بين الفكر والخيال والحس الجمالي، ومنه تصبح الصورة أداة فعالة يمكن من خلالها استكشاف أبعاد الخطاب، وتتبع آليات اشتغاله وفهم طبيعة العلاقة بين المبنى والمعنى في النص الأدبي، وبذلك تبقى الصور البيانية من أهم التقنيات التي ابتكرها الأدباء وابتدعها الشعراء في التعبير الأدبي ، إذ تقوم بدور محوري في إبراز المعاني والدلالات واكسباها طابعا جماليا، وإيحائيا يتجاوز

[1] ينظر ، محمد زكريا عناني ، تاريخ الادب الاندلسي ، دار المعرفة الجامعية ،دط، مصر ، 1999، ص 133،132

حدود الدلالة المباشرة للألفاظ ، ويتعدى المعنى الحرفي لها، فهي أداة فنية تمنح النص الأدبي حيوية وتجددا، وتجعل القارئ يعايش التجربة الشعورية، والفكرية التي يريد المبدع نقلها، وإذا كانت البلاغة في جوهرها تقوم على مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فإن الصور البيانية تمثل الجانب الجمالي الذي يضفي على النص رونقا وجمالا، فتجعل المعنى المجرد محسوسا وتقرب الفكرة البعيدة إلى الذهن . ومن أهم وأبرز آليات التصوير البياني في البلاغة العربية نجد: التشبيه، الاستعارة، الكناية فقد استثمرها الشعراء الأندلسيين في شعرهم الهجائي لإثراء نصوصهم من الناحية الجمالية والدلالية.

1.3-الصورةالتشبيهية: يعد التشبيه من أبرز التقنيات التي يستعين بها الشاعر في عملية التصوير نظرا لقدرته التعبيرية المتميزة والفاعلة في إبداع الصورة الشعرية، وقد عرفه ابن رشيق بقوله:" التشبيه صفة الشيء بما يقاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه "[1]، أو هو إلحاق أمر بأمر في صفة أو أكثر بأداة من أدوات التشبيه الملفوظة أو المقدرة التي تفهم من سياق الكلام [2]. وهذا يعني أن هذا النمط البلاغي يتحقق من خلال المقارنة والمقاربة بين الأشياء لاشتراك بينها في صفة أو عدة صفات، ولكن دون التطابق والاتحاد التام، وهذا النمط التصويري ينطلق عادة " من عناصر الواقع الخارجي، أما المستوى التخيلي فيه فإنه ينبع أساسا من طريقة الشاعر ومنحاه في اكتشاف علاقات التجانس والترابط بين الأشياء المتغايرة وتبعا لذلك فقد تتعدد مستويات الصورة التشبيهية تبعا لاختلاف مظاهر تركيبها ودرجات الإبداع فيها"[3]. وبما أن هذه الصورة تعكس قدرة الشاعر وخبرته الفنية، فإن شعراء الهجاء قد توسعوا في استخدام التشبيهات والتجديد في بعضها، والتشبيه في بعضها عنصر قائم على خيال الشاعر، وهو لب المحاور الفنية في التصوير [4]لذا اعتمده شعراء الأندلس بشكل لافت وملحوظ، ومن أبرز النماذج الشعرية التي تعكس هذا النمط التصويري على سبيل المثال لا الحصر قول**عبد الله بن كليت** وهو يهجو أحد الأشخاص يدعى الزهري :[5]

أَنفُــكَ يَا زَهرِي فِي قُبحِــهِ كَأَنَّهُ فِي صُورَةِ البُوقِ

يَقعد فِي البَيْتِ لِحَاجَاتَــــهِ وَ أنفُهُ يَمضِي إِلَى السُّوقِ

اعتمد الشاعر في هجائه على الصورة ليس لتحقيق هدف فني فقط، بل لتدعيم دلالة الهجاء والسخرية، وبذلك جعلها منفذا لتحقيق هجائه الساخر؛ إذ وظف في هذه المقطوعة أسلوب التشبيه ليجسد قبح ملامح الزهري ففي قوله " أنفك يا زهري في قبحه كأنه في صورة البوق " نجد تشبيه صريحا إذ شبه أنفه بالبوق، إذ ركز الشاعر في هذا التشبيه على طول الأنف وعدم تناسقه مع تفاصيل الوجه، مما يعمق القبح والنفور، أما في البيت الثاني فيزيد الشاعر من حدة السخرية والتهكم إذ تجاوز بهذا الوصف التشبيه المباشر إلى المبالغة الساخرة ، إذ يصور طول هذا الأنف بأنه كالكيان المستقل يتحرك بمعزل عن صاحبه ، وهذا ما

[1]ابن رشيق ،العمدة ، ج 1، ص 286 .

[2]ينظر ، عبد العزيز قلقيلة ، البلاغة الاصطلاحية ، دار الفكر العربي ، ط3، مصر ،القاهرة ، 1992 م، ص 58.

[3]- بديعة الخرازي، مفهوم الشعر عند نقاد المغرب والأندلس، ص 317-318.

[4]علي إبراهيم أبو زيد ، الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي ، دار المعارف ، ط2 ،مصر ، 1983م ، ص252.

[5]الكتاني الطبيب،التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص248.

جعل الصورة ذات نبرة هجائية تهكمية تهدف إلى انتقاص قدر ومكانة المهجو ، فالشاعر عمد إلى توظيف التشبيه وزاوجه مع المبالغة لتحقيق أثرا فنيا يجمع بين الطرافة والهزل وبين البراعة في نقل الصورة وتجسيدها في صورة حسية حققت بنية خطابية لا تحيد عن السخرية والاستهزاء. ويقول في السياق نفسه :[1]

أَنفُــكَ يَا زَهرِي فِي قُبحِــهِ كَأَنَّهُأَزرب قصَــار

يوجه الشاعر نقده اللاذع وسخريته القاسية إلى الزهري حيث شبه قبح أنفه وطوله الشديد وغلظه بالأزرب القصار، ولقد وظف الصورة البيانية لزيادة روعة الصورة وتجسيد القبح الذي يلازم هيئة ومنظر هذا الشخص، ويجعل الصورة متحركة أمام المتلقي ، مما يجعل سخريته أكثر إقذاعاولذاعة ، حيث أبدع الشاعر في هذه الصورة أيما إبداع فقد حولها من الصورة البسيطة السطحية إلى صورة محسوسة كاريكاتورية ساخرة ترمز إلى قوة الإيحاء وتعبر عن قبح المنظر وهذا ما زاد من عمق المعنى، وجعله أكثر ترسخا في ذهن السامع في تصوير هذا الشخص الدميم الخِلقة.[2]

أما الشاعر "ابن حمديس" فقد نظم أبياتا تتضمن هجاء خفيفا انحاز به من ناحية الأسلوب إلى السخرية والتهكم عوضا عن الهجاء اللاذع؛ لأنمبتغاه هو التعبير عن حالة مزرية يعيشها، فراح يستهزئ من فقره وبؤس وشقائه، وعيشته ونومه على فراش مهترئ وبالي حيث عرض هذا المشهد عرضا تهكميا ساخرا، وهذا جسد براعته وتمكنه من رسم الصور الفنية المتحركة حيث تفنن في الصورة التشبيهية مصورا ما يحويه هذا الفراش من حشرات ويصف تحركها فيه كأنه في مجلس للشرب واللهو والرقص حيث يقول :[3]

نَوْمي على ظَهْرِ الفراشِ مُنَغَّصُ واللَّيلُ فيه زيادةٌ لا تنقصُ

من عادياتٍ كالذئابِ تذاءبَتْ وَسَرَتْ على عَجَلٍ فما تتَرَبّصُ

جَعَلَتْ دمي خمراً تُداوِمُ شُرْبَها مُسْتَرْخِصاتٍ منه ما لا يُرْخصُ

فتَرى البعوضَ مغنّياً برَبابِهِ البقُّ تشربُ والبراغثُ ترقصُ

يصور الشاعر في هذه المقطوعة نومه المكدر والمثقل على فراشه البالي كأن الليل فيه طويل لا ينتهي ، حيث سخر الصورة البيانية لتصوير مشهد المعاناة التي عايشها بطريقة هزلية تهكمية، حيث شبه البعوض والحشرات (البق ، البراغث) بالذئاب العاديات التي تهاجمه وتكدر نومه، إذ جعلت من دمه خمرا تداوم شربه؛ أي جعلت تشرب منه باستمرار فهنا الشاعر بالغ في وصف مشهد البعوض والحشرات وهي ترتشف من دمه ، مما زاد هذه الصورة بعدا فنيا إبداعيا ، ولقد تباينت معاني هذه الصورة بين المشاهد المحسوسة والدلالات الذهنية ، حيث اتصفت بالتجديد والابتكار من خلال قيامها على الإيحاء والرمزية ، وهذا ما أضفى على هذه المقطوعة رؤية خاصة وقدرة فنية مميزة ، من خلال تجاوزها للصور الفنية والأساليب التقليدية،

[1] المصدر نفسه، ص261

[2] المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، ج4، ص106 .

[3] المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، ج4، ص 238.

والقوالب السائدة فقد انزاحت وخرجت على المألوف وعن توقعات المتلقي، مما أدى إلى انسجام أبياته في خيط شعوري واحد يصعب تفكيك أجزائه لذا فالشاعر برع في هذه الصورة وتفنن في صياغته وأخرجها في طابع ساخر، وقد مكنته هذه الصورة من تخفيف حدة الهجاء عن طريق السخرية التي مكنته من انتقاد ما يعيشه بأسلوب غير مباشر. ومن الصور التي رسمها واستوحاها الشعراء من واقعهم نجد أن **ابن هذيل** يشبه ابن قزمان بالقدوم حيث يقول :[1]

يَقرب وَجهًا مِنكَ فِي خَلق قربة كَأَنّاِنهِدَال الأَنفِ مِنهُ قَدُوم

هجا الشاعر ابن قزمان أشهر شعراء الزجل في الأندلس بطريقة ساخرة، وقد اعتمد على الصورة التشبيهية لإبراز قبحه؛ حيث شبه وجهه في شكله بالقربة (وهي وعاء يوضع فيه الماء مصنوع من الجلد أو الطين) ، ويتابع الشاعر تهكمه وسخريته ويجسدها بعنف وحدة وموضحا إياه باستخدام التشبيه بالأداة " كأن" فيشبه انهدال وانهمار أنفه وانخفاضه بالقدوم (وهو أداة يستخدمها النجار في النقش) في حدته وانحنائه . فالشاعر هنا استطاع أن يدمج بين الطرافة الساخرة والإبداع في التشبيه من خلال نقل الصورة من طابعها المتداول والمألوف(التشبيهبالقربة) ، إلى صورة محسوسة ومبتكرة (القدوم) وهذا ليظهر براعته في التصوير ، ويزيد من دقة هجاءه وتهكمه.

كما اعتمد الشعراء على الصورة التشبيهية بوصفها من أحسن المنافذ التي تكشف عن نوازع النفس وإحساسها اتجاه الآخر وبخاصة إذا كان غير محبب من الناحية المعنوية، وهذا ما تجلى في قول **عد بن أحمد التجيبي** في وصف رجل ثقيل؛ حيثيقول :

ثَقِيل تَرَاه النَّفس فِي العَينِ كَالقَذَى وَكَالجَبَل الرَّاسِي عَلَى الصَّدرِوَالقَلبِ

تُثِيرغمُـــوم المَــرءِ رُؤيَة وَجهِهِ وَتَشْكُو جفَاهُ الأَرضَ شَكوَى ذَوِي الكَربِ[2]

يعبر الشاعر في هذه المقطوعة عن مدى استيائه وتضجره من هذا الرجل الثقيل، حيث شبه ثقله وقلة تحمله بالقذى أي بالتراب أو أي شيء يقع في العين فيكدر صفوها ، فكأن رؤيته تبعث على الملل والضجر، والغم والتوتر، وتؤثر على النفس، كما يزيد من قوة هجائه حينما زاوج بين التشبيه حيث شبهه بالجبل الشاهق الذي يثقل الصدر، ويضيق النفس، ويكدر القلب، فهذه المزاوجة بين التشبيه باستخدام أداة التشبيه " كـ" تدل على براعة الشاعر وقوة شاعريته ، وتمكنه من التصوير ونقل المعاني وتجسيده، وهذا ما جعل هذا الشخص يبدو بصورة منبوذة في نظر الآخرين. وغير ها من النماذج الشعرية التي تعكس أهمية الصورة التشبيهية في الشعر الهجائي؛ إذ تجعله حادا ولاذعا وأحيانا قد تميل به إلى سخرية حادة أو خفيفة لانتقاد ما هو كائن.واعتمد**عبادة** بدوره على الصورة التشبيهية في هجائه لثقيل؛ إذ يقول:[3]

---

[1] الكتاني الطبيب ،التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ،ص249

[2] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، ج8 ،ص 98.

[3] أبي عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص 259.

صِرتَ مُستَقْبَلِي كَأَنَّكَ أَرضٌ وَكَأَنِّي عَلَيكَ ثَقِيل الأَمَانَةْ

يهجو الشاعر في هذا البيت أحد الثقلاء بأسلوب يبعث على السخرية القاسية والهجاء اللاذع، حيث صوره كأنه أرض لشدة ضخامته، موظفا في ذلك الصورة التشبيهية من خلال تشبيهه بالأرض للدلالة على اتساع جسده وثقله، فهنا تشبيه ساخر يحمل بعدا تهكميا كما انه أضفى مظهرا فنيا للصورة، ما جعل المتلقي يكسر رتابة الصورة المألوفة إلى صورة أكثر إبداعا وبراعة، مما يبرز روح السخرية من خلال المبالغة في الهجاء. أما "أبو الفرج الرشاش" فيصور لنا رجل ثقيل مشبها إياه بالفيل قائلا:

مَا إِن جَلَست إِلَى جَلِيس مَرة إِلَّا كَأَنَّ عَلَيكَ مِنكَ الفِيلَا[1]

عمد الشاعر إلى السخرية من الثقلاء ورماهم بسهام الهجاء ، ذلك لان الذين يجالسوهم قد عافوا ثقلهم وغلظة أنفسهم وتصرفاتهم الوضيعة، حيث أن الجلوس معهم غير مريح ،وقد استخدم الشاعر الصورة التشبيهية من خلال تشبه جليسه بالفيلا دلالة على ثقله فالشاعر هنا استخدم أسلوب النقد اللاذع وهذا للتعبير على استيائه من مجالسة الثقلاء، ثقيلي الروح والنفس وهذا ما يؤثر على العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، لذا عمد الساخر إلى رسم صورة فكاهية بأسلوب نقدي يبين مدى الحمولة الثقيلة التي يكتسبها هؤلاء الأفراد، ومما يعرف أن البيئة الأندلسية عرفت بالتطور الفكري، والذوقي للفرد مما يميز الأفراد بخفة الروح لذا فالثقل عُد صنف من الهجاء الذي يعبر عن صلة الفرد بالآخرين .

ونستشف مما سبق أن بلاغة التشبيه وأثره تكمن في قدرته على نقل القارئ من الشيء نفسه إلى شيء مبتكر يقاربه، أو صورة متقنة رائعة تشكله، فجمال التشبيه يجعل القارئ يلمس براعة الشاعر وقوة شاعريته، وحذقه في عقد المقارنة والمشابهة بين شيئين مختلفين، أي أنه يكسر أفق توقع السامع في تخيل هذه الصورة، ولقد لاقت الصورة التشبيهية اهتماما بالغا عند شعراء الأندلس الهجائين، حيث أظهرت مقدرتهم وبراعتهم الفائقة في التصوير، ويدل على مدى التوافق الروحي والفعلي في أشعارهم، مما يحيل إلى خلق ترابط وتسلسل بين الألفاظ والتراكيب، وهذا ما يحقق جمالية الصورة الشعرية التي تنامت من عاطفة الشاعر ومدى تفاعله مع واقعه والتأثير فيه .

2.3- الصورة الاستعارية : تعد الاستعارة صيغة مجازية تميل في عملها للمعنى والإفصاح عنه، وذلك بنقله وإجرائه على ما لم يسن له في الأصل، ولكن مع وجود علاقة بين المعنى الأول والمعنى الثاني تكون قائمة على المشابهة[2]، وهذا جعل البيانيين يقرون أنها استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول منه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن أرادة المعنى الأصلي [3]، وقد كان لشعراء الأندلس الدور الأمثل في الإبداع، وذلك بالتحكم في الألفاظ وسياقاتها، وقد نسجوا لها صورا غير معهودة منتقلين بين الخيال والواقع، لينسجوا صورا مبدعة، ومن أبرز الشعراء على سبيل التمثيل لا الحصر نجد "**أبا إسحاق**

[1]المصدر نفسه ، ص 259

[2]- ينظر، بديعة الخرازي، مفهوم الشعر عند نقاد المغرب والأندلس، ص 236.

[3]ينظر، السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان،تر: حسن حمد، دار الجيل،بيروت، دس، ص184.

إبراهيم بن معلى" عندما خرج سكان بلنسة وأميرهم عبد العزيز بن أبي عامر للقتال والنيل من أعدائهم ساخرا منهم في خروجهم بزينتهم وبأجود ثيابهم لكنهم هزموا وعادوا خائبين؛ حيث يقول :[1](الكامل)

لَبسُوا الحَدِيد إِلَى الوَغَى وَلَبستُم حُلل الحَرِيرعَلَيْكُم أَلوَانًا

مَا كَانَ أَقبَحَهُم وَأَحسَنَكُم بِهَا لَو لَمْ يَكُنْبطرنَة مَا كَانَا!

يهجو الشاعر في هذه الأبيات كل من الأمير عبد العزيز وجيشه بهجاء لاذع وقاس، حيث صور خروجهم للحرب بكامل زينتهم، فلقد عاب عليهم انشغالهم بالمظهر والترف ولبس الحرير الملون، في حين أعدائهم اهتموا ببناء حصونهم ولبسوا الدروع الحديدية لحماية أنفسهم، حيث يقول لو أنكم أحسنتم في شجاعتكم لكان خير من ظهوركم بالحرير دون بطولة ولا بسالة ، فلولا غرور هذا الأمير وجيشه وتبطره وانصرافه للجمال والحسن لما انهزم، فالجمال في لباسهم لا قيمة ولا معنى له ، ولقد تفنن الشاعر في نقل صورته موظفا الصور البيانية توظيفا بديعيا ، حيث استخدم الاستعارة المكنية في قوله " لبسوا الحديد " حيث شبه الحديد بالثوب الذي يلبس وحذف المشبه به " الثوب " وترك أحد لوازمه للدلالة عليه " لبسوا" على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا ما زاد المعنى الساخر عمقا وإيحاءً،كما زادت بعدا فنيا وبلاغيا راقيا للنص من خلال الابتعاد عن المعنى المباشر . كما يسخر "**محمد بن جبير"** من طائفة من الفلاسفةلفسادهم في الأرض ويظهر ذلك في قوله:[2]

قَد نَبت الغِي فِي العِبَاد طَائِفَة الكَون وَالفَسَاد

يَلعَنهَا الله حَيث كَانَت فَإِنَّهَا آفَّـــة العِبَـاد

نلحظ من خلال هذه الأبيات أن الشاعر وظف الاستعارة لتجسيد صورة الغي وانتشاره في المجتمع ففي قوله " قد نبت الغي في العباد " فقد جعل الغي (الضلال ، الفساد) كالنبات الذي ينمو في الأرض وهي استعارة مكنية حيث حذف المشبه به (النبات) وترك ما يدل عليه وهو الفعل " نبت " فيوحي ذلك بأن الفساد لم يعد فكرة مجردة ، وإنما جسده الشاعر كظاهرة حية متغلغلة في هؤلاء الفلاسفة، وهذا ما زاد المعنى الساخر عمقا وحدة، ويعمق الشاعر الصورة حين يقول " طائفة الكون والفساد مقدما الغي كأنه جماعة من الناس ، وهذا يرسخ أن الشر لا يكمن في شخص واحد وإنما لهذه الطائفة كلها ،حيث يؤكد هذا المعنى في قوله يلعنها الله لأن هؤلاء الفلاسفة هم آفة على الناس أينما حلوا وحيثما كانوا ، ومن خلال هذه الصورة الاستعارية نرى براعة الشاعر في استثمار اللغة البلاغية في هجاء هذه الفئة وتقديمها في صورة ساخرة لاذعة لتبيان خطورتهم على العباد . ويذهب "**ابن عبد ربه"** في هجائه لأهل عصره، حيث شبههم بالكلاب من شدة بخلهم حيث يقول: [3]

[1]المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، ج4، 448.

[2]المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، ج 3، ص611.

[3]ابن عبد ربه ،الديوان ،ص25 .

كــلَاب لَو سَـــأَلتَهُم تُرَابًا لَقَالُوا: عِندَنَا اِنقَطَع التُّرَابُ
يُعَاقبُ مَن أَسَاءَ القَولَ فِيهِم وَان يُحسن فَلَيسَ لَهُ ثَوَابُ

لقد وفق الشاعر في تسخير أسلوبه التهكمي الساخر في إبراز صورته الفنية وتقويتها، وبخاصة أن لغته تميزت بالقوة، كما صبغها بطابع فكاهي جعل هجاءه يميل إلى السخرية، فنجده في هذه الأبيات ينقل كلامه من الصورة المباشرة في التعبير عن بخل أهل عصره وعدم سخاءهم إلى صورة إيحائية، ذات دلالات خفية فنجده يستخدم الاستعارة التصريحية حيث يشبه الشاعر قومه بالكلاب في بخلهم وقلة عطائهم ، وحتى لو سألتهم أو طلبت منهم ارخص الأشياء وأزهدها (التراب) لقالوا انقطع عندنا ، وهذا ما يوضح قمة التمسك والإقتار الذي هم فيه ، فالشاعر حذف المشبه (القوم) وصرح بالمشبه به (الكلاب) على سبيل الاستعارة التصريحية، فالشاعر نقل المعنى المجرد إلى صورة محسوسة لتقريبه إلى ذهن السامع وزيادة التأثير فيه . ومنه هنا يمكن القول إن بلاغة الاستعارة تكمن في تشخيص وتجسيد المعنى وبث الحياة في الجماد وتقريب المعنى وإبرازه [1] فهي قادرة على منح باعتبار الاستعارة من سمات البلاغة وفصاحة الكلام من خلال كثافتها الدلالية التي تعبر عنها بألفاظها اليسيرة.

3/ الصورة الكنائية : تعد الكناية من الأوجه البلاغية التي يستعين بها الشاعر في عملية التصوير، وقد عرفها القزويني بقوله :" لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إدارة معناه حينئذ كقولك طويل النجاد أي الطويل القامة ، وفلانة نؤوم الضحى مرهفة مخدومة غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات " [2]، وعليه فهي استخدام لفظ دون أي يقصد معناه المباشر الأصلي بل يعنى دلالة أخرى ملازمة له، والعلاقة "التي تقيم الصورة التمثيلية هي علاقة استبدالية تقوم بدور تحويل الشيء والعدول به عن ظاهر معناه، وتبقى علاقة الإبدال هي الأساس في تشكيل هذا النمط التصويري"[3]. وهذا ما جعلها من أهم التقانات التي يعتمد عليها الشاعر في نشاطه التصويري. وبما أن الشاعر الأندلسي قد تميز بقدرته الفنية الفذة؛ فإنه أدرك جمالية هذه الصورة وأهميتها في تجسيد بعد دلالي جديد من خلال خلق التناسب والانسجام بين الأجزاء والعناصر التي تبدو في الواقع متباينة، ومن أبرز الشعراء على سبيل التمثيل لا الحصر نجد أبا **حيان الغرناطي** يهجو بعض أهل عصره ويتهمهم بالخيانة والفسوق؛ حيث يقول:[4]

حَلَبت الدَّهرَ أشطرَه زَمَانَا وَأغْنَانِي العَيَان عَنِ السُّؤَال
فَمَا أَبصَرت مِن خَل وَفِّي وَلَا أَلفَيت مَشكُور الخلَالِ
ذِئَاب فِي ثِيَابِ قَد تَبَدَّت لِــرَائِهَا بِأَشكَالِ الرِّجَالِ
وَمن يَكُ يَدعِي مِنهُم صَلَاحًا فَزِندِيقٌ تَغَلغَلَ فِي الضَّلَالِ

يهجو الشاعر في أبياته بعض أهل عصره، وقد مزج هجاءه بسخرية لاذعة؛ حيث نقل شعوره البائس وسخطه اتجاههم واتجاه تصرفاتهم، فاستهل مقطوعته بصورة بيانية ليبين عمق وقوة تصويره، حيث يقول

[1] ينظر ، على الجارم ومصطفى امين ، البلاغة الواضحة ، ص 184 .
[2] عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، ص100.
[3] - بديعة الخرازي، مفهوم الشعر عند نقاد المغرب والأندلس، ص 336
[4] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، ج2 ، ص 324/323.

"حلبت الدهر " كناية على خبرته الطويلة، وتجربته العميقة، وباعه الواسع، ومعرفته المتراكمة للخير والشر، وخبرته في رؤية للحياة ما أغناه عن سؤال الناس عنها، حيث يظهر خذلانه من خيانة الأصحاب وقله الوفاء فيهم، كما يصور الناس بأبشع الصور ويشبههم بالذئاب التي تتوارى خلف ثياب الصدق والأمانة. ولعل الشاعر في هذه المقطوعة زاوج بين الكناية والاستعارة وذلك لزيادة أبياته كثافة في المعنى وعمقا في الإيحاء، فالشاعر استطاع نقل تجربته الشعورية في صورة إبداعية بليغة ومؤثرة ؛ إذ اعتمد في هجائه على هذه الصورة لنقد عيوب أهل عصره بأسلوب لاذع وفكاهي، وعليه فهذه الصورة استطاعت كشف سلبياتهم وفي الوقت نفسه حطت من منزلتهم، وفي هذا نجد أيضا الشاعر **العباس بن جنون الاشبيلي** يصور لنا ظاهرة العمى بطريقة تهكمية ساخرة حيث يسخر من رجل اشتر العين يشبهه بالزورق؛ حيث يقول:[1]

أَبِعَينَك الشترَاء عَين ثَرة منهَا تَرقرَقَ دَمهَا المسفُوح
شترت فَقُلنَا زورق فِي لجة مَالَت بِإِحدَى دِفتَيْهِ الرِّيح
وَكَأَنَّمَا اِنسَانهَا مَلَامحهَا قَد خَافَ مِن غَرقَ فَظلَّ يَمِيح

تعكس هذه الأبيات هجاء حادا، ولكن الشاعر مال عن المعنى المباشر في تصوير هذا الرجل، وهذا ما مكنه من تصويره بطريقة هزلية ساخرة، وذلك من خلال وصف عينه التي يعتريها نوع من الانحراف والحول بالزورق في تمايله وحركته ، وهذا كناية عن حركتها المتواصلة، فالشاعر استطاع عن طريق الصورة التي استحضرها في هجائه أن يظهر معناه المقصود وسخريته اللاذعة دون الاعتماد على الألفاظ الصريحة والمباشرة ؛ أي أنه يعتمد على الإيحاء والتلميح ، وهذا البناء يوحي ببراعة الشاعر وإتقانه في الإخراج، وحسن استخدام الصور البيانية والتفنن في بناء الأسلوب بطريقة محكمة ومتينة ، والتراكيب الرصينة ، مما يعطي جزالة للتعبير وعمقا للدلالة.

ونستشف مما سبق أن روعة الكناية وبلاغتها تتجلى في أنها من أدق الأساليب التعبيرية وألطفها وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح، فهي تقدم المبتغى بالقول صفة أو شيء مع البينة على وجوده؛ أي أن الكناية تجسد المعاني وتجعلنا نرى ما نعجز عن التعبير عنه واضحا ملموسا، كالأمور المعنوية، كما أنها تعبر عن أمور كثيرة نتحاشى الإفصاح عنها.[2] ولعل ما وظفه شعراء الأندلس ونقلوه من صور كنائية في أشعارهم تشهد على براعتهم في التجسيد والتصوير، وتقريب المعاني لدى المتلقي، لذا فالكناية سمة جمالية لا يتقنها إلا من حسنت سجيته وجادت قريحته، والسر في بلاغة الكناية أنها تمكن الشاعر من تجاوز مبدأ البعد الدلالي الواحد، ولهذا استعان بها الشعراء في الميل بالهجاء نحو السخرية والتهكم من الخصم وإذلاله بطريقة لاذعة وأحيانا بطريقة مهذبة، فقدموا بذلك صورا راقية تستسيغها الأذن.

4- التشاكل الإيقاعي: يعد مصطلح التشاكل من المصطلحات التي تباينت حولها الدلالات، وهذا باعتباره مصطلحا بصريا لأنه أداة يستخدمها الشاعر من خلال كلماته، والرسام والنحات من خلال الأدوات التي يستخدمها مثل الألوان وغيرها والتشاكل في معناه يدل على الوحدة والموحد والتوازي، والتجانس، والتناظر،

[1] ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن بكر)،وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ج2،ص281.
[2] ينظر، السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 211.

والتشابه، والتماثل، كما أنه يدل على تساوي الخصائص في جميع الجهات[1] .لذا اعتبر من المفاهيم الدالة بشكل واضح ودقيق على خصائص النصوص الإبداعية؛ لأنه يمثل عملية حصول التفاعل والانصهار بين وعي المبدع وإرادته في وضع وتقديم عمله الشعري في نسق شكلي، وأداء مميز ومنظم، وقد اهتم الشعراء بنصوصهم الشعرية وبخاصة من جانبها الإيقاعي سواء أكان ذلك على الصعيدين الداخلي أو الخارجي على حد سواء، وهذا لإظهار الإبداع الفني من خلال الموسيقى الشعرية أو ما يسمى بالإيقاع باعتبار هذا الأخير أساس كل إبداع فني، وجوهر لا يفارقه، ويمثل الإيقاع قيمة فنية وإبداعية، بوصفه ظاهرة صوتية، وهو من المصطلحات التي يكتنفها الغموض، حيث تعددت بشأنها المقاربات والرؤى النقدية، حيث يعرف الإيقاع في مفهومه الدلالي بأنه:" هو تنظيم متوال لعناصر متغيرة كيفيا في خط واحد وبصرف النظر عن اختلالها الصوتي "[2] . وبذلك فالإيقاع هو ترتيب مستمر ومتوالي للأصوات والحركات، رغم أن هذا العناصر متغيرة ومتباينة، إلا أن الإيقاع يسعى إلى جعلها تتوالى على خط واحد متصل، بغض النظر على عدم تجانسها صوتيا، وبذلك فهو يعمل على تحقيق " الوحدة النغمية التي تتكرر على نحو ما في البيت الشعري... "[3] وبذلك فالإيقاع هو الجانب الموسيقي، والنغمي التي يتكرر في القصيدة الشعرية من خلال انتظام المقاطع الصوتية من حركات وسكنات، ويختلف عن الوزن الذي هو ثابت تبنى عليه القصيدة ويعتمد على مجموعة من التفعيلات التي تشكل بحر معين.

أما جمال الإيقاع فإنه يتحدد من خلال التناسب بوصفه عنصرا ضروريا، فهو الذي يمنح لمكوني الحركة والسكون إيقاعا فنيا باعتبار أن العناصر في الوزن تكون متناسبة ومتلازمة لا زيادة فيها ولا نقصان،فالتناسب هو اعتدال النسب وتكافؤها، وهذا ما يكسب الإيقاع ثوب الروعة والجمال ويرتقي بالفن إلى أسمي درجات الكمال [4] وبخاصة أن الغاية من التناسب هي " ... تحقيق ثمرتين هما القيمة الجمالية والقيمة التعبيرية، أي أن جمال الإيقاع مستفاد من تناسب العناصر في وزنها وحركاتها وشكل نظامها فضلا على قدرة الإيقاع على التعبير والتصوير والتأثير"[5].وللتشاكل الإيقاعي أنواع منها :

1.4- التشاكل الخارجي:

أ-الوزن: يرتبط الوزن بالشعر ارتباطا وثيقا بوصفه مقوما قارا من مقومات الإيقاع، وبخاصة أن الشعر حسب السجلماسي " هو الكلام المخيل المؤلف من أقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاة، فمعنى كونها موزونة أن يكون لها عدد إيقاعي..."[6]، وعليه فالوزن في الشعر يرفد البعد الإيقاعي، ولعل الشعراء الأندلسيين قد ساروا على منحى سابقيهم في استخدام الأوزان الشعرية الخليلية، ولم ينزاحوا عنها، فقد استخدموها وفق ما يتناسب مع موضوعاتهم وتجاربهم الشعرية، وعواطفهم ، وخاصة ما يتوافق ويلاءم غرض الهجاء، وما

---

[1] ينظر، جميل حمداوي،السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، الوراق للنشر والتوزيع، ط1، 2001، ص 543.

[2] عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي،مصر، ط1، 1992م، ص 188.

[3]المعجم الوسيط،عبد العزيز النجار وآخرون،مكتبة المعارف الدولية، ط4، 2004، ص1050

[4]ينظر: كريمالوائلي، التشكيلان الإيقاعي والمكاني في القصيدة العربية الحديثة، المكتبةالوطنية،بغداد،ط2021،2، ص9.

[5]محمد العياشي،نظرية إيقاع الشعر العربي، الطبعةالعربية، تونس،1976، ص69/68.

[6]- السجلماسي (أبو محمد القاسم)، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 1980، ص 218.

يعبر عن عاطفة الغضب والقلق التي يحملها الشعراء، مما جعل نصوصهم تتميز بالإبداع، والتأويل وبعد النظر، وقد نظموا قصائدهم على أكثر البحور شيوعا وانتشار في الشعر العربي، وبخاصة الأوزان الشعرية الخفيفة؛ لأن موضوع الهجاء يستدعي ذلك ، كما أن الشعراء عمدوا إليها ليعبروا عن مشاعرهم وخلجات نفوسهم، وصورهم الهزلية بأسلوب سلس وواضح يؤثر في المتلقي ،وهذا ليضمنوا سرعة الانتشار والشيوع لمقطوعاتهم، ومن أبرز النماذج الشعرية على سبيل المثال لا الحصر نجد أحد الشعراء ينظم شعرا في غرض الهجاء مستعينا بالبحور السهلة فنجده يقول في (السريع) الذي تفعيلاته (مستفعلنمستفعلن فاعل):[1]

اِقتَرَب الوَعد، وَحَان الهَلَاك وُكل مَا تُحَذِره قَد أَتَاك

خَليفَـــة يَلعَب فِي مَكـــتبِ وَأمّه حُبلَى، وَقاضٍ يُـــ....

يذهب الشاعر في هذه الأبيات إلى وصف دولة "المنصور بن عامر" التي طغى عليها الفساد بأقذع الأوصاف وأقبحها، حيث يؤكد له بأن لحظة الخطر والهلاك والنهاية قد حانت، كما يذكره بأن كل ما كان يخشاه قد أتى لا مفر منه، ويستمر الشاعر في إرسال نغزات سخريته اللاذعة والجارحة حينما وصف الأوضاع الفاسدة التي آلت إليها دولته مصورا الخليفة بأنه يتصرف بعبثية ولهو دون أي مسؤولية كما يصور الانحلال الأخلاقي من خلال انشغاله هو وقاضيه عن السلطة والعدالة بالمتعة والعبث فالشاعر هو ينتقد هؤلاء المسؤولين بطريقة قاسية من خلال تعريته لانحلالهم الأخلاقي ورسمه لمشهد فاضح لهم ، ولقد اعتمد الشاعر الوزن السريع في الهجاء حتى يعكس حدة السخرية وسرعة الإيقاع من خلال أن تكرار التفعيلة " مستفعلن " يولد نغما موسيقيا ما يمنح الأبيات إيقاعا صوتيا يشد انتباه المتلقي ، ولعل الإيقاع المتسارع لهذا البحر ساعد الشاعر على وصف الاضطراب والعبث الذي وصلت إليه السلطة من خلال إضفائه لتواترا إيقاعيا يناسب حدة السخرية والمبالغة فيها فهذا التنغيم زاد من إيقاع اللوم للأبيات وأكسبها انسجاما مع المعنى اللاذع للسخرية مما ترك أثرا نفسيا في نفسية المهجو .

أما الشاعر**"إبراهيم بن إدريس"** وهو يهجو المنصور ويحط من مكانته، وقد وظف "البحر الكامل" الذي كتب فيه معظم الشعراء نظرا لتكرار تفعيلاته (متفاعلن ، متفاعلن ،متفاعل)، فهو يفتح مجال التعبير دون قيود، كما أن موسيقى هذا البحر يتلاءم مع الموضوعات القوية كالهجاء، ولهذا اعتمده الشعراء ، حيث يقول [2]:

فِيمَا أَرَى عَجبًا لمَن يَتَعَجب جَلت مُصِيبتنَا وَضَاقَ المَذهَبُ

إِنِي لِأُكَذِّبَ مُقْلَتِي فِيمَا أَرَى حَتَّى أَقُول غَلطت فِيمَا أَحسبُ

أَيَكُون حَيًا من أُمَيَّة وَاحِدُ وَيَسُوس هَذَا المَلك هَذِه الأَحدَبُ؟

تَمشِي عَسَاكِرهم حَوَالِي هَودَجٍ أَعوَادُه فِيهن قِردٌ أَشهَبُ

[1] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، ج1، ص 602.

[2] ابن الآبار، الحلة السيراء ،ج1 ،ص 227.

أَبَنَى أُمَيَّة أَينَ أَقمَارُ الدَّجَى مِنكُم ، وَمَا لِوَجهِهَا تَتغَيَّبُ؟

إن ما نستشفه من هذه المقطوعة أنها تحمل نوعا من الهجاء الساخر الذي يصور الفساد السياسي حيث يظهر الشاعر تعجبه من سوء الأحوال التي آل إليها بنو أمية مبينا عمق اندهاشه فيما يرى حتى كاد لا يصدق عيناه ، فهنا الشاعر يصور الموقف تصويرا مبالغا فيه يبرز فضاعة الموقف وغرابته، حيث يعبر بأسلوب استهزائي ساخر أن يكون من بيت بني أمية بيت العز والمجد حاكم أحدب وضعيف يتولى مقاليد الحكم ، وإدارة شؤون الدولة، كما يستمر في السخرية من خلال تصويره لمشهد كاريكاتوري ساخر في وصفه لمشي العساكر ومعهن قرد أشهب " المنصور " حيث شبهه بالقرد في مشهد عبثي يرمى إلى التهكم والاستهزاء ، ويختتم الشاعر مقطوعته بتبيان انقلاب الزمان من خلال مقارنة مجد بني أمية الذي شبه حكامه بالأقمار النيرة وما وصلوا إليه من زوال مجدهم وضياعه ، ولعل الشاعر وفق في اختيار وزن قصيدته حتى تتوافق مع الغرض الهجائي الذي أراده فقد استخدم البحر " الكامل " الذي تميز بتكرار التفعيلة " متفاعلن " ثلاث مرات مما خلق تناغما صوتيا قويا وانتظاما واتزانا عميقا للإيقاع ، مما أسهم في انسجامه مع حدة السخرية ولاذعة الهجاء الذي اثر على المهجو وحط من قيمته .

ويقول أحد الشعراء وهو يهجو الخليفة محمد بن عبد الجبار الذي عرف بالفسق، وبارتكاب المنكرات، وقد نسج أبياته على (البحرالوافر) حيثيقول :[1]

أَمِيرالنَّاسِ سخنة كُل عَين يَبيــت اللَّيل بَينَ مُخَنَّثَينِ

يَجشم ذَا وَيلثم خَدَّ هَذَا وَيسكركُل يَومٍ سَكرَتَيــن

لَقَد وَلُّوا خلَافتهُم سَفِيهًا ضَعِيفُ الرَّأي شينَا غَيرزَين

نلاحظ في هذه أن الشاعر يصور هذا الأمير بطريقة تهكمية تبعث على الاشمئزاز والاحتقار بسبب أفعاله المشينة وأخلاقه الذميمة، لذا فالشاعر عمد إلى استخدام السخرية للحط من قيمته وفضح أخلاقه وفساد طباعه، ولعل ما زاد الهجاء حدة ، وجعل السخرية تبلغ ذروتها هو اتصاف هذا الأمير بالفسق وانغماسه في السكر، ما جعل الشاعر يعيب على قومه سوء اختيارهم له لأنه لا يليق بهذه المكانة ، فالسخرية هنا جاءت محملة بشحنة من الاهانة والاستخفاف للمسخور منه من خلال الحط من قيمته ما يجعلها تؤثر على نفسيته، ولقد نسج الشاعر أبياته بنغمة هجائية ساخرة مستخدما البحر " الوافر" الذي تميز بحدة إيقاعه، ولقد أضفى هذا التناغم الموسيقي المتوازن نوعا من الإيقاع الذي يجعل المتلقي يرى البعد الفني الجمالي للنص دون التركيز على قساوة السخرية مما يمنح القصيدة تكرار صوتي مميز .

ولقد حرص الشعراء الأندلسيون على محاكاة منهج القدماء، ونسجوا قصائدهم على منوال أسلافهم في اعتماد الأوزان الشعرية في مقطوعاتهم وقصائدهم، فقد اعتمدوا على الأوزان السهلة البسيطة والخفيفة،

[1] ابن عذاري المراكشي ،البيان المغرب في اخبار المغرب ،تحلولانوبروفسال ، دار الثقافة ،بيروت ،دت ، ج3 ، ص 80 .

والطويلة التي تفسح لهم المجال للتعبير عن تجاربهم وأفكارهم، وهذا ما يتناسب مع غرض الهجاء؛ إذ يبين عواطفهم وتجاربهم الشعورية بشكل مميز وبارع، حيث نجد أن معظم قصائدهم تحمل شحنة اندفاعية من معاني الغضب يعبر بها الشعراء عن عاطفتهم تجاه خصومهم والأوضاع السياسية والاجتماعية التي عايشوها،وهذا ما زاد نصوصهم نوعا من التفرد، أسهم في تحقيق انسجام بين أشعارهم وإيقاعها، ولعل توظيفهم هذه البحور الشائعة يزيد النص نوعا من الديناميكية والحيوية .

ب-القافية: تعد القافية ركيزة جوهرية في الشعر العربي، وبخاصة في بناء القصيدة من ناحية الإيقاع والدلالة، فلقد ارتبطت ارتباط وثيقا بالوزن ولم تحد عنه، إذ تعد نمطا خاصا يجسد تجربة الشاعر في بناء نصه، وصياغة موضوعه من خلال ورودها في ختام كل بيت من أبيات القصيدة، وهذا يضفي ما على موضوع القصيدة وحدة تكاملية، والقافية هي " ذلك النسق من الأصوات والحركات والسكنات التي يكرر في نهاية الأبيات في القصيدة العمودية القديمة "[1]، وبذلك فهي مجموعة من الحروف والحركات التي تكون في نهاية كل بيت شعري،حيث تتكرر بانتظام في القصيدة العمودية، مما تكسبها وحدة موسيقية، وترابطا إيقاعيا . وفي هذا السياق نجد **أبا محمد بن عبد الله** يصوب سهام هجائه نحو صاحب اشبيليا حيث يقول: [2]

لَا تَيأَسَنَّ من الخلَافَة بَعدَمَا وَلَّى ابنَ عمرُو خطة الأَشرَافِ

تَبًّا لِدَهرِهَذِه أَفعَالهُ يَضَعُالنَّوَ افِخ فِي يَدِي كنَـــاف

يسخر الشاعر في هذه المقطوعة من صاحب اشبيليا الذي تولى منصبا رفيعا وهو غير كفء له حيث افتتح أبياته بنبرة ساخرة يستهزأ فيها بهذا الشخص ومن الزمان العجيب الفاسد الذي لا يقدر أهل الكفاءة بل يضع النوافخ في يد المنافقين والفاسدين ، فهذه الأبيات تحمل هجاء لاذعا يقوم على التناقض بين ظاهر الشخص وباطنه، كما يعيب الشاعر الزمان وتقلباته، ولعل القافية في البيت الأول تكمن القافية في (رافي) فهي قافية متواترة مكونة من (/0 /0)وقد اختارها الشاعر لتتناسب مع طبيعة موضوعه الهجائي ولعل هذه القافية عكست النقد المؤلم والقاسي الذي وجهه الشاعر لمهجوه حيث وضعه في صورة استهزائية وفي مكانة منحطة تعكس قيمته ومنزلته ، ولقد وفق الشاعر في اختيار هذه الكملة كقافية لتدعم هجائه ،مما يظهر التناسب التكامل بين القافية والوزن الذي جعل السخرية اكثر تأثيرا في المتلقي . ويذهب **ابن الاصيلي**فيسخريته من رئيس حصن بلنسة عندما منعوه من دخول المدينة فأنشد قائلا :

حَتَّى إِذَا رَمت دخُولًا أَبَت نَفس أَبَى الحَجَّاج لَي بِالدُّخُولِ

رَاسَلتُهُ مُستَنزِلًا رَاغِبًـا فَكَادَ أَن يَقطَع رَأسَ الرَّسُولِ

أَكرَم بِه من قَائِـد مَاجِد يَصلُح لِلحَربِ وَرَعيّ العجُول [3]

تحمل هذه الأبيات طابعا هجائيا ساخرا يسخر فيها الشاعر من رئيس حصن بلنسية، حيث يصور رفض أبي الحجاج له بالدخول دلالة على التكبر والغرور، كما يبين طلبه من خلال إرساله لرسول لمقابلة هذا

[1] حسني عبد الجليل يوسف، التمثيل الصوتي للمعاني، دراسة نظرية وتطبيقة في الشعر الجاهلي، دار الرشيد، بيروت، ص 147.

[2] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، ج4، ص 465.

[3] الأصبهاني، خريدة القصر ، ج2 ، ص 210،209.

الرئيس لكنه استقبله بالإنكار والكراهية،حتى كاد يقطع رأسه فهنا صورة ساخرة تعكس جهل هذا الرجل وقساوته وعدم احترامه للآخرين، وهذا ما يبين مبالغته في الطيش وسوء التصرف ويظهر ذلك في قوله " فكاد يقطع رأس الرسول " ، أما في البيت الأخير فيبلغ الهجاء مبلغه من خلال خلق مفارقة هزلية شديدة السخرية بأن هذا القائد لا يصلح إلا لرعي العجول ، ولقد عمد الشاعر إلى إضفاء نغما موسيقيا لسخريته من خلال توظيف القافية في هذه البيت الأول في كلمة (خولي) وهذه القافية كذلك متواترة تتألف من (/0/0) وهذا ما دعم سخريته التي أراد أن يعكسها من خلال هجائه، ولعل القافية في هذه الأبيات خلقت معنى غير متوقع زاد النص قوة و تأثيرا، بسبب إحراج المهجو والاستخفاف به والحط من مكانته أمام الآخرين.

ومنه فالشعراء الأندلسيين زاوجوا بين القوافي المتواترة والقوافي المتداركة في قصائدهم ودواوينهم، وهذا لان هذه القوافي تقوم على الشدة والحدة والقساوة، وهذا حتى يخدموا غرض الهجاء الساخر، ولنقل رسائلهم المشفرة والمضمرة بصورة تهكمية مضحكة، وبطريقة إبداعية بارعة.

ت-الروي : هو "النبرة أو النغمة التي ينتهي بها البيت وتبنى بها القصيدة "، وهذا ما جعله الركيزة الصوتية الرئيسية التي تنسخ عليه القصيدة، وهو الحرف الصحيح الذي يتكرر في نهاية كل بيت، وبه يخلق جرس موسيقي للقصيدة. ومن خلال استقصائنا لدواوين وقصائد الشعراء الهجائين في البيئة الأندلسية تبين أنهم التزموا بروي واحد في كامل القصيدة، وهذا ما يعكس الالتزام التام بالقدماء، فلم يخرجوا عنهم، ولم يخالفوهم في هذه الميزة، وهذا ما يؤكد الرتابة التقليدية لهم في اختيار روي أساسي دون التنويع فيه. ومن أبرز النماذج على سبيل المثال لا الحصر نجد قول "أبي **عامرالاصيلي**"، وهو يهجو دول الطوائف بسبب ظلمهم واستبدادهم حيث يقول:[1](الوافر)

أرى الأوغاد يعتمرون دورا ومالي في بلاد الله دار
إذا ركبوا المذاكي والمطايا فركوبي على شرفي حمار
أجول فلا أرى إلا رعاعا كبارهم إذا اختبروا صغار
أباجة لا وقاك الله شرا فأهلك أهل مفسدة شرار

لجأ الشاعر في هذه الأبيات إلى توظيف حرف "الراء" كروي، ويعد هذا الحرف من الحروف المهجورة التي تعبر عن القوة والتكرار؛ ولقد وظفه أبو عامر الأصيلي بشكل محوري للتأثير بشكل عميق في النفسوهذا ما أكسب مقطوعته شحنة عاطفية مشبعة بالحزن والسخط، وزاد من حدة هجائه الساخروتكراره يؤكد النبرة الهجائية في كل بيت ويدعم الجانب الإيقاعي المتكرر، وهذا ما يجعل سخريته حادة ولاذعة، وتثبت في ذهن القارئ، وهذا الاختيار يعكس عمق المشاعر، والأحاسيس المتراكمة والكامنة، ويبرز النزعة المتمردة والروح الثائرة للشاعر، حيث كان للروي دورا في إحداث حالة من التأني والترتيب في الإيقاع الشعري للمقطوعة، مما أدى إلى جعل قارئها يتأنى في قراءة الكلمات بعناية ويتذوقها بكل إبداع، لذا فالروي هو الركيزة الأساسية في القصيدة .

[1] ابن بسام الشنتريني،الذخيرة ، ج2 ، ص860 .

أما "أبو **إسحاق الالبيري"** فقد ألف قصيدة مطولة من سبعة وأربعين بيتا في هجائه لابن النغريلة وحرض فيها أهل غرناطة على قتله بسبب تصرفه في أمور الحكم وفساد رأيه، حيث يقول :[1] **(المتقارب)**

أَلَا قل لصَنهَاجَة أَجمَعِين بدُور الندَى وَأسَد العَرِين

لَقَدْ زَلَّ سَيِّدكُم زَلَّــة تَقرَبَهَا أَعيُن الشَّامِتِين

تَحيزكَاتبَه كَـــــافِرًا وَلَو شَاءَ كَان من المُسلِمِين

فَعز اليَهُود بِه وَ انْتَخُوا وَتَاهُوا وَكَانُوا مِن الارذَلِين

وَمَا كَانَ ذَلِك مِن سَعيِهِم وَلَكِن منَا يَقُوم المعِين

وَنَالُوا منَاهم وَجَازُوا المدَى فَحَان الهَلَاك وَماَ يشعُرُون

فَكَم مُسلم فَاضل قَانت لِأرذَلِ قَرد مِن المُشرِكِين

يعد الروي عمود القصيدة وهويتها وبه تسمى ، ولقد عمد الشاعر أبو إسحاق الالبيري الى استخدام حرف " النون " كروي لقصيدته التي نسجها في هجائه وسخريته من " ابن النغريلة " اليهودي ، ويعد حرف النون من الحروف المهجورة الرخوة التي تدل على الغضب والحزن ، وقد جعله الشاعر كعنصر أساسي في بناء مفاصل القصيدة ،وهذا ما جعل قصيدته ذات إيقاع رنان يخلق جمالا صوتيا يعلق في الأذن ، لأن هذا الحرف يتناسب مع موضوعات الهجاء وهذا ما يكسبه دلالة فنية مميزة ، ولعل تكرار هذا الحرف خلق صدى ساخر للمهجو ما جعل سخريته قاسية الألفاظ جارحة المعاني وهذا ما جعل الروي يضفي طابعا من الثبات والاتساق بين الوزن والقافية في القصيدة .

ومنه يمكننا القول أن الروي هو الركيزة المحورية التي تبنى عليها القصيدة ، من خلال ما يضيفه للنص الشعري من إيقاع وموسيقى خارجية، مما يحدث تناغما صوتيا للأبيات بربطها ببعضها بخيط شعوري واحد ويجعلها تثبت في الأذن ويسهل حفظها وتداولها، كما انه يزيد من التماسك البنائي لها ، ولعل ما نلاحظه عند الشعراء الأندلسيين هو تنوع حروف الروي من قصيدة لأخرى ما يظهر براعتهم الشعرية وتمكنهم من توظيف هذه الحروف،ولعل اختيار الشاعر لحرف الروي يرتبطا أساسا بنفسيته وشعوره وذلك ليجعله يتناسب مع موضوع قصيدته،وهذا ما يعطيها تأثيرا خاصا لدى المتلقي .

2.4- التشاكل الداخلي:وهو الايقاع الداخلي للقصيدة، وبعتمد على المحسنات البديعية التي تخلق نوعا من الايقاع الموسيقي داخل القصيدة، حيث يعمد من خلاله الشاعر الى الربط بين قواعد النظم مع مشاعره واحاسيسه وانفعالاته وهذا لإضفاء طابعا جماليا على إبداعه الشعري، وعليه فإن الايقاع الداخلي هو "

[1] الالبيري ،الديوان ،تح محمد رضوان الداية ،ط1 ص 108.

الانسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع من هذا التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالتها حينا أو بين الكلمات بعضها وبعض حينا آخر "[1]

أ-التصريع : وهو إحدى السمات التي برزت في الشعر العربي، فقد لازم مطالع الشعراء، وعرفه ابن الأثير بقوله :" إن التصريع في الشعر بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنثور " [2]، وبذلك فهو مماثلة اللفظة الواقعة في آخر مقطع المصراع الأول مع مقطع اللفظة التي في القافية، وهذا لإضفاء طابع موسيقي يعمل على لفت انتباه المتلقي، كما أقر ابن سنان أن " ... التصريع ...يجري مجرى القافية، وليس الفرق بينهما إلا أنه في أخر النصف الأول من البيت والقافية في أخر النصف الثاني منه ، وإنما شبه مع القافية بمصراعي الباب "[3]، وعليه فالتصريع هو نوع من التماثل الصوتي المتجلي في بعض القصائد الشعرية.

والمتأمل في دواوين شعراء الأندلس يجد أنهم لم يحيدوا عن هذه السمة، إذ نجدها متجلية في بعض مطالع أبياتهم، ومن صوره قول أبي المغيرة عبد الوهاب يهجو ابن عمه الإمام الفقيه "ابن حزم" هجاءً صريحا، حيث اتهمه بالجهل؛ إذ يقول:[4] (المتقارب)

نَعَقت وَلمَ تَدرِكَيفَ الجَوَاب وَأَخطَأَت حَتَّى أَتَاكَ الصَّوَاب
وَأَجرَيتَ وَحدك فِي حَلبَة نَأت عَنكَ فيهَا الجِيَاد العراب
وَبت مِن الجَهل مُستَنبحًا لِغَيــرِي قَرى فَأَتَتكَ الذِّئَاب

فكلمة (الجواب / والصواب) في البيت الأول كوّنت تصريعا بين صدر البيت وعجزه ، من خلال توافق الفواصل في نهايات الجمل ، وهذا ما اكسب بعدا جماليا للنص وجرسا موسيقيا تستسيغه الأذن، كما حقق تماثلا من ناحية الدلالة من خلال المفارقة بين الجهل والفهم مما احدث سخرية مبطنة تخدم غرض الهجاء وتزيد من حدة الإيلام ، إضافة إلى أنه خلق تناغما إيقاعا يشد انتباه السامع ويعطي نغمة وجرسا صوتيا على كامل القصيدة مما يبرز الإيقاع الأساسي للقافية ،وعليه فالتصريع في هذه الأبيات جاء محملا بنبرة ساخرة ذات إيقاع صوتي مميز .

ومن صوره أيضا قول لسان الدين بن الخطيب في هجاء الوزير ابى الفتح؛ إذ يقول: [5] (المنسرح)

كُن من صرُوف الرَدَى عَلَى حَذَر لَا يَقبَل الدَّهر عُذر مُعتَذر

نجد في مطلع قوله التصريع بين لفظتي (حذر / معتذر) وهذا ما اكسب القصيدة نغما موسيقيا خاصا، إلا أن الشاعر لم يكتف بالتصريع في البيت الأول فقط بل نجده يفاجئ المتلقي ويكسر توقعه وانتظاره عن

[1] إبراهيم عبد الله محمد، الشعر الجاهلي " وقضاياه الفنية والموضوعة، مكتبة الشباب ،ط2، 1399هـ، 1979م، ص 263.
[2] أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية، ص 246.
[3] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ص246.
[4] ابن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، ج1 ، ص 357.
[5] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، ج1، ص 428.

طريق تصريعه في البيت التاسع عشرا وهذا ما أدى إلى انصدام السامع، فالشاعر صرع في موضع لا يصرع فيه وهذا ما يرمي إلى إبداعه وتفننه في الشعر وجعل المتلقي أسير الأسماع لهذه القصيدة حيث يقول:

يَا خَامِلا جَاهه الفرُوج يَرَى صهر أَولَى الجَاه فَخر مُفتَخِر[1]

ففي هذا البيت يتجلى التصريع بين لفظة (يرى/ مفتخر) والتي أعطت للقصيدة لحنا وتناغما إيقاعيا مميزا، من خلال اتفاق النغمة بين صدر البيت وعجزه، ولعل هذا الاتفاق بين الفواصل أضفى انسجاما صوتيا ساهم في جذب مسامع المتلقي، مما يحيل إلى نوع من التهكم الساخر، كما انه أعطى بعدا دلاليا يبن التناقض في المعنى مما زاد هذا البيت قوة في الهجاء وعمقا في الدلالة.

وعليه نستنتج أن التصريع من العلامات المميزة في الشعر الهجائي الأندلسي من خلال ما يضفيه على القصيدة من وقع قوي وجذاب يشد انتباه السامع عبر الجرس الموسيقي المتناغم الذي يحدثه، أما من الناحية الدلالية فيسعى الى تعميق الدلالة وتكثيفها، كما يساعد على فهم نفسية الشاعر، وعليه فالتصريع سمة فنية خاصة تجمع بين عمق الدلالة وبين التناغم الموسيقي للنص الشعري.

ب-التدوير: وهو من أهم الصفات التي ظهرت في الشعر العربي، وذلك من خلال اشتراك الشطرين في كلمة واحدة . ويمكن تحدد مفهومه بـ : " هو أن تكتمل التفعيلة مع نهاية السطر الشعري ، فتكتمل في بداية السطر الذي يليه " [2]؛ أي أن التدوير يقوم على أن الكلمة أو التفعيلة تبدأ في نهاية الشطر الأول وتنتهي في بداية الشطر الذي يليه، حيث يمكن اعتباره خاصية إبداعية تضفي انسيابية وترابط بين شطري البيت الشعري وتعطيه إيقاعا صوتيا جميلا، ولعل المتمعن في قصائد الهجاء الأندلسية يرى أن معظم الشعراء اعتمدوا هذه الخاصية في أشعارهم، حيث نجد **نزهون** وهي تهجو الأعمى المخزومي بهجاء قاسي ولاذع ، يحط من قيمته قائلة:[3] (المجتث)

قُل لِلوَضِيع مَقَالًا يتلَى إِلَى حِين يحشَرُ
مِن المدُور أُنشئَـــــت وَالخَرَا منهُ أعَطَرُ
إِن كُنتَ فِي الخَلقِ أُنثَى فَإِنَّ شِعرِي مُذَكَّرُ

لقد وظفت الشاعرة خاصية التدوير في البيت الثاني من خلال اشتراك الشطرين في كلمة " أُنشئت " فقد جاءت مجزوءة بين صدر البيت وعجزه، وهذه السمة الإبداعية لا تعد عيبا، وإنما هي ميزة تمكن الشاعر من نظم أشعاره بكل حرية دون أي قيود أو التزامات فتجعله يسكب تجاربه ومشاعره بروح إبداعية ومميزة.ولعل استخدام الشاعرة لكلمة " أنشئت " زادت من عمق السخرية، كما أضفت إيقاعا موسيقيا جعل السخرية تعلق في أذن السامع لفترة أطول، أي أن الشاعر استطاع أن يربط بين عمق الدلالة الساخرة في هذه الكلمة وبين تأثيرها على السامع. مما يجعلها ذات وقع قوي وتأثير عميق.

---

[1] المصدر نفسه، ج1، ص 429.

[2] عبد الرحمان بترماسين ، العروض وايقاع الشعر العربي، ص 94.

[3] المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، ج1، ص 193،192.

ومن صوره قول**يحي الغزال** في هجائه للحياة، حيثيقول:[1]

لَقَد فَسدت فَمَا تلقَى بهَا من لَيسَ ذَا شَجن

وَصَارَالحَيّ منَا يَغـ ـبط الملفُوف فِي الكَفَنِ

أما في هذه المقطوعة فنجد التدوير حاضرا في البيت الثاني في لفظة (يغبط) فقد أتى نصفها في الشطر الأول والنص الآخر في الشطر الثاني، ولعل استخدام الشاعر هذه الكلمة «يغبط" هو دليل على التمني مثل ما لغيره فالشاعر في هذه الأبيات يسخر مما آلت إليه الحياة من فساد حتى تمنى أن يكون مكان الملفوف في الكفن، وقد كان التدوير هنا خادما لهجائه وسخريته مما زاد من قساوتها وحدتها.

ت- التوازي: وهو بمثابة متواليتين متعاقبتين أو أكثر لنفس النظام الصرفي والنحوي وبتكرارات أو اختلافات إيقاعية وصوتية أو معجمية "[2]، ومن صوره كذلك قول ابن الخطيب في هجاء أبي الفتح؛ إذ يقول:[3]

يَا طَلَالًا مَا عَلَيه من عَمَل يَا شجَرًا مَا لَدَيهِ من ثَمرِ

لعل المتمعن في هذا البيت يرى انه يقوم على توازيات بين أجزائه حيث نجده يفتتح بيته بحرف النداء (يا) ثم يليها اسما (طلالا / شجرا) ثم أتى بعدها بـ(ما) النافية ثم يكمل باقي الكلمات، وبهذا نستنتج أن صدر البيت متوازي ومتوازن بين عجزه في عدد الكلمات وترتيبها، وكأن الشطر الأول يقابل الشطر الثاني بجميع أطرافه وحيثياته، وهذا ما خلق انسجاما وتوافقا عظيما بين الشطرين. ولعل هذا التوازي بين الصدر والعجز أضفى إحكاما فنيا دقيقا للبيت الشعري، ومنح تركيبا متماسكا لألفاظها وتراكيبها، كما أعطى بعدا جماليا وتناغماإيقاعيا، من خلال الانسجام بين الوزن والسخرية مما أظهرها بطريقة فنية بارعة، وزاد من حدة تأثير السخرية وعمق وقعها في النفس ما جعلها تظهر أكثر مرارة وإيلاما.

ويمكن القول أيضا أن هناك أسس أخرى من أسس التشاكل الإيقاعي، وقد حددها النقاد في بعض أساليب البديع التي تعمل عادة على «...تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنمق : إما بسجع يفصله، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه، أو ترصيع يقطع أوزانه، أو تورية عن المعنى المقصود لإيهام معنى أخفى منه، لاشتراك اللفظ بينهم، أو طباق بالتقابل بين الأضداد وأمثال ذلك "4. ولعل من أبرز هذه الأساليب أسهمت في تحقيق الفاعلية الإيقاعية في الشعر الهجائي الأندلسي نجد الجناس، وهو "...أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها "[5]، وبذلك فهو يشمل الكلمات المتشابهة في الحروف سواء تجانست في المعنى أو اختلفت. وبذلك فالجناس هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى، ومن ذلك قول المقري أن ثلاثة شعراء صلوا خلف إمام قرية في مرسيه فأخطأ في قراءته وسها في صلاته، وعند خروجهم كتب أحدهم على حائط المسجد:

---

[1] يحي ين حكم الغزال،الديوان ،ص 77.

[2] محمد كنوني ، التوازي ولغة الشعر ، مجلة فكر ونقد ، مجموعة 18، 1999، ص 79.

[3] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، ج5، ص 141.

[4] ابن خلدون ،المقدمة ،ص 1066.

[5] عبد العزيز عتيق ، علم البديع ، ص195.

يَا خَجلتِي لِصَـــلَاةِ صَلَّيْتُهَا خلـف خلــف[1]

يسخر الشاعر في هذا البيت من الإمام بسبب سهوه في الصلاة وعدم قراءته الصائبة، حيث بين عمق سخطه وسخريته وكشف استيائه منه بألفاظ جزلة ومعاني دقيقة موظفا ظاهرة إبداعية وجمالية خاصة، فنجده يجانس بين لفظتي (خلف/ خلف) فكلمة خلف الأولى تعني وراء أما الثانية فتعني المتخلف الذي لا خير فيه، ولعل هذا التوافق والتشابه التام بين اللفظتين زاد أبيات الشاعر طاقة سمعية مميزة، وأضفى عليها نغما موسيقيا، ما جعلها تصل إلى المتلقي بكل سلاسة، ومن صوره أيضا قول أبي بكر محمد بن أحمد الأنصاري يهجو أمير قرطبة الزبير بهجاء ساخر؛ حيث يصفه بالضلالة من خلال تركه تدبير الأمور وأحوال الناس لوزيره وانشغاله بملذاته، فنعته بكلب النار :[2](الكامل)

عَكف الزَّبِير عَلَى الضَّلَالَة جَاهِدًا وَوَزِيرَهُ المَشهُور كَلبَ النَّار
مَازَال يَأخذ سَجدَة فِي سَجدَةٍ بَينَ الكُؤُوس وَنَغمةِ الاَوتَارِ
فَإِذَا اِعْتَرَاهُ السَّهُو سَبع خَلفه صَوتَ القيَان وَرَنة الاَوتَارِ

يهجو الشاعر في هذه الأبيات أمير قرطبة حيث يصف فيه وضلالته وانحرافه عن الحق، وإهمال شؤون رعيته وانغراقه في المتع والملذات، من خلال توظيف الجناس، فقد جانس بين كلمة (سجدة / سجدة) فهذه الكلمات متوافقة توافقا تاما في (عددحروفها ،أنواعها ،ترتيبها ،هيئتها) ، وهذا ما شكل إيقاعا داخليا للنص الشعري .ويذهب **الإمام الحميدي** فيهجوالمارقينعنالدين، فيقول: [3]

وَمَـــا هُو إِلَّا وَاحِد مِن جَمَاعَة وَكُلهم فِيمَا حَكَوه شهُود
فَمَن حَادَ عَن هَذَا اليَقِين فَمَارِقٌ مَرِيدٌ لإِظهَارِ الشّكُوكِ مُرِيد

ففي البيت الأخير يتجلى الجناس التام بين لفظتي " مَريد" و " مُريد" فالأولى بالفتح على وزن (فعيل) وتعني متمرد ، أما الثانية بالضم فمعناها قاصد أو هادف .ولعل اعتماد الشاعر على الجناس خلق ايقاعا متجانسا بين اللفظتين مما ساهم في شد انتباه المتلقي وجعل البيت اكثر علوقا في الذهن ،كما ان الجناس يعمل على زيادة عمق المعنى من خلال اثراء الدلالة بين هذه الكلمتين المتشابهتين في اللفظ والمختلفتين في المعنى وهذا ما يزيد الابيات جمالا وازدواجية في الدلالة.

ويسخر**أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم من** ابن عمه الإمام الفقيه ابن حزم ، حيث اتهمه بالجهل؛ إذ يقول :[4](المتقارب)

نَعَقَت وَلَمْتَدرِ كَيفَ الجَوَاب وَأَخطَأت حَتَّى أَتَاكَ الصَّواب

يظهر الجناس الناقص في هذا البيت بين لفظتي (الجواب ،والصواب) حيث نجدها متشابهة في أغلب الحروف وتختلف في حرف واحد فقط، والملاحظ أنها تحمل نفس الوزن ما جعلها تخلق جرسا موسيقيا

[1] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، ج4، ص18.
[2] ابن الزقاق ،الديوان ، تح: محمود ديراني ، مطبعة دار الثقافة ،بيروت ،دت ، ص 295.
[3] نافع عبد الله ، الهجاء في الشعر الأندلسي ، ص 131.
[4] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، ج1 ، ص 357.

يستعذبه السامع، وهذا ما يزيد النص مسحة فنية وإبداعية، كما أنه يبرز المعنى الساخر ويوضحه. يقولأحدالشعراء:[1]

وَذَاكَ نَجِيع لَيسَ يقبَله الثَّرَى وَذَا نَاجِع يسرِي بهِ وَيَغُور
تَدَنَّسَت الدُّنيَا بِه فَتَطهَرَت بطُون لَهَا مِن رجسهِ وَظهُور

اعتمد الشاعر في بناء هذه الأبيات على صورة بديعية، وشحنها بطاقة جمالية وإيحائية حتى تخدم سخريته، وتهكمه، فنجده يورد الجناس بين كلمة (نجيع / ناجع)، وهو جناس ناقص لأن هذه الكلمات اختلفت في حرف واحد؛ أي أنها كسرت قاعدة التشابه التام ، وهذا ما زاد أبيات الشاعر بعدا جماليا ، ونغما موسيقيا تستريح له الأذن .

ونجد **أمالسعدبنتعصامالحميري** تهجو أقاربها وقد اعتبرتهم ألد أعدائها وأكثرهم إيذاء حيث تقول:[2]

آخ الرِّجَالِ من الأَبَا عد وَالأَقَارِب لَا تُقَارب
إِنَّ الأَقَارب كَـالعَقَـا رَب أَو أَشد من العَقَارب

تهجو الشاعرة بعض أقاربها وتصفهم بكل الصفات السلبية، كما نجدها تدعو إلى الابتعاد عنهم ومؤاخاة الأباعد، ولقد جانست بين لفظني (الأقارب / العقارب) من خلال اختلافها في حرف واحد فقط، أما باقي الحروف فهي متوافقة ومتشابهة للسخرية منهم وإنزال مقامهم، ولعل توظيفها لهذه الخاصية زاد قوة لأبياتها وجمالا وأعطاها صدى موسيقي خاص.

كما يعد السجع أيضا من أساليب البديع التي رفد البعد الإيقاعي في الشعر الهجائي ومكنته من تعميق معنى السخرية وجعلها أكثر إيلاما وتأثيرا، ومن صوره هجاء الشعراء للخليفة محمد بن هشام بن عبد الجبار الذي كان نذير شؤم على البلاد، والعباد، حيث قيل فيه :[3](مخلع البسيط)

أَشَأم خُلُقِعَلَى العِبَـادِ وَالنَّـاس من حَاضرٍ وَبَاد
أَبُو الوَلِيد الذِي اقشَعرت لـنَحسـه شعرةُ البـــلَاد
كَانَ عَلَى قَومـهِ جَمِيعًا مـزَارعَادٍ لِـقَومِ عَـــاد

يهجو الشاعر في هذه الأبيات الخليفة محمد بن هشام هجاء لاذعا؛ إذ جعله نذير شؤم ونحس على العباد والبلاد، مستخدما أسلوب السجع، حيث وافق بين فواصل الكلمات، ولقد تميزت هذه الكلمات بسلاستها، وعذوبتها، ولطفها وسهولتها على أذن السامع وذلك في قوله (العباد، باد، البلاد ، عاد) فالحرف المسجوع هو " الدال " وهو من الأصوات المجهورة التي تولد إيقاعا وشدة في القصيدة ، وقد جاء خادما لغرض

[1] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،تح : ج، س، كولات ، ليفي بروفنسال ، دار الكتب العلمية ، ج3، بيروت ،لبنان ،1971 ، ص 193.

[2]المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، ج5، ص 299.

[3]، نافع عبد الله ، الهجاء في الشعر الأندلسي ص66/65.

الهجاء والسخرية وساعد الشاعر في تجسيد صورة مسخوره، فحرف الراء أتى فاصلة من فواصل الإيقاع .
ويقول أيضا "ابن الربيع" في هجاء "حكم بن سعيد" الحائك وزير المعتد بالله؛ إذ يقول:[1](مخلع البسيط)

هَبك كَمَا تَدَّعِي وَزِيرًا وَزِير مَن أَنتَ يَا وَزِير
وَالله مَا لِلأَمِير مَعنَى فَكَيف من وزر الوَزِير

نلاحظ في هذه الأبيات أن الشاعر يهجو هذا الوزير، ويسأله ساخرا بأسلوب استفهامي استنكاري أراد به الاستهزاء والتحقير، بأنه لا يرقى لأن يكون وزيرا أو أن يقارن بالوزراء، ولقد وظف الشاعر خاصية السجع لإضفاء دلالة جمالية على نصه فنجد ذلك في (وزيرا ، وزير ،الوزير) فالحرف المسجوع هو حرف "الراء " الذي يعد من الحروف الجهورية، والذي يتميز بشدته وفخامته، مما أحدث إيقاعا موسيقيا خاصا ، كما أعطى للمعنى قوة وثباتا في ذهن المتلقي. كما أسهم أيضا الطباق في رفد البعد الإيقاعي في الشعر الهجائي، ومكنه من تعميق معنى السخرية وجعلها أكثر إيلاما وتأثيرا، ومن صوره قول أحد الشعراء في مقتل سليمان بن عمرو بن حفصون الذي يعد رأس الفتنة في الأندلس ومضرم نارها حتى أصاب المدينة القحط وبوفاته وافى نزول الغيث:[2]

سَحَاب يَمُور الغَيث فِيهَا وَدِيمَة دِمَاء العدَى تهمِي بِهَا وَتَفُور
غَيَاثَان فِينَا اكفَان مِن الحَيَا وَلَكِن ذَا رِجس وَذَاك طَهُور
وَذَاك نَجِيع لَيس يَقبَله الثَّرَى وَذَا نَاجِع يَسرِي بِه وَيَغُور
تَدَنَست الدُّنيَا لَهُ فَتَطهَرت بطُون لَهَا من رِجسهِ وَظُهُور

تقوم أبيات الشاعر هنا على ظاهرة التضاد والتقابل سواء أكان ذلك على الصعيد المعنوي أو اللفظي، حيث طابق الشاعر بين لفطتي (رجس / طهور) في وصفه للمطر المتساقط من السحاب الذي يمور بالغيث ويحي الأرض والزرع ، بأنه طاهر عكس دماء العدى فهي نجسة كالرجس وهذا سخرية للحط من مكانتهم، كما تجلى الطباق في: (وذاك نجيع / وذا ناجع) فالدماء النجيعة لا يقبلها التراب ولا يمتصها، فهذا يعكس هجاء لاذعا، بينما الماء الناجع يسري في باطنها بكل سلاسة وذلك من خلال التضاد بين (لا يقبله / يسري به ويغور) ، أما في قوله:(تدنست / تطهرت) فالطباق جاء خفيفا يخدم موضوع أبياته ، كما يختم أبياته من خلال المطابقة بين (بطون / ظهور) . ومن هنا لنا أن نقول إن هذه المقطوعة اتسمت بعدد كبير من المتطابقات حيث اشتركا في الصيغة وهذا ما شكل تناسقا تركيبيا بين أبيات النص، كما ربط بين التناسق والتطابق الدلالي ، وهذا ما أضفي على النص إيقاعا، وحقق نوعا من التقارب بين مدلول اللفظ وإيقاعه.ويقولاليكي وهو يهجو المرابطين وأمرائهم، منهم علي بن تاشفين" وأصحابه؛ حيث يقول:[3]

عِصَابَة سُوء قَبَّح الله فِعلَهُم أَتُوا فِي عَلي بِالدَّنَــاءَة وَالقَبحِ
فَزَارُوه مِن وَقتِ الصَّبَاحِ إِلَى المَسَاءِ .... مِن وَقتِ المَسَاءِ إِلَى الصُّبحِ

[1] ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج1 ، ص 147.
[2] المصدر نفسه، ج3، ص 193.
[3] ابى بحر صفوان بن ادريس التجيبيالمرسي ،زادالمسافر وغرة محيا الادب السافر ، ص 78.

إِذَا جَاءَ مِنهُم وَاحِد قَامَ تِسعَة كَمَا اختَلَفَ نَحل الرَّبِيع عَلَى الجَبْحِ

يهجو الشاعر في هذه المقطوعة المرابطين، وقد استخدم سخرية لاذعة وقاسية، حيث نجده يوظف المقابلة في البيت الثاني وهذا لزيادة حدة سخريته، فنجده قابل بين لفظتي (من وقت الصباح إلى المساء/ من وقت المساء إلى الصبح) وهو يصفهم بأنهم جماعة سوء وشر، أتوا على علي بالدناءة والقبح، مما جعله يدعو عليهم أن يجعلهم الله ممقوتين بين الناس بسبب سوء أفعالهم وأخلاقهم ودناءتهم. ولقد عمد الشاعر الى استخدام المقابلة في أبياته لإضفاء توازنا صوتيا وإيقاعيا باعتبار المقابلة تقوم على التضاد والتقابل فهي تخلق توازنا منتظما بين الجمل، كما انها تمنح القصيدة ايقاعا داخليا مميزا يأسر السامع ويشد انتباهه.

ومن هنا يمكننا القول أن المقابلة تضفي رونقا وبهجة وتقوي الصلة بين الألفاظ والمعاني، وتجلو الأفكار وتوضحها شريطة أن تجري المقابلة مجرى الطبع ، أما إذا تكلفها الشاعر أو الأديب فإنما يكون سببا من أسباب اضطراب الأسلوب وتعقيده ، لذا فالأدب الجيد هو الذي تتلاحم أجزائه وتتآلف ألفاظه حتى يكون الكلام من حسن الجوار ، وقوة التلاحم والتآلف كأنه كلمة واحدة ، وحتى الكلمة تصبح بأسرها حرف واحد ، فالتلاحم لا يكون عن طريق التشابه فقط ، وإنما يكون كذلك عن طريق التضاد لأن المعاني يستدعي بعضها بعض ، فمنها ما يستدعي التشبيه ، ومنها ما يستدعي المقابلة ، فالتضاد أكثر وأوضح في الدلالة على المعاني ، فكلما استدعى المعنى المقابلة في الكلام ، كانت أنجع وانجح في أداء دورها المنوط في تحسين المعنى .[1] ، كما أن المقابلة تسعى إلى خلق إيقاع صوتي متناغم بين ألفاظ القصيدة وتراكيبها من خلال ما تضفيه في البيت من حركة ديناميكية خاصة تخرج النص الشعري من الرتابة والمألوف .

- لم يحيد شعراء الأندلس عن منهج القدماء في تأليف أشعارهم، فقد ساروا على خطاهم واعتمدوا أساليبهم وأفكارهم .
- قامت لغة الشعر في هذه البيئة على البساطة والسلاسة، بعيدة عن الغموض والتعقيد لتكون قريبة من المتلقي وتؤدي المعنى بوضوح وقوة تأثير.
- اتخذ الشعراء القرآن الكريم كمصدر أساسي لأشعارهم من خلال اقتباس ألفاظه ومعانيه، وذلك لتكثيف الدلالة وزيادة عمق المضامين، كما ضمنوا أشعار سابقيهم من الشعراء مما يدل على اطلاعهم على الموروث القديم والاستقاء من منهله.
- اعتمد الشعراء على التنوع في أساليبهم البلاغية فقد وظفوا أسلوب النداء، أسلوب الأمر، أسلوب الاستفهام، أسلوب الشرط ..... وذلك لإبراز المعنى وتقويته، كما أنه يثرى المعنى بدلالات مختلفة تجعل المعنى أكثر ترسخا في ذهن السامع
- لقد جنح شعراء الأندلسالهجّاؤون إلى توظيف الصور البلاغية لإثراء مقطوعاتهم بتعبيرات مجازية وتصويرية، ولعل من الصور البيانية التي أخذت حيزا كبيرا في أشعارهم هو " التشبيه " مما جعل

[1] ينظر ، عبد العزيز عتيق ، علم البديع ، ص 90 ، 91.

صورهم تأتي معبرة أكثر ومعززة للهجاء الذي رفد ودعم المعنى الساخر واستعان بها في النقد والتقويم والتوجيه والإصلاح، كما زادتها انتشارا وذيوعا، ورغم كثرة التشبيه في أشعارهم إلا أنهم لم يغفلوا الصورة الاستعارية والكنائية.

- لا يمكن فهم الصور البيانية إلا بتقدير تفاعل الذات مع العالم الخارجي، وقدرتها على تعديل علاقات هذا العالم وإعادة تشكيلها [1] وهذا ما نجده عن هؤلاء الشعراء فقد استطاعت أشعارهم أن تحقق التفاعل بين الذات والموضوع الذي عالجوه.
- لقد لجأ الشعراء الهجّاؤون إلى استخدام المحسنات البديعية بكثرة، لتكثيف المعنى الساخر وإضفاء بعدا فنيا وجماليا مميزا.

[1] جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي، ط3 ،بيروت ،1992 ، ص 205 .

الفصل الثالث:الفصلالثالث : آليات ووظائف السخرية في الشعرالهجائي الأندلسي

أولا-آلياتاشتغالالسخريةفيشعرالهجاءالأندلسي

1-المحاكاةالساخرة(الباروديا)

2- الوصفالكاريكاتوري

3- المفارقة (Irony)

4- المبالغة

-5 الذمبمايشبهالمدح

6- المدحبمايشبهالذم

7- التلاعببالألفاظ

8- التعريض

9- التورية

10- التكرار

11- المناداةبالألقاب

12- الالماع

ثانيا: وظائفالسخريةفيسياقالشعرالهجائي

1-الوظيفةالاجتماعية

2-الوظيفةالتداولية

أولا-آليات اشتغال السخرية في شعرالهجاء الأندلسي:

تتحقق السخرية في الخطاب الشعري عبر عدة آليات لا بد من توافرها، فهي التي تعمل على توليدها وبخاصة أنها تعمد إلى الاحتقار والازدراء والنقد،فهي لا تسعى إلى الإضحاك فحسب، بل تعمل على تصوير أوجاع سياسية واجتماعية لشريحة معينة من الناس، وكشفها بأسلوب متميز قادر على جذب المتلقي والتأثير فيه، ولهذا قيل أن السخرية قول جاد في قالب هزلي[1]، لذا وجب معرفة مكانة الكلمة بأنها مادة سهلة الوقع جذابة للسامع تشيع السحر في الأسلوب الأدبي، وهذا ما جعلها ترقى إلى المستوى الأكثر لباقة وذكاء، ومنحها معنى وقدرة خاصة ليكون لها مقصد تسعى لتحقيقه،فهي تنتزع مادتها الأولى من العيوب والنقائص التي تقوم بهجائها، وبخاصة أن السخرية نشأت في حضن الهجاء لإخراج هذه المثالب، ويبقى الهجاء في مفهومه هو" تصوير المساوئ الشخصية والاجتماعية، وعرضها بقالب يثير في النفس كراهية تلك المساوئ، والهجاء الفني يقتضي أمرين: الفكاهة أو الدعابة وحسن التصوير"[2]،وهذا ما جعله يختار السخرية بوصفها تقانة تدعمه وتمكنه من وضع المهجو محل استهزاء واستخفاف، وأيضا الإساءة إليه في بعض الأحيان، وكل هذا يكمل هدف الهجاء الذي بدوره يسعى فيه الشاعر إلى إلحاق النقائص والعيوب بالمهجومن أجل كشف مساوئه وفضحه، وجعله أضحوكة أمام المتلقي.[3]

وعليه فالسخرية هي وسيلة من وسائل الهجاء؛ إذ يتدرج من السخرية إلى أن يبلغ الإدانة المباشرة والقوية؛ ولهذا فهي تعزز الهجاء عبر عدة آليات لتجعله أكثر قوة وتأثيرا،فيجمع بذلك بين الهدم والنقد، والمراقبة الاجتماعية والتقويم والإصلاح [4]، وبخاصة أن التطور الفني الحقيقي للهجاء "كان أساسه الهجاء الساخر الذي يستهدف إضحاك الناس عن المهجو، وسخريتهم منه، ولهذا يعتمد على فن أصيل في رسم شخصية المهجو من ناحية معنوية أو جسمية، ولكنه ليس رسما تصويريا بل هو رسم (كاريكاتيري) يبعث على الضحك، ويستعين الشاعر في هذا النوع الأصيل من الهجاء بكل معارف عصره، وبجميع عناصر الفكاهة والهزل الشائعة بين الناس"[5]، ولذلك فقد استعان شعراء الأندلس في شعرهم الهجائي بالسخرية باعتبارها نمطا غير مباشر في الاستهزاء والاستخفاف، والهجوم على المهجو، وإخضاعه وإراحة الذات الساخرة، وسحق الآخر بالسخرية منه، ولذا فإن حضور الخطاب الساخر في الشعر الهجائي يتحقق عبر بعض الآليات التي يعتمد عليها الشاعر لتوليد السخرية، وإنتاج النص، وهذهالآليات لا بد أن يكتشفها المتلقي ليفهم السخرية المتضمنة في الشعر الهجائي، وهذا فقط ما يجعله فاعلا في تحديد الدلالة المحتملة، أو المقصودة وليست النهائية، فكيف تجلت آليات السخرية في الشعر الهجائي الأندلسي؟ وإلى أي مدى نجحت في تعزيز الناحية الدلالية فيه، وإبراز إمكانياته وقدراته الإبلاغية؟

1-المحاكاة الساخرة (الباروديا):

[1]- ينظر، عليالبوجديدي، السخرية في أدب الجاحظ، ص 64.

[2]-عبد الله نافع، الهجاء في الشعر الأندلسي، ص 16.

[3]- ينظر، فاطمة صغير، السخرية في القصيدة الهجائية، ضمن كتاب السخرية في الأدب العربي، ص 142.

[4]- ينظر، على البوجديدي، السخرية في أدب الجاحظ، ص 72-73.

[5]- فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص 15.

وتعود تسميتها إلى الأصل اليوناني (parodia)،وتعد من أول آليات السخرية وأقدمها وأكثرها انتشار؛لأن السخرية تقوم على استهانة وتحقير الشخص والتقليل من شأنه وقيمته وذلك بالتنبيه إلى عيوبه ونقائصه، بطريقة تهكمية لاذعة تستدعي الضحك، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في القول والفعل، وقد يكون بالإشاراتوالإيماءات، كما أنها تقوم على مبدأين أساسيين هما: مبدأ التشويه، ومبدأ التحويل، و يمكن تحديد ماهيتها بأنها "... تقليد لنص جاد من جنس جاد في نص ساخر "[1]، ونعني أن المحاكاة الساخرة هي تقنية أدبية تقوم على التقليد الدقيق والمطابق للنص من حيث اللغة والأسلوب، ضمن سياق نقدي ساخر، حتى تضمن له الفعالية والتأثير النقدي و الفكاهي الهزلي، ويذهب"جيرارجينيت"(Gerard Genette)إلى أنها " ...تحوير الموضوع دون تغيير الأسلوب، وهذا بالحفاظ على النص الرفيع لتطبيقه على موضوع وضيع " [2]، ويقصد بذلك أن المحاكاة الساخرة هي فن أدبي رفيع، يقوم على تغيير وتحويل الموضوع مع الحفاظ التام على الأسلوب وذلك باستخدام النص الراقي على النص الوضيع، وهذا ما يخلق لنا مفارقة وتناقض يستدعي الضحك.

كماأقر "ميخائيل باختين" بأنها " ... نوع من الأسلبة تكون فيها قصدية اللغة المشخِصة متعارضة مع مقاصد اللغة المشخَصة مما يجعل اللغة الأولى تعمل على تحطيم الثانية، ويشترط في الباروديا أن تعيد خلق لغة بارودية وكأنها كل جوهري متوفر على منطقة الداخلي،وكاشف لعالم متفرد مرتبط باللغة التي كانت موضوعا للباروديا ..."[3]. فيمكن القول هنا أن المحاكاة الساخرة هي تقلد ساخر للأساليب، حيث تكون فيها معاني النص الجديد المعاد بناؤه يعكس ويعارض مقاصد النص الأصلي؛ أي أنهما لا يتوافقان، كما تعمل على تحطيم وكسر اللغة الأصلية وقلبها وتحريفها، بحيث تُظهرها بشكل نقدي ساخر، وينبغي على الباروديا أن تخلق لغة كاملة المعالم والخصائص تعتبرها كل جوهري مالك لمنطقة الداخلي، وكاشف لعالم جديد مرتبط بالنص الأصلي الذي استقت منه المحاكاة مادتها التقليدية الأولى.

وعليه يمكن القول إن الباروديا تقوم على أسلوبين الأول ظاهر يكون في النص الجديد المعاد بناؤه على أنقاض النص الأصلي، والثاني خفي يكون في النص الأصلي الغائب الذي يستدعيه النص البارودي، وبذلك فكل عمل أدبي، أو نص يتكئ ويعتمد على نصوص غائبة؛أي أن كل عمل إبداعي ينبني على عمل قبله، يستند عليه ويضفي عليه روحا جديدة ومغايرة، وهذا ما يمنح العمل دلالة جديدة، وقيمة عظيمة.

وعليه فالمحاكاة الساخرة هي التقليد الساخر؛ حيث يكون بالمشابهة للنص الأصلي عن طريق النقد، وتختلف بحسب تنوع الموقف الذي تقال فيه،فقد تكون سطحية أو عميقة، فهي تقليد ساخر لشخص أو لموضوع أو حتى لعمل فني أو تصوير مضحك، وتعتمد المحاكاة الساخرة على نقد الوضع ومحاولة تعديله وتقويمه باعتبار أن السخرية هي محاولة لطيفة ومهذبة الغرض لتطهير الحياة والمجتمع من الظواهر السلبية

[1] رمضان صالح، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، دار الفارابي، ط1،بيروت،2001، ص 471.

[2] علي البوجديدي، السخرية في أدب الدوعاجي تجلياتها ووظائفها، الأصلية للنشر، ط1، تونس 2010، ص 220.

[3] ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1987م، ص 28، 29 .

وتقويمه[1]. وربما هذا ما جهل الشعر الهجائي يستعين بالسخرية نظرا لقوة آلياتها وقدرتها على تدعيم مقصده، ومن النماذج الشعرية التي تتجلى فيها هذه الآلية على سبيل التمثيل لا الحصر نجد ما دار بين نزهون بنت القلاعي الغرناطية وأبى بكر المخزومي من مساجلات هجائية ساخرة، نجد قول المخزومي وهو يسخر منها في قوله: (الطويل) [2]

عَلَى وَجه نَزهون مِن الحَسن مسحَة وِان كَانَ قَد أمسَى مِن الضَّوءِ عَارِيًا

قَوَاصِـــد نَزهون تَوَارِكَ غَيرَهَا وَمَنْ قَصَدَ البَحْرَاسْتَقَلَّالسّوَ اقيَـــا

نجد أن البيت الثاني للمخزومي حاكاه من بيت الشاعر المتنبي في مدح كافور الإخشيدي في قوله:(الطويل)[3]

قَواصِدَ كَافُورٍتَوارِكَ غَيْرِهِ ... وَمَنْ قَصَدَ البَحْرَاسْتَقَلَّ السَّو اقِيا

يصور الشاعر في هذه الأبيات جمال نزهون على سبيل السخرية والتهكم، حيث أظهر ما تحمله من لمسة الحسن والجمال ولكنها بسيطة باهتة،كماأن ملامحها مجردة من الضوء والنور لا إشراق فيها، فهنا كأن الشاعر عمد إلى الهجاء المبطن والخفي، وهذا ما جعل سخريته ذات دلالة فنية وإبداعية تعكس قدرته على استخدام أسلوب التهكم ، كما عبر على أن كل من يقصد نزهون يترك غيرها ما يشير إلى تغلبها على غيرها في الحسن والجمال ، حيث وصفها بالبحر فالذي يقصد البحر يستصغر السواقي ، ورغم كل ما ذهب إليه الشاعر من وصف يدل على المدح إلى أنه مدحه مموه بالهجاء والذم ، فالشاعر غرضه الأساسي هو الهجاء والحط من قيمة نزهون لذا فالشاعر استخدمه كأسلوب وفن دقيق في إيهام المتلقي بالمدح ، ولقد حاكى الشاعر بيته الثاني ونقل عباراته ودلالتها من أبيات المتنبي في مدح كافور حيث وصف المتنبي كافور بأن من قصده ترك غيره من الملوك ،كما انه وازن بينه وبين من هم في منزلته ومكانته حيث شبههم بالسواقي في حين شبه كافور بالبحر دلالة على استعلائه ومكانته العالية بينهم

ولقد تفنن المخزومي وأظهر تميزه ومقدرته في تحويل النص المحاكى من غرض المدح والتمجيد إلى غرض الهجاء الساخر وهذا بأسلوب رصين، وعبارات دقيقة، وديباجة حسنة، ومعاني بارعة ما أعطى لمقطوعته درجة من البراعة والإبداع والتفوق.

ويذهب كذلك الشاعر المخزومي بالرد على نزهون بأبيات أكثر سخرية وهذا ما شكل معارضة ومواجهة عنيفة وحادة بين الشاعر ونزهون حيث يقول:[4](الطويل)

أَلَا قُل لنزهُون مَـالهَا تَجرِمِن التِّيهِ أَذيَالهَا

[1] ينظر، حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، ص30.

[2] المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج1، ص192.

[3] عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، ج4، بيروت، لبنان، 1407هـ، 1986م، ص 423.

[4] المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج1 ص 193.

في هذا البيت محاكاة الشاعر المخزومي لقصيدة أبي العتاهية في الخليفة العباسي التي مطلعها " إلا ما لسيدتي مالها " حيث يقول:(المتقارب)[1]

أَتَتهُ الخِلَافَة منقَادَة إِلَيهِ تُجرّرُ أَذيَالهَا

لقد سخر الشاعر في هذه المقطوعة من نزهون الغرناطية،حيث افتتحها بنبرة حادة وبألفاظ مقذعة توحي بالسخرية والتهكم، من خلال وصف غرورها وتباهيها بنفسها وتعاليها على غيرها من الناس ، لذا عمد إلى توظيف الصور البيانية للزيادة من حدة وقساوة الهجاء .ويظهر ذلك في قوله " تجر من التيه أذيالها" فهنا كناية عن شدة الكبرياء والغرور من خلال جر ثوبها ، ولقد برع الشاعر في استخدام آلية المحاكاة الساخرة من خلال محاكاته ونسج أبياته، وأخذ معانيه من أبيات أبي العتاهية في مدحه للخليفة العباسي وتهنئته بتوليه الخلافة حيث عبر عن استحقيته بها في قوله " أتته الخلافة " أي جاءت الخلافة إلى الإمام عبد الله محمد المهدي كالمرأة التي تجر ثوبها من الفخر فقد اعتبر أن الخلافة لا تصلح إلا له ، ولعل الشاعر وفق أيما توفيق في اختيار هذه المعاني التي نقلت المعنى الساخر وجسدته، كما برع في نقلها من غرض المدح إلى الهجاء الساخر، وهذا ما يبين قوة شاعريته وبراعته في النظم .

وبذلك فقد توافقت معاني الهجاء الساخر ومعاني الفخر بين الشاعرين فمحاكاة الأعمى المخزومي لبيت أبي العتاهية كانت محاكاة بارعة المعالم، توحي بعمق المعنى وتأويله، فالأعمى المخزومي من خلال محاكاته أضاف بعدا جماليا لأبياته تناسب موضوعه، وتعطي بناء جديدا لمقطوعته من خلال إحيائه للنموذج القديم.

كما نجد أيضا "أبا محمد عبد الله بن سارة" يهجو أحدهم بألفاظ قاسية حيث يقول:(البسيط):

أَمَا الثَّنَايَـــا فَإِنّي لَستُمنثنيا عَـن الثَّنَـــاء عَلَيهَا آخر الأَبَـد

يَبدُو لِطرفَـك مِنهَا حِين تُبصِرهَا سن كَمَثَل مسن الصَّقِيل الفَرد

كَأَن جَـنّ سُليمَان بَنُـوا فَمـه بنيَان تَدمر بِالصّفَـاحِ وَالعَمَدِ

يَهدِي إِلَى السّمعِمِن أَلفَاظِه نغماً كَأَنَّهَا نفثَات السِّـحر فِي العقدِ

لَهُ فَمٌ كَحرٍ فِي شَكلِ صُورَته "تَرمِي غوَاربه العبرين بِالزبدِ"[2]

فقد حاكى الشاعر البيت الثاني من أبيات النابغة الذبياني في قصيدته التي مطلعها: يا دار مية بالعلياء فالسند " والتي مدح فيها النابغة النعمان بن المنذر، لذا فغرض القصيدة الأساسي هو المدح والاعتذار فقد

[1]ابن الأثير، (أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم) ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الخلبي وأولاده ، ج1، 1358هـ ، 1939م، مصر ، ص 177.

[2]ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ج2، ص 846.

حاكاها ابن سارة وحولها إلى مقطوعة هزلية ساخرة وبارعة تقوم على الهجاء والاستخفاف حيث يقول النابغة :(البسيط)[1]

كَأَن رحلِي وَقَد زَالَ النَّهَار بنَـا يـَـوم الجَلِيل عَلَى مستَأنَس وَحد

مِن وَحش وَجرة مُوشِي أَكَارعه طَاوِي المصِير كَسَيف الصَّقِيل الفَرد

أما البيت الثالث استدعي فيه قول النابغة:[2]

وَخيّس الجن إِنّي قَد أَذنت لَهُم يَبنُون تدمر بِالصُفّاحِ وَالعَمدِ

أما البيت الخامس فقد استحضر فيه عجز النابغة ووضعه في مقطوعته من قوله:[3]

فَمَا الفَرات إِذَا هَبَّ الرِيَاح لَه تَرمي أَوَاذِيهاالعِبرين بِالزبدِ

إذا تأملنا في هذه الأبيات نجد أن الشاعر كتبها بطريقة هزلية ساخرة، ليزيد من حدة هجائه؛ إذ افتتحها بنوع من التمويه والتضليل للقارئ بأنه سيثني عل هذه الثنايا (الأسنان) طول الأبد، فالشاعر هنا يوهم ويغري المتلقي بهذا المدح الاستخفافي لهذه الأسنان، وهذا ما يزيد من رغبة السامع في معرفة ما تخفيه هذه الثنايا، ويستمر في وصفها بأن كل سن فيها كأنه كمسن الصقيل الفرد أي كالسيف الحاد، ويذهب الشاعر في سخريته من أسنان هذا الشخص فيشبهها بالبناء العظيم الذي بناه جن سليمان،فهنا مبالغة واضحة في سخريته وتهكمه منها، وهذا ما يدل على الهجاء اللاذع، ولعل تصوير الشاعر لهذه الأسنان في بشاعتها وضخامتها ما أثر على صوته حيث شبه أنغام كلامه الغير مفهوم والواضح كالذي ينفخ السحر في العقد، فهنا تشبيه بليغ زاد من حدة وقساوة السخرية كما يستمر في إلقاء طعناته اللاذعة في وصف شكل فم هذا الشخص في غرابته أثناء حديثه بأمواج البحر التي تلقي زبدها .

ولقد استلهم الشاعر ألفاظ مقطوعته ومعانيها من أبيات النابغة الذبياني، وهذا يدل على أنه حاكى وسار على منوال النابغة في الأسلوب والمعنى، وكذا اعتمد على نفس الروي (الدال) وعلى بحر واحد (البسيط) وهذا ما يبرز أن ابن سارة لم يحاك الألفاظ والمعاني فحسب، بل حاكى كذلك الإيقاع، ولعل ما يوضح ويثبت براعة الشاعر في أنه صير هذه الألفاظ والمعاني لتكون خادمة لغرضه فمقطوعته تقوم على السخرية والاستخفاف بالمسخورمنه ،أما قصيدة النابغة فغرضها المدح وهذا ما جعل الشاعر يتفوق في هذه المحاكاة.

ونجد كذلك ابن سارة الشنترينييقول :[1]

[1] النابغة،الديوان ، ص 76.

[2] المصدر نفسه ، ص 76.

[3] م، ن، ص 76.

وَهَاك بكرًا تَريك الحسن فِي قحة إِذَا تَجلت وَحسن البكر فِي الخفرِ

لَهَا بِذِكرك أَنفَاس مُعَطـــرَة كَمَا تَنفسَّت الأَزهَار فِي السِّحرِ

طَالع بغرتك الميمُـــون طائِرَهَا نَوَاظِراً بِك فِي أَمن مِن الطَّيرِ

وَلَا تَدَعنِي فِي كَفِّ الزَّمَان سُدىً كَالقَوسِ عطلهَا الرَّامِي مِن الوَتَرِ

وَقَد تَلِين اللَّيَالِي بَعد قَسوتَهَا وَيسمَح الوَرد بَعد الشُّوكِ بِالزَّهرِ

لَم أَلقَ فِي الوَردِ إِلَّا مَا أَنست بِه وَ أَنتَ لِي وِزر مِن وَحشَة الصَّدرِ

وَلَو أَنَنِّـــــي فِي هَالَة البَدر قَاعِد لَمَا هَاب يَومِي رفعَتِي وَجَلَالِي

ولعل الشاعر يحاكي بيته الأخير من أبيات "أبي ذؤيب الهذلي" من قصيدته التي مطلعها " يقولون لي لو كان الرمل لم يمت " (الطويل) :[2]

وَلَو أَنَنِّي اِستَودَعتهُ الشَّمسَ لَارتَقَت إِلَيهِ المَنَايَا عَينهَا أَو رَسُولهَا

ومنه فالمحاكاة الساخرة تعد من أبرز الآليات والأساليب الفنية التي استغلها الشعراء الأندلسيين و لجأوا إليها في تعبيرهم عن سخريتهم ، باعتبارها تقوم على تقليد النص تقليدا دقيقا من حيث اللغة والأسلوب مع إضفاء مسحة من المبالغة والسخر تكشف من خلاله عيوب المهجو ، وتعري مثالبه بطريقة طريفة وبارعة ، فالمحاكاة الساخرة تستدعي الإضحاك والنقد في الآن نفسه ،فهي أداة فعالة في الخطاب الأدبي تقوم على تحقيق السخرية والتهكم ، وتسعى إلى تحقير المهجو والتقليل من شأنه وقيمته ،وكذا الإشارة إلى النقائص التي تعتريه ،مما يعزز عمقا فنيا ولمسة جمالية على النص .

2- الوصف الكاريكاتوري:

يعتمد الوصف الكاريكاتوري أو السخرية التصويرية على التضخيم في الصفات الخِلقية وكشفها بوضوح[3]، ولهذا عرف بأنه « وضع الشخص في صورة مضحكة، كالمبالغة في تصوير عضو من أعضاء الجسم ومحاولة تشويهه إلى حد ما، بحيث يجعل الشخص كأنه لا يدرك أو يعرف إلا بهذا العيب الذي جسده وكبره"[4]؛ أي أننا نضع الشخص في صورة ساخرة من خلال المبالغة والتهويل في وصفه بطريقة عبثية مضحكة، وذلك بالإغراق والإيغال في معنى من المعاني أو في سمة من السمات؛ حيث يجعل بعض الصفات لصيقة فيه لا يُعرف إلا بها كضخامة الجسم، أو نحافته، وقصر القامة أو طولها المفرط، أو وصف أحد أعضاء الوجه

[1] ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج2،ص 848،847.

[2] المصدر نفسه، ص 848.

[3] - ينظر، ميخائيل باختين، شعرية دوستويفسكي، تر: جميل نصيف التريكي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1986، ص 156.

[4] نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، ص41.

كالفم والأنف ...ويعد هذا الأخير مقياسا مثيرا للضحك، لأنه يضفي صورة هزلية على الوجه. لذا يسعى المصور الكاريكاتوري إلى التركيز عليه.

كما يركز على الاضطرابات الحسية كالسخرية من الأعمى،الأبكم، والأصم الذين يحاولون إنكار هذه الصفات فيهم وتجاوز النقص، وهذا ما جعلهم عرضة للضحك، وبذلك يتخذ من هذه الصفات المتجلية عند بعض الأفراد مادة خصبة لسخريته والوصول إلى غرضه، كالسخرية من المجنون، والأبله، وكثير النسيان، وكذا كل من يقوم بتصرفات غير مألوفة في المجتمع، فيجعل التصوير مضحكا من خلال غرابة الألفاظ، وتنافر حروفها، أو لأنها قوية التعبير عن نفسية الذي يصور أو يمسخ أو يحاول التعبير عنه، وهذا ما يبعثها على الهزء والسخرية.[1]

وبذلك فهذه الآلية تمكن الشاعر من التفنن في إلصاق الصفات المثيرة للسخرية بالشخص المهجو؛ إذ يبالغ ويضخم الصفات السلبية بأسلوب يناقض ما أعتيد عليه؛ أي يعمل على إبراز المثالب بشكل غير مألوف، وهذا ما يحقق تأثيرا بالغا في نفس المهجو، ويثير الضحك لدى المتلقي، بل ويقوده إلى اتخاذ موقف ما، وبذلك تصبح هذه الآلية أداة يستخدمها الشاعر في شعره الهجائي لإبراز " جوانب النقص في الإنسان متخذا منها نموذجا لصورة القبح التي لا تصلح إلا أن تكون موضوعا للسخرية والعبث والإضحاك"[2]. ولتوضيح تمظهرات آلية الوصف الكاريكاتوري في الشعر الهجائي؛ بغية إبراز مظاهر القبح والفساد من خلاله، سنستحضر بعض النماذج الشعرية على السبيل التمثيل لا الحصر، ونتتبع من خلالها كيفية استعانة الشعراء في شعرهم الهجائي بهذه الآلية، لتدعيم نصهم بالطاقة الساخرة ليكون أشد تأثيرا وإيلاما في المهجو، وبذلك يتحقق الأثر خارج النص الشعر. من ذلك قول ابن وهب في سخريته من أحدب:[3]

وَأحدَب لمَا بَدَا خِلتُهُ وَقَد خَف مِن جسمِه شبحُهُ

كَأسٍ تَشكِي شَديد الكَلَال عَلَى صَلبه قَد خَفِي جُرحُهُ

تأخذنا هذه الأبيات إلى تصوير معالم السخرية من خلال وصف الشاعر لرجل أحدب الظهر، هزيل الجسم حتى بدا كأنه شبح من شدة ضعفه ووهنه، حيث رسم له صورة كاريكاتورية مضحكة مشبها إياه بالشبح مما أصابه من نحول وضعف حتى ذابت قواه، وخفّ جسده، ويستمر الشاعر في تهكمه الساخر من الخصم كذلك في تصوير حدبته، التي ماثلها بالكأس المتعبة التي تشتكي كثرة الاستخدام ما يبرز كسورها وشقوقها، وقد برع الشاعر في هذا التصوير للأحدب واهي القوى حتى أصبح جرحه مخفيا في صلبه. ولقد عمد الشاعر استخدام الصور البيانية الدقيقة لزيادة وتضخيم هذا العيب الخلقي والمبالغة فيه، وتبيان قوة الطعن والسخرية اللاذعة، للحط من قدر المهجو، وتقديمه في صورة هزلية مضحكة.

---

[1] المرجع نفسه، ص42.

[2] - فؤاد الفخفاخ، من خصائص الفن في نماذج من شعر الهزل، حوليات الجامعة التونسية، العدد54، 2001، ص 453(439-456)

[3] الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص 260.

ومن الصور التي رسمها واستوحاها الشعراء من واقعهم نجد أن **ابن هذيل** يشبه ابن قزمان بالقدوم حيث يقول:(الطويل)[1]

يُقرّبُ وجهاً منكَ في خَلقِ قِربَةٍ كأنّ انهدال الأنف منهُ قَدومُ

تميز هذا البيت بإيقاعه الساخر من خلال تصوير الشاعر لوجه مهجوهبالقربة المصنوعة من جلود الحيوانات والتي يوضع فيها الماء، والحليب، وذلك لإظهار مدى شحوبه وقبحه وأن وجهه مجعد (انهدال)دلالة على كبره وهزله حتى أصبح بالي الوجه لاترى فيه من الجمال أثر، وهذا ما عزز سخريته، كما أعطى للأنف صورة ضخمة جعلته محط هزل وتهكم أي أن أنفه ضخم، شديد الكبر حيث شبهه بالقادوم . فالشاعر من خلال بيته رسم صورة كاريكاتورية ساخرة تعزز أثر التهكم من خلال ملامح أنفالمهجو، وذلك بتصويره بطريقة مبالغة مما تعطي عمقا لمعنى وأثر السخرية والهجاء.

ولعل من أشد أنواع الهجاء تأثير في المتلقي عندما يسخر المرء من نفسه حيث يجعلها محط هزل وضحك ومن ذلك نجد **مؤمن بن سعيد** يهجو نفسه قائلا:[2]

فَهَا أَنَا ذَا قَد جِئتُ أَحمل لَحيَةً إِلَيك لَهَا خطـــب وَشَأن

كَـأَنِّي تَيسٌ قَد تَطَاوَل عمره وَ أفنَى فُنُونًا مِن تُيُوسٍ وَجِديَان

وَلِي صَاحب تَحت السَّرَاوِيل فَاسِق يَقُـود بعثنوني إِلَى كُل خَسرَان

إن ما يمكن كشفه من هذه الأبيات أن مؤمن بن سعيد يهجو نفسه هجاء لاذعا، وقد عززها بالفكاهة والسخرية للتعبير عن حالته،وخاصة عندما وصل إلى هذه المرحلة من الكبر والتقدم في السن، حيث بدأ أبياته بقوله "**قد جئت أحمل لحية** " وهذا دليل على كبر لحيته حتى أصبح يحملها في يده ربما من كثرة الأحداث التي مر عليها،ولكنه صورها بطريقة مغايرة ساخرة؛ إذ نجد الشاعر يصور نفسه بوصف هزلي كاريكاتوري ساخر،حيث شبه نفسه بالتيس الذي تطاول عمره،وعاش الكثير من التجارب في قوله "**كأني تيس قد تطاول عمره**" دلالة على كبره وتعبه حيث أصبح هزيلا لا يتحمل مشاق الحياة ،أما في قوله "أفنى فنونا من تيوس وجديان " فكأن الشاعر قد أعطى صورة حية لنفسه ،حيث رمز لها بالقوة والشجاعة وشبهها بالتيس ولكن حوادث الحياة وتجاربها (فنونا) المختلفة أفنته ،أما الجديان فهي الحوادث البسيطة والصغيرة فالشاعر رسم صورة مبدعة عميقة الأثر،هزلية المعنى، وساخرة الألفاظ، أما في البيت الأخير فالشاعر يصور شهواته ورغباته،التي قادته إلى الخسران وأدت به إلى الهلاك. ومن هنا فالشاعر استطاع نقل صورة هزلية فكاهية، تحمل طابعا ساخرا، وهذا ما عزز هجاءه لنفسه بطريقة تستدعي الضحك؛إذ صور لنا لحيته

[1] الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص249

[2] المصدر نفسه، ص263

الطويلة والضخمة من كثر الهموم والتجارب التي عايشها حتى أصبح يحملها، كما شبه نفسه بالتيس،وهذا ما زاد أبياته عمقا في السخرية.

وقد عمد الشاعر**"عبيديس"** إلى تضخيم صورة ابن حجاج؛ إذ رسم له صورة كاريكاتورية ساخرة، وذلك من خلال سخريته من لحيته، وقد جسد حالتها بطريقة تهكمية في قوله:[1] (السريع)

يَا مَن عَليهِ لِلعلَا تَاج إنّي إلَى اللّحيَة محتَاج
وَعِندَكُم فِي وشقَة لَحيَة يَحملهَا المَائِق حجَاج
لِلثَغرِ فِي جَانبهَا مَسرَح فِيه مِن الأَنعَامِ أَزوَاج
وَمِن صُنُوفِ الطَّيرِ فِي بَعضهَا بَـــطٌ وَسمَان وَدَرَاج
يَسِيل مِن شَاربه فَوقهَا سَلح عَزِيزُ القَطر ثجَاج
لِلبَق فِي عثنونه مَكمن وِمن دَبِيبِ القمل أَفوَاج
إِذَا مَشَى تَبصر أَفوَاجهَا كَـأَنَّهَا فِي البَحرِ أَمواَج
يَعقِدهَا فِي شعرِ وَجعَائه فَهُو إِذَا مَا شَاءَ صنَاج

يهجو الشاعر في هذه الأبيات ابن حجاج هجاء لاذعا، واستعان بالتصوير الكاريكاتوري؛ وقد أقامه على تشويه صورة المهجو من خلال وصف لحيته بطريقة غير مألوفة، وقد أغال وبالغ في تصويره؛ إذ رسم بألفاظه صورة منفرة له، وذلك بتعديد سلبياته، فاستخدم اللحية كمعادل موضوعي للسخرية، من خلال وصف حاملها بالأحمق، وهذا تصوير ساخر في أن من يملك هذه اللحية هو شخص أحمق، فاقد للعقل والحكمة، وهذا ما زاد من قوة الاستخفاف والتهكم، ويظهر الشاعر لحية هذا الشخص بأنها مرتع للحيوانات، ومسرح للحشرات وهذا كناية عن كثافتها وقذارتها، وتبلغ السخرية ذروتها حينما وصفها وصفا مثيرا للاشمئزاز، عندما تسيل عليها قطرات الشارب مما زاد من قوة المشهد التهكمي .ومن هنا فالشاعر استطاع ببراعة أسلوبه وقدرته الفنية، وقوة شاعريته أن يصف هذا المشهد الذي يقود المتلقي إلى الاشمئزاز والنفور منه،وذلك فقد صوره تصويرا كاريكاتوريا مثيرا للضحك،ومفرطا في الاستهزاء بالمهجو.

ويقول «**عبد الله بن كليت"** وهو يسخر من أنف "الزهري" ويصف وطوله ضخامته بصورة كاريكاتورية ساخرة:[2](السريع)

أَنفُــكَ يَا زَهرِي فِي قُبحِــهِ كَأَنَّه فِي صُورَة البُوقِ
يَقعد فِي البَيتِ لِحَاجَاتــــهِ وَ أَنفهُ يَمضِي إِلَى السُّوقِ

يفتتح الشاعر أبياته بالسخرية من أنف الزهري الذي شبهه بالبوق في شكله وضخامته، مما يوحي إلى قبح منظره، وسوء خلقته التي تستدعي الضحك والاستهزاء، كما يستخدم الشاعر التهكم المبالغ فيه في وصف طوله وهذا الشخص الذي أعطى له مشهدا تضخميا في أن صاحبه يبقى في البيت وهو يذهب إلى السوق، فهنا مفارقة قوية في

[1] الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص261.
[2] المصدر نفسه، ص248

جعل الأنف كأنه مستقل عن صاحبه، ومنه فهذه المقطوعة تحمل سخرية لاذعة تقوم على التصوير الكاريكاتوري المبالغ فيه، الذي وظفه الشاعر في هجائه لخلق صورة هزلية تدل على براعة الشاعر، وقوة خياله وتصوّره.

ويسخر "ابن سارة" من الأبيض حتى انه إذا لقاه لفّ إصبعه في كمه وسلم عليه حتى أحرجه فآل ذلك إلى التهاجي بينهما حيث يقول ابن سارة: (الكامل)[1]

وَمِن العَجَائِبِ أَنْ يَكُون الأبيَض بحمَارِه وَسَط السَّوَ ابِق يَركض

أَنَـــى لَه تَقـــرِيبَا أَو خـــبَا مَا العَير إِلَّا أَن يَحث فِينَهَض

العَـــير عير مذلة مَا لَـــم يهن أولا فَمَا إِن فِيه عَرق يَنبِض

نلحظ من الأبياتأن"ابن سارة" صاغ هجاءه في صورة كاريكاتورية بارعة، امتزجت فيها الفكاهة بالاحتقار والطرافة بالنقد فقد اختار أن يهجو خصمه لا بالسب المباشر، وإنما عبر مشهد ساخر ينطوي على قدر من التهكم اللاذع، فنجده يصور الأبيض يركض وسط الفرسان على ظهر حماره، متوهما أنه فارس شجاع يسابق الخيل، فيخلق بذلك مفارقة طريفة تكشف زيف الادعاء وتفضح التظاهر بالمجد والبطولة هذا التصوير البصري الدقيق يجسد روح السخرية الأندلسية التي تقوم على تحويل العيب إلى مشهد مضحك ولقد تجلت براعة الشاعر في انه لم يكتف بتشويه الصورة الجسدية للمسخور منه بل يعري الضعف النفسي والمعنوي له، فحين يقول " أنى له تقريبها أو خبا" وأنه حمار في وسط السوابق فانه لا يعني فقط وصفا حركيا مضحكا، بل يرمز إلى العجز المعنوي ؛ فهو رجل يتظاهر بالقوة والشجاعة لكن الحقيقة انه فارغ من الداخل، مجرد مظهر أجوف . ولقد استطاع الشاعر في هذه المقطوعة أن يظهر قدرة لغوية في توليد المفارقة فالمشهد الذي يرسمه يقوم على التضاد بين الصورة المألوفة للفارس وصورة الهجين وهذا التضاد هو ما منح الصورة روحا كاريكاتورية مضحكة.ولقد سخر "ابن سارة الشنتريني" من سواد البشرة؛ حيث نجده يصف رجلا أسودا جلس مكان غلام حسن الصورة كان جالسا بجانبه حيث يقول : (الطويل)[2]

مَضَت جَنَّة المَأوَى وَجَاءَت جَهَنَّم فَأَصبَحت أَشقَى بَعدَمَا كُنتَ أَنعمُ

وَمَا هِي إِلَّا الشَّمس حَانَ غُرُوبهَا فَأَعقَبهَا جنح اللَّيل مِن اللَّيل مُظلم

يصور الشاعر في هذه الأبيات سواد بشرة هذا الرجل تصويرا فنيا راقيا، شديد الهجاء والسخرية ، حيث يصف هذه المقابلة بين الرجل الأسود والفتي الأبيض وصفا كاريكاتوريا بارعا ، فقد عبر عن الأبيض بقولة قد زالت وذهبت جنة النعيم وأيام الفرح والسعادة وحلت محلها أيام الشقاء والعذاب وهذا يرمز إلى الرجل الأسود الذي شبهه بجهنم ،فهذا التشبيه يحقر المسخور ويهينه، ويستمر الشاعرفي هجائه من خلال

[1]التجيبي المرسي، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، ص 67.

[2] الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، مج 17، ص 316

استخدام صور الطبيعة كوسيلة فنية بارعة في تحقيق سخريته (كالليل والنهار)، حيث شبه الفتى الأبيض بالشمس المشرقة بنورها وضيائها، ولكن حان غروبها وأعقبها هذا الأسود الذي هو كالليل المظلم في سواده ،فهنا دلالة على تعبير الشاعر عن القبح والجمال؛أي غياب الجمال وشغل موضعه القبح ، وهذا ما يحيلنا إلى أن الشاعر استقى صورته التهكمية من الطبيعة وأسقطها على شكل الفتى والرجل بمهارة وإتقان، وهذا دليل على براعة تصويره الفني، وقوة تشبيهه، ودقة وصفه، فقد استطاع خلق صورة هجائية جارحة تحط من قيمة المسخور منه بانتقاء أقسى الألفاظ وأعمق المعاني التي ساعدته في تضخيم عيوبه وإبرازها بشكل كاريكاتوري مبالغ فيه .

وبعد عرض هذه الأمثلة التي جسدت هذه الآلية، والتي لا يعني بالضرورة حصرها بقدر ما توضح أهميتها في تعزيز الشعر الهجائي، وجعله أكثر قوة وإيلاما؛ إذ يتضح أن الوصف الكاريكاتوري من أهم وأشهر الآليات التي اعتمدها الشعراء الأندلسيون في تطويع غرض الهجاء، وهذا لما تحمله من قدرة تصويرية ساخرة تجمع بين الإيحاء والمبالغة الكبيرة في إبراز عيوب المهجو، فقد تم توظيفها كأساس لتشويه صورة وملامح المسخور منه، وتضخيم صفاته ومثالبه لغرض الإضحاك والتحقير، ومنه فالوصف الكاريكاتوري هو منهج أو وسيلة فنية جمالية لتحقيق السخرية اللاذعة وللنقد المرير القاسي، وهذا ما أعطى لأشعارهم بعدا جماليا، ودقة فنية وتصويرية بارعة تجمع بين براعة الشاعر وقدرته على تحويل ألفاظه إلى لوحة فنية خيالية ساخرة تثير الضحك وتهين المهجو وتحقره وتحط من قيمته.

3/- المفارقة (Irony): صيغة من التعبير ، تفترض من المخاطب ازدواجية الاستماع بمعنى أن المخاطب يدرك في التعبير المنطوق معنى عرفيا يكمن فيه من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فانه يدرك أن هذا المنطوق – في هذا السياق بالذات- لا يصلح معه أن يؤخذ على قيمته السطحية [1]، أما في جوهرها" تتطلب تضادا وتنافرا بين المظهر والمخبر وتكون أشد وقعا عندما يشتد التضاد" [2]، وتعنى هنا أن المفارقة تقوم على عنصر التضاد بين المظهر الخارجي للنص، وبين المظهر الحقيقي الكامن؛ أي بين المعنى المباشر المنطوق والمعنى غير المباشر الخفي، فكلما اشتد التضاد بين المظهر والمخبر ازدادت حدة وقوة المفارقة وكان وقعها وتأثيرها كبير لدى المتلقي، وقد عدها "ماكس بير بوم "(Max Beer Boom) " أسلوب إنتاج أبلغ الأثر بأقل الوسائل إسرافا "[3] فما نستشفه هنا أن المفارقة أسلوب بلاغي يرتكز على إنتاج أثر قوي وعميق من المعاني والدلالات، ولكن بأقل ما يكمن من التعابير اللغوية، وهذا ما جعلها طريقة تعبيرية انتقادية تبرز جانبا أو ملمحا سلبيا ناقصا فيه مغالاة أو مبالغة، فيهون من شأنه، وقد تكون المفارقة أيضا أداة تلطيفية [4]،وهذا ما أقر به أيضا "محمد جديتاوي" بقوله :" هي أسلوب تعبيري يهدف إلى إيصال المعنى بطريقة إيحائية شفافة،تجعل القارئ يرفض

[1] محمد العبد، المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، ص15.

[2] دي سي ميويك ، موسوعة المصطلح النقدي، المفارقة وصفاتها، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1993،ص49.

[3] المرجع السابق، ص 66.

[4] ينظر، محمد العبد، المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، ص 17.

النص المباشر، ويستنبطه لاستخراج معان متعددة دون أن يمتلك القدرة على ترجيح أحدهما على غيره مع ما يمكن أن يتصف من تنافر أو تباين أو غموض ،ومع ما تثيره من مشاعر السخرية عند منشئها ومتلقيها على حد سواء "[1].

وهذا يعني أنها قادرة على "...تحقيق الدهشة لدى المتلقي من خلال كسر توقعاته، وتحتل حدا فاصلا بين ضدين، وتفصح عن نفسها من دون أن تذكر صراحة، بل يلجأ القول المفارق إلى التلميح والإشارة "[2]، كما تعددت أشكال المفارقة، وأهدافها حسب تصور **نبيلة إبراهيم** فهي " ...قد تكون سلاحا للهجوم الساخر؛ وقد تكون أشبه بستار رقيق يشف عما وراءه من هزيمة الإنسان، وبما أدارت المفارقة ظهرها لعالمنا الواقعي وقلبته رأسا على عقب، وربما ....تهدف إلى إخراج أحشاء قلب الإنسان الضحية لنرى ما فيه من متناقضات وتضاربات تثير الضحك، ومما يزيد الأمر تعقيدا أن المفارقة ترتبط بكثير من أشكال التعبير الفني فهي تعد خليطا من فن الهجاء وفن السخرية "[3]،وعليه يمكن اعتبار المفارقة بأنها قول شيء وقصد نقيضه،فهي تبحث عن أكثر من معنى يكون الأول سطحيا غير مقصود، والثاني خفيا يمكن الاستدلال عليه بإشارات وإيحاءات وهو ما أراد المتكلم إيصاله،ولقد تعددت أنواع المفارقة فمنها المفارقة اللفظية،والمفارقة المقامية أو الموقفية .

وعليه يمكن القول إن المفارقة هي شكل من أشكال التعبير العقلي أو الذهني، تقوم في الأساس على عنصر التعقيد من خلال قول الشيء والإيحاء بعكسه، فهي تحمل معنيين الأول سطحي ظاهر أما الثاني فهو عميق خفي، ومن خلال هذا الطرح سنعمد إلى تقصي آلية المفارقة في بعض النماذج الشعرية، وبخاصة أن السخرية تدعم الهجاء وتمكنه من تجنب الالتزام والتعهد، وتفتح له بذلك مجال الإيحاء، فهي لعب فكري أو معركة فكرية مع القارئ بغية اختبار مهاراته وقدرته التأويلية[4]، ولعل من أبرز النماذج على سبيل التمثيل لا الحصر قول لسان الدين بن الخطيب:[5] (المنسرح)

قَد سَتَرَ الدَّهر منِكَ عَورَتهُ وَكَانَ لِليَومِ غَيرَ مُستَـتر

يمكن أن نستشف من هذا البيت مفارقة موقفية؛ إذ تعكس التناقض بينما هو متوقع وما وهو كائن، إذ يسخر الشاعر من الوزير ويبين كيف أن الدهر انقلب عليه، فبعدما كان يخفي مثالبه التي تستر عليها،وغطاها له وحجبها عن العيون،إلاأنه جار عليه وكشف حقيقته، وما يخفيه من عيوب، فالشاعر يوضح كيف استطاع هذا الوزير أن يخفي نواقصه ويخدع الناس بأخلاقه، لكن الزمن كشفه وبين زيفه وسوء أخلاقه، فالدهر الذي كان يستره في الماضي عصف به. فهذه الأبيات تصور بطريقة تهكمية المفارقة بين حالة أبي الفتح في الماضي والحاضر.

---

[1] جديتاوي هيثم محمد، المفارقة عند ابي العلاء المعري، دراسة تحليلية في البنية والمغزى، دار اليازوري، ط1، عمان ، 2012، ص 27.

[2] محمد ونان جاسم،المفارقة في القصص الستيني العراقي، رسالة ماجستير، كلية التربية،مستنصرية، 2000، ص1.

[3] نبيلة إبراهيم،المفارقة،مجلة فصول، مجلد7، العدد4/3، القاهرة،1987، ص132

[4] - ينظر، الهجاء: إعادة تقديم نقدية: Satire, A criticalReintroduction, Dustin Griffin، تر: أحمد شايب ضمن كتاب أبحاث في الفكاهة والسخرية، مختبر اللغة والمجتمع والخطاب، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2017،ص 194.

[5] المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج1، ص 428.

وقد تجلت المفارقة في قول "**ابن حزمزن**" من أحد ملوك الأندلس ويصفه بأنه عظيم الهيئة، ضئيل العقل والحكمة حيث يقول:[1]

ثَقِيل وَلَكِن عَقلَه مثل رِيشَة تَطِير بِهَا الأَروَاح فِي مُهِمَّة دَوّي

في هذا البيت مفارقة متقنة وبارعة، رسمها الشاعر لمسخوره، فقد بدأ بوصف شكله بأنه ثقيل الجسم وحركة الجسد ،لكنه يكسر أفق توقع المتلقي ويقلب الصورة، في أنه رغم ثقل جسمه إلاأن عقله خفيف وهش ما يرمز على بلاهته وغباءه ، فقد وظف الشاعر الصور الشعرية لزيادة قوة سخريته ومدى تأثيرها على نفسية المهجو ، ويظهر ذلك في قوله " لكن عقله مثل ريشة " ، فالشاعر هنا برع في هجاء مسخوره هجاءً لاذعا مبدع المعاني قوي الألفاظ، بعيد النظر من خلال توظيف المفارقة الساخرة التي أضفت على بيته وقعا وتأثيرا عميقا يعزز قيمة السخرية فيه . ونجد "أبا بكر الأبيض" يهجو ابن حمدين قاضي قرطبة قائلا (المتقارب):[2]

يُرِيد ابنَ حَمْدين أَن يَعتَفِي وَجَدوَاه أَنأَى من الكَوكَبِ

إِذَا ذَكَر الجُـــود حَك استه لِيُثبت دَعوَاهُ فِي تَغلبِ

استندت هذه المقطوعة إلى آلية المفارقة والمقابلة، إذ نجد الشاعر يهجو من ابن حمدين هجاء ساخرا إذ يبين أن هذا الشخص يريد أن يُظهر نوعا من الجود والكرم في طباعه وأن يعرف بصفة السخاء لكن حقيقته عكس ذلك؛ لأن هذه الصفة عنده صعبه المنال فهي كالكوكب في السماء بسبب بخله وإقتاره، فهنا مفارقة واضحة بين ما يدعيه هذا الشخص وبين حقيقته، ويستمر الشاعر في طعنه وسخريته اللاذعة حيث ذكر الجود حك استه، فهنا يرسم الشاعر صورة فاضحة لابن حمدين ليكشف كذبه وبخله وادعاءه للجود والكرم، ومنه فالشاعر هنا استخدم المفارقة للتعبير عن التناقض بين ظاهر هذا الشخص الدال على الكرم وبين باطنه الذي يحمل البخل وفضح حقيقته بطريقة هجائية تقوم على تحقير المسخور منه وإذلاله .

وقد أنكر "**أحمد بن عبد الوهاب** " صفة الثقل واستكراهها، لذا فقد هجاه قائلا:[3]

وَمَن يعْزَى إِلَى ثَقلِ فَانِي أَخف عَلَى الرّيَاضِ مِن الذّبَابِ

وَلَست كَمَن تَوصله إِلَيكم طُلُوع الشَّيبِ فِي لَيلِ الشَّبَاب

اعتمد هذه الأبيات على المفارقة والتناقض بين صفة الثقل؛ حيث ينكر الشاعر الثقل وينبذه ويستكرهه ويبرئ نفسه منها ويصف نفسه بأنه أخف من الذباب فكأن الشاعر يبالغ في خفته ؛ أي أن الذباب لا يساوي شيء على الرياض الواسعة فهنا تكمن وظيفة السخرية في نقل المعنى بطريقة مبالغة تأثير في السامع ،

[1] المصدر نفسه، ج5، ص37 .

[2] ابن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 128.

[3] الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص 258،259

ويستمر الشاعر في إنكار هذه الصفة ويبعدها عنده بأن ليس من الثقلاء الذين يجلبون الشيب للآخرين في عز الشباب ، فالشاعر هنا يكشف خفايا الثقل وما يثيره من مشاكل ، فالإنسان الثقيل في نظره هو الذي يكون عبء على الآخرين، يثير الملل والضيق لهم مما يزيد غضبهم حتى يصل بهم الأمرإلى ظهور الشيب لديهم في ليل الشباب ، ويذهب أحد الشعراء وهو يهجو مغنية في قوله :[1]

وَقِينَة تُدعَى بِتَفتِيرِ مَفرَغَة فِي قَالِب الزُّورِ

تَبًّا لَهَا مِن قينةٍ عقلهَا أَخفّ من رِيش العَصَافِير

ترتكز هذه الأبيات على المفارقة والتعارض الفكري، فقد صاغها الشاعر بطريقة فنية وبمهارة دقيقة ومحكمة، حيث عبر عن سخريته من امرأة مغنية واصفا جمال صوتها وعذوبته لكنه يلعنها ويذم فيها خفة عقلها ونقص فهمها، وهذا ما يثير التهكم والاستخفاف بها، فقد وصف عقلها بأنه لا وزن له فهو أخف من ريش العصافير لخفته وسذاجته، ولعل الشاعر استطاع من خلال أبياته أن يخالف ما يتوقعه السامع من مدح للمغنية ووصف جمالها وصورتها المبهرة، لكنه اظهر جوهرها السطحي الفارغ وذكائها المحدود.

وعقب هذه القراءة المتأنية والتحليل نخلص إلى أن المفارقة آلية أساسية في السخرية فهي من الأساليب البلاغية التي اعتمدها الشعراء الأندلسيين في أشعارهم ،وهذا لما تحدثه من توتر دلالي وازدواجية في المعنى ؛إذ أنها تقوم على التناقض والتضاد بين المعنى المباشر للنص وبين المعنى الخفي له ، فهذا التناقض يولد تكامل في عمق الدلالة ويضفي وضوحا وجمالية في فهم النص وإبراز معناه الحقيقي ، وهذا لما تبعثه من تأثير فني قوي تكشف التناقضات الكامنة بين المدلولات ، ولعل اعتماد الشعراء على هذه التقنية يظهر ذكائهم وفطنتهم في إكساب أشعارهم عمقا فنيا وكذا تحقيق غايتهم وهي الاستهزاء بالمهجو مما يجعل السخرية أكثر قسوة وحدة .

4/المبالغة:هيآلية يستخدمها المتكلم ليبين أن هذا الشيء الذي يصفه قد بلغ درجة عالية في الشدة أو الضعف؛ أي أنه خرج عن منطقه وحده الطبيعي، وهذا ما يدفع بالمستمع أن يرى هذا الأمر مستحيلا،وبذلك فهي " أن يدعي المتكلم لوصف بلوغه في الشدة والضعف حدا مستبعدا أو مستحيلا "[2]، وهذا ما جعلها وسيلة نقل وتحويل ينشأ عنها انحراف مفاجئ عن منطق التصورات والتوقعات، وهو انحراف يتولد عنه أثر مضحك[3] .

وذهب "قدامه بن جعفر" إلى أن المبالغة:" هي أن يذكر الشاعر حالا من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزئه ذلك في الغرض الذي قصده، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد"[4].أما ابن وهب فيقول:" أما المبالغة فان من شأن العرب أن تبالغ في الوصف والذم كما من شأنها أن تختصر وتوجز وذلك لتوسعها في الكلام واقتدارها عليه، ولكل من ذلك موضع يستعمل فيه، وقسمها إلى مبالغة في

[1] المصدر نفسه، ص 258.

[2] السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ،312

[3] حوليات الجامعة التونسية، تكريما للأستاذ: محمد اليعلاوي ، العدد 45، كلية الآداب جامعة منوبة، تونس، 2001م، ص 452.

[4] قدامه بن جعفر، نقدالشعر، ص 146.

اللفظ وهي ما تجري مجرى التأكيد، ومبالغة في المعنى، وهي إخراج الشيء على ابلغ غايات معانيه "[1]. وتحدد في ثلاثة أنواع:[2]-**تبليغ:**إن كان ذلك الادعاء ممكنا عقلا وعادة. -**اغراق: إن** كان الادعاء ممكنا عقلا لا عادة.-**غلو** :إن كان الدعاء مستحيلا عقلا وعادة.

وبما أن الشعر الهجائي يستعين بالسخرية لتعزيز قوته وفتح المجال أما الإيحاء، فإن المبالغة حاضرة في أسلوب الشعراء، ومن بين النماذج الشعرية التي تجلت فيها على سبيل التمثيل لا الحصر نجد قول**أبي عيسى القاضي** في شخص أكول:[3]

يَحِن إِلَى طَيبَات الطَّعَام حَنِين الرَّضِيع إِلَى الوَالِدَةِ

وَأركَان لقِيمتهِ سِتَــة كَأَنَّ لَهَا إِصبـــــع زَائِدَة

يهجو الشاعر في هذه الأبيات شخصا شديد الولع بالطعام، وقد بالغ في وصف شغفه، وتعلقه به، حتى جعل اشتياقه للطعام لا يقل درجة عن حنين الرضيع لأمه، فيقوله "يحن إلى طيبات الطعام حنين الرضيع إلى الوالدة "، وهذا تشبيه جمع فيه الشاعر بين عنصرين متباينين في المعنى؛ إذ أن حنين الطفل لوالدتهغريزة فطرية، بينما حنين هذا الأكول للطعام مجرد رغبة وشراهة، وهذا ما يعكس المبالغة الشديدة وتجليها في تصويره لشدة تعلقه بالطعام ؛ ويزيد الشاعر من قوة تهكمه وطرافته حينما يصف لقيمته بأنها ذات ستة أركان، ويضخم من حدة مبالغته فيشبهها باليد التي تملك إصبع زائدة ، وهذا دليل على ضخامة لقمته وكبرها من خلال هذه الصورة الفنية نلحظ أن الشاعر اعتمد على التشبيه المبالغ فيه والخيال الواسع في إخراج أبياته بطابع هجائي ساخر .

وفي هذا نجد الشاعر**"العباس بن حنون الاشبيلي"** يصور لنا ظاهرة العمى بطريقة تهكمية ساخرة حيث يسخر من رجل اشترى العين يشبهه بالزورق؛ حيث يقول:[4] (الكامل)

يا طَلعَةً أَبدَت قَبائِحَ جَمَّةً فَالكُلُّ مِنها إِن نَظَرتَ قَبيحُ

أَبِعَينِكَ الشَّترَاءِ عَينٌ ثَرَّةٌ مِنها تَرَقرَقَ دَمعُها المَسفوحُ

شَتِرَت فَقُلتُ أَزَورَقٌ في لُجَّةٍ مالَت بِإِحدي دفَّتَيهِ الرّيحُ

وَكَأَنَّما إِنسانُها مَلاحُها قَدخافَ مِن غَرَقٍ فَظَلَّ يَميحُ

يهجو الشاعر شخصا مشوه العين بطريقة مبالغ فيها من خلال تصويره لقبح وبشاعة منظره، ولقد افتتحها بمخاطبة هذا الرجل واصفا طلعته بأنها تحمل كل أنواع القبح والدمامة ،فالشاعر استطاع أن يرسل هجائه الساخر لخصمه بطريقة مباشرة وقاسية، وقد وظف فيها الاستفهام الإنكاري في قوله " أبعينك الشتراء عين

[1] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص182.

[2] المرجع نفسه، ص 312 ،313.

[3] الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص 256.

[4] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،ت: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعةالسعادة، القاهرة ،1948، ج2،ص281.

ثرة " فهو يسأله بسخرية عن هذه العين الحولاء وما تحمله من دموع ترقرق بسبب المرض هل فيه شيء من الجمال، فكأنه يهينه وينقص من قيمته بسبب هذا العيب الذي يلازمه، ويكمل الشاعر في هجاءه التهكمي عندما شبه عينه بالزورق أو القارب الذي مالت به الريح في البحر فاختل توازنه ، فقد اسقط الشاعر هذا المشهد التهكمي على عين هذا الشخص بأنها مالت وانحرفت بسبب الحول، وهذا ما أدى إلى تشويه صورة المهجو بطريقة فنية بارعة ، وبتصوير مبدع ، وتبلغ السخرية قمتها في البيت الأخير حينما وصف عينه بأنها تخاف من الغرق فتبقى تتمايل وتميح، وبذلك فهذه الآلية عززت هجاءه وجعلته قاسيا وجارحا.

ومن صور المبالغة في الوصف ما قاله "**الطوبي**"في وصف لحية كبيرة:[1]

مَا إن رَأيت وَلَا سَمعت بِلحيَة عَرَضت بِلحيَة جَعفَر بنُ محمد

سَدت عَلَى وَجهِهِ فَكَـأَنَّمَا عَينَاه فِي ثَقبِي كَسَاء أَسود

يصف الشاعر في هذه الأبيات لحية كثيفة تملأ وجه شخص يدعى جعفر بن محمد ، "فيقول ما إن رأيت ولا سمعت بلحية عرضت بلحية جعفر بن محمد "، أي أنه لم ير ولم يسمع بلحية تماثل عرض لحية هذا الرجل، ويظهر في هذا الأسلوب مبالغة واضحة وجلية لإبراز ضخامة اللحية وندرتها، لذم المهجو، ويضيف الشاعر صورة طريفة يدعم بها سخريته في قوله " سدت على وجهه"؛ أي أن ضخامة هذه اللحية وكثافتها غطت وجهه كله حتى بدت عيناه وكأنهما ثقبان صغيران في قطعة كساء أسود، وهي كناية عن كثافة اللحية وسوادها،وهذه الصورة ساخرة قصد منها تشويه صورة المهجو، والاستهزاء به وإثارة ضحك المتلقي، وهذا هو مقصد الهجاء.

وقد تمظهرت المبالغة في هجاء الشاعرة "**نزهون بنت القلاعي**"، لأحد الأشخاص، إذ سخرت من قبح الشكل والمظهر، فجعلت الخصم عرضة للتهكم والاستهزاء؛ حيث تقول:[2](المتقارب)

عـــذِيرِي مِن أَنُوك أَصلَع سَفِيه الإِشَارَة وَالمنزَع

يَرُوم الوَصَال بِمَا لَوَ اتِي يَرُوم بِه الصَّفَع لَم يَصفَع

بـــــرَأسِ فَقِيـــر إِلَى كيه وَوجـــه فَقِير إِلَى برقع

تميزت هذه الأبيات بنزعة اندفاعية ساخرة تعبر بها الشاعرة بشكل مبالغ عن تهكمها من هذا الشخص،واشمئزازها منه بسبب الصفات التي يتف بها (أصلع، سفيه، فقير، طيش)، كما استهزأت به في طلبه لحبها وقربها وتشير بنظرة احتقارية أنه حتى لو طلب الصفع لا أحد يصفعه ، وذلك لتجنب الناس له وتجاهلهم له، وهذا دليل على وضاعته وانحطاط قيمته، وتزيد الشاعرة من تهكمها ومبالغتها في وصفهبأن عقله يحتاج إلى الكي لمعالجته وإصلاح عقله بسبب غبائه وبلاهته، لذا وجب تغطية وجهه بسبب بشاعته

[1] الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب، ج1، ص 60.

[2]ابن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، ج2،ص266.

وقبحه، وهذا نقد لاذع، ومبالغة وتهويل رغبة منها في تدعيم هجائها، وبذلك فهي تضعه في مكانة دونية تثير السخرية، وعليه فهذه الآلية مكنت الشاعرة من تحقيق مقصدها.

وبذلك فهذه الأبيات تمثل نموذجا قويا على قوة الهجاء اللاذع الذي استحضر آلية المبالغة الساخرة الحادة التي ساعدته في تشويه صورة المهجو، وقد وظفت الشاعرة لغة إيحائية لزيادة احتقاره وإذلاله أمام الناس، كما استخدمت الصور البلاغية، ما زاد من قوة سخريتها وبلاغة أسلوبها في وضع خصمها في مكانة منحطة، وبخاصة أنها كانت جريئة وسريعة البديهة، وحافظة للشعر.

وقد تجلت آلية المبالغة عند "ابن هاني الأندلسي" في هجائه لأحد الأشخاص رغبة منه في إظهار أحد عيوبه؛ إذ يقول:[1] **(البسيط)**

يَا لَيتَ شعْرِي، إِذَا أُومَى إِلى فَمهِ أَحلفه لهــوَات أم ميَادِين؟

كَأَنَّهَا - وَخَبيث الزَّاد يَضــرمهَا- جَهَنَّم، قَذفت فِيهَا الشَّيَاطِين

تَبَارَك الله مَا أَمضَى أسنته كَأَنَّمَا كُل فَك مِنه طَاحُون!

كَأَنَّ بَيت ســلَاح فِيه مُختزن مِمَا أَعدَته لِلرُّسلِالفرَاعِين!

أَين الأَسنةأَم أَينَ الصَّــوَارم أَم أَينَ الخَنَاجِر أَمأَينَ السَّكَاكِين

لَف الجــدَاء بِأيدِيهَا وَأرجُلِهَا كَأَنَّمَا اِفتَرَسَتهُنَ السَرَاحِين

يصور الشاعر في هذه المقطوعة رجلا شديد الشره والنهم في الأكل،بأسلوب ساخر؛ حيث يصف فمه بطريقة استفهامية هل هو حفرة؟ أو ساحة معركة؟ لشدة كبره وشكله المخيف، ويكمل الشاعر في سخريته ومبالغته في وصف فم الأكول بمشهد من الغلو فكأن الغذاء في فمه كجهنم قذفت فيها الشياطين ازدادت اشتعالا، فهذه الصورة تحمل مبالغة عظيمة وتشبيه مركب يصور حالة العنف والقوة التي يكتسبها هذا الفم، ويزيد في حدة هجائه حينما وصف حدة أسنانه بالسكاكين والسيوف والصوارم القاطعة، وفكيه بالطاحون، وهي مبالغة وهذا الوصف يدل على القوة والحدة، ويواصل في تصوير فم الأكول بأنه بيت أو مخزن للسلاح الذي أعدته الرسل لمواجهة الفراعين، ويسترسل الشاعر في تهكمه بتوظيفه للاستفهام الإنكاري بغرض الاستهزاء بقوله:"أينالأسنةأم أين الصوارم والخناجر والسكاكين"، فكل هذه الآلات رغم حدتها وقوتها، تجمعت في فم هذا الشخص، وهذه مبالغة في قوة وبطش وصلابة هذا الفم.

وعليه فهذه الأبيات تمثل المبالغة في التصوير بشكل لافت، فالشاعر استطاع تصوير فم هذا الأكول بطريقة مفرطة الوصف، تبين مدى قوته ووحشيته، بلغة تنضح بالغلو والحدة، وبأسلوب بارع، وظف فيه الصور الشعرية القوية والمعاني العميقة الصارخة، ذات التأثير القوي في نقل صورته والتأثير في متلقيه، وإهانة

[1] تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني الاندلسي ، تصحيح وشرح : زاهد علي ، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ، 1352هـ، مصر ،ص 758.

مسخوره والحط من قيمته، وهو لا يسعى إلى إثارة الضحك فقط، بل ينتقد هذه الصفة الذميمة التي تدل على ضياع الخلق الكريم وحسن التصرف، وهي من الصفات المنتشرة في المجتمع. ومن النماذج أيضا هجاء "**ابن حجاج الاشبيلي** " بقوله:[1] (البسيط)

عَلَى مُعَاد قرُون لَو يُعَايِنُهَـــا فَرعُونًا قَالَ: اوقَد لِي عَلَى الطِّينِ

قَالَت لَهُ عِرْسُهُ إِذ جَاءَ يَنكَحُهَا مَاذَا دَهيت بِه من كُل عِنّيـــن

هَلَا استَعنت بِمَيمُونِ فَقَالَ لَهَا إِنِي اِستَعَنتُ عَلَى نَفسِي بِمَيمُونِ

تكشف هذه الأبيات عن سخرية لاذعة، وقد استعان الشاعر بالمبالغة لزيادة حدة هجائه وتشويه صورة مهجوه، فهو يبدأها بوصف قرون هذا الشخص بطريقة تهكمية تدل على غرابة منظرها، مبرزا مدى ضخامتها وقوتها من خلال ربطها بقوة فرعون الذي لو رآها هو نفسه يندهش ويأمر بإحراق الطين لتشييد صرحه العظيم، فالشاعر استدعى الرمز الديني لبناء صورته الهجائية الساخرة، ولإبراز مدى صلابة هذه القرون، فكأنه يخرجنا من الصورة العادية للقرون، ويحيلنا إلى صورة غير مألوف تخرق أفق تصور المتلقي ، وينتقل الشاعر بعدها إلى موقف أخر يبين فيه استهزاء عروسه به واهانتها له حينما سألته عن ضعف حاله قائلة " ماذا دهيت به من كل عِنّيـــن " ، ويزيد الشاعر من سخريته وتهكمه حينما طلبت منه الاستعانة بشخص يدعى ميمون المعروف بقوته وصلابته ، لطلب المساعدة فرد عليها بأنه استعان على نفسه بميمون، وهذا دليل على ضعفه وذله ومهانته .

وعليه فهذه الأبيات تبرز هجاء ساخرا اعتمد فيه الشاعر على المبالغة في الوصف التي تستدعي الضحك والاستهزاء، ومن المعروف أنه لا مضحك إلا فيما هو إنساني ؛ أي أن الضحك يرتبط بالذات الإنسانية التي تستطيع إثارة الضحك من خلال شكل هذا الإنسان أو تصرفاته، وهذا ما تروم إليه هذه المقطوعة التي استطاع من خلالها الشاعر أن يصف قرون هذا الشخص بطريقة خيالية مبدع تجعل المتلقي يتصور المشهد وكأنه حقيقي ، كما يزيد من إهانة مسخوره في رسم صورة غريبة له تدل على ضعفه وهوانه ، فهذا الشعر يمثل نموذجا واضحا على الهجاء الساخر، والتصوير المبالغ فيه حوّل فيه الشاعر أبياته إلى مشهد درامي يثير الضحك ، ويبين مدى براعة الشاعر في التصوير والوصف حتى يثير انتباه المتلقي ويضمن علوق هذه الأبيات في ذهنه .

وبعد هذه الوقفة التحليلية نستنتج أن المبالغة من الآليات الأساسية التي استخدمها الشعراء في أشعارهم ، لما ترمي إليه من وصف الشيء وصفا يعتمد على التكبير والتضخيم ، وكذا التصغير والضعف وهذا حتى يبلغ الشيء الموصوف درجة من الشدة ، وقد عرفت هذه التقنية انتشارا واسعا في أشعار الأندلسيين الساخرة حتى أصبحت أسلوبا فنيا راقيا لا يمكن الاستغناء عنه ، لما تحمله من قوة في زيادة الصورة الشعرية تأثيرا في

[1] التجيبيالمرسي، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، ص 61.

المتلقي .وإضفاء نوعا من الخيال الحسي على الصورة ما تجعل المتلقي يتفاجأ من طبيعة هذه الصورة فكأنها تكسر أفق توقعه لهذه التصورات مما تستدعى منه الضحك والاستهزاء.

5/ الذم بما يشبه المدح: ويعدمن أبرز آليات السخرية التي يستعين بها الشاعر في هجائه من حيث القوة والفعالية، فهي تعمل على اختراق أفق توقع القارئ،وبخاصة أن هذا النمط يعرف بمعالجة الشيء الحقير كأنه عظيم، ويعد من الأساليب القديمة في البلاغة العربية حيث يعرفه الحلبي والنويري بـ" هو أن يقصد المتكلم ذم إنسان فيأتي بألفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح فيوهم أنه مدحه وهو يهجوه "[1]،حيث نجد أن هذه الآلية تقوم على ضربين:

أ/ "أن يستثني من صفة مدح منفية، صفة ذم على تقدير دخولها فيها نحو: فلان لا خير فيه إلا أنه يتصدق بما يسرق ونحو: لا فضل للقوم إلا أنهم لا يعرفون للجار حقه، ونحو: الجاهل عدو نفسه إلا أنه صديق السفهاء.

ب/ يثبت لشيء صفة ذم ثم يؤتي بعدها أداة استثناء تليها صفة ذم أخرى نحو: فلان حسود إلا انه نمام "[2].

ولتوضيح كيفية اشتغال هذه الآلية نستشهد ببعض النماذج الشعرية منها أبيات للشاعر يوسف بن تاشفين في هجائه لملوك الطوائف وذمهم في صورة ساخرة حيث يقول :**(البسيط)**[3]

في كل يوم غريب فيه معتبر نلقاه أو يتلقانا به خبر

أَرَى المُلُوك أَصَابتهُم بِأَندَلُس دَوَائِر السُّوءِ لَا تبقِي وَلَا تذر
قَد كُنت انظرهَا وَالشَّمس طَالِعَة لَو صَحَّ لِلقَومِ من أَمثَالهَا النَّظَر
نَامُوا وَأسرَى لَهُم تَحتَ الدجَى قدر هَوَى بِأنجمهم خَسفًا وَمَا شَعَرُوا
وَكَيفَ يَشعر مَن فِي كَفِّهِ قَدح تَحدُو بِه مذهلَات النَّاي وَالوَتَر
صَمت مَسَامعه عَن غَيرِ نَغمتهِ فَمَا تَمر بِهِ الآيَات وَالسُّوَر
تَلقَاه كَالعَجل مَعبُودًا بِمَجلِسه لَهُ خوَار وَلَكِن حشوه خُور
وَحَوله كُل مُغتَرٍ وَمَا عَلمُوا ان الذِي زَخرَفَت دُنيَاهم غرر
وَ انظُر إِلَى الصُّبح سيفَا فِي يَدِي ملك فِي الله من جنده التَّأيِّيد وَالظَّفر
يَرعَى الرَّعَايَا بطرف سَاهر يَقظ كَمَا رَعَاهَا بطَرف سَاهر عمر

استندت هذه الأبيات على السخرية المبطنة لملوك الطوائف على انحلال أخلاقهم وضعف حكمهم، حيث يرى الشاعر أن كل يوم يحمل أمرا عجيبا وحوادث غريبة، لذا دعا إلى ضرورة التأمل في تقلب الدهر، كما يبين أن ملوك الطوائف قد اصابتهم مصائب وتقلبات حتى لم يبق لهم مجد ولا سلطان، فالشاعر ينبههم بالخطر الذي لحق بهم. أما في قوله " ناموا وأسرى لهم تحت الدجى" فهنا رمز للغفلة ما أدى إلى سقوط مجدهم

[1] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص14.

[2] السيد احمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية، دط، بيروت، 1999، ص 314- 315

[3] ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، ص 256،257.

ومملكتهم من غير أن يشعروا، ولعل ما زاد من حدة السخرية هو انشغال هؤلاء الملوك بالترف وشرب الخمر، ومجالس اللهو والطرب، مغفلين مملكتهم ما أدى إلى انهيارها، كما أرسل الشاعر طعنات سخريته بأن هؤلاء الملوك قد ابتعدوا عن الدين والعبادات وانشغلوا بصوت الأنغام والموسيقى. ولقد عمد الشاعر إلى استخدام الصور البيانية الساخرة لتحقير مسخوره حيث شبهه بالعجل في مجلسه له خوار لكن حشوه خور أيأن ظاهره عظيم لكن جوهره فارغ وضعيف، كما وصف من حوله المغترين بزينة الدنيا غير عارفين بأن نعيمها زائل،أما في البيت الأخير فيرى الشاعر أن هذا الترف زائل ولا بد أن ينقلب الزمان ويأتي بخليفة عادل لرعيته حيث قارنه بعمر بن الخطاب في عدله.

ولعل هذه الأبيات تحمل هجاء ساخرا لملوك الطوائف وأفعالهم الذميمة، لكنها في الوقت ذاته تحمل نوعا من المدح خاصة أنه قدم صورا معتادة في المدح (الإنصات، التشبيه بالعجل المعبود، الاستمتاع بالناي والوتر) ولكن بعد إعمال الفكر ومعرفة حقيقة دلالة (الانشغال باللهو، الخواء الداخلي، الغفلة عن القرآن) يكتشف المتلقي أنه ذم، فهؤلاء الملوك يعشون في غفلة، وضعف، ولا يعرفون ما يجول حولهم، وهذا ما دل على براعة الشاعر في توظيفه لآلية الذم بما يشبه المدح.

ويسخر "عبد المنعم بن مظفر الغساني الجلياني" من الذين يتظاهرون بالعلم وترديدهم لكلمات تدل على جهلهم وقلة إدراكهم حيث يقول :(مخلع البسيط)[1]

يَا سَاهرَا فِي اقتِنَاء علمٍ يَخطب منه مَقَام محكم

بِدُونِ هَذَا تُرَى فقيهَا فَوسّع الكَم ثُمَ عممِ

والبس مِن الشّهبِ طَيلسَانًا وَاغمدهُ فِي المنكبَين واختم

وَاجلِس مَعَ القَومِ فِي جدَالِ لَا بِالبخَارَى وَلَا بِمُسلِمِ

إلَّا صِيَاحًا وَنفَض كَم وَنظم <لَا لَا > وَقُل < لم لم>

فَمَا أَرَى عِندَهُم عُلُومًا أَكثَر من < لَا > وَ< لَا أسلَم>

نلاحظ في هذه الأبيات أن الشاعر لجأ إلى فن بلاغي بالغ الذكاء ، يقوم على المفارقة اللفظية بين ظاهر القول وباطنه ، فيبدو للقارئ في الوهلة الأولى أنه يمدح غير أن المعنى الحقيقي الذي يطفو من تحت السطور هو الذم والسخرية ؛ وهذه التقنية تتطلب براعة لغوية وقدرة على توجيه الألفاظ بحيث تغري السامع بمعناها الايجابي في ظاهرها؛ لكنها تخفي في طياتها لذعة ونقد وتهكم، ولعل الشاعر هنا يسخر من الذين يتظاهرون

[1]ابن موسى الاندلسي(ابن سعيد أبو الحسن علي)، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة،تح : ابراهيم الابياري، دار المعارف،مصر ، 2009، ص 107.

بالعلم والتقوى دون أن يكونوا أهلا لهما، حيث يبدأ شعره بتصويرهم في هيئة العلماء المكرسين لطلب العلم، فيقول لهم : يا من تسهرون في اقتناء العلم وتطلبون منه مقاما رفيعا وكأن في ظاهر القول ثناء على حرصهم واجتهادهم ،غير أن المفارقة تنكشف حين يُتبع ذلك بسلسلة من الصور الساخرة التي تظهر تهافت علمهم فهو يصفهم بأنهم يوسعون أكمامهم ويضعون العمائم الضخمة، ويلبسون الطيلسانات ويتصدرون المجالس للمجادلة لكنهم لا يعرفون من العلم إلا الضجيج ، ولا من الفقه إلا الجدل الفارغ عند هذا الحد يتحول المديح إلى سخرية لاذعة ، ويصبح وصفهم بالعلماء نوعا من التهكم المبطن الذي يعري زيفهم ويبرز جهلهم المتخفي وراء المظاهر. ومنه فهذه التقنية تظهر الوعي النقدي للشاعر في عدم اعتماده على الإهانة المباشرة للمسخور منه بل يلبسها ثوبا من المدح ليخفي تحته روح السخرية وهذا ما يعد قمة التهكم والاستخفاف.

6/ المدح بما يشبه الذم: ويعرف كذلك بمعالجة الشيء العظم كأنه حقير، وهو من محاسن الكلام ، ويعد طريقة من طرق الاستهزاء ويعني الاستخفاف والاستهانة واحتقار الأشياء العظيمة، والنظر إليهابأنها بلا قيمة ولا وزن، وهذا ما نجده في " عندما شبه هتلرأماكن العبادة المسيحية ساخرا بمصرف يذهب إليه الناس ليدفعوا شيئا ويأخذوا شيئا"[1]،وهو ضربان:

أ/ "أن يستثني من صفة ذم منفية عنشيء، صفة مدح على تقدير دخولها فيها

ب/ أن يثبت لشيء صفة مدح، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى مستثناة من مثلها"[2].

ومن الأبيات التي جرى فيها المدح بما يشبه الذم ما ذهب إليه ابن **خفاجة** وهويهجو بعض النساء هجاء تهكميا من خلال ادعائهم للفضيلة، حيث كانوا يتخفون ويتسترون تحت زينة حليهم لإخفاء طباعهم السيئة وأخلاقهم المشينة قائلا:[3](المنسرح)

إِلَا بَكَى الدرفَوقَ حاَلية حَلَى بهَا العقد شرمَا حَلَى

ترَى بِهَا مَا يَمر مِن خَلق مَخبَأ تَحتَ مَنظَريَحلَى

قَد رَاقَ مَرأَى وَسَاء مُختَبَرَا فَهَل تَرَى اِزدَهَرَت بِهَا دفلَى

بنى الشاعر أبياته بطابع نقدي تهكمي لاذع، وهجاء قاسي مبطن خلف العبارات الجميلة ، والتراكيب المنمقة لإخفاء سخريته المريرة ، حيث يصور بكاء الدر وتحسره في وضعه في عنق من لا يستحق الزينة؛ ويقصد الشاعر هنا النساء اللواتي تميزن بفساد طباعهم وأخلاقهم، وتغطيهم بهذه الدرر واللآلئ لإخفاء أخلاقهم السيئة والرديئة، ولكن هذا الحلي لم يجمل قبحهم، بل فضحهم؛ لأن قبحهم الباطني مخفي تحت مظهر

[1] نعمان أمين طه، السخرية في الادب العربي،ص 29

[2] السيد احمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 313،314.

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص 151

منمق جميل ، وهذا ما يدل على نفاقهم، وخداعهم للناس بمظهرهم المثالي وجوهرهم الرديء، ويزيد الشاعر من حدة سخريته وتهكمه بتوظيفه للصور البيانية المعبرة، حيث شبههم بنبات الدفلى الذي يعجب منظره الناس، ولكنه سام وهذا يدل على خبث الجوهر، وخداع المنظر . وبذلك وظف الشاعر في أبياته آلية المدح بما يشبه الذم بأسلوب بارع في وصفه لهؤلاء النسوة، مظهرا نفاقهم، وخداعهم من خلال مظهرهم الحسن،وخداعهمالباطني، الذي يخفي سوء الخلق والطبع مشبها إياهم بنبات الدفلى المعروف بجماله الزائف ولكنه ضار وخطير، فهو يظهر عكس حقيقته وهذا ما ينطبق على هؤلاء النساء اللاتي يدعين الفضيلة.

ويذهب "**مؤمن بن سعيد**" الذي يعد من الذين تتبعوا زلات الشعراء وتهكمه من الناس فنجده يهجو عباس بن فرناس قائلا(المنسرح)[1]

سَمَاء عَبَاس الأَدِيب أَبَى الـ قَاسِم نَاهِيكَ حَسن رَائقهَا

أَمَا ضرَاط استه فَرَاعدهَا فَليتَ شعْرِي مَا لَمع بَارقهَا

لَقد تَمَنَّيت حِينَ دومهَا فَكرِي بِالبصقِ فِي است خالقهَا

تصور هذه الأبيات تقنية لغوية وبلاغية تقوم على المدح الظاهري كوسيلة لتمرير الذم في باطنه ، فهو يقوم على جعل الأسلوب يبدو مديحا من حيث التركيب، ولكن عمقه هجاء لاذع يتخفى في ثوب الثناء ، فالشاعر يتظاهر بمدحه في قوله " سماء عباس الأديب " فيبدو ثناء يرفع من قدره ويعترف بمنزلته وبراعته الأدبية ،غير أن هذا المدح لا يلبث أن يتحول إلى هجاء وتهكم خفي حيث ربط بين "سماء العباس" وبين "ضراط استه" في صورة تحطم هيبته ومنزلته بوسيلة فنية ناعمة ولكنها جارحة، حيث قامت هذه الأبيات على الجمع بين الجمال الظاهري للمهجو وبين بشاعة باطنه، ومنه فالشاعر اعتمد هذه الآليةوسيلة للهجوم على خصمه بطريقة غير مباشرة ، وقد مدحه بأسلوب يجعله يظن أن الخطاب لصالحه ، فهنا يتحول المدح إلى قناع بلاغي للهجاء وإلى لعبة لغوية يبدع الشاعر في إدارتها بنوع من المهارة والحذر.

ويسخر "**أبو المخشي عاصمالتميمي**"من "**هشام** بن عبد الرحمن" مستعينا بآلية المدح بما يشبه الذم كوسيلة لتعزيز هجائه حيث يقول :(الوافر)[2]

وَلَيسَ كَمَثل من إِن سيم عُرفًا يقلّب مُقلَة فِيهَا أَعوَار

تقوم هذه الأبيات على استخدام أحد آليات السخرية وهي " المدح بما يشبه الذم" حيث نجد الشاعر يصف هذا الشخص وصفا يزيد من قيمته، ومكانته بأنه إنسان مختلف ومميز عن الآخرين بصدقه وحكمته، فهو فريد في صفاته أصيل في أفعاله، في حين يصف عيبه ونقصه بأنه أعور العين فالشاعر هنا ينتقد هذا الشخص ويرصد عيوبه ومثالبه للحط من قيمته؛ لأن هشام بن عبد الرحمن كان

[1] المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج3، ص 374.

[2] ابن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص124.

أحولالعين،وعليهفهويحتقره ويراه بنظرة ازدراء ونقص، ومنه فمعنى هذه الأبيات يبدو كأنه ينتقد، ولكنه يمدح بأسلوب فني ساخر.

كما رسم"**إسحاق بن خفيف**"صورة ساخرة وطريفة حينما صور أحد المشاهد لصبي أحدب حيث يقول :[1]

رَأَيتُ اليَومَ مَحمُولًا وَأَعجبُ مِنهُ من حملهِ

جَمَال النَّاس تَحملهم وَهَذَا حَـــامل جمله

إن ما نستشفه من هذه الأبيات أنها تقوم على الأسلوب الشعري الساخر، ذات الطابع الهجائي اللاذع في وصفه لهذا الأحدب، مما أثر اندهاشه أنه يحمل حدبته، ويستمر في السخرية والتعجب من هذا المنظر في قوله انه من المعهود أن الجمل هو من يحمل صاحبه، أما في هذا المشهد فالصورة مقلوبة ومعكوسة فالأحدب هو من يحمل جمله، فالشاعر شبه حدبة هذا الصبي بالجمل، وهذا ما زاد من قوة السخرية ووقعها. ولعل هذه الأبيات تقوم على الذم والهزأ بهذا الصبي الأحدب، ولكنها في ظاهرها هي تمدحه، لأن الشاعر أشفق من حالة هذا الصبي ورق قلبه، وتألم لوضعه ولمعاناته في حمل لهذه الحدبة مما أدى إلى التعاطف معه، ومنه فهذه المقطوعة لا تذم الأحدب وإنما تمدحه بطريقة تهكمية ساخرة.

7/ التلاعب بالألفاظ : وهو من آليات السخرية البلاغية، وتقوم على تكرار اللفظة في غير موضعها بحيث تفهم على معنيين متقابلين "[2]، ويفترض أيضا أن التلاعب بالألفاظ هو أن يكسب المتندر الألفاظ معاني ودلالات مبهمة وغامضة، فإذا اكتشف السامع أن ما يقصده المتكلم هو هذا المعنى الغريب يسخر منه من فهمه الأول لمعنى الجملة فيضحك، ويكون التلاعب بالألفاظ بإيجاز الفكرة وتركيزها أو بالإضافة إليها ، بحيث يخرجها من معناها الحقيقي والأصلي، أو بنحت بعض ألفاظها أو بتقسيمها والعبث بمعجمها كأن ندعو من تسمى فاطمة الزهراء بفاطمة الزعراء ، ولعل الساخر يتميز ببراعة وعبقرية كبيرة، وقدرة تخيلية واسعة في استخدام آليات متعددة في سخريته تتداخل فيما بينها لا يمكن حصرها أو عدها .[3]ومقصد هذه الآلية" أن يعكس السامع اللفظ الذي سمعه إلى معناه الأخر المعتمد على الاشتراك المعنوي في اللفظ الواحد، أو على الجناس أو الطباق بين اللفظ الذي سمعه واللفظ الذي ينطق به "[4]. ولقد اعتمد الشعراء على التلاعب اللفظي والتأنق في اللغة وذلك لإظهار مواهبهم وملكتهم الشعرية وتفوقهم اللغوي حيث نجد ابن خفاجة يقول:[5]

مَا إِن دَرَى ذَاكَ الذَّمِيم وَقَد شَكَا من نَيلِ مُمتَدِحٍ وَرمح جَوادِ

---

[1] المقري ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص 18.

[2] حوليات الجامعة التونسية، ص 450.

[3] ينظر، نعمان طه أمين، السخرية في الادب العربي، ص 47.

[4] سها عبد الستار السطوحي ، السخرية في الادب العربي الحديث، ص 64.

[5] ابن خفاجة،الديوان، ص 235.

هَلْ يَشـــتَكِي وَجعابه فِي سرةِ بِالسّينِ أَم فِي صرةِ الصَّادِ

ويتضح من مضمون هذه الأبيات أن الشاعر اعتمد في هجائه على الأسلوب الأدبي المشبع بروح السخرية والتهكم ، مستخدما في ذلك تقنية التلاعب بالألفاظ، حيث افتتح أبياتهبالإشارةإلى تذمر هذا الذميم وشكواه من هجوم وطعن الآخرين فيه، كما يسخر الشاعر منه بتعبيره عن بلاهته موظفا التشابه بين الألفاظ ليبين أن هذا الذميم لا يفرق حتى أين هو موضع الألم ، ويورد خاصية التلاعب بالألفاظ بين لفظتي " السرة " و" الصرة" فالأولى تعني السرة التي تكون في الإنسان في بطنه ،أما الثانية تعني صرة المال، ولعل استخدام الشاعر لهذه التقنية دليل على براعة الشاعر ونباهته وتفوقه في تعزيز هجائه بهذه الآلية التي تزيده سخرية، وبلاغة أدبية ، وجزالة في الأسلوب ، كما تعكس قدرته على التحكم في الألفاظ والتلاعب بها، وهذا ما يكشف عن سخرية نصه.

ومن أمثلة الشعراء الذين برعوا في هذا اللون من التلاعب بالألفاظ وتوليد معاني جديدة ومستحدثة نجد لسان الدين بن الخطيب وهو يهجو الوزير أبي الفتح؛ إذ يقول:[1] (المنسرح)

يَا ابن أَبِي الفَتح نَسبت عَكست فَلَا بِّفتحِ أَتيت وَلَا ظفر

لعل المتمعن في هذا البيت يرى بأنه يحمل نوعا من ملامح السخرية والهجاء ، حيث صور فيه الشاعر الوزير أبا الفتح وذلك بطريقة تهكمية هزلية مستعينا في ذلك على نمط التلاعب اللفظي ، حيث يؤكد أن اسمه عكس معناه الحقيقي أيأن اسمه " أبى الفتح" لكنه لم يأت بفتح ولا نصر، فهذا البيت يقوم على المفارقة بين اسمه الذي يوحي بالعز وبين واقعه الفاشل وحكمه الضعيف ، ولعل الشاعر اعتمد على الجناس في لفظتي " أبى الفتح " اسم الوزير ولفظة " الفتح" التي تعني النصر فهنا اللفظ واحد والمعنى مختلف، ولقد أسهم هذا الجناس في تحقيق التلاعب اللفظي من خلال تشابه اللفظ، واختلاف الدلالة مما يوحي بالوظيفة التهكمية، كما وظف التورية في كلمة " الفتح " حيث تحمل معنيين متباينين الأول قريب وهو اسم علم (اسم الوزير) أما الثاني فهو بعيد ومقصود والذي يعني النصر، والظفر فهذا الازدواج في المعنى أسهم في تعميق دلالة السخرية، وبذلك تعزيز وتقوية هجائه.

ومن بين الأشعار التي تحمل سخرية حققه التلاعب بالأسماء قول **الطوبي**في من اسمه " يَعْلَي" قوله:[2]

تَأَمَّل إِن فِي اسمِك شَر مَعنَى وَقَد يَدرِي الغرَ ائِب مبتَغِيهَا

لَئِن سَموك"يَعْلَى" مَا أَرَادُوا بِفَتح اليَاءِ إِلَّا الضّم فِيهَا

[1] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، ج5، ص 140.

[2] الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر ، ج1، ص 71.

يعكس هذا النص الشعري سخرية خفية، ينطوي تحت سمة التلاعب اللفظي وبخاصة في الأسماء، حيث قام الشاعر بهجاء شخص اسمه "يعلي" وأمره بالتدبر والتفكر في اسمه وبما يحمله من معاني،فالذي يبحث عن الأمور الخفية يكفيه التفكر في اسمه وسيجد مبتغاه.

أما في البيت الثاني فهنا يكمن التلاعب اللفظي في قوله " ما أرادوا بفتح الياء إلا الضم فيها"،فهنا نقد مبطن في أن اسمه ليس معناه الرفعة والعلو ، بل يحمل كل السمات السلبية؛ إذ أراد به الانحطاط والذل، من خلال ضم الياء فيه .وهذا ما حقق تورية ساخرة خفية ومبطنة استخدمها الشاعر تحت ما يسمى بالتلاعب اللفظي،(يَعْلَى= اسم الشخص، يُعْلَى=يُهان) فاسم المهجو يوحي بالرفعة، أما اللفظ المقابل الذي جاء بها الشاعر حقق تورية، مسخ بها اسم المهجو من الرفعة إلى الإهانة، كذلك التلاعب تجلى من خلال الجناس بين : يَعْلَى /يُعلى ليبرز من خلاله التضاد بين المعنى الظاهر والمعنى المقصود، ليصل بذلك إلى مبتغاه وهو الحط من قيمة المهجو، وأيضا ليضفي على أبياته مسحة من الإبداع والجمال، لتعكس قدرته الفنية.

ومن بين شعر الهجاء الذي تكمن فيه السخرية والنقد والبداهة والتلاعب بالألفاظ ما دار بين **ابن عبد ربه** صاحب العقد الفريد وبين الشاعر **أبي محمد بن يحي القلفاط** حيث لقبه القلفاط بـ " طلاس " لأنه أطلس اللحية أي كالذئب؛ حيث يقول **القلفاط**:[1] (السريع)

حَالَ طَلَاس لِي عَن رَائه وَكنتَ فِي قعدُدِأَبنَائِهِ

فرد عليه **ابن عبد ربه**): السريع)

إِن كُنتَ فِي قُعْدُدِ أَبنَائِه فَقَد سَقَى أُمك مِن مَائِهِ

فهذا البيت لابن عبد ربه يحمل نوعا من الفحش والإيحاءات ماأدى إلى خجل القلقاطوحرجه.

ففي هذه الأبيات نكتشف أن القلفاط اسقط حرف الراء من اسم عمر(ابن عبد ربه) فتحول إلى عم وأدى إلى تغير اللفظ والمعنى ، وهذا للسخرية منه وإنزال قيمته بين الآخرين، أما ابن عبد ربه فقد أعطى لكلمة " القعدد" معنى أخر جديد لا يدل على معناها الحقيقي؛ لأنها لا تعني هنا اللئيم وإنما تدل على الآباء ، فالقلفاط يتهكم من ابن عبد ربه بأنه أكثر تعمير وأكبر سنا ، لذا رد عليه "ابن عبد ربه" بهذا البيت الفاحش ، فالشاعران استطاعا توظيف تقنية التلاعب بالألفاظ في معارضتهم، وهذا ما وزاد الأسلوب قوة ورصانة، وتعاظم وقع المعنى في النفس وزاد تأثيرا .

كما استعان "**أبو علي عمر الشلوبين**" بهذه الآلية في هجائه لأحد الأشخاص اسمه قاسم؛ حيث يقول:[2]

وَممَا شَجَا قَلبِي وَفِيض مَدمَعِي هَوَى قَد قَلبِي إِذ كَلفت بِقَاسِمِ

[1]المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص 273، 274.

[2]- المصدر نفسه، ج 5، ص 37.

وَكنت أَظن المِيم أَصلًا فَلَم تَكُن وَكَانَت كَمِيم ألحقتبالِزر اقمِ

تظهر السخرية في هذه الأبيات من خلال توظيف الشاعر آلية التلاعب بالألفاظ، وقد تحققت من خلال لفظة " الزراقم"ومعناها الأصلي الحيات، وأصلها الزُّرْقَة، والميم فيها زائدة فقط، فقد أسقط الشاعر هذه الميم الزائدة على شخص يدعى" قاسم "،فالميم في اسمه زائدة؛لذا فالميم في" قاسم " كالميم في الزراقم؛وهذا للإيماء أنه إنسان قاسٍ فشخصيته عكس اسمه. وقد أحسن فالشاعر في توظيف هذه التقنية مما جعل هجاءه مقذعا، فهو منحه صفحة سلبية تعكس حقيقته، وقد أظهر الشاعر مقصده في صورة متأنقة.

وقد استعان بها بعض الشعراء لإلصاق الصفات الذميمة والمستقبحة بالأشخاص وحتى بالمدن، ومن ذلك قول **"ابن رفاعة"** في هجاء أحدهم:[1]

شَرِيش مَا أَنتَ إِلَّا تَصحِيف شَريبين
فَارحَل فَدِينكَ عَنهَا إِن كُنتَ مِمَن تَدِين
فَقلمَـا سَادَ فِيهَا حروَلَا من يَعِيـن

اعتمد الشاعر في أبياته على كل ما تحمله اللغة من طاقة اشتقاقية كامنة وتحولهاإلى مظاهر سخر وعبث إذ نجد"ابن رفاعة" يسخر من أحد الأشخاص ومن مدينته " شريش" فنجده يحقق هذا التلاعب من خلال التشابه بين لفظتي " شريش " و" شر يبين" فهذا التقارب الصوتي بين الكلمتين هو جوهر التلاعب بالألفاظ إذ يعتمد على قلب المعنى من الايجابي إلى السلبي ، وتكمن روعة هذا الأسلوب في أنه يجعل اللغة سلاحا ذا حدين: فهي من جهة أداة للتعبير ، ومن جهة أخرى وسيلة للتهكم فعند قوله " شريش " ليست إلا تصحيفا لـ" شر يبين" فهو لا يهاجم المدينة فحسب، بل يهزأ أيضا من أهلها ، ولقد اعتمدت هذه الأبيات على التورية والجناس وهي ما زادت النص بعدا تهكميا ساخرا ونغما موسيقيا ، فالشاعر هنا استطاع تطويع لغته وألفاظه بطريقة بارعة لخدمة هجائه وجعله أكثر لصوقا في ذهن المتلقي . ومنه فهذه الآلية تعد وسيلة فنية راقية اعتمدها الشاعر للنقد وللتقليل من قيمة الخصم.

8/ التعريض: وهومن أهم آليات السخرية، وأعرق الأساليب فيها ويعرف بأنه خلاف التصريح، وقد ذكره ابن قتيبة بقوله: ".... التعريض والعرب تستعمله في كلامها كثيرا فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف في كل شيء ويقولون (لا يحسن التعريض إلا ثلبا) " [2]، وعرفه التنوخي بأنه " أسلوب وفن من فنون الكلام غير المباشر فلا يصرح فيه المتكلم بمبتغاه، وإنما بالإشارة إليه، ومعناه أن يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصود ويصلح للدلالة على غير مقصود"[3]. كما بيّن"ابنرشيق"أن التعريض من الأساليب البلاغية الساخرة الفعالة في الشعر؛ لذا شدد على أهمية توظيفه بخاصة عند شعراء الهجاء؛ حيث يقول :" وأنا أرى أن التعريض أهجى من التصريح ؛ لاتساع الظن في

[1] ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص306.

[2] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2 ،ص 277.

[3] أيمن عبد الغني ، الكافي في البلاغة البيان والبديع والمعاني ، ص 107

التعريض ، وشدة تعلق النفس به ، والبحث عن معرفته ، وطلب حقيقته "[1] نعاين من هذا النص أن الناقد يقر بوجوب استخدام التعريض باعتباره أشد وقعا من التصريح، وأكثر اتساعا للظن والتأويل مما يجعل النفس تنجذب إليه،وتسعى إلى تحديد دلالته المحتملة؛ لأن التعريض يجعل النص مغلقا قائما على تعدد القراءات، بخلاف التصريح الذي يعتمد على المعنى المباشر الواضح، ولا يعتريه أي إبهام أو تأويل؛ أي يجعل النص مفتوحا وضاحا لا مجال لتعدد القراءة. وسنحاول أن نستشهد ببعض النماذج التي تعكس أهمية هذه الآلية التي استعان بها الشعراء باعتبارها آلية فعالة تكسب النص سخرية مضمرة، وهذا ما يعزز الهجاء ويجعله أشد إيلاما وقوة، ومن دعابات التعريض التي تدل على الغرض المقصود ما جاء به أحد الشعراء، ؛إذ يقول:[2]

فِي بَنِي الحَيَان سر فِيه لِلعَالم < آيَــة>

يَفهم القَوم بِشَيءِ نَسأَل الله الكِفَايَــة

اعتمدت هذه المقطوعة على التلميح الرمزي ، إذ يكشف الشاعر من خلالها عن هجائه الساخر لخصمه بطريقة تعريضيةوتلميحية، حيث أشار إلى أن في قوم "بني الحيان " سر عظيم وموقف جليل للعالم ، أما في قوله " يفهم القوم بشيء" فهنا دليل على أن هذا السر لا يفهمه إلا البعض وهذا ما جعله بختم أبياته بالدعاء من الله أن يمن عليهم بفهم واستيعاب هذا السر العظيم ، ومنه فالشاعر يسخر من هؤلاء القوم على محدودية فهمهم وقلة إدراكهم ، ولقد استخدم خاصية التعريض في جعل هجائه مشفرا يحمل نوعا من التلميح من خلال قوله " نسأل الله الكفاية " ليدل على النقص الذي يلازم هؤلاء القوم في قلة الاستيعاب ، ولعل توظيف الشاعر لهذه التقنية أضفى بعدا فنيا وجماليا على مقطوعته من خلال تلاعبه بالألفاظ .

كما استعان أحد الشعراء بالتعريض في هجائه لغلام جميل كان يصحب رجلا يسمى بالبعوضة، فاتسمت أبياته بسخرية لاذعة؛ إذ يقول :[3] **(المتقارب)**

أَقُول لِشَادنكم قَولَة وَلَكِنهَا رَمزةٌ غَامضَة

لزُوم البَعُوض لَهُ دَائِمًا يَدُل عَلَى أَنَّهَا حَامضَة

اتكأ الشاعر في هجائه على التعريض، إذ لمح ونقد المهجو بطريقة غير مباشرة؛ حيث وصفه بلفظة "حامضة"؛ أي شبهه بمادة تجذب البعوض، وهذا إيحاء بسوء خلقه بأسلوب ساخر للحط من قيمته وهذا يدعم الهجاء، ويقوده إلى نقد فعال بطريقة فنية ذكية،وهذه الآلية جعلت حديثه مبطنا غير مباشر يعكس التعريض، ويحمل رسالة نقدية خفية من خلال قوله أن لزومه لهذا الشخص وعدم الابتعاد عنه يدل على

[1] ابن رشيق القيرواني، العدة في محاسن الشعر،وآدابه،ونقده، ج2 ، ص 172،173.

[2] ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، ص 546.

[3] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج2، ص499.

امتثاله بصفاته وأخلاقه (حامضة). أما **الأعمى المخزومي** فقد استغل عيب الحول لأحد الأشخاص وتفنن في التعريض به؛ حيث يقول :[1]

وَتزُوز إِحدَى مُقلَتَيهِ لِأُختِهَا كَأَنَّهُمَا عَنزَانِ تَنطَحَانِ

يشير هذا البيت إلى هجاء تهكمي يصور فيه الشاعر بطريقة ساخرة أحد الأشخاص، ويصف عيوبه وسلبياته، ويبين حوله بأن إحدى عيناه تميل وتنحرف عن موضعها حتى تصل إلى العين الأخرى، كما شبه عينا الرجل بالعنزتان المتصادمتان والمتلاصقتان، فهنا تشبيه ساخر غرضه تحقير الشخص وإذلاله، وتشويه صورته للآخرين، فهذا تعريض بالأحول، وهذه الآلية أعانت الشاعر على رسم صورة مشوهة وساخرة لهذا المهجو،وهذا ما زاد الهجاء حدة وبلاغة وبيان.

وعلى ضوء ما تقدم ، نستطيع القول أن التعريض من الآليات الضرورية التي تسهم في توليد السخرية وقد وظفها الشعراء لنقل هجائهم بأسلوب متقن وبارع ، وبطريقة مبطنة ومموهة وذلك دون التصريح المباشر بالنقص والعيب الذي يلازم المهجو، وإنما تعتمد على التخفي والإضمار والتلميح ، حتى يسعى المتلقي إلى فك شفرات هذا الأسلوب من خلال القرائن والرموز التي يتركها الشاعر ، وهذا ما يجعل النص أكثر إثارة وتأملا ، فالشاعر يسعى من خلال هذه التقنية إلى إرساء هجائه الساخر لإيصال رسائله المشفرة وسخريته المضمره ونقده اللاذع للمتلقي بطريقة فنية تدل على براعته وحنكته في الجمع بين دقة الأسلوب وبين التهكم الساخر ما يجعل نصه أكثر عمقا ودلالة .

9/ التورية :هي " أن يذكر المتكلم لفظا له معنيان، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والأخر بعيد، ودلالة اللفظ عليه خفية ويريد المعنى البعيد، ويورى عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع لأول وهلة أنه يريده، وهو ليس بمراد ، ومن ثم سميت ايهاما "[2]، وتعد من أبرز الآليات التي تنقل المعنى إلى معنى آخر وتخرق المألوف، وهذا ما يجعلها قادرة على إثارة الضحك؛ لأنها تخلق صورة مشوهة للمهجو، وهذا ما جعلها أساسا في السخرية ونستدل بذلك ب" أن أعرابي كان يأكل مع أبي الأسود الدؤلي ،وكان يأكل لقما كبيرة ،وينهم،فسأله أبو الأسود :ما أسمك ؟ قال:لقمان،فقال له :صدق أهلك في تسميتك،أنت لقمان "[3]. وهذا ما جعلها آلية ساخرة، فحضورها، يمنح الهجاء قوة وفعالية نظرا لطاقتها وجمالها في بناء الخطاب الساخر، ومن أبرز النماذج الشعرية التي تجلت فيها هذه الآلية على سبيل التمثيل لا الحصر قول الشاعر "ابن رضوان المالقي" قد استخدم التورية في هجائه فنجده يوري كلمة " مالك" حيث يقول:[4]

---

[1] الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ج1، ص 256.

[2] أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني البديع، دار الكتب العلمية، ط3، 1414، 1993، بيروت ،لبنان ، ص 327.

[3] ينظر، حامد عبده الهوال ، السخرية في أدب المازني، ص41.

[4] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، ج6، ص 111.

بَخِيل لمَا دَعـــوه لسُكْنى مَنزل بِالجنَانِ ضَنَّ بذلك
قَالَ لِي مخزنٌ بـــدَاريَ فِيه كلُّ مَالِي فَلَستُ لِلدَّارِتَارِك
قُلتُ وَفَقتُ لِلصَّوَابِ فَحَاذَرقَولَ خل مُرغِّب فِي انتِقَالِك
لَا تعرّج عَلَى الجنَانِبسُـــكنى وَلتَكُن سَاكِناً بِمَـخزنِ مَالك

نعاين من هذه الأبيات سخرية الشاعر من بخل المهجو، وقد أظهره من خلال المبالغة في وصف عزوف البخيل عن الجنة لتعلقه بماله، وهذا تصوير ساخر لتضخيم سوء خلقه، وتحقيق الاستهزاء، وقوله:«قلتُ وفقت للصواب" يظهر لأول وهلة كأنه مدح، ولكنه تلميح لسخافة قراره، كما تبينت براعة الشاعر الفنية وثراءه اللغوي أيضامن خلال توظيفه لآلية التورية في هجائه ، فنجد التورية جلية في لفظة : مالك" والتي قامت عليها السخرية، فقد أعطى لها معاني مختلفة فالمعنى القريب الظاهر هو أن "مالك" هنا تعنى الغني الذي يملك وفرة في الأموال والرزق، أما معناها البعيد وهو المراد هو أن " مالك " هو صاحب الجنة، فالسخرية تكمن في أنالشخصالبخيللم يهتم بالعمل للجنة وللدار الآخرة، وإنما اهتم بمخزن المال؛أيبالأموال التي يجمعها في الدنيا ، فالشاعر وظف التورية كوسيلة للسخرية من أولئك الذين يفضلون الحياة الدنيا وزينتها على الآخرة ونعيمها، وهذا ما زاد من حدة هجائه وجعله أشد إيلاما.

كما يوظف"**أبو جعفر بن الخيال الاستبي**" التورية في هجائه لمن اسمه " فضل الله"؛ حيث يقول:[1](الطويل)

مِنَ النَّاسِ مَن يُؤتِي بِنَقْدٍ، وَمِنهُم بِكُرهٍ، وَمِنهُم يَنَاك إِذَا انتَشَى
وَمِنهُم فَتَى يُؤتَى عَلَى كُل حَالَة وَذَلكَ فَضلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَا

يهجو الشاعر في هذه الأبيات كل التصرفات السلبية، وقد ظهر بشكل واضح في قوله: "ومنهم يناك إذا انتشى"، فهذا نقد لاذع موجه لكل فرد لا يتحكم في سلوكياته، ولفظة"يناك" لها معنى مهين؛ حيث تعكس الخنوع والإذعان، بشكل مخزي ومشين، وهذا يعد نقدا أخلاقيا؛ فالشاعر يهجو بطريقة لاذعة كل السلوكيات غير أخلاقية، أما التورية بوصفها آلية فعالة في السياق الساخر، فقد تجلت في عبارة " فضل الله " فهي تحمل معنيين مختلفين : أولهما القريب الموري به وهو اسم الشخص الذي يهجو فيه الشاعر، ويسخر منه " فضل الله " ، أما المعنى البعيد الموري عنه فهو المراد فيعني نعمة من الله وفضله وعطائه، ومنه فالتورية في هذه الأبيات زادت النص إيحاءً، وتأويلا من خلال تصوره لمعنيين مختلفين بطريقة موجزة فالشاعر استخدم كلمة واحدة ذات معنى مزدوج ، مما أثارت انتباه المتلقي في كشف المعنى الخفي والأعمق لهذه اللفظة .

ونجد أيضا "**لسان الدين بن الخطيب**"يهجو من أحد القضاة بطريقة ساخرة؛ حيثيقول :[1]

[1]المصدر نفسه ، ج6، ص 30.

بلُوشَة قَاضٍ لَه زوَجَة وَأَحكَامهَا فِي الوَرَى مَاضِيَة

فَيَالَيتَهُ لَم يَكُن قَاضِيا وَيَا لَيتَهَا كَانَت القَاضِيَة

نعاين أن هذه الأبيات تعكس قدرة الشاعر على التلاعب والعبث بالمهجو، وذلك من خلال رسم صورة تحقيرية ومضحكة له؛ لأنه يولي زوجته إصدارالأوامر والأحكام، وهذا ما جعل حكمه فاسدا وظالما، أما في قوله " فيا ليته لم يكن قاضيا " فهنا الشاعر يتحسر في تولي هذا القاضي لهذا المنصب،لأنه لم يكن يحكم بين الناس، أو يفصل بينهم في الخصومات، لذا سعى الشاعر إلى هجائه بطريقة قوية وقاسية، تبعث على الضحك والاستهزاء. أما التورية في هذه الأبيات فقد تجلت في كلمة " القاضية " حيث تحمل دلالتينمتباينتين: الأولى ظاهرة قريبة،تفهم مباشرة وهي أن" القاضية" هي زوجة القاضي،أماالمعنى البعيد والخفي، وهو المقصود؛ إذ يحتاج إلى تأمل واستنباط. وهو هنا يعني المنية أو الموت الذي يقضي على كل شيء ويفني الحياة، فالشاعر هنا شبه زوجة القاضي بالموت الذي يفني كل ما هو موجود، وقد برع الشاعر في استعارة هذه العبارة من القرآن الكريم، وهذا ما أضفى على أبياته قوة وتأثيرا، من خلال جعل المعنى أعمق وأكثر بلاغة.

ومنه يمكن القول أن التورية تسهم بشكل كبير في تحقيق السخرية ، وهي من الآليات البلاغية الدقيقة التي أولى لها الشعراء اهتماما بالغا ووظفوها في أشعارهم وقصائدهم ، لما تضفيه من لمحة وقدرة تصويرية ساخرة ؛ لأنها تقوم على ازدواجية المعنى ، المعنى القريب الظاهر وهو الغير مقصود ، والمعنى البعيد المضمر وهو المقصود، وبذلك فهي حيلة لغوية يعتمدها الشاعر ليخرقأفق توقع السامع ويجعله يسعى إلى اكتشاف عوالم المعنى الخفي في أبياته ، وهذا ما يجعل الشاعر يستخدمها للابتعاد عن الهجاء المباشر لخصمه وجعله في صورة تحقيرية مضحكة بطريقة لطيفة ومهذبة .

10/ التكرار: يعد التكرار من أهم الظواهر الأسلوبية التي تؤدي دورا بارزا في تشكيل الإيقاع، " فالتكرار هو:" الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني، والتكرار هو أساس الإيقاع بجميع صوره فنجده في الموسيقى بطبيعة الحال كما نجده أساسا لنظرية القافية في الشعر، وسر نجاح كثير من المحسنات البديعية كما هو الحال في العكس والتفريق والجمع مع التفريق ورد العجز على الصدر في علم البديع العربي " [2]. كما أن" التكرار هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى: والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أوأي غرض من الأغراض" [3]،لذا فالتكرار أسلوب يعبر عن انفعال النفس بالمثيرات الوجدانية " واللفظ المكرر هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة ، لاتصاله الوثيق بالوجدان، فالمتكلم لا يكرر إلا ما يثير انتباهه واهتمامه، وهو يحب أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه، فاللفظ المكرر هدفه الإثارة حباأو بغضا في أي غرض من أغراض الكلام. وهو يعد أداة من أدوات

[1]م،ن، ج6، ص 30

[2]مجدي وهبة، مجدي المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، مكتبة لبنان، ط2 ،بيروت، 1984م، ص 118،117.

[3]بدوي طبانة ، معجم البلاغة العربية ، دار المنارة للنشر والتوزيع ، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، جدة ، الرياض ط3، 1988، ص573.

التقرير، ويرجع ذلك إلى أنه يزيد الشيء المكرر تميزا عن غيره. ولهذا كان التكرار أو الإلحاح هو الركن الرئيس الذي يقوم عليه فن الدعاية. وهذا ما جعل الشعراء الذين يريدون تقرير إحساسهم أن يتخذوا التكرار أداة ناجعة ومعبرة عن مرادهم [1].

ويقر"ابن رشيق" أن" التكرار يكون من باب الازدراء والتهكم والتنقيص "[2]،وبذلك فالتكرار لا يكون بابه ايجابيا دائما، فقد يأتي من باب الاحتقار وتقليل قيمة الشخص، والسخرية اللاذعة منه، والتي تظهر عكس صفاته، كما أن غرض التكرار هو التنقيص والتقليل من شأن الشخص بين الناس ووضعه في مكانة متدنية؛ لذا عد التكرار من أهم آليات توليد السخرية؛ لأنه يقوم على إقناع وترسيخ مضمون الخطاب الذي يريده في المتلقي. ولعل التكرار الساخر لا يعتمد على تكرار اللفظة بعينها أي تكرار اللفظ نفسه، بل يمكن أن تسهم المواقف المتكررة هي الأخرى في أداء دورها ووظيفتها، وقد استعان الشعراء الأندلسيون بدورهم بهذه الآلية في شعرهم؛ إذ نجد "أبا حيان الغرناطي" قد استحضره في خطابه حينما هجا أصحاب البشرة السوداء هجاء ساخرا، وفضل البيض بأسلوب ذي طابع فكاهي ساخر؛ إذ يقول :[3]

إِذَا مَالَ الفَتَى لِلسُّودِ يَومًا فَلَا رَأَى لَدَيه وَلَا رَشَاد

أَتَهوَى خنفسَاء كَأَن زفتًا كَسَا جلدًا لَهَا وَهوَ السَّوَاد

وَمَا السَّودَاء إِلَّا قَدَرٌ فُرنٍ وَكَانُون وَفَحْم أَو مدَاد

وَمَا البَيْضَاء إِلَّا الشَّمس لَاحَت تُنِير العَين منهَا وَالفُؤَاد

سَبيكَة فِضَّة حُشِيت بِوَردٍ يَلذ السَّهر مَعَهَا وَالرقَاد

وَبَينَ البَيْضَ وَالسَّودَان فَرق لَدَى عَقل به اتَّضَحَ المُرَاد

وُجُوهُ المُؤمِنِينَ بِهَا اَبيضَاض وَوَجه الكَافِرِين بِهِ اِسوِدَاد

تحمل هذه الأبيات طاقة كامنة من السخرية والاستهزاء، وهذا ما جعل الهجاء قويا وفعالا وبخاصة من ذوي البشرة السوداء، حيث قام الشاعر بالمفاضلة بينهم وبين البيض، وقد ربط السواد بقيمة سلبية، وناقصة سواء أكان في الشكل أو الجوهر، حيث شبه من اتصف باللون الأسود بلون الخنفساء التي غطاها الزفت دلالة على السواد الشديد، كما اقتصر على جعل السواد للأشياء القاصرة والفاسدة، والناقصة مثل القدر المتسخ،الفحم، المداد.... في حين يرفع من قيمة البياض ويشبهه بالشمس التي لاحت في الأفق تنير العين

[1] ينظر ، عز الدين علي السيد ، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، ط1 ،بيروت ، 1398هـ، 1978م، ص 138،137

[2] ينظر ، الحسين بن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ،تح : محمد قرقزان ،ج2، ط1، دار المعرفة ، بيروت ،1408هـ، ص 844.

[3] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، ج3، ص 328.

والقلب ، وتريح النفس بجمالها ، ولقد اختتم الشاعر أبياته باستشهاده بالرمز الديني من خلال أن وجوه المؤمنين تبيض يوم القيامة ، أما وجوه الكافرين فهي سوداء كالظلام ، فهنا كأنه جعل البياض رمزا للخير والإيمان، أما السواد دليل على القبح والكفر .وقد استخدم الشاعر أسلوب التكرار اللفظي في لفظتي " السواد " و " البياض " بطريقة إبداعية متفننة ، بهدف نقل صورته الساخرة لمهجوه للاستهزاء به والحط من قيمته، فقد كرر لفظة السواد قصد تأكيد فكرته الرئيسية وهي السخرية منه، حيث أراد أن يرسخ في ذهن المتلقي أن السواد لا يكون إلا في الأشياء القبيحة، أما البياض فهو للأشياء الفاضلة ، كما أن تكرار لفظتي البياض في مقابل السواد أدى إلى تقوية المعنى وتعميقه، وهذا ليزيد من شدة تأثيره في المتلقي،ويكون المعنى أسمى وأبلغ ، ولعل الشاعر في مقطوعته مال إلى الألفاظ البسيطة والسهلة حتى تفهم بطريقة سلسة ، مما أعطى لأبياته بعدا دلاليا، وخلق إيقاعا موسيقيا متناغما يجذب السامع إليه ، وهذا ما يدل على براعة الشاعر وقوة شاعريته . كما استعان بهذه الآلية الشاعر "يوسف بن هارون الرمادي" لتوليد سخرية قاسية في خطابه الهجائي؛ إذ يقول:[1]

فَلَيسَ كَمَن إن تَسلهم عطَاءً يَمْدُوا أَكَفهم لِلعَطَاءِ

إِذَا جِئتهُم بِالمـدِيحِ انـــزووا كَـأَنَّكَ تَأتِيهم بِالهِـجَاءَ

لعل المتمعن في هذه الأبيات يرى أنها تقوم على السخرية القاسية والنقد المباشر للبخلاء والمقترين، حيث رسم لهم الشاعر صورة فنية إبداعية وظف فيها التكرار الساخر بشكل واضح وجلي، وهذا ليؤكد معناه ويضاعف نقده اللاذع ويدعم هجاءه المقذع واللاذع للذين لا يستحقون المدح، بسبب بخلهم وقلة عطاءهم، ولقد افتتح أبياته بأسلوب نفي ليبين أن هؤلاء البخلاء الذين يخاطبهم ليسوا كمثل أصحاب العطاء والسخاء، حيث نفى عنهم صفة العطاء لمن يسألهم معروفا أو مالا أو عطاء يبخلون بما عندهم ، فالعطاء عندهم معدوم ،بسبب شحهم، أما في قوله " يمدوا أكفهم للعطاء " فهنا كناية عن البخل الشديد، حتى وإن أثنى عليهم استقبلوا هذا الثناء كأنه ذم، ولعل الشاعر استفاد من التكرار اللفظي وأورده في أبياته في كلمة " عطاءً" و" للعطاء " وهذا لتأكيد وتقوية معناه وجعله أكثر لصوق في الذهن بأن هؤلاء البخلاء لا يقدمون أي عطاء ، وهذا ما انعكس على نفسيته فأخرج أبياته بطابع من الغضب والهجاء وقد نقل هذه المشاعر،والأحاسيس إلى متلقيه ليبين مدى سخطه وغيظه من إمساك وإقتار هؤلاء البخلاء . ولقد أضفى هذا التكرار نغما إيقاعيا زاد نصه جمالا وترابطا،واكسبه تناغما موسيقيا جميلا لأبياته.

ونجد «**لسان الدين بن الخطيب**"يوظف تقنية التكرار في هجائه، حيث يقول:[2]

بِطَرِيق بِيرَة أجَبل وَعُقَـــاب لَا يَرتَجِي فِيهَا النَّجَاة فِيهَا عقَاب

فَكَـأَنَّمَا المَاشِي عَلَيهَا مُذنِب وَكَـأَنَّمَا تِلكَ العِقَاب عِقَاب

[1] الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، ص 253.

[2] لسان الدين بن الخطيب،الديوان، ص 320.

توزعت السخرية في كل مفاصل الأبيات حيث تظهر في أعماقها ومن خلال دقة صياغتها ونسجها، ولقد افتتحها الشاعر بهجائه لمدينة " بيرة " هجاءً قاسيا بوصفه لطريقها بأنها أشد خطرا وصعوبة لمن يسلكها وانه معرض لكل أنواع الهلاك والعقاب فلا نجاة له فيها بسبب جبالها وعقابها، كما يبين أن الماشي في هذه الطريق فهو مخطئ ومدان،فكأن السير فيها عبارة عن ذنب يهلك صاحبه.

ولقد عمد الشاعر إلى توظيف التكرار اللفظي في كلمة " عقاب " قصد تقوية فكرته وتكثيف معناه بأن لفظة عقاب تعمق فكرة الخطر الشديد والهلاك الدائم للذي يسير في طريق بيرة ،وهذا ما يجعل القارئ يشعر بثقل هذه الطريق وما تنجر من عواقب السير فيها ، كما أن الشاعر أجرى هذا التكرار لإبراز المعنى وتضخيمه وجعله أبلغ ،كما جعل سخريته أشد وقعا وقوة ، ولقد اقتصر الشاعر في أبياته على الألفاظ اليسيرة المباشرة والواضحة لتوصيل معناه وجعله أكثر لصوقا في ذهن السامع ، ولعل تكرار لفظة "عقاب " أضفى نغما موسيقيا خاصا يلفت انتباه المتلقي بأن هذه الكلمة محورية في النص للدلالة على شدة الخطر ، كما أنها زادت من قوة التأثير النفسي للمتلقي بأن العقاب يلاحق من يسلك هذا الطريق . ومنه يمكن القول بأن الشاعر أبرز مهارته وتفوقه في استخدام ظاهرة التكرار في أبياته بطريقة بسيطة ولكنها ذات تأثير كبير على المتلقي.

11/ المناداة بالألقاب:وهي آلية سهلة وواضحة يمكن أن تسهم في توليد السخرية، إذ قد يستخدم الساخر أسماء الحيوانات كألقاب لمناداةمسخوره بها، ثم يستعمل هذا النعت فيما بعد اسما يطلق على هذه الشخصية وتعرف به،كما يستخدم كذلك عكس ما يتصف به الشخص حقيقة كألقاب تتكرر كثيرا في صور منوعة ومناسبات مختلفة حتى يلتصق هذا الاسم بهذه الشخصية كإطلاق صفة السبع على النحيف، كما يمكن استخدام الألفاظ الأجنبية، وهذا لزيادة قوة الهزء وإدخال عنصر الغرابة كما نجده استعمال أسماء الرذائل وإضافتها إلى من يدعون التمسك بأهداب الفضيلة كإطلاق لفظة " الشيخ متلوف" هزءا وسخرية على الفاسد ، والأمين على اللص [1]، وقد نهى الله تعالى عن هذه السمة لما ينجر عنها من كراهية،وتفرقة وبغضاء بين الناس تهدم أواصر المجتمع وفي ذلك قوله تعالى ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(سورة الحجرات ، الآية 11). وفي هذا السياق نجد قول الشاعر "لسان الدين بن الخطيب"، وهو يهجو أبا الفتح فيقول :[2](المنسرح)

يَا بَغل طَاحُونَـة يَدُورِبِهَـــا مُجتَهِد السَّير مُغمض البَصرِ

يصور هذا البيت نوعا من الهجاء القاسي؛ إذ عمد إلى السخرية من أبي الفتح بطريقة متقنة بارعة المعاني منسجمة الألفاظ ، حيث نعته بكل الصفات الذميمة والمنبوذة بطابع من الهزل والسخرية فقد شبهه بالبغل الذي يحرك الطاحونة ويدور بها دون توقف فهو يجتهد في تحريكها وتدويرها ، كما يصفه بأنه " مغمض البصر" أيأنه يسير ويعمل بلا وعي ودون أي تفكير فيما يصنع ،ولقد تعمد الشاعر إلى استخدام لقب "البغل"

[1] ينظر، نعمان محمد امين طه، السخرية في الادب العربي ، ص 38/37.

[2] المقري،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، ج5، ص 141.

كرمز للوزير الذي يعمل بجد وكد لكن دون أن يدرك ما يعمل وهذا اللقب ولّد سخرية لاذعة ، ولعل ما يميز هذا البيت هو اتسامه بسرعة الإيقاع التي تدل على الحركة المستمرة فهذه الألفاظ تحمل طاقة تصويرية تجعل القارئ يتخيل المشهد أمامه، فالشاعر استطاع أن يظهر قدرته على تحويل شعره إلى مشهد حي تمتزج فيه الحركة بالتهكم اللغوي الدقيق ، فالسخرية هنا ليست في الفكرة فقط بل في طريقة الأداء وتركيب الألفاظ ما جعل لفظة " البغل " صفعة لغوية ساخرة للمهجو .ومن ذلك أيضا قول**"ابن رضوان المالقي"**في رجل يلقب بالبعير :[1]

وَذَى لَقب عنت لَهُ عِندَ صحبه مَأَرِب لَم يسعد عَلَيهُنَ مسَعَد

دَعُوه بَعِيرًا فَاستَشَاط فَقَال مه أَبَا أَحمَد، وَارتَدَّ عَنهُم يهدهد

فَقُلت لَهُ عُد نَحوَهُم لتَعُود مِن مَرَامِك بِالمطلُوبِ توفَى وَتحمد

فَقَالَ وَقَد غَص الفَضَاء بِصوتهِ وَقَد هَدرت مِنه الشَّقَاشق تزيد

لَئِن عُدت نَادُونِي بَعِيرًا كَمثلهَا فَقلت لَهُ لَا تَخشَ فَالعُود، أَحمدُ

تتضمن هذه الأبيات سخرية قوية ومريرة، تولدت من خلال لقب البعير الذي نعت به الشاعر هذا الرجل، وهذا اللقب اشتهر به بين أقرانه، ولكنه كان لا يستسيغه وتجلى ذلك من خلال قوله " مه " أي توقفوا عن مناداتي بهذا اللقب وأن ينادونه باسمه " أبا احمد " حيث ارتد ابتعد عنهم لتهدئة نفسه ، لكن الشاعر ينصحه بالعودة إليهم ليأخذ منالله ومرامه ويكون محمودا بينهم ، لكنه غص الفضاء بصوته وانفعاله الشديد ، وغضبه في الرد على الشاعر ، بأنه لو عاد سينادونه بالبعير، وهذا يحقق صورة مضحكة، والشاعر يطمئنه بأن العود احمد أي أن عودته فيها خير، فهذه الآلية أسهمت في نظم هجاء ساخر يعتمد على الفطنة اللفظية والتهكم. وبذلك فقد وظف الشاعر هذه التقنية بطريقة ذكية تظهر براعته الشعرية.أما**"أبو عامر أحمد بن دريد** الكاتب"يقول في رجل يلقب " بالفار " وقد تاب من شرب الخمر :2(الطويل)

أَتَانِي عَنِ الفَأرِ الحقير بإنه تحرج عَن شرب الكؤوس الدَوَائِرِ

فَقُلْتُ لَهُمْ سِرٌّ جَهِلْتُمْ مُرَادَهُ وَ إِنّي لَعَلاّمٌ بِغَيْبِ السَّـــرَائِرِ

فَمَا عَابَ شُرْبَ الخَمْرِ إلاّ لأنَّهَا تَلُوحُ بِأَعْلاهَا عُيُونُ السَّنَانِرِ

[1]المصدر نفسه ، ج6، ص 11.

[2]ابن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 78.

تأخذنا هذه المقطوعة إلى تصور روح السخرية ، لجأ فيها الشاعر إلى استخدام الألقاب كوسيلة للاستهزاء والتهكم ، وللتقليل من شأن المسخور منه وتعرية زيفه الذي يختفي وراء لقيه، فقد وظف الشاعر لفظة " الفأر" لوصف هذا الشخص الذي تاب عن شرب الخمر وابتعد عنه، فنجده يسخر منه حين يربط لقب الفأر بشكل الكأس التي تلوح بأعلامها عيون السنانرأي أن هذا الفأر يخاف من الكأس لأنها حرام شرعا كما يخاف الفأر من السنانر (القطط)، فهنا الشاعر عمد إلى جعل خصمه يسقط من علياء التوبة إلى درك الجبن والخوف ، ولقد تعمد استخدام هذا النوع من السخرية؛لأنه يدرك عمق الأثر والوقع النفسي الذي تتركه في نفسية خصمه ، بأن هذا اللقب ليس مجرد اسم، بل هو جزء من طباعه وهذا ما يحدث حرجا كبيرا لهذا المهجو ، فالشاعر حول هذا اللقب البسيط إلى محور التهكم والسخرية بما يحمله من معاني الجبن والخوف والنفاق وهذا ما أدى إلى تشويه صوره الخصم أمام الآخرين . ومنه فالشاعر استطاع بذكائه اللغوي أن يحول هذا المشهد وهذه التفاصيل إلى أدوات فنية ساخرة للنقد والهجاء تثير الضحك وتحط من شأن الخصم .

ومن ذلك أيضا قول "ابن الآبار القضاعي"،صاحب الحلة السيراء انه كان يلقبه أعداؤه بـ " الفار" حيث دار بينه وبين أبي الحسن علي بن شلبون المعافري مهاجاة؛ قال فيها شلبون:[1]

لَا تَعجبُوا لمضرة نَالَت جمِيـ عَ النَّاس صَادرة عَن الآبَار

أَوَلَيسَ فَارَاخلقة وَخَلِيقةُ والفَأرمجبُول عَلَى الأضرَارِ

فأجابه ابن الآبار :[2] (الكامل)

قُل لِابنِشلبُون مقَال تَنَزُّه غَيرِي يجَازِيك الهجَاء فجارِ

(إِنَا اقتَسمنَا خَطَّتينَا –بيننَا فَحملت بَرَّةَواحتملت فجَار)

والطريف في قول ابن الآبار أنه يسمي نفسه برة (من البر) ويصفها كذلك لما تشتمل عليه من صفات الخير كما تدل عليها معانيها : فهو واصل الخير ،متسعفيالإحسان صادق ودود ، مطيع وفي غير عاق . بينما يسمي المعافري بالفجار (اسم معدول عن الفاجرة) . وينعته بكل ما يحمله اسمه من معان تنبعث من المعاصي : فهو عاصٍ ،كاذب ،فاسق ،مخالف ، زان فاسد.[3] ولعل الأوضاع السياسية والظروف غير المستقرة جعلت الشعراء ينقمون من الملوك والأمراء وينعتونهم بالذل والصغر،لأنهم كانوا يطلقون على أنفسهم ألقابا عالية المكانة وفي هذا نجد قول **أبي بكربن عمار** وهويهجو ويحتقر ملوك الطوائف؛ إذ يقول :[4]

[1]المقري ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، ج3، ص 349.

[2]المقري،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج3، ص 350.

[3]عبد الله نافع، الهجاء في الشعر الأندلسي، ص 109.

[4]المقري ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج2، ص 199.

مِمَا يزهدنِي فِي أَرضِ أندَلُسٍ تَلقب معتضد فِيهَا وَمعتمدِ
أَلقَاب مَمْلَكَة فِي غَيرِ مَوضِعِهَا كَالهِر يَحكِي اِنتِفَاخًا صُورَة الأَسَدِ

نعاين من هذه الأبيات أن الشاعر استخدم في هجائه هذه الآلية التي أسهمت في توليد سخرية مريرة تعكس نقمه وسخطه على ملوك الطوائف في الأندلس ، بسبب انتشار الألقاب البراقة والرنانة " كالمعتضد "و " المعتمد " ولكن هذه الألقاب لا يقابلها الأفعال الدالة عليها من قوة ، وسلطة حقيقية ، وإنما هي ألقاب مزيفة خادعة ، حيث كشف الشاعر بأسلوب تهكمي ساخر عن أن هذه الألقاب ما هي إلا مظاهر كاذبة ، وألقاب مضللة وملفقة لا أساس لها ووضعت في غير موضعها ،لا علاقة لها بالواقع المرير والضعف السائد، والظروف السياسية غير المستقرة ، والانقسامات التي كانوا يعيشونها آنذاك ، ولقد دعم الشاعر سخريته بتوظيف الصور البلاغية ، فقد استخدم التشبيه التمثيلي، حيث شبّه الشاعر هيئة من يسمىبألقاب لا يستحقها بهيئة هرّ يحاكي صورة الأسدغرورا ليخفي ضعفه، فهنا إشارة إلى الضعف والهوان ، فهذه الصورة جسدت السخرية في معناها الأصلي من خلال التناقض بين أسمائهم وتصنعهم الهيبة والقوة في أداء أعمالهم ومسؤولياتهم، فالشاعر استطاع نقد هذه الأوضاع السياسية السائدة بطريقة بارعة موظفا سخريته وتهكمه اللاذعوهذا ما حقق هجاء ساخرا بأسلوب ذكي يعكس براعة الشاعر وقدرته على انتقاد ما هو كائن، واستطاع أن يقنع المتلقي؛ لأن السياق السياسي والاجتماعي في تلك الحقبة يفضح الأوضاع التي كان يعيشها الفرد الأندلسي.

وقد استغل الشعراء ما في ألقاب الناس من أشياء تدعوا إلى السخرية والاستهزاء، ومن ذلك قول أحد الشعراء في شاعر يلقب بـ" البعيرة":[1]

قَالُوا البَعِيرَة يَهجُونَا فَقلت لَهُم مَاذَا دَهيت بِه حَتَّى من البَقرِ
هَذَا وَلَيسَ بثُورٍ بَل هُو ابنته وَ أين مَنزِلة الأُنثَىمِن الذَّكرِ

لقد جمع الشاعر في هذه الأبيات بين الفكاهة والهجاء عبر سخريته من أحد الشعراء الملقب بـ" البعيرة " وقد عمد إلى التشهير بلقبه كوسيلة لتحقيره وإذلاله والحط من شأنه، باعتبار البعير من الحيوانات الضعيفة المعروفة بالبلادة ، وقد أسقط هذا الوصف عليه،ولقد افتتح أبياته بالاستهزاء به في قولة " قالوا البعيرة يهجونا" فهذه العبارة تدل على الازدراء والاستخفاف والاستصغار بالخصم، كما يكمل في تهكمه بسؤال ساخر " ماذا دهيت به حتى من البقر" فهنا يقصد ما الذي أصابه وابتلاه حتى أصبح من البقر، وهذا مازاد من حدة السخرية،والاهانة، ويبين مدى ضعف شأن هذا الشاعر فهو ليس بثور (ذكر البقر) وإنما هو ابنة الثور ، ويختتم أبياته بسؤال استنكاري يبين منزلة وقيمة الذكر من الأنثى وبين أنمهجوهأقل مكانة وقيمة، فالشاعر تفنن في وضع الألقاب التحقيريةليقلل من قدره ، ويجرده من صفاته الآدمية ويحطه بمرتبة الحيوان

[1] المقري ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص 144.

، كما نزع منه كل سمات القوة والرفعة، وهذا ما جعل لقب " البعيرة " سلاح ساخر في يد الشاعر أهان بهالمهجو وحط من مكانته.

ومن المساجلات التي قامت بين **ابن صارة** وبين **الأبيض** حيث قام ابن صارة بهجاء الأبيض لكن الأبيض رد عليه بقصيدة هجائية موجعة ذات ألفاظ تهكمية ساخرة، ازدرى فيها بشاعرية ابن صارة وبمكانته حيث يقول:[1] (الكامل)

جن ابنَ صَارَة والحَوَادث تعرض وَالكَلب فِي مَهوَى العَصَا يَتَعرَض

اغرُوه أَن قَالُوا شويعر قطعة لَا شَاعِر فَحل يَمرو يَنقص

وَلَقد نَزوت عَلَى القَوَافِي نَزوة كَادَت لَهَا ابكَارهَا لتمحص

وَالله لَولَا أن يُقَال تَجَاهَلَا إِني صبوت وَإِن رَاسِي ابيَض

لَجعلت غرمُول الحمَار بِكفه حَتَّى يَرَى هَل فِيه عَرق يَنبِض

تورد هذه المقطوعة نوعا من الهجاء القاسي وجهه الشاعر لابن صارة حتى يقلل من موهبته، وينقص من شاعريته بالاستخفاف به والنيل منه ، حيث ابتدأ أبياته بهجوم قاس بطريقة لاذعة و ساخرة من خلال قوله انه أصيب بالجنون من الحوادث والمصائب التي تعرض لها ، فقد شبهه بالكلب وهذا تشبيه تحقيري يدل على إذلاله والتقليل من شأنه بسبب غباء "ابن صارة" وبلاهته فهنا الشاعر أطلق عليه لقب الكلب لتحقيره ونزع صفة الآدمية عنه، كما بين كيف أن الناس زادوا الشاعر غرورا عندما أطلقوا عليه اسم شويعر وهي تصغير لكلمة شاعر أوردها الشاعر للازدراء والهوان به ، لأنه ليس بشاعر متمكن فحل حتى لو تعرض للنقد أو للذم لا ينقص ذلك من موهبته وفحولته الشعرية ، كما اتهمه بابتعاده عن نظم القوافي وهذا دليل على عدم تمكنه من الشعر، ويبين الأبيض نزاهته وامتناعه عن الرد عن "ابن صارة" ليس جهلا منه وإنما خوفا من اتهامه بالتصرفات الصبيانية الساذجة رغم كبر سنه وشيب رأسه ، وهذا ما يبين حياء الشاعر واحترامه لتقدم عمره ومكانته العالية لذا ترفع عن هذا الفعل وتنزه عنه ، ويستمر في هجائه في البيت الأخير حيث أخرجه بطريقة عنيفة ووحشية جارحة ، وجه فيه إهانته لمسخوره بألفاظ فاحشة وقاسية تبين مدى قسوته عليه حيث أنزلها بأسلوب صارم يدل على مدى قدرة الشاعر وتفوقه في الهجاء.

12/ الالماع: وحقيقته ملحظ أو إيماءة تلميحية، تصوب إلى شخص أو شيء ما قصد الانتقاص من قدره وتحقيره على وجه الخصوص[2]، ويبرز هذا التعريف نوعا خاصا من عرض قضية ما عرضا مفارقيايلحظه المرء فيما تهمله المفارقة أكثر مما يلحظه فيما تذكره صراحة. فإذا قلنا مثلا: انه كان ذكيا في الأيام الأخيرة! فان

[1] التجيبيالمرسي ،زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر ، ص 67.

[2] ينظر، محمد العبد، المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي، ط1، 1415هـ، 1994م، ص 152.

السر في هذا الكلام ، يكمن في أن غباءه، هو الوضع الطبيعي المألوف، وأن ذكاءه شيء يجعله ملحوظا ومراقبا، وإذا تأملنا في أشعار الشعراء الهجائين في الأندلس حري بنا بالإشارة إلى التضاد بين المعنى المباشر والمعنى غير المباشر، في هذا اللون من المفارقة والذي يعد أقرب إلى الالماع، بل هو من صميمه بالفعل؛ لأن الالماع غايته إنزال المتهكم به منزلة متدنية تليق به، أو تنقل غايته إلى طلب النقائص التي يشار بها إلى ذلك المتهكم به [1].ومن بعض النماذج الشعرية التي تجلى فيها "الإلماع" نجد قول الشاعر "**السميسر**" وهو يهجو أبا عبد الله ابن الحداد الشاعر وينقص من مكانته ، ومن شاعريته؛ حيث يقول:[2] (السريع)

قَالُوا اِبن حَدَّاد فَتَى شَاعِر قُلتُ وَمَا شِعر اِبنَ حَدَاد

أَشْعَارهُ مِثلَ فِرَاخ الزِّنَا فَتِّش تَجِـــد أَخبَثَ أَولَاد

يسخر الشاعر في هذه الأبيات من عبد الله ابن الحداد ويحط من قدره ومنزلته، ويشكك في موهبته الأدبية ، وملكته الشعرية بطريقة تهكمية ازدرائية، بقوله أن هناك من الناس يمدح ابن الحداد ويصفونه بأنه شاعر فحل، ولكن الشاعر رد عليهم بسخرية وباستنكار في أن شعره بلا قيمة ؛ أي تعمد إلى التقليل من موهبته الشعرية ، ويستمر الشاعر في إرسال وخزات الهجاء لهذا الشاعر حينما شبه شعره بـ " فراخ الزنا " وهذا التشبيه يبعث على الاهانة والاستحقار، فهو تمليح بأن شعره لا قيمه له،فلو فتشنا فيها لا نجد لها أصلاًو مكانة، وهذا ما زاد من اهانته وتقزيمه . فالشاعر أجاد وأحسن في توظيف تقنية الالماع وصوبها إلى هذا الشخص (ابن الحداد) قصدا للانتقاص من قدره وتحقيره، والاستهانة والنيل منه.

ويذهب"**ابنالخطيب**"في السخرية من "أبي الفتح" بطريقة فكاهية وهزلية ساخرة ، تقلل من شأنه وتحقره؛ إذ يقول:[3]: (المنسرح)

يَا كَمَد اللَّون ينطَفِي كمدًا مِن حَسد يَستَطِير بِالشَّررِ

يَا وَلَد السّحق غَير مكتم حَدِيثه، يَا ابنَ فَاسد الدّبرِ

عَهدِي بِذَاكَ القفَا الغَلِيظ وَقَد مَدّ لوقع المهند الذّكرِ

تميزت أبياته بهجاء فاحش وذم لاذع لأبي الفتح حيث وصف لونه الأسود من شدة غيظه وحزنه كالذي يحترق بنار الحسد الذي يتطاير شرارها فهو شخص يشتعل الحسد في صدره ما أدىإلى تغير لونه وذهاب جماله ، ويواصل الشاعر لذعات هجائه المؤلمة وسموم سخريته وطعناته اللاذعة للمسخور منه حينما هجاه بهجاء قاس وفاحش فقد اعتبره من أصل سيء وفاسد كما أن خُلقه رديء، فهنا دلالة على

[1] ينظر، المرجع نفسه، ص153.

[2] احسان عباس ، تاريخ الأدب الاندلسي ، عصر الملوك والطوائف ، 140..

[3] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، ج5، ص 142،141

أخلاقه المنحطة واصله الذميم ، كما أن الشاعر يستحقر مسخوره ويستهزأ به على بلاهته وبلادته في صورة تستدعي الاهانة والذل ، ولقد أحكم ابن الخطيب بناء نصه ويظهر ذلك من دقة معانيه وبلاغة ألفاظه ما يدل على عمق فكره ، كما نلمح براعته وقدرته العالية في تطويع آلية الالماع لخدمة نصه وغرضه الهجائي وذلك للتقليل من قيمة خصمه وإذلاله.

أما**"يوسف بن عبد الصمد"** فأنشد قصيدة أمام المعتمد يفتخر فيها بشاعريته ويهجو منافسيه من الشعراء أمثال ابن اللبانة، والقزاز، والحجام ، ويحط من مكانتهم ؛ إذ يقول:[1]

وَالشِّعر بَهجَة إِذَا نَطَقْتَ بِهِ بَينَ المَحَافِلِ أَلسُن الأَعيَانِ

مَا كَانَ قَول الشِّعْرِ إِلَا خطَة كَانَت مَرَاتبهَا عَلَى كيوَان

حَتَّى تدنس ثَوبهَا بِزعَانف نَشَأت عَلَى الاوضَاروَالأدرَان

مَن صنعة القزَازوَالجَزَارأَو من صنعة الحجَام وَاللَّبَـــان

يصور الشاعر في هذه الأبيات قيمة الشعر باعتباره من الفنون السامية؛ إذ يعبر عن البهجة والسرور التي يتركها في المحافل، وخاصة بين أصحاب الذوق الفني الرفيع، والملكة الشعرية العالية، والإدراكالجمالي،وهذا ما جعله خطة رفيعة لها مراتب ومقامات على كيوان، أي على مستوى رفيع في المجتمع،ولكن الشاعر بعد ذلك يظهر سخطه مما حل بالشعر في هذا الزمن ويهجو منافسيه من الشعراء ، حيث يؤكد أن الشعر تدنس وفسد بسبب قوله من طرف أشخاص غير مهتمين بالشعر ولا بجودته كفن راق، فالشاعر هنا وظف صورة بيانية في قوله " تدنس ثوبها " هذا إيماء إلى رداءة الشعر وسطحيته وعدم إتقانه، ثم يستخدم لفظة "الزعانف" ؛ أي وصل الرداءة والانحطاط بـ" الزعانف" وهي تمليح إلى شعراء صغار كانوا سببا في هذا السقوط، ثم وصل هذا الانحدار بـ:"صنعة القزاز والجزار أو صنعة الحجام واللبـــان"، وكل هذا إلماع إلى كل من ينظم الشعر في تلك الحقبة وهو غير حاذق في الصنعة، وهذا ما أدى إلى تراجع قيمة الشعر ومكانته، وهذا ماجعل الشاعر يصوب سهام سخريته نحوكل من يقول الشعر وهو لا يمت له بأي صلة ما جعل الشعر تتراجع منزلته،حتى أصبح مجرد كلام لا معنى له، فالشاعر استخدم هذه الآلية ليمنح سخريته المرارة، ويحمل المتلقي على ضحكة مريرة أيضا، وهذا ما يسقط المهجو ويجعله في أدنى المرتب.ولعلالسميسر في هجائه للبربر يقول :(البسيط) [2]

رَأَيتُ آدَم فِي نَومِي فَقُلتُ لَهُ أَبَا البَرِية ان النَّاس قَد حكمُوا

أَن البَربَر نَسلٌمِنكَ، قَالَ: اِذَن حَوَّاء طَالقَة إِن كَانَ مَا زَعَمُوا

[1]ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم 3، ج2، ص 814.

[2]التجيبيالمرسي،زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر، ص 78.

لعل المتأمل في هذه الأبيات يرى أن الشاعر تجاوز الهجاء المباشر والسخرية الظاهرة إلى التلميح ليحقق غايته النقدية دون أن يصرح وذلك باستخدام الالماع أو اللمحة الخفية التي تغني عن التصريح كوسيلة للهجاء ، حيث نرى أن"السميسر" يستخدم هذا الأسلوب في هجائه للبربر دون أن يهاجمهم صراحة، حيث لجأ إلى استخدم رمز الإنسانية آدم عليه السلام يخاطبه في حلمه قائلا " أبا البرية أن الناس قد حكموا أن البربر من نسلك " فهذا الخطاب يبدو بريئا في ظاهره وبدايته لكنه سرعان ما يتحول إلى سخرية جارحة حين يجعل آدم يرد في قوله:" حواء طالقة إن كان ما زعموا " ، فبهذه الجملة التي تحمل نوعا من الالماع استطاع الشاعر أن يهجو بها البربر بأقسى ما يمكن من عبارات الهجاء دون أن يذكرهم مباشرة ، فقد أوحى بأنهم ليسوا من نسل البشرية وهذا ما بصور تهكما رمزيا حاد، فهذه الصورة تكشف مستوىً عال من الحيلة البلاغية ، فالشاعر لم يوجه أي إهانة صريحة للبربر؛ ولكنه جعل حواره مع آدم عليه السلام في حلمه مطية لإضفاء طابع طريف على هجائه، وجعله إشارة ذكية للسخرية لا يفهمها إلا القارئ الفطن . ومنه فالشاعر برع أيما براعة في توظيف هذه التقنية في أبياته ما جعل سخريته راقية تفتح للقارئ باب التأويل وتحول ألفاظه إلى أدوات للضحك المر من المهجو .

وختاما، يتضح أن الالماع من الآليات الجوهرية التي استند إليها الشعراء الأندلسيون في توليد سخريتهم،بغية تدعيم هجائهم، باعتباره طريقة تقوم على التلميح والإيماء في السخرية من الشخص أو من أي شيء وذلك للتقليل من قيمته وشأنه، والانتقاص من مكانته، ولعل استخدام الشعراء لهذه الآلية يعكس قدرتهم وذكاءهم في تحقيق غايتهم والوصول إلى مقصدهم وهو كشف مثالب وعيوب المهجو،مما يؤدي إلى الحط من منزلته وتحقيره أمام الآخرين.

ونستنتج مما سبق أن :

- استناد السخرية إلى جملة من الآليات كالمحاكاة الساخرة، التصوير الكاريكاتوري، المبالغة،المفارقة، التهكم الهجائي، الالماع، المناداة بالألقاب .....وهذا ما أضفي طابعا فنيا وجماليا عليها.
- تسعى السخرية من خلال آلياتها إلى إثارة الضحك، وإصابة هدفها وغايتها التي جاءت من أجلها دون تجريح أو إساءة أو انتقاد جارح، ولكنها في أحيان أخرى تكون جارحة،وفاضحة، ولاذعة في نقدها، وهذا ما جعلها قريبة من الهجاء، ودفع الشعراء الأندلسيون إلى استخدام آلياتها في شعرهم الهجائي، وذلك لقدرتها على الخفاء والتلميح والنقد وإثارة الضحك، وكل هذا يسهم في إبعاد الهجاء عن السب الجلي والمباشر والارتقاء به، وبخاصة أن هناك من النقاد من أقر أن الهجاء لا تتحقق فيه البلاغة إلا إذ جرى مجرى الهزل والتهافت، وتراوح بيت التصريح والتعريض، وتميزت معانيه بالقرب وسهولة الحفظ.

- اعتماد آليات السخرية على التخفي والإضمار فهي لا تصرح بالمعنى الحقيقي، وإنما تلبسه طابعا من السخرية والتهكم لتظهره بطريقة ذكية ولطيفة، وأحيانا بطريقة لاذعة، وهذا ما مكنها من تدعيم وتعزيز مقصد الشعر الهجائي.
- تمظهر المبالغة بشكل كبير في الخطاب الساخر بوصفها آلية أساسية لقيام السخرية في الشعر الهجائي الأندلسي، لأنها تقوم على تضخيم العيوب وتهويلها،وبذلك فهي تدعم مقصد الهجاء وهو الانتقاص والتجريح والإمعان في الاحتقار، وتسهم أيضا في تحقيق مقصد التقويم والإصلاح لبعض المثالب والعيوب. كما أنها ترفد الأثر التداولي للهجاء الذي يظهر جليا في رد فعل المتلقي؛ إذ ترفده بالابتسامة إلى جانب الضحك الانتقاصي الذي يحققه الهجاء.
- اعتماد السخرية على آلية التلميح لقدرتها على تحقيق الغاية التي يريد الشاعر الوصول إليها عبر سخريته من خصمه؛ وذلك بأقل قدر من الإيذاء والإيلام، وهذا ما جعل الشاعر يستعين بها في خطابه لتخفيف من حدة الهجاء، وفي الوقت نفسه كشف النقائص والعيوب، الموجودة خارج النص.
- تفنن الشعراء الأندلسيون في توظيف هذه الآليات في غرض الهجاء؛ لأن السخرية تزيده حدة باعتبارها من أقوى الطرق الهجائية في تحقيق الخفاء والتلميح، والنقد والإضحاك، وهذا ما أضفى على أشعارهم نوعا من التجديد والإبداع وجعلها قادرة على تطهير النفس؛ لأن السخرية مكنتهم من الجمع بين الجد والهزل في خطاباتهم.
- اعتماد الشعراء على هذه الآليات يعكس ذكاءهم ومكرهم، وخفتهم؛ إذ تمكنوا من تعزيز هجائهم بأسلحة تهكمية خفية وزاجرة تصيب الهدف وتحقق المقصد، وهو كشف العيوب والنقائص وحمل المتلقي على اتخاذ موقف معين، وبخاصة إذا كان السياق يدعم مبتغاهم.

ثانيا- وظائف السخرية في سياق الشعر الهجائي:

تعد السخرية أسلوبا بلاغيا يحمل في ثناياه رسائل مشفرة ومضمرة وخفية، تقوم على النقد اللاذع والاعتراض على بعض السلوكيات، وذلك في قالب فكاهي وهزلي مثير للضحك، تسعى من خلاله إلى تهذيب المجتمع وإصلاحه، وتطهيره من المفاسد والرذائل، والنقائص التي تشوبه،وبما أن السخرية والهجاء أدوات نقدية، فإنه يمكن الاستعانة بهما معا، وتحقيق نوع من التكامل بينهما بغية النقد والإصلاح، وبخاصة أن السخرية يمكن أن تؤدي وظائف متعددة في هذا المجال مما يعزز هدف الشعر الهجائي، وهذا لدورها البارز في الحياة، وبذلك فوظائف السخرية في سياق الشعر الهجائي تحدد الغرض الذي تؤديه بوصفها آلية معززة لمقاصد وغايات الهجاء؛ فهي في سياقه ليست مجرد آلية للانتقاد والتهكم، بل تتضمن وظائف متنوعة تساند الشاعر في تحقيق مقصده وتأثيره في السامع،ولعل من أبرز وظائفها ما يأتي:

1-الوظيفة الاجتماعية:

يعد الأدب ناموسا وقانونا اجتماعيا، يتخذ من اللغة وسيلة له، يحاكي بها الحياة؛ لأن هذه الأخيرة تعد حقيقة اجتماعية؛ ولأن الأدب يرتبط عادة في نشأته بقوانين اجتماعية معينة، ويؤدي وظيفة اجتماعية، فهو بذلك لا يمكن أن يكون فرديا خالصا، لأن معظم المباحث التي تثيرها الدراسة الأدبية تكون في مباحث اجتماعية، تبحث عن السنن والقيم والعادات والأجناس[1] ....، وفي ذلك يقول تومارز(Tomars)" أن النواميس الجمالية لا تبنى على أسس من النواميس الاجتماعية ، بل إنها ليست جزءا من النواميس الاجتماعية، إنما هي نواميس اجتماعية من نمط معين مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنواميس الأخرى "[2]، فهذا القول يعترف بوجود علاقة بين النواميس الجمالية والاجتماعية، وبذلك يمكن النظر إلى العالم الخارجي، والداخلي للفرد

[1]ينظر ،رينهوليك ،وآستنوان ، نظرية الادب ، تعريب عادل سلامة ، دار المريخ للنشر ، المملكة العربية السعودية ،الرياض ، 1412 هـ/ 1992م، ص131.

[2]المصدر نفسه ،ص131.

بوصفهما موضوعا للمحاكاة الأدبية، لكن تبعا لقواعد خاصة؛ لأن الشاعر لا يخلق النواميس الجمالية فقط، بل هو مبدع،وناقد وفعال في هذه النواميس سواء أكانت الجمالية أو الاجتماعية، فهو الذي يجسد تلافيفها المعقدة في متونه مبدعا رؤى جديدة للعالم الذي يعيش فيه متجاوز لما هو مألوف بغية النقد وإصلاح المجتمع، وتوجيه أفراده وترغبهم في قيم أخلاقية وتنفيرهم من كل العيوب التي تفسدهم باعتبارهم أعضاء فعالين في مجتمعهم.

كما يعد الهجاء من الأغراض الأساسية التي تلتحم بدورها بحياة الفرد الاجتماعية منذ القدم؛ لذا فقد انبثق هذا النمط الشعري من روح المجتمع، وكل ما يحمله في ثناياه من انتقاد للعادات والتقاليد القبيحة والمرفوضة في المجتمع، كما هاجم ونقد كل المفاسد والعيوب والآفات التي تمس الأخلاق، لذا نجده في كثير من الأحيان في البيئة الأندلسية اتجه إلى كشف عيوب المجتمع؛ إذ عمل على إبراز مختلف الانحرافات التي تهدد تماسكه، ذلك أن المجتمع الأندلسي مسته تغييرات في البنية التركيبية والمجتمعية والفكرية، كما أن هذه البيئة تقوم على نظام الطبقات الاجتماعية: طبقة الملوك والوزراء الذين يديرون شؤون الدولة وطبقة القضاة والفقهاء الذين يتولون أمور الدين والقضاء، ونجد كذلك طبقة الشعراء التي تتساوى فيها جميع الفئات؛ لأنهم اتخذوا الشعر كمتنفس يراه كلاً من منظوره الخاص فالملك والوزير يتخذونه للهروب من أمور الحكم، وفئة تتخذه كمورد للرزق والكسب، وهذا ما جعل الشعراء يتنافسون عليه، كما شهدت البيئة الأندلسية تطورا وتقدما عظيما فلم تعد تابعة للمشارقة؛ لذا عمد العديد من الشعراء والشاعرات إلى رصد مختلف العيوب المتجلية في بيئتهم، وكشفوا عن سخطهم وتذمرهم من هذه الحياة، وما تحمله من تناقضات[1]،وبذلك فقد التزم الشاعر الأندلسي الهجّاء بقضايا مجتمعه، فاستطاع من خلال ملكته الشعرية أن يركز على كل النقائص، والمثالب الخُلقية والخِلقية للفرد، وسلب كل ما هو إيجابي عن الخصم/المهجو، ووضعه في مكانة منحطة تستدعي التهكم والاستهزاء، والتندر رغبة منه في معالجة وإصلاح هذه عيوبه؛ وربما هذا ما جعل الشاعر يستعين بالسخرية في هجائه بغية النقد، وفضح مختلف العيوب المتجلية في المجتمع نحو: الظلم، الفساد، النفاق، البخل وغيرها من السلوكات المشينة غير المستساغة بين الأفراد، وذلك بهدف الاستهزاء وكشف السلبيات والتناقضات الظاهرة في المجتمع بأسلوب بارع يلفت نظر أصحاب النُهى، ويعمل على التقويم والتعديل والإصلاح.

وهذا يعني أن الشاعر لابد أن يكون ملتزما؛ إذ يتخذمن «إبداعه وسيلة لخدمة فكرة معينة عن الإنسان لا لمجرد تسلية غرضها الوحيد المتعة والجمال، والأديب الملتزم هو المقدر لمسؤولية إزاء قضايا الإنسان والمجتمع في عصره "[2]، ويبقى الالتزام حسب تصور "**عبد النور جبور**"... حزم الأمر على الوقوف بجانب قضية سياسية أو اجتماعية أو فنية، والانتقال إلى التعبير الخارجي عن هذا الموقف بكل ما ينتجه الأديب أو الفنان من آثار "[3]. وبذلك فالالتزام هو أن يعمد الشاعر أو الأديب إلى تبني موقفٍ صريحٍ وثابتٍ تجاه قضية اجتماعية، أو

[1]ينظر، نافع عبد الله، الهجاء في الشعر الأندلسي، ص 81/80.

[2]وهبة مجدي، كامل المهندس، معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، ص58.

[3]جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2،1948، ص 31.

سياسية، أو فنية ويكون التعبير عن هذا الموقف بنقله من مجرد لمحات داخلية وأفكار تختلجه إلى تعبير خارجي؛ أي أن يحول المبدع أفكاره إلى إنتاجات إبداعية ويصبغها بالصفة التجلي لإرسال رسالة هادفة بغية التأثير في الآخرين، وتعديل تصرفاتهم، وبذلك فالالتزام هو فكرة يتبناها الكاتب أو الأديب ويسعى إلى تحقيقها بوصفه جزء لا يتجزأ من المجتمع الذي يعيش فيه؛ لذا وجب أن يكون فعالا في تحقيق التغيير والإصلاح.

ولقد تأثر الشعر الأندلسي بما كان حوله من مظاهر وتطورات أسهمت في إبداع الشعراء باعتبار الشاعر ابن بيئته؛ لذا يعد أدبه مرآة عاكسة لما يجري حوله، لأنه قد جعل ملكته الشعرية استجابة للواقع الذي يعيشه وينقل تجاربه، لذا " كلما قويت صلة الإنسان بالواقع كان أقدر على الإحساس به وأحرص عليه، وأشد اهتماما بأن يكون منسجما ومقبولا. فكل شيء يمس هذا الواقع، ويعاكسه يصبح في نظر الإنسان هدفا للحرب أو المقاومة "[1]. خاصة أن السخرية ليست آلية للضحك فقط، بل سلاح فعال يدعم الهجاءمن أجل تحقيق غايته بفاعلية مستثمرا الضحك كأداة ساحقة لتقويض المهجو وفضحه أمام الجمهور.

فـ"السخرية لا تعنى مجرد الاستهزاء والانتقاص من اللامرغوب فيه والمبتذل. إنها بديل أخلاقي وإيديولوجي للأخلاقي الرديء..." .[2] ونفهم هنا أن السخرية لا تعني الاستهزاء والتقليل من مكانة المهجو، بل هي نقد أخلاقي وأيديولوجي لكل ما هو رديء، ولهذا يستعين بها الشاعر في شعره الهجائي؛ إذ يفتتح قصيدته بسخرية لينة من سلوك معين، أو عادة ثم يتدرج إلى الهجاء مستعينا بآليات السخرية لإبراز العيب بعينه وكشفه وفضحه بغية التقويم والتصحيح والتنفير منه. وعليه فالهدف الأسمى الذي سعى شعراء الهجاء إلى تحقيقه اجتماعيا هو تناول نقائص ومثالب ورذائل المجتمع وهفواته وتعرية الواقع لتظهر المعاناة الاجتماعية، والعمل على تصحيحها وتصويبها ومعالجتها، والابتعاد عنها وتوجيه الإنسان نحو مسار أفضل، يتبنى الخير والصلاح والكمال، وعليه فالاستعانة بالسخرية ليس دائما لتحقيق الضحك والهزل فحسب، وإنما الإصلاح والتهذيب. كما يتبناها أيضا بعض الشعراء بوصفها قناعا لتنبيه الظالمين والأشرار والمتعجرفين دون أن يخاطروا بأنفسهم بالتصريح [3].

وقد وظف الشعراء الأندلسيون السخرية في هجائهم لتقديم صورة عن الواقع وما يحويه من مشاكل وآفات أصابتأفراده، وهذا من أجل استفزاز المهجو، وإظهار سلبياته وعيوبه، بلغة سهلة ورصينة للفت الانتباه وتوجيه النقد بغية الاصلاح الاجتماعي. ويظهر **"ابن عبد ربه"** وهو ملتزم بقضايا عصره التزاما تاما حيث سخر من أحد البخلاء نظرا لطمعه وجشعه، فشبهه إياه بالذئاب، وهذا ما جعل هجاءه آلية للضغط الاجتماعي؛إذيقول :[4] (الكامل)

---

[1] حامد عبده الهوال ، السخرية في أدب المازني ، ص24.

[2] عبد النبي ذاكر، استراتيجيات السخرية في رواية (إميلشيل)، مجلة فصول، مصر، العدد 2 ، 1993، ص 317.

[3] ينظر، شمسى واقف زادة، الأدب الساخر، أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، فصيلة دراسات الادب المعاصر، العدد الثاني عشر، جامعة ازالاسلامية،إيران، 1390 هـ، ص 105.

[4] ابن عبد ربه، الديوان، ص25.

رَجاءٌ دُونَ أَقْرَبِه السَّحابُ وَوَعْدٌ مِثْلُ مَا لَمَعَ الْسَّرَابُ
وَدَهْرٌ سَادَتِ الْعُبدانُ فِيهِ وعِاثَتْ في جَوَانِبِهِ الذِّئابُ
و أَيَّامٌ خَلَتْ مِنْ كُلِّ وَدُنَيا قَـــدْ تَوَزَّعَهَا الكلَابُ
كِلابٌ لَوْ سَـــأَلْتَهُمُ تُرَاباً لَقالوا عِنْدَنا انْقَطَعَ التُّرَابُ

استعان الشاعر في هذه الأبيات بطاقة خفية من السخرية والاستهزاء، ليعبر عن استيائه من المهجو؛حيث ابتدأ الشاعر أبياته بخيبة أمل كبيرة من هؤلاء البخلاء حتى الرجاء منهم أصبح بعيد المنال كالسحاب، والوعد صار كلمع السراب يظهر، ويختفي وهذا ما يدل على النفاق والخداع، وهذا يعد نقدا لاذعا،كما يُظهر الشاعر تشاؤمه من هذا الدهر الذي ساء فيه الناس، وكثرت فيه الذئاب وهذا دلالة على انتشار الغدر فيه؛ لأن الذئاب رمز للمكر والخداع، وهذا ذم لما آلت إليه الأخلاق، ويستمر في سخريته من هذا الزمن الذي خلا من كل خير حتى أصبحت الدنيا ملكا لمن لا يستحقها، وهذا ذم وتحقير لمن يسيطر على الناس، ويؤكد الشاعر على بخل هؤلاء الناس وشدة شحهم من خلال تصوير موقفه منهم؛إذ حتى لو طلبت منهم شيئا بسيطا وزهيدا "كالتراب" قالوا عندنا انقطع التراب"هو تأكيد على قيمة البخل الذي وصلوا إليه، وهنا تتجلى السخرية المريرة؛ إذ تعكس مدى انحطاط أخلاقهم، وبذلك فهذه الأبيات عبر فيها الشاعر عن الواقع الاجتماعي من خلال وصف البخلاء وشدة بخلهم وسوء طباعهم. وبذلك فمقصده هو ذم هذا السلوك بأسلوب يلفت انتباه المتلقي، ويؤثر في أصحاب هذه الصفة الذميمة للإقلاع عنها، وعليه فالسخرية عززت من قوة الهجاء وكشفت الانحطاط الأخلاقي لدى هؤلاء البخلاء.

كما نجد أيضا الشاعر**"ابنالحداد"**قد استخدم السخرية في شعره ليعزز من طاقة هجائه للمعتصم بن صمادح بسبب بخله وطمعه، وهذا ما جعل هجـــاءه بالغ النـــــقد والذم، وجعله أيضا آلية للضغط النفسي على المهجو؛ إذ يكشف التدني الأخلاقي، فيقول :[1] **(الكامل)**

يَا طالبَ المعروفِ دُوْنَكَ فاترُكَنْ دارَ المَرِيَّةِ وارفُضِ ابنَ صُمادِحِ

رَجُلٌ إذا أَعْطَاكَ حَبَّةَ خَـــرْدَلٍ أَلْقَـــاكَ في قَيْـــدِ الأسِـــيرِالطائح

لو قَد مَضَى لكَ عُمْرُنُوْحٍ عِنْدَهُلا فَرْقَ بينكَ والبعيدِ النَّازِحِ

استعان الشاعر بالسخرية في شعره ليجعله أكثر نقدا،وتأثيرا، وتجلى ذلك من خلال تصوير ظاهرة اجتماعية منبوذة في المجتمع وهي البخل،حيث افتتحها الشاعر بمخاطبته للذي يطلب المعروف بأن يترك دار المرية فهي دار شح وبخل، كما رفض المعتصم بن صمادح الذي عُرف بلؤمه وبطمعه وبخله الشديد ، فكأنه يأمر بالابتعاد عن هذا البخيل لعدم حصول طالب المعروف على أي خير أو كرم منه، وهذا يعكس ذما صريحا،أما في قوله "رجل إذا أعطاك حبة خردل" فقد جسد سخرية ومبالغة؛ إذ أن هذا الشخص لو أعطى

[1] المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج5، ص 50.

أصغر الأشياء وأضألها جعل المعطي كالأسير الطائح ؛ أي جعله ذليلا عنده وهذا ما يرمز إلى درجة البخل، وهذا يعد مبالغة لكشف حقيقته، ويستمر الشاعر في إرسال أسهم السخرية حينما أبرز قوة بخله، وقلة عطائه حتى لو عاش هذا السائل للمعروف معه عمر نوح، فهنا مبالغة في طول المدة والزمن الذي تعيشه معه ورغم هذا يعتبرك كالغريب النازح؛ أي لا يعطيك أي مودة أو رحمة، وهذا دليل على عمق البخل الذي عرف به، فالشاعر هنا يقدم سخرية قوية وذما شديدا للمهجو على بخله المفرط وقلة وفائه،وقد نسج الشاعر أبياته مستعينا بالسخرية ليقدم نقده بنبرة قوية وتهكمية، وبلغة متينة وعميقة تؤكد أن البخيل لا يمكن أن يتغير أو يصبح كريما حتى لو عشت معه دهرا، وبذلك فالسخرية استطاعت تعرية وفضح صفة ذميمة يعاني منها المجتمع، وهي البخل والبخلاء، وبذلك دعمت الهجاء في نقده وفضح العيوب بشكل بارز لقمع الآخر وإصلاح عيبه.

كما استعان"**أحمد بن محمد بن فرج البلوي**"المعروفبالبلساريبالسخرية وهو يهجو أيضا بحامد بن محمدب لبخله ونقص مروءته ويحط من قيمته اجتماعيا، وهذا ما جعلها آلية فعالة في فضح هذا سلوك هذا الشخص ؛ إذ يقول :[1](الكامل)

فَعلَ اللَّئِيم وَليتَـــهُ لَم يَفعَل وَ أَتَى بِفعل مِثلَهُ لَمْ يَحمل

ذَبَح الضّفَادِع فِي الصَّنِيعِ وَلَم يَدَع لِلنَّملِ جَارحة وَلَا لِلقــملِ

وَضَع الطَّعَام فَلو عَلته ذُبَابَة وَقَعت لتكمل شبعَة لَمْ تكملِ

وَكَأَنَّمَا خُرِطت صَحَاف طَعَامَه - مِن دقَة وَدمَامَةٍ – مِن خردلِ

لقد توزعت السخرية في كل مفاصل القصيدة ويظهر ذلك من خلال قوة تعبيرها والوظيفة التي تؤديها ،حيث قدمها الشاعر بصورة هجائية ساخرة لحامد بن محمد الذي اشتهر ببخله الشديد ووضاعته ، وقلة مروءته وقبح أفعاله، ولقد افتتح أبياته بسخرية مباشرة له من خلال ذمه للفعل الذي صنعه وتمنى لو لم يفعله؛ لأنه زاد من قبحه، كما أتى بفعل آخر لا يحتمل كأنه كرر هذا الفعل المشين مما زاد من بشاعة موقفه، وهذا ما جعل السخرية أكثر عمق وتأثيرا، كما صور لنا صنيعته بطريقة تهكمية حينما صنع وليمة ذبح فيها الضفادع، ولم يترك شيئا لا للنمل ولا للقمل وهذا ما يوحي بأن ما قدمه من طعام يعد من أفقر الأشياء وقلتها، وكل ما في هذه المائدة يعكس قبح الطعام وقلته وصغره ، وهذا ما جعل السخرية تبلغ ذروتها من خلال مبالغته في وصف بخل هذا الشخص اللئيم وشحه، وسوء طبعه، فالشاعر هنا صور هذا البخيل بصورة تبعث على الاستهزاء والذل مما يحط من قيمته الاجتماعية بين الناس، واستعان بلغة تحمل إيحاءات قوية لتحقير خصمه، وعليه فالشاعر قد استعان بالسخرية فجاء هجاؤه لاذعا؛ إذ تمكن من خلاله كشف وفضح عيب هذا الرجل، وإنزاله للمكانة الاجتماعية التي يستحقها.

1الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص 254،255

كما تجلت الوظيفة الاجتماعية في تعبير الشاعر "ابن صارة الشنتريني" وهو يلتزم بقضايا مجتمعه من خلال دعوته إلى الكرم والسخاء والإنفاق، والابتعاد عن حب المال وتكديسه، وهذا لأن الزمان غير آمن من الحوادث والمصائب، لذا وجب الاستمتاع بالمال وعدم حرمان النفس من السعادة؛ لأن الكرم يعود بالخير على صاحبه حيث يقول:[1]

أَسعد بِمَالك فِي الحَيَاة وَلَا تَكُن تَبقَى عَليه حِذَار فَقر حَادث

فَالبخل بَينَ الحَـادِثَين وَ إِنَّمَا مَالَ البَخِيل لِحَادِث أَو وَرَاث

إن أول ما نستشفه عند قراءة هذه الأبيات هو أن الشاعر قدم نقدا لاذعا، ولكن بطريقة توحي بذكائه؛ إذ عمد إلى السخرية من صاحب هذه الصفة الذميمة وجعله سخيفا؛ إذ كشف أن البخيل يكدس المال ويَحْرم حتى نفسه من السعادة، ويهدف بذلك الشاعر إلى كشف سذاجة وجهل البخيل مما يجعل المتلقي ينفر من تصرفه؛ لذا حثه على ضرورة الإنفاق، وعدم الإقتار في المال والتمسك به خوفا من الفقر الذي سيواجهه، لأنه يبقى بين حادثين (حادث ووارث)، أي أن من لا ينفق أمواله في الخير فمصيره الفقدان سواء أكان ذلك بسبب حادث مفاجئ، أو الميراث، وعليه فالشاعر وظف السخرية بطريقة نبيهة توحي بقوة بصيرته وإدراكه لهذه الظاهرة الاجتماعية، وهذه السخرية هي التي جعلت نبرة الهجاء تعلو في المقطع الشعري.

كما اتجه بعض الشعراء إلى النقد الديني باعتباره جزءا لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية خاصة في المجتمعات التي يكون فيها الدين ركيزة أساسية تستند إليها سلوكاتهم ومؤسساتهم، وعليه فهو مهم في كثير من الأحيان لفهم بعض السلوكيات الاجتماعية نظرا لتأثيره في البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع، ولهذا نجد الشاعر "**ابن جبير الأندلسي**"استخدم السخرية في هجائه لكثير من الفلاسفة، حيث سخر منهم واتهمهم بالإلحاد وإباحة المحرمات وتحريم ما أحله الإسلام، وبخاصة أن هذه الأفعال تؤثر تأثيرا سلبيا على المجتمع الإسلامي بوصفها محرمات تمس المرجعية الدينية، فيقول :[2]

لأَشيَاع الفَلَاسِفَـــة اِعتِقَاد يَرَون بِه عَن الشَّرع اِنحِلَالا

أَبَاحُوا كُل مَحظُـــــورِ حَرَام وَرَدُوه لِأَنفُسِهِم حَـــلَالا

وَمَا انْتَسَبُوا إِلَى الإِسلَامِ إِلا لِصَون دِمَائِهِم أَن لَا تَسَالَا

فَيَـــأتُون المنَاكر فِي نَشَاط وَيَأتُون الصَّلَاة وَهُم كُسَالَى

أدت السخرية في هذه الأبيات وظيفة النقد اللاذع والحاد لفئة من الفلاسفة عرفوا بمخالفة الدين والشريعة، وإباحة المحرمات ففضحتهم بالكشف عن الفساد الديني والأخلاقي للفلاسفة، وانحرافهم عن القيم الشرعية والعقائدية المنتشرة في المجتمع، وهذا ما أدى بالشاعر إلى اتهامهم بمذهبهم الفكري ، وعقيدتهم الشرعية التي يرون من خلالها أن الشرع فيه انحلال وتقييد للحرية في حياة الإفراد، ويعد هذا

[1] ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة، تح وضبط: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، ج2، ص 252.

[2] عبد الملك المراكشي،الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة،تح: إحسان عباس، السفر 5، ج2، ص611.

فضخ لنواياهم الخبيثة التي تجلت من خلال إباحة المحرمات، وهذا يعد تحريفا للقيم وتحليل ما حرم الشرع حتى تتناسب مع أهوائهم، ورغباتهم الشخصية، ويكمل الشاعر في إظهار غضبه وسخطه من هؤلاء الناس من خلال نفاقهم الديني في أنهم ينتسبون إلى الإسلام لمصالحهم فقط وهي حماية أنفسهم من القتل وسفك الدماء ، فكأنهم يمثلون الإسلام ظاهرا فحسب، حيث وصف أفعالهم بأنهم يأتون المعاصي والمناكر في نشاط وقوة أما الصلاة والعبادات فيتثاقلون فيها، وهذا التناقض يكشف حقيقتهم، وعليه فالشاعر استطاع فضح هذه الفئة من الفلاسفة التي تسعى إلى تخريب المجتمع وهدم قيمه، إذ اتخذوا الدين ستارا لتغطية أفعالهم ، لذا عمد الشاعر إلى تقديم أبياته بصورة هجائية ساخرة تحمل نبرة التحذير من هذه الفئة التي تسعى إلى تفكيك القيم في المجتمع ، وهذا ما يبين أن هذه الأبيات ذات وظيفة اجتماعية إصلاحية باعتبار أن النقد الاجتماعي والديني متداخلان في المجتمع.

كما تنبه شعراء الأندلس إلى ظاهرة اجتماعية أخرى وهي ادعاء المعرفة باعتبار أن المجتمع يضع صاحب المعرفة في مكانة مرموقة، ولهذا تفشت هذه الظاهرة التي لها تأثيرات سلبية على المجتمع، فعمد الشعراء إلى هجاء مدعي العلم؛ إذ يقول أبو حيان وهو يهجو أحدهم هجاءً لاذعا:[1] **(المديد)**

يظن الغَمر أَن الكُتَب تجدِي أَخَاذِهنٍ لِإدرَاكِ العُلُوم

وَمَا يَدرِي الجهُول بِأَنَّ فِيهَا غَوَامِض حَيَّرَت عَقلَ الفَهِيم

إِذَا رَمَت العُلُوم بِغَيرِ شَيخ ضَلَلتَ عَلَى الصِّرَاط المُستَقِيم

وتلبيس الأمور عليك حتى تصير أضل من توما الحكيم

نلمح في هذه المقطوعة روح السخرية المبطنة التي استخدمها الشاعر في هجاء مدعي العلم، حيث انتقده من خلال أن الكتب وحدها لا تكفي لفهم كل الأشياء ولإدراك جميع العلوم والمعارف، لذا وجب خضوعها إلى منهج أو موجه يحاول تفسيرها؛ لأن هذا العلم ليس مجرد كلمات، بل هي مسائل دقيقة تحتاج إلى تفسير وفهم عميق حتى أنها حيرت عقول العلماء والحكماء، فهنا هجاء لعقولهم العاجزة عن إدراك حقيقة العلم، فالمدعي جاهل لا يمكنه فهم الكتب، ولا الوعي بما تخفيه؛ لذا فهو يسخر من هذا المدعي الذي لا يأخذ العلم من شيخ أو عالم متخصص، فأخذ العلوم دون شيخ سيضل عن الصراط المستقيم بسبب الزيغ عن الفهم الصحيح، والتباس الأمور عليه نظرا لاختلاط المفاهيم حتى يضل مثلما أضل توما الحكيم، وهذا يعكس الإهانة والتحقير. فالشاعر هنا يقدم أبياته بطريقة تخدم المعنى الذي يريد إيصاله، وبذلك فهو قد أدى وظيفة اجتماعية من خلال السخرية من الجاهلين والمدعين للعلوم، نظرا لخطورة هذا الادعاء على الحياة الاجتماعية، فقدم شعره بنبرة ساخرة خدمة للهجاء الذي جاء بفضلها أكثر إيلاما وقوة.

[1] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، ج3، ص 32.

كما تمظهرت الوظيفة الاجتماعية أيضا من خلال محاولة الشاعر تقويض بعض السلوكات السيئة في المجتمع؛ لذا نجد الشاعر "المقتدر بن هود" ملك سرقسطة قد استخدم السخرية في هجائه لابن عمه الأمير أبي محمد عبد الله بن هود بسبب أفعاله السيئة، فيقول:[1]

ضَلَلتُم جَمِيعًا آلَ هُود عَن الهُدَى وَضَيَعتُم الرَّأي المُوفّق أَجمعَا

وَشنتم يَمِين الملك بَنِي فَقَطَعتُم بِأَيدِيـــــكم مِنهَا وَبِالغَدر إِصبعَا

وَمَا أَنَا إِلَّا الشَّمس عِند غَيَاهب دَجت فَأَبَت لِي أَن أَنِير وَأَسطعَا

لقد ارتكزت هذه الأبيات على الهجاء الموارب والسخرية المضمرة ، حيث خاطب فيها الشاعر قوم يعرفون بـ" آل هود" ساخرا من أفعالهم الذميمة، حيث يتهمهم بالانحراف عن طريق الهداية، وإضاعتهم الرأي السديد ،فهنا الشاعر يعبر عن مدى جهلهم وسوء تدبيرهم، فقد عمد إلى كشف فسادهم الأخلاقي وزيغهم عن الحق والصواب، كما يستمر في هجائه اللاذع حيث يتهمهم بنقض اليمي ، ومخالفة العهد ويصور خلافهم لعهد الملك بصورة بارعة المبنى قاسية المعنى ويظهر ذلك في قوله " فقطعتم بأيديـــــكم منها وبالغدر إصبعا "؛ أي خالفتم جزءً مما عاهدتم، فهنا الشاعر عمد إلى كشف وفضح زيفهم ونواياهم السيئة في تحليهم بالغدر والخيانة، ويكمل أبياته بتشبيه نفسه بالشمس وسط الظلام الحالك والغياهب المسودة ، تحاول الإشراق وإرسال نورها ، فكأن الشاعر هنا يمثل دور المرشد الاجتماعي والرجل الحكيم صاحب الرأي الصائب وصوت الحق في المجتمع لكنه يعيش بين قوم فاسدين أخلاقيا، جاهلين للحق يمنعون قوله. ومن هنا فقد اكتست هذه الأبيات ملامح الهجاء اللاذع والنبرة الساخرة من خلال ما أدته من وظيفة اجتماعية سعى من خلالها الشاعر إلى كشف نوايا هؤلاء القوم وما يحملون من طباع سيئة وذميمة كالغدر ،الخيانة ، مخالفة العهد .... كما أنه أدى دور المصلح الاجتماعي للتعبير عن مدى خطورة هذه الصفات على المجتمع واستقراره . ومنه فالشاعر استطاع من خلال السخرية تأدية وظيفته وغرضه الذي سعى إلى إيصاله وهذا ما جعل الهجاء أكثر وقعا وقوة على نفسية المهجو.

ويقول **علي بن أبي الحسين** في كذاب:[2]

قَول أشّبهـــهُ خَيَالَا أَيرَى فَعلّل بِالفُؤَادِ مُشَوّقًا

أَووَعدُ أَلف للجَفَاء مؤَالف جَعل الخلَاف إِلَى البعَادِ طَرِيقًا

لَو كُنت تَسأَل هَل صَدقت تَركت: لَا حذراً وَخوفًا أَن تَكُون صَدُوقًا

[1] ابن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب ، ج2 ، ص 439 .

[2] الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، ص259

تتبدّى في هذه الأبيات معان السخرية الرفيعة وصورها الدقيقة ، حيث يفصح الشاعر من خلالها عن رؤيته لصفة ذميمة ومنبوذة في المجتمع ألا وهي الكذب ، حيث نجده يعبر عن حديث سمعه من محبوبته فيشبهه بالخيال ، وهذا دلالة على أنه كلام غير حقيق لا يمكن تصديقه أو الأخذ به ، كما نجده يسأل باستنكار هل يستطيع هذا القول أن يكون فعلا حقيقيا يحرك القلب ويثير الشوق ، فالشاعر هنا يشك في مدى صحة وصدق هذا الكلام ، ويكمل الشاعر في نقده لهذه الشخصية بأنها اعتادت وألفت الجفاء والقسوة فهذه الوعود التي ليس بعدها وصال هي وعود كاذبة ،فهنا صورة واقعية لعدم الوفاء ، ومنه فالشاعر يعبر عن مخالفة هذه الشخصية للوعد ما أدى بهم إلى الفراق ، فهو يخشى تصديقها وتصديق وعودها؛ لأنه يعلم أنها كاذبة ، وحتى لو صدقها فهو يخشى أن تكون وهما ويتأذى بسببها ، وعليه فالشاعر يعبر عن مدى خطورة هذه الصفة (الكذب) على الأفراد لأن الكذب ليس مجرد خلل لفظي بل هو بذرة فاسدة تمزق الثقة بين الناس وتخرق أواصر المجتمع وتهدم المبادئ والأخلاق والقيم مما يهدد كيان المجتمع ، كما أن الكذب يؤدي إلى انتشار الشك والريب بين الناس ما يسقط قيمة الشخص ويحط من وقدره ، ومنه فالشاعر اعتمد السخرية كوسيلة لتدعيم هجائه وجعله أكثر تأثيرا وإيلاما،وكذا سعى من خلالها إلى إصلاح مبادئ المجتمع بالتحذير من خطورة هذه الصفة الذميمة .

وعليه يمكن القول: إن الشعراء استعانوا بسهام السخرية اللاذعة في هجائهم ووجهوها نحو كل السلوكيات السلبية التي برزت في المجتمع الأندلسي بغية الإصلاح الاجتماعي، وقد فضحوها في صورة ساخرة لتعزيز قوة الهجاء وجعله أكثر إيلاما وأشد وقعا على نفس المهجو، وبذلك فالسخرية استطاعت أن تؤدي الوظيفة الاجتماعية في سياق الشعر الهجائي بوصفها آلية إبداعية ورمزية مكنت الشاعر من كشف مختلف التناقضات المتجلية فيأوساط المجتمع، ومهاجمتها، وتحفيز النقد لدى المتلقي وإرغامه على إعادة النظر في الأفكار والمواقف بطريقة إبداعية تأثيرية.

2-الوظيفة التداولية:

تدرس التداولية (pragmatics)اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام، بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعيةلا في حدودها المعجمية، أو تراكيبها النحوية، هي دراسة الكلمات والعبارات والجمل نستعملها ونفهمها ونقصد بها في ظروف ومواقف معينة لا كما نجدها في القواميس والمعاجم، لا كما تقترح كتب النحو التقليدية.[1] وبذلك فالتداولية انتقلت من التركيز على تراكيب الجمل أي (النحو والصرف) إلى التركيز على كيفية استخدام اللغة في التفاعل الإنساني هذا التوجيه يمكننا من فهم اللغة بشكل أكثر عمقا من كونها مجرد رموز أو كلمات؛ إذ أصبحت أداة للتواصل تتشكل بفعل الثقافة، والمواقف، والسياق الاجتماعي.

[1] بهاء الدين محمد مزيد،تبسيط التداولية من افعال اللغة الى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2010م ،ص18.

كما عرفت التداولية عند "فرانسوازأرمينكو"(FrançoiseArminco): بأنها تعني دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية"[1]. وبهذا فهي تتجاوز دراسة اللغة كرموز وتراكيب جامدة لتغوص في بعدها التفاعلي والحيوي؛وهذا يعني أنها لا تقتصر على تحليل الخطاب ككتلة لغوية منفصلة، بل تركز على دور السياق وقدرة اللغة على تحقيق أهداف تواصلية معينة ضمن هذا السياق، وبذلك ففهم المعنى لا ينبع فقط من الكلمات، بل من الظروف المحيطة والموقف الاجتماعي الذي تقال فيه، وعليه فالتداولية تفتح آفاقا لفهم اللغة كأداة تواصل فعالة تتشكل وتتأثر بكل تفصيلة في الموقف، مما يجعلها علما حيويا يلامس حياة الناس اليومية وتفاعلاتهم المتنوعة.

وقد اكتسبت التداولية عددا من التعريفات، بناء على مجال اهتمام الباحث نفسه، ولكن على الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول "التداولية "، وتساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم في جدواها، فإن معظمهم يقر بأن قضية التداولية هي "إيجاد " القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير "التداولية "من ثم، جديرة بأن تسمى "علم الاستعمال اللغوي "[2]، ولعل من أهم التعريفات التي تبسطها نجد:" هي دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل؛ ذلك أن صناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي ، اجتماعي ، ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما "[3]، فهنا التداولية تعنى بدراسة اللغة في سياقها التواصلي، وكيفية استخدامها في الواقع بين المتكلم والمتلقي سواء في إطار مادي كاستخدام الإشارات أو الكتابة .... أو اجتماعي؛ أي الموقف الذي قيلت فيه، أو حتى لغوي، وهذا حتى تصل إلى تحقيق الفعالية، والمعنى الحقيقي والكامن للتواصل.

ولقد عمد شعراء الأندلس إلى تمرير رسائلهم المضمرة والساخرة عبر هجائهم في طابع هزلي ممتع، يتخذ من الإقناع والحجاج وسيلة له لإفحام خصمه وإذلاله، ذلك لأن السخرية وسيلة وأداة صعبة وعميقة لا يمكن أن يتقنها أي إنسان، وبخاصة أن تقوم على الذكاء والدهاء، وسرعة البديهة[4]،وبذلك فالشاعر لا بد أن يكون على قدر من الذكاء والمكر حتى يستطيع تمرير خطابه بطريقة سلسة في طابع هزلي، لأنه لا يمكننا تخيل خطابا بريئا لا يحمل رسائل خفية، بل نجده يحمل إيديولوجيات مختلفة. لذا يشترط توفر عناصر معينة حتى تتم عملية السخرية وتعزز بذلك الهجاء وتجعله ذا تأثير شديد في الخصم، وبذلك يستطيع الساخر من نقل رسالته والوصول إلى غايته وهي (المرسل (الساخر)، والمرسل إليه (المسخورمنه) والرسالة ويجب أن تكون في سياق ومقام خاص حتى تؤدي وظيفتها، ومن بين النماذج الشعرية على سبيل المثال لا الحصر والتي تجلت

---

[1] فرانسوازأرمينكو،المقاربةالتداولية، تر: سعيدعلوش، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركزالانماء، بيروت ،1986، ص62.

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية " في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1 بيروت، لبنان، تموز 2005، ص16،17

[3] مدقن هاجر، التحليل التداولي، الافق النظري والاجراء التطبيقي في الجهود التعريفية العربية، مجلة الأثير، ورقلة –الجزائر – المجلد 10 ، العدد11 ،2011، ص 126 .

[4] ينظر: قصي الحسين، تاريخ الأدب في العصر الأموي، منشورات دار الهلال، ط1 ،بيروت،لبنان،1998، ص 162 .

من خلالها هذه الوظيفة التي تحقق فعاليتها وتأثيرها نجد قصيدة"لسان الدين بن الخطيب"، وهو يهجو بنبرة ساخرة ويذم ابن أبي الفتح قائلا:[1] (المنسرح)

كُن مِن صرُوفِ الرَدَى عَلَى حَذرِ لَا يَقبل الدَّهر عُذر مُعتَذِر

وَلَا تُعَـــوِّل فِيهِ عَلَى دَعـــة فَـــأَنتَ فِي قَلعَة وَفِي سَفَر

قُل لِلوَزِير الـبَلِيد قَد رَكَضت فِي ربعك اليَوم غَـارة الغِيرِ

وزَارَة لَـــم يَجـــد مقلدهَا عَن شُؤمِهَا فِي الوُجُودِ مِن وَزَرِ

يا مُفرِطَ الجهلِ والغباوةِ لا يُحْسَبُ إلا من جُمْلَةِ البَقَرِ

يَا دَائِم الحَقد وَالفَضَاضَة لَا يُفَـــرق بَينَ ظَالِـــم وَبـــرِي

وَمِن"أَبُوالفَتح" فِي الكِلَابِ؟ وَهَل لِجَاهـلِ فِي الأَنَامِ مِن خطَرِ؟

قَـــد سَتَر الـــــدَّهر مِنكَ عَورَته وَكَـــانَ لِليَـومِ غيَرَ مُستَتِـرِ

هجا "لسان الدين بن الخطيب" في قصيدته "كن من صروف الردى على حذر"الوزير إبراهيم ابن أبي الفتح الأصلع الغوي ، وابن عمه محمد بن إبراهيم العقرب الردي ، وقد كتب أبياته بطريقة هجائية بارعة المعاني، متينة الألفاظ، حسنة السبك، وقد استعان فيها بالسخرية، وهذا ما أكسبه نبرة ساخرة،بهدف تحقيق غرضه الكلامي؛ أي قول هذه القصيدة مع قصد ترك أثر في الآخر، وقد قيلت هذه الأبيات في سياق سياسي خاص سعى من خلاله إلى تحقيق مقصده،وهو تحقير المهجو وكشف تناقضاته وسلبياته والحط من مكانته، حيث هجا الوزير أبى الفتح، ولقد تميز بمعجم لغوي يعتمد على ألفاظ السب والشتم والقوة، وجل الملفوظات المستخدمة انشائية لتدعيم القوة التكلمية؛ أي إحداث التأثير، أو رد الفعل؛ لذلك نجد فيها: الذم، التوبيخ، التهكم، التحذير، وبذلك فإنجاز الملفوظ الإنشائي بطريقة السخرية يكسب الملفوظ فعالية أكثر ويقوي من تأثيره، وهذا ما جعل قوله مشحونا بانفعالات حادة وعنيفة عززت الهجاء بطريقة فعالة، وذلك بغية التأثير في المتلقي وإحداث رد فعل،والحط من قيمته ومكانته الاجتماعية، فالشاعر سعى إلى توظيف السخرية لتعزير هجائه، لإقناع الآخر بالصفات الذميمة التي يحملها هذا الوزير البليد وجعله يتخذ موقفا ما من هذه القضيةبهدف إذلال الخصم، وتقويض مكانته ضمن السياق السياسي والاجتماعي .

وقد حذر الشاعر في بداية أبياته من الدهر وتقلباته التي تؤدي إلى الهلاك؛ لأن الدهر لا يعترف بعذر معتذر كما استخدم السخرية المباشرة من خلال اتهام هذا الوزير بالجهل والبلادة ، وشبهه بالبقر وهذا ما أدى إلى تحقيره وإذلاله وتشويه صورته لدى المتلقي، وقد استخدم التكرار إذ يعد من أهم آليات الحجاج لما له من أهمية ودور في تأكيد الفكرة وتثبيتها لدى المتلقي أو السامع ، ولعل التكرار لا يكون لفظيا فحسب، بل

[1] المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج5، ص 141.

نجد الشاعر يستخدم إلى جانب ذلك ضربا آخر من التكرار المؤكد يعتمد على استخدام ألفاظ تدل على معان متقاربة في إيحائها العام وتشترك في إيقاع واحد، حيث تأتي على صيغة مشتركة من صيغ المشتقات، فكأن الشاعر بتكرار هذه الألفاظ ذات الإيقاع الواحد، وبالمعاني المشتركة يحاول أن يطبع عاطفته ويحفرها في وجدان القارئ أو السامع إلى أعمق ما يستطيع [1]. وهذا التوظيف يعكس القدرة اللغوية لدى المبدع، أي يعتمد على مدى ذكائه في استعمال اللغة قصد التأثير في المتلقي، وهذا ما نجده ظاهرا وجليا عند لسان الدين بن الخطيب، حيث عمد إلى تكرار الألفاظ ذات المعاني المتقاربة، والإيقـاع الواحد ويظهر ذلك في قوله :[2](المنسرح)

قُل لِلوَزِيرِ البَليدِ قَد رَكضتَ فِي ربعكِ اليَوم غَارَة الغَيرِ
وزارَة لَـــم يَجد مقلـــدهَا عَن شُؤمِهَا فِي الوُجُودِ مِن وزرِ
يا مُفرِطَ الجهلِ والغباوةِ لا يُحْسَبُ إلا من جُمْلَةِ البَقَرِ

فهنا تكرار لفظة (البليد، الجهل،الغباوة) وكل هذا الألفاظ أدت معنى واحدا وهو لفت الانتباه وترسيخ فكرة وموقف لسان الدين بن الخطيب من أبي الفتح. كما نلاحظ أن معظم ألفاظ الشاعر المكررة مثل **(عذر، معتذر، وزارة ، وزر)** حروفها متقاربة مما أعطاهاإيقاعا واحدا، ولم يقتصر على تكرار اللفظ والمعنى فحسب وإنما حتى الإيقاع، وهذا ما أعطى لأبياته دورا حجاجيا مهما يؤثر في المتلقي فتكرار حرف " الراء " الذي تبناه الشاعر كروينسج عليه قصيدته، ويعد هذا الحرف من الحروف المجهورة التي تمثل القوة والشدة وتضفي تماسكا موسيقيا على القصيدة، وقد اعتمده لتحقيق تأثير قوي في المتلقي وإعطاء شحنة عاطفية تعكس عمق مشاعر الألم والشكوى التي يحملها تجاه هذا الوزير ، وبذلك فالتكرار من الجانب التداولي قدم خدمة كبيرة للجانب الاجتماعي والسياسي؛إذ عزز من فعالية النقد اللاذع، ونبه المتلقي إلى ضرورة حسن اختيار القادة والمسؤولين.

وتظهر فعالية السخرية من خلال استخدام أسئلة استنكارية تحقق من خلالها الفعل الإنجازي؛ إذ تجلت السخرية والتحقير في هجائه، وخاصة أنه من خلال سؤاله لا يبحث الإجابة؛ إذيقول: [3] (المنسرح)

ومَنْ أبو الفتْحِ في الكِلابِ وهلْ لجاهِلٍ في الأيّامِ منْ خطَرِ؟

نعاين أنه استفهام غير مباشر؛ لا يراد به طلب شيء أو السؤال عنه، بل هو استفهام إنكاري في قوله **""ومن"أبو الفتح" في الكلاب"**، وهو لا يسعى من خلاله إلى كشف هوية أبي الفتح، بل غرضه الحط من قيمة وشأن هذا الوزير،حيث وضعه في منزلة الكلاب؛ أي مكانة دنيئة، لأن الكلب يعتبر من أحقر وأذل الحيوانات فكأن الشاعر عمد إلى إهانة أبي الفتح، أما الشق الثاني من الاستفهام **(وهل لجاهـل في الأنام منخطر؟**

[1]عبد القادر القط ، في الشعر الإسلاميوالأموي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،دط، بيروت ، 1407ه/1987م، ص 287.
[2]- المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، ج5، ص 141

[3]المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، ج5، ص 141.

)وهو أيضا استفهام إنكاري غرضه السخرية؛ ذلك أن الجاهل لا قيمة له بين الأنام، وبذلك تحقق الفعل التأثيري من إثارة السخرية والإنقاص من قيمة المهجو باحتقاره والاستهزاء به والحط من قيمته، وهذا الاستخدام اللغوي عزز من الوظيفة التداولية للسخرية؛ إذ جعلها قوية ومتجلية من خلال السياق، وبالتالي تمكن من تحقيق مقصده من الهجاء وهو السخرية والتحقير بغية الحط من قيمة المهجو.

كما استعان أيضا بالنفي الذي خرج عن معناه الأصلي الحقيقي إلى معنى يفرضه السياق، وقد تحقق الفعل الإنجازي من خلال التعبير عن موقفه من هذا الوزيرالذي تقلد الوزارة حيث استخدم النفي " لم يجد " ليعبر على أن كل من تقلد هذه الوزارة لم يسلم من شؤمها ، فهذا النفي التداولي في هذا البيت أدى وظيفة استنكارية لتأكيد فكرته ، فالشاعر استطاع من خلال هذا النفي أن يؤدي وظيفة تداولية من خلال الهجاء غير مباشر وهذا لإلحاق الذم لهذه الوزارة والسخرية من وزيرها قائلا :[1](المنسرح)

وزارَة لَـــم يَجد مقلـــدهَا عَن شُؤمِهَا فِي الوُجُودِ مِن وزرِ

فالنفي هنا خرج عن معناه الأصلي الحقيقي إلى معنى يفرضه السياق فلا يمكننا فهم يمكننا فهم القصيدة إلى بالعودة إلى سياقها الأساسي.

كما استعان الشاعر بالنفي والحصر باعتبارها عوامل حجاجية تدعم الخطاب وتزيده قوة، وهذا ما يعزز الوظيفة التداولية للسخرية في شعره الهجائي؛ إذ دعمت الجانب الإقناعي والتأثيري، لأنها قادرة إلى إيصال لمحات نقدية بطريقة غير مباشرة، وبخاصة أن دورها لا يقتصر على إحداث الضحك فقط، وهنا يتجلى دور النفي والحصر في تدعيم هذه الوظيفة، وهذا ما تجلى في لسان الدين الخطيب:

يا مُفرِطَ الجهلِ والغباوةِ لا يُحْسَبُ إلا من جُمْلَةِ البَقَرِ

فهذه الجمل أدت بعدا حجاجيا تداوليا من خلال أسلوب النفي " لا يحسب " أي لا يعد، وعليه فقد أنكر أي صفة إيجابية، وهذا ما جعل عيوبه جلية بشكل بارز، أما أداة الحصر " إلا من جملة البقر " أي خصه بهذه الصفة ونفاها عن غيره؛ أي لا يعده من البشر، وإنّما أنزله لمرتبة الحيوان "البقر" وهذا دلالة على غياب العقل ليثبت أن هذا الوزير لا ينتمي إلى البشر فهنا إهانة له؛ إذ لمح بأن جهله المفرط أدى به بالنزول إلى مرتبة الحيوان، وهذا ما أدى إلى تقوية خطاب الشاعر ومدى تأثيره في المتلقي. ومن هنا فالنفي يؤدي وظيفة حجاجية تدعو إلى إقناع المتلقي بأن الجهل يحط من مكانته ويضعه في أسفل المراتب. وبهذا فالوظيفة التداولية للسخرية عززت من قوة الهجاء وزادته تأثيرا وإقناعا بأن هذا الوزير لا يستحق مكانته، وبالتالي فالعوامل السابقة زادت من التهكم والازدراء وبالتالي الحط من مكانة المهجو.

[1]المصدر نفسه ، ج5، ص141.

كما نظمت نزهون بنت القلاعي أبياتا شعرية بأسلوب ساخر مبني على المبالغة والمقارنة لتعزيز هجائها بنية وقصد الحط من قيمة الأعمى "المخزومي" ومكانته وجعله محط تهكم وتحقير؛ إذ تقول:[1] (المجتث)

قُل لِلوَضِيعِ مَقَالًا يتلَى إِلَى حِين يحشَـرِ

من المدور أُنشئَ ت وَالخَرَا مِنهُ أَعطَـرُ

حَيثُ البَدَاوَة أَمسَت فِي مَشيِهَا تَتَبَخْتَـرُ

لِذَاكَ أَمسَيت صبَا بِكُل شَيءٍ مـــدورُ

خُلقت أعمى ولَكن تهيمُ في كلّ أعوَر

جَـازَيت شِعْرًا بِشِعْرٍ فَقُل لعمرِي مِن أَشعَرُ

إِن كُنتَفِي الخَلقِ أُنثَى فَإِنَّ شعرِي مُذَكَّـرُ

لقد نسجت الشاعرة نزهون بنت القلاعي هذه الأبيات للتهكم وتحقير الشاعر الأعمى المخزومي حيث قام الشاعر بنقدها نقدا لاذعا،عندما سخرت منه فرد عليها ردا ساخرا بألفاظ لاذعة وفاحشة في أبيات هجاها فيها، وهما في مجلس أبي بكر ابن سعيد، فردت عليه بهدف تحقيره ووضعه في صورة ساخرة من خلال ازدرائها له وتقليلها من شأنه أخلاقيا وشعريا، ويظهر ذلك في قولها **"إن كنت في الخلق أنثى فإن شعري مذكـر"** فمن خلال المقارنة أكدت على قمة تفوقها في الشعر وتمكنها منه، وابتدأت الشاعرة أبياتها بفعل كلامي " قل " وهو الأمر المباشر غرضه التعبير عن مشاعر الذم والتحذير، وهذا دليل على رغبتها في إيصال رسالتها الهجائية الساخرة، كما وظفت الاستفهام في قولها **" فقل لعمري من أشعر ؟"** للإعلاء والرفع من قيمتها الشعرية ومكانتها على خصمها والتقليل من شأنه ومكانته. كما استخدمت ملفوظ**"لكن"** وهو من أهم الروابط الحجاجية؛ لأنهيعمل على نقض ومعارضة الفكرة الأولى والفكرة التي تليها، ولقد استخدمت الشاعرة هذا الرابط الحجاجي لأجل الانتقال إلى فكرة مخالفة لها، لأن وظيفة " لكن " هي نقض ومخالفة الفكرة السابقة لها ويظهر ذلك جليا في قولها:

خُلقت أعمى ولَكن تهيمُ في كلّ أعوَر

فنجد "لكن" في هذا البيت دلالتها الاستدراك وإظهار التناقض بين الفكرتين (خلقت أعمى/ تهيم في كل أعور)، وهذا ما خلق تعارضا حجاجيا كبير فعلى الرغم من أنه أعمى إلا أنه يهيم وينجذب في كل أعور، أي في كل ناقص وقبيح فهنا سخرية لاذعة ذات دلالة تحقيريةاستهزائية تحط من قيمة المهجو، وهذا ما زاد من قوة تأثير خطابها الحجاجي لدى المتلقي. وبذلك فقد تحققت الوظيفة التداولية للسخرية عبر المبالغة والمقارنة، وهي آلية تجسد الذم والتحقير بشكل قوي وهذا ما يخدم الهجاء؛ فهذه الأدوات تجعل المهجو في

[1] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج1 ، ص 192،193 .

أدنى مرتبة من خلال تحقيره وذمه بطريقة هزلية تبعث على الضحك، وتمكن الشاعرة من إرسال رسائلها المشفرة لخصمها، وهذا ما يزيد من التأثير ويعزز قوة الرسالة الهجائية؛ " لأنّ السخرية من بين أهم الوسائل الحجاجية؛ لأنها تجعلنا نحس من الاستعمال العام للكلمة أنها تشيع السحر في الأسلوب الأدبي ، وأنها ترقى بالفكاهة إلى مستوى الأكثر ذكاء ولباقة فتجعل لها معنى، وتعطيها قدرة خاصة على أن يكون لها هدف، وأن تخدم هذا الهدف،وأن تحتال لتحقيقه، وأن تكون لها إمكانية التأثير، وهي بذلك تتخذ مادتها من العيوب والنقائص التي لا تطيق لها وجودا".[1] وعليه يمكن القول أن الشاعرة نزهون استطاعت أن تجعل خطابها الشعري خطابا هجائيا ساخرا، متكامل المعنى والمضمون وذلك باستخدامها للأدوات التداولية والحجاجية للرد على خصمها.

ومن بين الظواهر الاجتماعية التي سادت في المجتمع الأندلسي في هذه الحقبة، ولها علاقة بالنقد الديني وسخر منها الشعراء هو تصديق المنجمين والإيمان بما قالوا، ويعد هذا من المحرمات؛ لأن الدين يرفضه رفضا قاطعا، ولهذافالشعراء بدورهم اتخذوا موقفا رافضا لهذه الظاهرة السلبية، فنجد "ابن عبد ربه" وهو يسخر منهم؛ إذ " أنه دخل ذات يوم على الوزير جهور بن الضيف، وكان القحط قد ألح والغيث قد احتبس ، وأغم الناس لذلك، وتحدث المنجمون بتأخر الغيث مدة طويلة، ومن هؤلاء ابن عذراء وأصحابه، فقال ... للوزير : هذه من أمور الله الغيبة ." [2]ثم قال:[3] (البسيط)

ما قدَّرَاللَّهُ هو الغالبُليس الَّذي يحسُـبُهُ الحـاسِبُ
قد صدَّقَ اللَّهُ رجاءَ الورَىوما رجـاءٌ عـندَهُ خائبُ
و أنزلَ الغيثَ على راغبٍرحمتـَهُ إذ قنَـطَ الراغبُ
قُلْ لابنِ عزرا أَلسَّخيفِ الحجاَرَى عليكَ الكوكبُ الثاقبُ
ما يُعْلمُ الشاهدُ من حُكمناكيفَ بأمرٍ حكـمُهُ غائـبُ
وقُلْ لعباسٍ وأشياعِهكيفَ تَرى قَولـكُمُ الكـاذبُ
خانكـمُ كِيوانُ في قَوسـِهوغـرَّكم في لوْنهِ الكاتبُ
فكلُّكُمْ يكذِبُ في عِلمِهوعلمُكمْ في أصـلهِ كـاذبُ
ما أنتمُ شيءٌ ولا عِلمُكمْقد ضعُفَ المطلوبُ والطالبُ
تُغالبونَ اللَّهَ في حُكمِهواللَّهُ لا يغلبـُهُ غـالبُ

لقد صاغ الشاعر أبياته بنبرة هجائية ساخرة ، وبأسلوب حاد وألفاظ جارحة ومعاني موحية، حيث يؤكد في بداية أبياته أن قضاء الله هو الغالب فالله هو المتصرف الوحيد في الكون وعباده ليس ما يقدره الناس والمنجمون ، فالله سبحانه وتعالى من يحقق آمال عباده ورجائهم فالمتوكل عليه لا يخيب ، فهو الذي أنزل الغيث بعد قنوط عباده، ويستمر الشاعر في سخريته حينما أرسل سهام الهجاء والنقد للمسخور منه ابن

[1] حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، ص 16 .

[2] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، ط2 ،بيروت ،لبنان ، دس ، ص 121.

[3] بهجة المجالس وأنس المجالس ، المكتبة الشاملة ، ص 197.

عذراء سخيف العقل ناقص المنطق والحكمة ، بأن الكوكب الثاقب الذي عده رمز القدر قد أظهر بطلان كلامه بأن هذا الشخص لا يفهم حتى الأحداث التي حوله فكيف له أن يفهم الغيب ، كما يهجوا ابن العباس وأتباعه بأن قولهم كاذب وحجتهم باطلة ، وعلمهم مُضلل فقد اعتبر أن علمهم لا قيمة له فقد ضعفت دعوتهم وما يدّعونه لان الله لا يغلبه غالب فهو القادر فوق عباده .

ولقد اعتمد الشاعر في مقطوعته على الأفعال الكلامية لتقرير سخريته، حيث وظف الأمر المباشر كآلية حجاجيةلإفحام خصمه وإنزال قيمته ويظهر ذلك في قوله " قل لابن عذراء " وكذا " قل لعباس وأشياعه " فالأمر هنا غرضه وضع الخصم موضع الضعف، كما نجده يستخدم الاستفهام في قوله " كيف ترى ؟قولكم الكاذب " فهنا استفهام إنكاري أراد به الشاعر تأكيد كذب المهجو وتوبيخه وإسقاط حجته. ولعل توظيف الشاعر لهذه الروابط الحجاجية زاد نصه عمقا في التأثير وقوة في الدلالة مما أسهمت في تقوية حجته وتوجيه سخريته في تحقير المنجمين .ويذهب"ابن عبد ربه "كذلك في مهاجمة المشتغلين بالفلك والحساب قائلا :

فَأَينَ الزِّيج وَالقَانُو ن وَالأركند وَالكمه

وَ أينَ السَّند هِند البَا طل الجَدولِ هَل ثَمَة

سِوى الإفك عَلَى الله تَعَالَى منشر الرَمه

إِذَا كَانَ أَخُو النَّجم يَرَى الغَيبَ بِمَا ضَمه

وَهَذِي الأَرض قَدْ وَارَتْ كنُوزًا عِدَةً جَمَه

فَلَا وَالله مَا لِلـ ـهِ وَخلق يَحتوِي علمه [1]

أما "عباس بن يحي بن قزمان" ينشد أبياته لعمه "عيسى بن قزمان" فقد سخر من الثقافات الجديدة وبخاصة هجائه لعلم النجوم؛ حيث يقول :[2]

هَذَا بِإِذنِ الله مَا شَاءَ قَدره وَلَيس فِيمَا قَضَى كيوَان وَالقَمر

لَو كَانَ عِند النّجُوم السَّابِحَات بِمَا يَجرِي عَلَى الخَلق من أَنبَائِهم خَبرُ

لَم يَحتلل بذرَاهم رَيب حَادثة بل كَان يُنجِيهم الانذَاروَالحَذَر

مَا كَانَ ينجل مِنهم عَالَم وَلدَا فِي سَاعَة مَا بِهَا نَحسٌ وَلَا كَدَر

تَقِيه أَنجمه صرف الزَّمَان فَلَا يَأتِي عَلَيه وَلَا يَفنَي لَه عمر

هَيهَاتَ ذَلكَ أَمر لَا يُطَاق وَلَـ كِنَّ الفَتَى يَنتَهِي حَيثُ اِنتَهَى القَدَرُ

[1] بهجة المجالس وأنس المجالس ، المكتبة الشاملة ، ص 197.

[2] المصدر نفسه ، ص 197.

يوجه الشاعر "يحي بن قزمان" سخريته المريرة ونقده اللاذع لعلم النجوم والمنجمين فهو يسخر من فكرة أن الإنسان يمكنه معرفة الغيب أو تغيير الأقدار عبر حركة الكواكب وبأسلوب ساخر فطن يُظهر فيه عبثية هؤلاء الذين يدّعون العلم بمستقبل الناس استنادالى مواقع النجوم ، فالشاعر يواجه الفكر الزائف بخطاب شعري ساخر يجمع بين العقل الديني والمنطق الفلسفي ، فهذه الأبيات تدور حول أن ما يجري في الكون إنما هو بإرادة الله لا بقدرة المشتري أو كيوان أو القمر ، فهنا هجاء فكري يعيد ترتيب العلاقة بين الإيمان والعلم بين العقل والوهم . وتتجلى الوظيفة التداولية من خلال الرسالة الفكرية التي وجهها الشاعر عبر أسلوب التهكم والمفارقة، فهو لم ينسج أبياته للتسلية والتندر فحسب، بل ليثير عمقا فكريا ونقاشا اجتماعيا وعقليا حول هذه الظاهرة التي شغلت الناس في هذه البيئة التي كانت تعج بالفلاسفة والمنجمين ، وما كان من جدل محتدم بين الفكر العقلي والفكر الديني ،فالشاعر هنا يبين رؤيته الفكرية ضد الأوهاموالخرافات . ولعل هذه الأبيات تمثل مثالا ناضجا للهجاء العقلي يسخر فيها الشاعر من أفكار هؤلاء الأشخاص بلغة علمية رصينة يذكر فيها أسماء الكواكب " المشتري" " كيوان « « بهرام" التي اعتمدها المنجمون فيفند أوهامهم الخرافية بالضحك من أولئك الذي يظنون أنهم يملكون سر القدر وهم في الحقيقة أسرى الأوهام فالشاعر سعى من خلال أبياته تحويل شعره إلى منبر للتنوير والنقد، فهو ليس مجرد ساخر، بل مفكر استطاع من خلال الدعابة أن يضع الإيمان والعقل فوق الدجل والتنجيم لتصحيح الفكر ومحاربة الانحراف الفكري.

أما **سعيد بن العاص المرواني**، فيقول :

مُستَحِيل أَن تُدرِكَالأَوهَام عِلمَ غَيبٍ تَغِيبُ عَنهُ الأَنَام
كَيفَ يَحتَاز عِلمهُ بَشَرِي وَهُو عِلمٌ قَد حَازَهُ العَلام
لَستَ مِمَن يَقُولُ فِيهِ يَجهل مَا يَقُول الكِندِي وَالنَظَّام
كُل مَن قَالَ إِنَّ لِلنَجم حكمَا لَم يجز فَاعلَمن عَليهِ السَّلَام
سَطر الأَولُون فِيه أَسَاطِير رولَم يَلهمُوا الرَّشَاد فَهَامُوا
إِذَا أَرَادُوا بِالسّندِ هندوَبالأركند وَالزِيج رُوم مَالَا يُرَام
خبطُوا فِي أمُورهَا خَبطَ عَشْوَا ء حِينَ ظَلَّت فِي كنهِهَا الاَوهَام
لَيسَ يَقضِي كيوَان أمرَا كَمَا قَالُوا ، وَلَا المُشتَرِي وَلَا بهرام
لَا وَلَا الشَّمس فِي البُرُوجِ وَلَا البَد ر الذِي يَنجَلِي بِهِ الاظلَام
إِنَّمَا الأَمر الذِي خلق الخلـ ق وَتَمضِي بِعَزمه الأَحكَامُ[1]

يسخر الشاعر في هذه المقطوعة من الفلاسفة والمنجمين في آن واحد ، حيث وضعهم جميعا في خانة الضلال المعرفي فهو يعارض فكرة أن للنجوم تأثيرا على مصائر الناس ويصفها بأنها خرافة ضلّ بسببها الأوائل وابتعدوا عن الرشاد وفي الوقت ذاته يسخر من الفلاسفة الذين زعموا أنهم يمتلكون علم الغيب ، فيجعل من شعره

[1] م،ن ، ص 197،198.

منبرا للدفاع عن التوحيد والعقل الديني ومن خلال تلك الأبيات يضع الشاعر نفسه في موقع المفكر المؤمن الذي يذكر الناس بحدود العقل البشري وبأن العلم الحق هو علم الله سبحانه وهكذا تتحول السخرية إلى وعظ فني راقٍ، يجمع بين الإيمان والفكر في أسلوب تهكمي عذب .

ولعل ما يجعل هذا الأسلوب مميزا هو أن الشاعر قدم هجاء يحمل رسالة، لا هدما بلا غاية فهو يضحك ليعلّم، ويسخر ليوقظ ويستهزئ ليّقيم الحجة وهذه قمة البراعة والنضج الفكري والفني في الشعر الأندلسي هو أن يحول الشاعر الهجاء من أداة انتقام إلى أداة نقد معرفي وفلسفي فيصبح الشعر مرآة لوعي الأمة وموقفها من الفكر والاعتقاد، فالوظيفة التداولية استطاعت أن تجعل الشعر يمثل أرقىأشكال السخرية لأنها تجمع بين الفكر والإبداع والضحك والتنوير فهي تحول السخرية من مجرد وسيلة للتندر إلى سلاح حضاري ضد الجهل.

ولقد هجا الشعراء الفلاسفة فنجد **ابن جبير** يقول :(السريع)[1]

يَا وَحشَة الإِسلَام من فرقَة شَاغلَة أَنفسهَا بِالسَفَه

قَد نَبَذَت دِين الهُدَى خلفهَا وَأَدَّعَت الحِكْمَة وَالفَلْسَفَه

نلاحظ من هذه المقطوعة أن الشاعر الأندلسي قد تجاوز حدود الهجاء المباشر ليبلغ مستوى أعمق من الجدل الفكري والنقد الثقافي من خلال استخدام شعره كوسيلة للتعبير عن رأي أو قضية فكرية ، وهذا ما جعل خطابه الشعري أداة للسخرية والتهكم من الأفكار والمعتقدات السائدة في عصره وبيئته ، والتي شغلت الناس مثل الفلسفة، والتنجيم وهذا ما جعل الشاعر يسخر من هذه الخرافات، ويكشف زيف الأفكار المنتشرة باسم العلم والدين ، وهذا ما ذهب إليه ابن جبير في أبياته حيث افتتحها بالنداء ليعبر على حسرته وحزنه مما أصاب الإسلام جراء ما تدّعيه هذه الفرقة من علم ، وما تقوم به من أعمال سفيهة تضعف الدين ، من خلال إهمالها لتعاليمه وأصوله مدعية بذلك الحكمة والفلسفة ، رغم أنها بعيدة عن العلم والفكر العقلي ، فالشاعر يرسل انتقاده وسخريته لمواجهة هذه الجماعة؛ لأنها تزعم أنها من أهل الفكر والفلسفة وتركت المنهج الحقيقي للإسلام ، ولقد استعان الشاعر لتأكيد سخريته على عدة روابط حجاجية تقوي معانيه في إدانة هذه الفرقة وكشف باطنهم المزيف ، فقد افتتح نصه بالنداء" يا" للفت انتباه المتلقي في تقبل كلامه، كما يوظف رابط التوكيد "قد" الذي يعد من أكثر الروابط الحجاجية قوة وأشدها فاعلية وتأثيرا في الحجاج ، وذلك ليبين ما قامت به هذه الفرقة من أعمال سفيهة تضعف الدين وتطمس تعاليمه .

وبعد هذا العرض والاستقراء والدراسة نفضي إلى أن التداولية فرع من علم اللغة فهي لا تركز على تراكيب الجمل ، بل على كيفية استعمال اللغة في التفاعل الإنساني وهذا ما يجعلنا نفهمها، بشكل أوسع وأعمق من مجرد كونها كلمات ورموز ، فالتداولية تبحث في مقاصد المتكلم فهي لا تفهم من الكلمات فحسب بل تستنبط

[1] المقري (أحمد بن محمد) ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ،ج2، ص 385.

الظروف المحيطة بها ،وعليه فالتداولية تخرج اللغة من معناها الظاهر إلى دلالاتها الخفية ، ولعل الوظيفة التداولية للسخرية تكمن في أنها تملك قدرة على توجيه المعنى بحسب السياق وبقدرة اللغة على تحقيق أهداف تواصلية ضمن هذا السياق .

3-الوظيفةالجمالية للسخرية في سياق الشعر الهجائي

لقد شغلت الجمالية حيزا كبيرا وعناية فائقة عند الفلاسفة والمفكرين وخاصة في الفكر اليوناني عند أفلاطون وغيره، ولكنها لم تكن كاملة المعالم آنذاك، ولعل فضاضة هذا المصطلح جعلته يتداخل مع العديد من المصطلحات الأخرى: كالشعرية،الفنية،الأدبية، الإنشائية ...وغيرها؛ يرى **أفلاطون** أن الجمال هو "ظاهرة موضوعية، لها وجودها، سواء يشعر بها الإنسان أم لم يشعر، فهو مجموعة خصائص إذا توفرت في الشيء عد جميلا ، وإذا امتنعت عن الشيء لا يصبح جميلا "[1] وبذلك فقد نظر إلى الجمال بنظرة موضوعية فلسفية، لذا فهو لا يقتصر على المشاعر والأحاسيس الذاتية كما يرى بأنه يقوم على خصائص وصفات تجعل الشيء جميلا كالتناغم والتناسق، الكمال .....فإذا توفرت هذه الخصائص يمكن الحكم على الشيء بأنه جميل، وإذا لم تتوفر غابت عنه صفة الجمال؛ أي لا يمكننا رؤية الشيء بنظرة الجمال، فهذه الصفات هي التي توصل الأشياء إلى الجمال الخالد أو الجمال المطلق الذي أطلقه أفلاطون في عالم المثل، فالجمال عنده هو الذي تتوفر فيه الخصائص الموضوعية وبذلك يكون يحاكي الجمال المطلق .

كما ربط "عبد القاهر الجرجاني" الجمال باللسان في قوله :" اللسان أداة يظهرها حسن البيان وظاهر يخبر عن الضمير ، ... وحاكم يفصل به الخطاب ، وواعظ ينهىعنالقبيح، ومزين يدعو إلى الحسن"[2] وبذلك فاللسان هو أداة الفصاحة والبيان، وبه يكشف عن خفايا النفس ونواياها من خير أو شر، وهذا يبين أن اللسان حسب تصوره هو أداة البلاغة والبيان وبه يمكن الوصول إلى درجة الجمال والكشف عن مكنوناته كما تتحقق الجمالية عند "حازم القرطاجني" عن طريق المحاكاة والتخييل فقد ذهب إلى تعريف الشعر بأنه "من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه ، ويكره إليها ما قصد تكريهه .... بما يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام أو قوة صدقه أو شهرته"[3] وبذلك فالشعر فن خاص يؤثر في النفس من خلال تحبيبها ما يريد تحبيبه؛ أي أن الشاعر في إبداعه يحبب للمتلقي ما يريده، وينفره مما قصد تكريهه، وذلك لقدرته الفائقة على التصوير، وقوة التأثير، أو من خلال المحاكاة التي تصور تنسيق الكلام وتركيبه وصدقه بأسلوب بليغ.

ومن المؤكد أن كل عمل أدبي لا يخلو من الميزة الجمالية التي تعد سمة جوهرية فيه تزيد من رونقه وقوة تأثيره، وبلاغته وتعطيه قيمة فنية عظيمة، حيث يعمد الأديب أو الشاعر إلى انتقاء الأسلوب الرصينغير

[1] عز الدين إسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي ، دار الفكر العربي ، ط3 ،القاهرة ،مصر ، 1974م ، ص 68.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، قرأه وعلق عليه محمود شاكر، مكتبة الخانجي ، ط5، القاهرة ،2004 ، ص69 .

[3] حازم القرطاجني، منهج البلغاء وسراج الأدباء،تح، محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الاسلامي، ط3، تونس،1986، ص 27.

المألوف، واللغة الأدبية، والتصوير البلاغي والتجربة الشعورية لإثراء خطاباته ، كما يسعى إلى صب كل أحاسيسه وأفكاره وروحه في هذا الإبداع الفني بغية التأثير في المتلقي، ويضمن الخلود لإبداعاته، وعليه فالجمال في الأدب هو "خلق من الحيوية التي تصفها شخصية الأديب وروحه على العمل الأدبي بحيث يستطيع الإبانة على مكنونه بشكل جميل لأن البيان هو صنـاعة الجمـــال في شيء وجمال فائدته من جمال" [1]، وبما أن الشاعر فاعل بالمعنى التداولي في مجتمعه؛ إذ يسعى إلى التأثير في الآخر، وحمله على تعديل وتقويم سلوكه، فإنه اعتمد على السخرية بوصفها ركيزة إستراتيجية في شعر الهجاء، فهي تملك قدرة كبيرة على التفنيد والتهكم، ويمكن عدها أيضا تقانة فنية؛ أي بإمكانها تقديم تجارب جمالية، وذلك عبر التفكيروالتأثير، أي تعمل على كشف العيوب بأسلوب فني جديد ومبتكر، وبخاصة أن السخرية في كثير من الأحيان لا تعتمد على التصريح، وهذا ما يخلق نوعا من التفاعل الفكري بين الخطاب الشعري والمتلقي؛ وهذا يخلق بعدا جماليا، لأنها تدغدغ فهمه وتجذبه إلى النص لكشف معانية المخفية وراء الآليات البلاغية مثل :المبالغة، المفارقة، المقارنة، الرمز...،ولهذا يستعين الشاعر بها في شعره الهجائي، لأنها تجعل المتلقي يتفاعل مع هجائه عاطفيا وفكريا، وهذا ما يدعم شعره ويضمن له التأثير والبقاء، فالاستعانة بها تمنح شعره متعة جمالية إلى جانب غاية الهجاء؛ لأن المتلقي قد لا يستسيغ الهجاء الصريح، والسخرية يمكن أن تضيف إليه لمحة جمالية فيصبح ممتعا ومفيدا، فالضحك الذي ينبثق عن السخرية حتى ولو كان مريرا، فإنه يؤثرا في المتلقي ويجذبه .

ومن بين النماذج الشعرية على سبيل المثال لا الحصر التي يمكن من خلالها الكشف عن الوظيفة الجمالية للسخرية نجد قول الشاعر يحي الغزال وهو يصف امرأة صلعاء؛ إذ رسم لها صورة كاريكاتورية ساخرة جمع فيها بين النقد والجمالية؛ إذ يقول :[2]

جَرداءُ صَلعاءُ لَم يُبقِ الزَمانُ لَها ... إِلّا لِســاناً مُـلِحّـــاً بِالمَــلامـــاتِ
لَطَمتُها لَطــمَةً طارَت عَمامَتُها ... عَن صَلعَةٍ لَيسَ فيها خَـمسُ شَعراتِ
كَأَنَّها بَيضَةُ الــشاري إِذا بَرَقَت ... بِالمَــأزِقِ الضَـــــنكِ بَينَ المَشرَفِيّاتِ
لَها حُروفٌ نَواتٍ في جَوانِبِها ... كَقِسمَةِ الأَرضِ حيــزَت بِالتُخـــومات
كاهِلٌ كَسِنامِ العــيسِ جَرَّدَهُ ... طولُ السِفـــــارِوَإِلحاحُ القُتوداتِ

رسم الشاعر صورة شعرية ساخرة وبارعة المعاني حسنة البيان تظهر مدى امتلاك الشاعر للملكة الشعرية، حيث لامس الغرض الذي سعى له وهو إذلال خصمه، والتهكم منه ووضعه في مكانة دنيئة و قد عمد في سخريته من هذه المرأة الصلعاء إلى توظيف الصور البيانية القوية كالتشبيه حيث شبهها بالأرض الجرداء القاحلة والمجدبة التي تفتقر إلى كل متطلبات الحياة، فكأن الشاعر هنا يحاكي الطبيعة في شعره ليرسم لنا صورا حية تزيد من واقعيته، كما وصفها بأنها صلعاء وهذا ما يحيلنا إلى تخيل هذه الصورة التي نزعت عنها

[1] حلمي مرزوق، النقد والدراسة الأدبية، دار النهصة العربية، 1982، ص 105.

[2] يحي بن حكم الغزال،الديوان،جمع وتح وشرح محمد رضوان الداية،دار الفكر المعاصر بيروت،دمشق،1993، ص185.

صفة الجمال وألبستها صفة القبح وهذا دليل على كبر سنها وعجزها، وهذا يعكس سخرية مباشرة من شكلها، ثم يكشف عن صفة سلبية فيها بطريقة ساخرة (لَم يُبقِ الزَمانُ لَها إِلّا لِساناً مُـلِحّاً بِالمَـلامـاتِ) وهي مفارقة تعكس الاختلاف بين المظهر واللسان الحاد الدائم النقد وهي سخرية مريرة بغية الحط من قيمتها، كما شبه صلعتها ببيضة الشاري وهذا تقليل من شأنها مقارنة مع المشرفيات،وما زاد الصورة بلاغة هو تصويره لتجاعيد وجهها بانقسامات الأرض وهذا دليل على التعب والشقاء الذي تعيشه من كثرة المصائب والنوائب التي اعترتها حيث شبهها بسنام العيس؛ أي بالإبل دليل على الضعف والهزال الذي لحق بها، وهذا يعد مبالغة في عملية التشبيه، وعليه فالشاعر اعتمد على آليات السخرية ووظفها بطريقة بارعة في هجائه ليعزز تأثيره وقوته، وهذا ما مكنه أيضا من إعطاء أبياته بعدا فنيا،وجماليا،وجعله يثير الضحك وهذا ما يسهم في طبع صورة المهجو في ذهن السامع.

ومن ذلك أيضا ما ذهب إليه "**أبو بكر المخزومي**" وهو يهجو خليقته، وقبح منظره في صورة ساخرة، تكشف عن قدرته الإبداعية، وقوة شاعريته، وبراعة أسلوبه، ودقة محاكاته حيث يقول: (الخفيف)

رُبَّ حَسنَاء كَالغَزَالَة جَيدَا وَالتَفَتَا تُزرَى بحُور الخُلُودِ

كَلَّمَتنِي فَطَارَ قَلبِي إِلَيهَا وَتَرَجَّيت لِلظَمَاءِ وَرودِي

فَتَجَافَت عَن مَنظَرِي ثُمَّ قَالَت أَتَرَى الحُورَ وَاصلَات القرُودِ

لَم آلمهَا عَلَى الصدُود لِأَنّي كُنت أَهلًا مِن مثلَهَا لِلصّدُودِ[1]

امتازت هذه الأبيات برؤية فنية دقيقة وعمق تعبيري مميز ، حيث نسجها الشاعر بطريقة ثرية المعاني محكمة الدلالة ، عذبة اللغة يطعن فيها نفسه طعنا ساخرا ولاذعا ، حيث يصف صورة الحسناء (فتاة جميلة) فقد شبهها بالغزالة في رشاقتها ، وجمالها ولطف التفاتتها، حتى أن جمالها تفوّق عن الحور ، كما وصف نفسه حين كلمته بأنه طار قلبه شوقا إليها فهنا يوظف الشاعر صورة بيانية مبدعة وهي الاستعارة فقد شبه قلبه بالطائر الذي يطير من شدة الشوق ،لكنها أعرضت عنه وتجافت عن منظره فهنا كناية واضحة عن الإعراض والاحتقار ،وشبهته بالقرد في صورة ساخرة تبعث على الإذلال والإنقاص من قيمته ومنزلته، حيث ترى نفسها أنها أرفع منه ، فهنا مفارقة بين الجمال الكامل (الحور) وبين القبح (القرد) ، ويختم أبياته بأنه لم يؤذيها بسبب جفائها وصدها له؛ لأنه كان يدرك أنه أقل منها جمالا وأنها لا تستحقه ، فهو يهجو نفسه ويسخر من خلقته بأسلوب قاس؛ إذ أقر أنه قبيح المنظر ما جعل الحسناء تتصداه وتحتقره .

وقد اعتمد الشاعر في مقطوعته على الصور البيانية التي أضفت أبعاد فنية وبلاغية ، أدت إلى جعل النص أكثر جمالا وجاذبية من الناحية الفنية ، كما أنها تبرز القدرة الإبداعية للشاعر في تلاعبه بالألفاظ والتراكيب

[1] ابن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب،ج1، ص231.

من خلال تحويل النص من مجرد عبارات وألفاظ إلى لوحة فنية متقنة ،كما نرى كذلك أن الشاعر من الناحية الفنية يظهر قدرة لغوية عالية على توليد المفارقة ، فالمشهد الذي رسمه يقوم على المفارقة بين الحسناء وصورته القبيحة ، ما يمنح الصورة روحا كاريكاتورية ، إذ أن الضحك لا يأتي من القول المباشر بل من المفارقة بين الصورتين ، فقد ألغى قيمته الجسدية ومظهره ما مثّل سخرية رمزية تختفي تحت قناع الضحك ، ففي هذه الصورة نلمح أيضا إشعاعا نفسيا يعبر به الشاعر عن حزنه من نفسه وصورته فهو رجل أعمى، وهذا يعد عيبا خلقيا . أما على مستوى اللغة فإنها تتسم بالخفة وسرعة الإيقاع فهذه الأبيات تحمل طاقة تصويرية تجعل القارئ يتخيل المشهد أمامه.

ويهجو"**يحيالسرقسطي**"نفسه بأسلوب فكاهي ساخر وبطريقة بارعة ومبدعة قائلا :

لَو وَرَدت البِحَار أَطلب مَاءً جَفَّ قَبل الوُرُود مَاءُالبِحَارِ

أَو لمسَت العُود النّضِير بِكَفِي لذوى بعد نُضرة وَاخْضِرَارِ

أَو رَمَى بَأسِي النّجُوم الدَّرَارِي لَانزَوى ضَوءُهَا عَن الأَبصَارِ

وَلَو أَنّي بعتُ القَنَادِيل يَومًا أُدْغِم اللَّيل فِي ضَيَاءِ النَّهَارِ[1]

افتتح الشاعر لوحته الشعرية بهجاء نفسه هجاءً لاذعا وتعريضا ظريفا، حيث يصف شدة النحس والشؤم التي تصاحبه في أنه حتى لو ذهب أو بلغ البحر ليأخذ ماءً لجف البحر قبل وصوله، فهنا نرى أن الشاعر اعتمد في أسلوبه على المبالغة والتصوير، حيث يصور حظه السيئ بطريقة هجائية ساخرة، ويستمر في نقده لذاته وتأثيره السلبي في أنه لو لمس غصنا طريا مخضرا لذبل الغصن وجف وذهبت نضارته، فهذه الصورة البيانية تظهر عمق الشؤم الذي يلازم المهجو في جلبه للفساد في كل ما يلمسه أو يمر به.

ويكمل الشاعر في رسم صوّره الخيالية البارعة القائمة على المبالغة والتضخيم والغلو لتعميق المعنى وزيادة أثره، في أنه لو نظر إلى النجوم اللامعة في السماء والمتلألئة بنورها لانزوى ضوءها واختفى عن الأنظار،ويسخر الشاعر من نفسه ويرميها بسهام النقد الحاد والتهكم اللاذع بصور شديدة المبالغة عميقة المعنى حيث يقول انه لو باع القناديل يوما لانطفأ ضوؤها، واختلط الليل بضياء النهار فهنا صورة بيانية مركبة بارعة الإخراج يصور فيها الشاعر قمة الشؤم والنحس في طمسه لضوء النهار ودمجه مع ظلام الليل.

ومنه فهذه الأبيات تظهر قدرة خيالية فائقة للشاعر في توظيف الصور البيانية وحسن إخراجها فكل بيت يحمل صورة يشخص بها الشاعر المعنى ويبالغ فيه ويظهر شدة تأثيره السلبي على الأشياء، ولقد قامت هذه الأبيات على المبالغة الهجائية والتصوير الكاريكاتوري الذي يظهر الشاعر نفسه بأنه مصدر النحس في جفاف البحار وطمس ضوء النجوم والقناديل. أما من الناحية الجمالية فنجد الشاعر اعتمد على الاقتصاد اللفظي

[1] ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ج3، ص 907.

والتكثيف للمعنى فأبياته تقوم على المعنى البعيد والعميق فكل بيت هو لمحة خاطفة يصيب بها الشاعر الهدف دون عناء أو إسهاب كما تصيب السهام موضعها ولهذا يمكن القول إن الشاعر وفق في اختيار ألفاظه ومعانيه لخدمة هجائه الساخر.

ويقول أحدهم في هجاء المغنيات :[1]

وَقينَة تَدعى بِتفتِيرِ مفرغةٍ فِي قَالبِ الزُّورِ

كَأَنَّهَا وَالعود فِي حِجرِهَا حَاسبَة تَنبِي بِمجذُورِ

لَكعاءِ من أَحسنِ حَالَاتهَا صَفع قفَاهَا بِالمسَاوِيرِ

وَصيدَهَا الاعرَاد فِي خلوَةِ ينسِيك مِن صَيدِ السَّنَانِير

تَبًا لَهَا من قِينة عَقلهَا أَخَّفُ مِن رِيشِ العَصَافِير

تعكس هذه الأبيات نوعا من النقد الساخر والتهكم اللاذع، تبرز قدرة الشاعر ومهارته في حسن اختيار ألفاظه وتنسيقها، وجزالة أسلوبه وثراء معانيه، حيث نجده يصف هذه المغنية بأسلوب هجائي ساخر يكشف زيفها وكذبها، حيث يعتبر أن جمالها وحسن صوتها ليس حقيقيا، وإنما هو صورة خادعة مزورة ويظهر ذلك في قوله " مفرغة في قالب الزور"؛ أي أنها مصنوعة من الكذب والخداع، فالشاعر هنا شبهها بالشيء الذي يصب في القالب كالمعادن .... دلالة على حقيقتها المزيفة والخادعة ، كما يشبه المغنية وهي تعزف بالعود كالذي يقوم بالحسابات المجذورة والمعقدة فهنا تشبيه صريح وسخرية واضحة في ضعف مهارتها ، وعدم تمكنها وإتقانها للعزف ، ويرسل الشاعر وخزات تهكمه في وصفها باللكعاء وهي الدنيئة قليلة الأدب والأخلاق فهي لا تصلح إلا للضرب فهنا كناية عن حمقها وسفهها ، كما نجده يشبه عقلها بريش العصافير دلالة على أنه فارغ وضعيف لا قيمة ولا وزن له، ومنه فالشاعر في هذه الأبيات يصور المغنية بطريقة ساخرة حيث اعتمد على المبالغة والتضخيم في إظهار رداءتها وقلة ذكائها وعدم تمكنها من العزف في صورة كاريكاتورية مضحكة تنقص من قيمتها ومنزلتها أمام الآخرين .أما من الناحية الفنية فنجد أن أسلوب الشاعر يعتمد على ازدواجية الدلالة وهذا ما يخلق توتر جمالي في النص ويمنحه طرافة وسخرا، فهذا النوع من الهجاء يكشف عن نضج الذوق الأدبي والجمال الفكري إذ لم تعد الاهانة المباشرة وسيلة للهجاء وإنما أصبح التلميح أرقى أنواع السخرية ، فالشاعر يلبس هجائه ثوب الجد ليخفي تحته روح السخرية وهذا ما يمثل قمة التهكم الأدبي الرفيع في الشعر، حيث تتجلى براعة الكلمة وقدرتها على حمل المعنى ونقيضه فالشاعر يُضحك بأدوات بلاغية وجمالية .

[1] الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، ص 258.

ومنه يمكن القول أن عمل السخرية لا يقتصر على معالجة الواقع الاجتماعي وما يشوبه من رذائل ونقائص، وصبغ النص بمسحة جمالية، تمكن الشاعر من النقد بطريقة التعريض لا التصريح، بل تعدى إلى الجانب النفسي السيكولوجي، ذلك أن السخرية يمكن أن تؤدي أيضا في حياتنا النفسية دورا صحيا، فمن شأنها أن تجدد نشاط الإنسان وتعيد لنفسه الثقة والاطمئنان والشجاعة، كما تعد وسيلة للهروب من مشاغل الحياة ومواجهة صعابها، ومن هنا فالسخرية تقوم بعمل أخلاقي نبيل ومهمة سيكولوجية عظيمة.[1] كما يمكن النظر إلى السخرية بوصفها ملاذا نفسيا للأفراد، من خلال نقد السلوك الاجتماعي ومقاومة النقائص التي تسوده، لهذا استخدمها الشعراء في هجائهم بغية النقد والتقليل من شأن الآخرين، وكشف عيوب النقص بغية تقويم سلوكياتهم، وخاصة أنها تدعمه بآليات بلاغية تزيد في حدة النقد، وهذا ما يمكن الشاعر في هجائه من إبداع فضاء من الصور الساخرة التي تحقق المتعة والفائدة في ذهن المتلقي.

[1] ينظر، زكريا ابراهيم، سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص 188، 189.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث وبعد التوغل في عالم السخرية والهجاء في الأدب الأندلسي، يمكن القول أن هذا الموضوع مثّل ميدانا خصبا للدراسة لما يجمعه من جوانب موضوعية وفنية وجمالية وتداولية وأخلاقيةتتقاطع فيها اللغة بالأدب، والنقد بالواقع، والفكر بالمجتمع، ولقد سعينا من خلال هذه الدراسة إلى استجلاء طبيعة الخطاب الساخر، وذلك في سياق علاقته بالخطاب الشعري الهجائي، والكشف عن موضوعاته وآلياته ووظائفه، وعن الدور الذي لعبه في تعزيز الشعر الهجائي الأندلسي ليصبح أشد قوة ونقدا، وقد أسفرت هذه الدراسة عن جملة من النتائج منها ما يأتي:

أولا- النتائج الخاصة بالجانب النظري:

•عرف مصطلح الخطاب اضطرابا دلاليا وتداخلا مع مصطلحات أخرى كالنص والكلام والقول واللفظ، وهو ما جعل ضبط حدوده المفهومية من المسائل الإشكالية التي شغلت النقاد العرب والغرب على حد سواء.

•اختلاف الخطاب الأدبي عن الخطاب العلمي من ناحية اللغة؛ فلغة العلمي محدودة وضيقة؛ لأنها تتعامل مع مفاهيم مستقرة وثابتة لا تقبل التأويل؛ فهي تعتمد على التفسير والتحليل والتوضيح، أما لغة الخطاب الأدبي تتفرد بالمجاز والخلق والاختراع، وهذا ما يجعلها حبلى بدلالات متنوعة، ويمنحها تعدد القراءة، ويكونبذلكجمهوره أوسع وأشمل من الخطاب العلمي الذي يوجه إلى فئة متخصصة، وقراءته مضبوطة تتأسس على منهجية قارة ومنسقة.

•ليس الخطاب مجرد بنية لغوية، بل هو عملية تواصلية متكاملة الأطراف، تقوم على المرسل والمتلقي والرسالة والسياق، وتهدف إلى التأثير والإقناع بطريقة معينة؛ وبذلك فهو يتطور بصورة مستقيمة وتدريجية، مما يجعل منه حجر الأساس في فهم أي فعل لغوي أو أدبي.

•اعتبار السخرية مظهرا من مظاهر النقد والضحك، فقد لعبت دورا مهما وفعالا في الكشف عن إبداعات الشعراء وقدراتهم على التلاعب بالألفاظ، وقد اتخذها الشعراء وسيلة للتعبير عن الجور والظلم السائد في المجتمع والسعي إلى النقد والتغيير باعتبارها أسلوبا للإقناع والاحتجاج؛ ولأنها تخاطب العقل، وتسعى إلى تحقيق تأثير ما.

•تتأسس السخرية على المفارقة الدلالية التي تجمع بين ظاهر القول وباطنه، إذ تنطوي على معنيين متقابلين؛ أي أنها تقوم على ازدواجية المعنى: أحدهما ظاهري مباشر، والآخر خفي مضمر يتم اكتشافه عبر قرائن النص وسياقه التداولي.

•السخرية فعل لغوي ذكي لا يصدر إلا عن كاتب يمتلك حسا نقديا وبصيرة فكرية، كما تتطلب متلقيا فطنا قادرا على فك شفراتها، وهو ما يجعلها شكلا من أشكال الحوار غير المباشر، بين المبدع وجمهوره.

•تداخل مفهوم السخرية بمفاهيم مجاورة له؛ إذ تجلت علاقته بالهجاء، والمفارقة، والتهكم، والفكاهة، مما يدل على ثرائها الاصطلاحي واتساع مجالاتها التعبيرية، فهي تجمع بين الجد والهزل وبين المتعة والنقد في آن واحد.

•ارتباط السخرية بالضحك، فهي تسعى إلى كشف العيوب والتناقضات بأسلوب حاد وبطريقة نقدية تحمل المتلقي على الانفعال بالضحك، ولكن هذا لا يمنع من وجود اختلاف بينهما، فالسخرية لا تسعى إلى إثارة الضحك فقط، بل تسعى إلى الإصلاح والتقويم، فالضحك ليس غاية في حد ذاته.

•تمثل آليات السخرية البنية التقنية التي تقوم عليها، وتشمل التهكم، والمحاكاة الساخرة، والمفارقة والمبالغة، والتصوير الكاريكاتوري ... وهي أدوات فنية تتيح إنتاج المعنى بطريقة غير مباشرة.

•اعتبار السخرية من الأساليب المحركة للهجاء، وهذا ما يعكس العلاقة الوطيدة، والصلة الوثيقة بينهما؛ لأن السخرية تسعى إلى إلصاق العيوب والمثالب، والنقائص بالمسخور منه، كما أن الهجاء بدوره يعمل على إلحاق العيوب بمهجوه للإساءة إليه وفضحه، وهذا ما جعلها وسيلة يستخدمها الشعراء في شعرهم الهجائي لجعل خصومهم محل استهزاء واستخفاف، وللحط من مكانتهم وإذلالهم، وبذلك فالهجاء يعتمد السخرية للتقريع والتقويم، كما تمنحه طابعا فنيا وجماليا يجعله أكثر قوة وشدة وقبولا وتأثيرا في المتلقي.

•سَعي السخرية إلى تعرية الواقع، وكشف الزيف الموجود فيه من خلال أساليبها، وصورها، وفنياتها المختلفة، فهي تستخدم رسائلا مشفرة يسعى القارئ أو المتلقي إلى تفكيكها وفك شفراتها، وتأويلها وتميل كذلك إلى استخدام الكلمة الرافضة للأوضاع الراهنة في المجتمع.

•شكل الشعر الأندلسي الساخر نموذجا متميزا في الأدب العربي، إذ استطاع الجمع بين اللغة الجزلة والأسلوب السهل، وبين النقد اللاذع والتعبير الجمالي الرفيع، فكان ميدانا خصبا للتجديد والإبداع.

ثانيا: النتائج الخاصة بالجانب التطبيقي:

•اتخاذ الشعراء الأندلسيين السخرية وسيلة فنية وبلاغية أساسية في هجائهم، لما تتيحه من خفاء وتلميح ونقد غير مباشر يُحدث الأثر دون صدام مباشر مع الخصم.

•استحضار الشعراء الأندلسيين للسخرية في شعرهم الهجائي لقدرتها الفعالة في الحط من مقام وحال الآخر/المهجو؛ وجعله أشد إيلاما وأكثر تأثيرا من التجريح المباشر، فموضوعاتها تعزز هجاءه وتضفي المرونة والقوة على أسلوبه؛ إذ لا يقتصر على كشف وفضح العيوب، بل يصيّرها مضحكة ومفجرة للسخرية، وبذلك يحقق ما يريده من مقاصد خفية، وهذا ما يمكنه من النيل من خصمه بهجاء ساخر.

•تنوع موضوعات السخرية في أشعارهم بين ما يتعلق بالعيب الخِلقي الذي يلازم اللون، والعين، والرأس واللحية، والحدب، وقصر القامة ...، وما هو خُلقي كالكذب، الخيانة، البخل، الفحش، الفسوق، البلاهة ...، مما يدل على شمولية الرؤيا النقدية في خطابهم.

•اعتبار السخرية وسيلة مهيبة وقوية في إصلاح المجتمع من العيوب والرذائل والمثالب التي تعتريه، فهي تسعى إلى تهذيب النفس وتقويمها وتوجيهها، وهذا ما جعل الشعراء الأندلسيين يستخدمونها في هجائهم فجاء ساخرا، واستند إلى النقد اللاذع الذي يثير الضحك المرير بهدف التنفير من هذه الصفات الذميمة، فنقلت الهجاء من الذم إلى النقد اللاذع الذي يصورالخصم في صورة ساخرة بغية إبراز العيب بشكل أظهر وأعمق. فجعلته يعمل على الكشف والفضح والتقويم والتصحيح، وكل هذا يقود المتلقي إلى التقليل والحط من قيمة المهجو وإضعافه.

•استخدام اللغة البسيطة والأسلوب السهل الذي لا يحمل التعقيد ولا الألفاظ الغريبة ولا المعاني الصعبة البعيدة التي تستدعي التحليل وإعادة النظر، فكانت قريبة من المتلقي وأدت المعنى بوضوح وقوة تأثير ، ولكن بعد ذلك تجاوز الشاعر المعجم اللغوي القديم، وأصبحت اللغة ميدانا خصبا تمازحت وأثرت فيه الثقافات، مما أدى إلى انتشار وتسلل ألفاظ ومصطلحات جديدة، ودخيلة وغير معهودة على الهجاء، وهذا ما جعله يكتسب تعددا لفظيا، وثراء دلاليا كبيرا.

•وظف الشعراء الصور البيانية المتنوعةوخاصة التشبيه والاستعارة والكناية، لتكثيف المعنى الساخر وإضفاء طابع فني وجمالي على الهجاء وتعزيزهوجعله أشد قوة وتأثيرا في نفس الخصم، والمتلقي معا بغية إقناع هذا الأخير بالرؤية المقصودة.

•تميزت الأساليب اللغوية في خطابهم الشعري بالليونة والعذوبة ورشاقة التركيب، مما جعل السخرية المتجلية في شعرهم الهجائي أكثر قبولا في الذوق العام وأسهل انتشارا بين الناس. وقد تنوعت الأساليب البلاغية منها: النداء والأمر والاستفهام والشرط لتقوية دلالات الخطاب الشعري وإثراء معانيه.

•عبّرت الموسيقى الشعرية من خلال الأوزان الخليلية والإيقاعات المنتظمة، عن عمق التجربة الشعورية والوجدانية للشاعر

•. استلهام الشعراء الموروث الديني والأدبي، وخاصة القرآن الكريم وأشعار القدماء، فكان ذلك مصدرا للعمق الدلالي والإيحاء الرمزي في خطابهم.

•استناد السخرية إلى جملة من الآليات كالمحاكاة الساخرة، التصوير الكاريكاتوري، المبالغة، المفارقة، التهكم الهجائي، الالماع، المناداة بالألقاب .....لذم المهجو والتقليل من منزلته، وهو جوهر عمل آليات السخرية في الهجاء، وهذا ما عكس براعة شعراء الأندلس في استخدامها لتكوين صورة هجائية ساخرة للنيل من أعدائهم والتهكم منهم وتحقيرهم والاستخفاف بهم، كما جعلوها سلاحا فعالا للتعبير عن واقعهم الاجتماعي والسياسي.

•سَعى السخرية من خلال آلياتها إلى إثارة الضحك، وإصابة هدفها وغايتها التي جاءت من أجلها دون تجريح أو إساءة أو انتقاد جارح، ولكنها في أحيان أخرى قد تكون جارحة، وفاضحة، ولاذعة في نقدها، وهذا ما جعلها قريبة من الهجاء، ودفع الشعراء الأندلسيين إلى استخدام آلياتها في شعرهم الهجائي، وذلك لقدرتها

على الخفاء والتلميح والنقد وإثارة الضحك، وكل هذا أسهم في إبعاد الهجاء عن السب الجلي والمباشر والارتقاء به، وبخاصة أن هناك من النقاد من أقر أن الهجاء لا تتحقق فيه البلاغة إلا إذ جرى مجرى الهزل والتهافت، وتراوح بيت التصريح والتعريض، وتميزت معانيه بالقرب وسهولة الحفظ.

•اعتماد آليات السخرية على التخفي والإضمار فهي لا تصرح بالمعنى الحقيقي، وإنما تلبسه طابعا من السخرية والتهكم لتظهره بطريقة ذكية ولطيفة، وأحيانا بطريقة لاذعة، وهذا ما مكنها من تدعيم وتعزيز مقصد الشعر الهجائي.

•تمظهر المبالغة بشكل كبير في الخطاب الشعري بوصفها آلية أساسية لقيام السخرية في الشعر الهجائي الأندلسي، لأنها تقوم على تضخيم العيوب وتهويلها، وبذلك فهي تدعم مقصد الهجاء وهو الانتقاص والتجريح والإمعان في الاحتقار، وتسهم أيضا في تحقيق مقصد التقويم والإصلاح لبعض المثالب والعيوب. كما أنها ترفد الأثر التداولي للهجاء الذي يظهر جليا في رد فعل المتلقي؛ إذ ترفده بالابتسامة إلى جانب الضحك الانتقاصي الذي يحققه الهجاء.

•اعتماد السخرية على آلية التلميح لقدرتها على تحقيق الغاية التي يريد الشاعر الوصول إليها عبر سخريته من خصمه؛ وذلك بأقل قدر من الإيذاء والإيلام، وهذا ما جعل الشاعر يستعين بها في خطابه لتخفيف من حدة الهجاء، وفي الوقت نفسه كشف النقائص والعيوب، الموجودة خارج النص.

•تحقيق نوع من التقارب والصلة بين السخرية والهجاء بغية النقد والإصلاح، وبخاصة أن السخرية تؤدي وظائفا متعددة في هذا المجال مما يعزز من هدف الشعر الهجائي، وبذلك فوظائف السخرية في سياق الشعر الهجائي تحدد الغرض الذي تؤديه بوصفها آلية معززة لمقاصد وغايات الهجاء؛ فهي في سياقه ليست مجرد آلية للانتقاد والتهكم، بل تتضمن وظائف متنوعة تساند الشاعر في تحقيق مقصده وتأثيره في السامع.

•أداء السخرية لوظيفة اجتماعية في سياق الشعر الهجائي بوصفها آلية إبداعية ورمزية تمكن الشاعر من كشف مختلف التناقضات المتجلية في أوساط المجتمع، ومهاجمتها، وتحفيز النقد لدى المتلقي وإرغامه على إعادة النظر في الأفكار والمواقف بطريقة إبداعية تأثيرية.

•تميز الشاعر الأندلسي بقدر من الذكاء والمكر، وهذا ما مكنه من تمرير خطابه بطريقة سلسة في طابع هزلي، لأن خطابه لم يكن بريئا، بل حمل رسائلا خفية،وهذا ما جعله يستعين بعناصر محددة وهي (المرسل (الساخر)، والمرسل إليه (المسخور منه) والرسالة ووظفها في سياق ومقام خاص لتؤدي وظيفتها في عملية السخرية وتعزز بذلك الهجاء، وطبيعة الاستخدام اللغوي عزز من الوظيفة التداولية للسخرية؛ إذ جعلتها قوية ومتجلية من خلال السياق،وهذا ما يدعم الهجاء ويزيده قوة وتأثيرا وإقناعا، ويمكنه من تحقيقا لمقصد وهو الحط من قيمة المهجو

وإقناع الآخر بالصفات الذميمة التي يحملها المهجو، وجعله يتخذ موقفا معاديابهدف إذلال الخصم، وتقويض مكانته ضمن السياق السياسي والاجتماعي.

•اعتماد السخرية بوصفها ركيزة إستراتيجية في شعر الهجاء؛ لأنها تملك قدرة كبيرة على التفنيد والتهكم، وهي أيضا تقانة فنية؛ أي بإمكانها تقديم تجارب جمالية، وذلك عبر التفكيروالتأثير، فهي تكشف العيوب بأسلوب فني جديد ومبتكر، وبخاصة أنها في كثير من الأحيان لا تعتمد على التصريح، وهذا ما خلق نوعا من التفاعل الفكري بين الخطاب الشعري والمتلقي؛ وهذا ما حقق بدوره بعدا جماليا، لأنها تدغدغ فهمه وتجذبه إلى النص لكشف معانيه المخفية وراء الآليات البلاغية مثل :المبالغة، المفارقة، المقارنة،...،ولهذا استعان بها الشاعر الأندلسي في هجائه، فهي جعلت المتلقي يتفاعل مع هجائه عاطفيا وفكريا، وهذا ما يدعم شعره ويضمن له التأثير والبقاء، فالاستعانة بها تمنح شعره متعة جمالية إلى جانب غاية الهجاء؛ لأن المتلقي قد لا يستسيغ الهجاء الصريح، والسخرية يمكن أن تضيف إليه لمحة جمالية فيصبح ممتعا ومفيدا.

التوصيات:

وبعد عرض أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة، نرى أن موضوع السخرية في الشعر الأندلسي ما يزال مجالا خصبا للبحث والتأمل، لما يحتويه من ثراء لغوي وفني، وما يعكسه من مواقف اجتماعية وثقافية وأخلاقية متشابكة، ومنه يمكن تقديم جملة من التوصيات التي نراها وتطوير البحث في هذا المجال وهي كالآتي:

1. ضرورة توسيع الدراسات النقدية حول السخرية في الأدب الأندلسي، من خلال مقارنتها بنظيراتها في الأدب العربي القديم والحديث، قصد الكشف عن أوجه التطور والتأثر والخصوصية الأسلوبية التي تميز التجربة الأندلسية.
2. الاهتمام بتحليل السخرية في ضوء المناهج التداولية واللسانية الحديثة، لما توفّره من أدوات منهجية دقيقة تمكّن من فهم بنية الخطاب الساخر، وتوضّح آليات اشتغاله.
3. تشجيع الدراسات التطبيقية التي تربط بين السخرية والواقع الاجتماعي والسياسي في الأندلس في تلك الحقبة، وذلك لإبراز الدور الإصلاحي الذي اضطلعت به الكلمة الساهرة في توجيه الرأي العام ومعالجة الظواهر السلبية.
4. دعوة الباحثين إلى جمع وتحقيق النصوص الهجائية الأندلسية التي لم تُدرس بعد، والعمل على تحليلها وفق مناهج نقدية حديثه، حفاظا على هذا التراث الأدبي القيّم وإثراء للمكتبة العربية.
5. ضرورة استثمار مفهوم السخرية في الدراسات الأدبية والتربوية المعاصرة بوصفها آلية ثقافية راقية تسهم في تنمية الحس النقدي لدى المتلقي، وتطور قيم الإصلاح الاجتماعي والفكري بأسلوب فني يجمع بين المتعة والإقناع.

قائمةالمصادروالمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادروالمراجع العربية

1. ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الخلبي وأولاده، ج1، 1358ه/1939م.

2. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين.

3. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الملوك والطوائف

4. أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية: دراسة في الوظيفي والبنية والنمط، ط1، دار الأمان، الرباط، 2010.

5. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة: دراسة في النمط والتطور، دار الأمان، ط1، الرباط، 2012.

6. أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج1، دار صادر، بيروت، 1968.

7. أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج3، دار صادر، بيروت.

8. أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب، ج4، دار صادر.

9. أحمد شايب، الضحك في الأدب الأندلسي: دراسة في وظائف الهزل وأنواعه وطرق اشتغاله.

10. أحمد شايب، الهجاء: إعادة تقديم نقدية، ضمن كتاب أبحاث في الفكاهة والسخرية (الورشة السابعة) تنسيق بديعة الطاهري)

11. أحمد عبد الغفار عبيد، أدب الفكاهة عند الجاحظ، جامعة الأزهر، ط1، 1402ه/1982م.

12. أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، ط3، 1414ه/1993م، بيروت.

13. أمير حلمي مطر، جمهورية أفلاطون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994.

14. أيمن عبد الغني، الكافي في البلاغة: البيان والبديع والمعاني.

15. أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر.

16. بديعة الخرازي، مفهوم الشعر عند نقاد المغرب والأندلس، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، ط1.

17. ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، ج2.

18. بشاكير علي بن هادية، بلحسن البليش، القاموس الجديد للطلاب: معجم عربي مدرسي ألفبائي، تقديم محمود المسعدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط7، 1991م، الجزائر.

19. بشير ابرير، الخطاب العلمي وبعض خصوصياته: رؤية تعليمية.

20. البغدادي عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لُباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ج8، ط2، 1409ه/1989م، القاهرة.

21. بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2010.

22. بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2010 (تم حذفه، مكرر.(

23. بهجة المجالس وأنس المجالس، المكتبة الشاملة.

24. جابر عصفور، آفاق العصر، دار الهدى للثقافة والنشر، دمشق، ط1، 1997.

25. جابر عصفور، البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، دار الآفاق العربية، بغداد، 1985.

26. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، 1992.

27. الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، ج1، بيروت، 1996.

28. جاسم خلف إلياس، شعرية القصة القصيرة جدًا، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 1430ه/2010.

29. جديتاوي هيثم محمد، المفارقة عند أبي العلاء المعري

30. جديتاوي هيثم محمد، المفارقة عند أبي العلاء المعري: دراسة تحليلية في البنية والمغزى، دار اليازوري، ط1، عمان، 2012.

31. جميل حمداوي، السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، الوراق للنشر والتوزيع، ط1.

32. جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف بمصر، ط2، القاهرة، 1960.

33. جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف بمصر، ط2، القاهرة، 1960.

34. حازم القرطاجني، منهج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط3، تونس، 1986.

35. حسن عبد الجليل يوسف، التمثيل الصوتي للمعاني

36. حسن عبد الجليل يوسف، التمثيل الصوتي للمعاني: دراسة نظرية وتطبيقية في الشعر الجاهلي، دار الرشيد، بيروت.

37. الحطيئة، الديوان، شرح: أبو سعيد السكري، دار صادر، بيروت، ط2، 1998.

38. حلمي مرزوق، النقد والدراسة الأدبية، دار النهضة العربية، 1982.

39. خالد الشريف، بلاغة العرب في الشعر الأندلسي.

40. خريدة القصر، ج1، 2.

41. ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1993.

42. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج2، تح: محمد محي الدين عبد الحميد.

43. دراز محمود، اللغة والدلالة في القرآن.

44. رابح بوحوش، اللسانيات وتحليل الخطاب

45. رابح بوحوش، اللسانيات وتحليل الخطاب، ص100-101.

46. رابح ملوك، الصورة الساخرة في شعر أبي الشمقمق، ضمن كتاب السخرية في الأدب العربي.

47. رابعة سوساني، مختبر اللغة والمجتمع والخطاب، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2017.

48. ابن رشيق القيرواني، العمدة، تح: محمد قزقزان، دار المعرفة، ط1، ج1، بيروت، 1988.

49. رمضان صالح، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، دار الفارابي، ط1، بيروت، 2001.

50. رومان جاكبسون، قضايا الشعرية.

51. ريمون طحان، اللسنية العربية، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، ج2، لبنان، 1981.

52. رئيف خوري، النقد والدراسة الأدبية

53. رئيف خوري، النقد والدراسة الأدبية، مكتبة الطالب منشورات دار المكشوف، بيروت.

54. زكريا إبراهيم، سيكولوجية الفكاهة والضحك

55. زكريا إبراهيم، سيكولوجية الفكاهة والضحك، مكتبة مصر، دت.

56. الزمخشري، الكشاف، ج2، دار الفكر.

57. سعد إسماعيل شلبي، الشعر العباسي التيار الشعبي، دار غريب الفجالة، 1978.

58. سعد بوفلاقة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية.

59. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1.

60. سها عبد الستار السطوحي، السخرية في الأدب العربي الحديث

61. سها عبد الستار السطوحي، السخرية في الأدب العربي الحديث "عبد العزيز البشرى نموذجًا"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دت، القاهرة، 2007.

62. شمسى واقف زادة، الأدب الساخر: أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، فصيلة دراسات الأدب المعاصر، العدد الثاني عشر، جامعة ازالاسلامية، إيران، 1390هـ

63. شوقي ضيف، دار المعارف، ط2، القاهرة، دت

64. شوقي ضيف، الفكاهة في مصر، دار المعارف للنشر، ط3، القاهرة، 1943.

65. ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1956.

66. عبد الجليل مرتاض، في عالم النص والقراءة.

67. عبد الجليل مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، الجزائر.

68. عبد الحكيم حنفي، التصوير الساخر في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992.

69. عبد الحميد شاكر، الفكاهة والضحك: رؤية جديدة، عالم المعرفة، الكويت.

70. عبد الحميد شاكر، الفكاهة والضحك، عالم المعرفة، الكويت.

71. عبد الحميد محمد محسن، السخرية في أدب الجاحظ، الجماهرية للنشر والتوزيع، ط1، 1398هـ

72. عبد الرحمن ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، شرحه: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، ط1، 1990.

73. عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي

74. عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ج4، بيروت، لبنان، 1407هـ/1986م

75. عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، ج4، بيروت، لبنان، 1407هـ/1986م.

76. عبد الرحمن بترماسين، العروض وإيقاع الشعر العربي.

77. عبد الرحمن شكري، دراسات في الشعر العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1415هـ/1994.

78. عبد العزيز عتيق، علم البديع.

79. عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية.

80. عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل: رومان جاكبسون نموذجًا، دار الحزار، ط1، اللاذقية، سوريا، 2003.

81. عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دت، بيروت، 1407هـ/1987م.

82. أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، تح: محمد بن تاويتالطنجي، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، ط1، 1952.

83. عبد الهادي الفضلي، مختصر النحو، دار الشروق، ط7، جدة، 1980.

84. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004.

85. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب.

86. ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد.

87. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب، تح: لولانوبروفسال، دار الثقافة، بيروت، ج3.

88. ابن عذاري المراكشي، تحلولانوبروفسال، دار الثقافة، بيروت.

89. علي البوجديدي، السخرية في أدب الجاحظ.

90. عماد الدين الأصفهاني الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر، تح: محمد بهجة الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ج1، 1964.

91. عمر باصريح، شعرية المفارقة – قراءة في منجز البردوني الشعري، مؤسسة علامات للنشر والتوزيع، ط1، 2016.

92. فاطمة حسين العفيف، السخرية في الشعر العربي: محمد الماغوط، محمود درويش، أحمد مطر – نماذج، وزارة الثقافة، الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2017.

93. فاطمة صغير، السخرية في القصيدة الهجائية، ضمن كتاب السخرية في الأدب العربي.

94. أبو الفرج قدامى بن جعفر، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، مكتبة انخانجي، القاهرة، ط3.

95. فؤاد الفخفاخ، من خصائص الفن في نماذج من شعر الهزل، حوليات الجامعة التونسية، العدد 54.

96. فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي.

97. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ج1، بيروت، لبنان، 2000.

98. القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، 1966.

99. القرايزي (علي بن حسن بن علي أبي الطيب) ، دمية القصر وعصره أهل العصر، ج1، تح: محمد التنوخي، دار الجيل، ط1، بيروت، 1993.

100. قصي الحسين، تاريخ الأدب في العصر الأموي، منشورات دار الهلال، ط1، بيروت، لبنان، 1998.

101. الكتاني محمد بن، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1966.

102. كريمالوائلي، التشكيلان الإيقاعي والمكاني في القصيدة العربية الحديثة، المكتبة الوطنية، بغداد، ط2، 2021.

103. كريمالوائلي، التشكيلان الإيقاعي والمكاني في القصيدة العربية الحديثة

104. محمد العبد، المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدلالة.

105. محمد الهادي عياد، الخصائص الأسلوبية للخطاب العلمي في التراث العربي، دار سحر للنشر، تونس، 2015.

106. محمد اليعلاوي، العدد 45، كلية الآداب جامعة منوبة، تونس، 2001.

107. محمد بن الكتاني، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس.

108. محمد بن سعيد المغربي علي بن موسى، المغرب في حُلى المغرب، ج1، ج2، ج3، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1978.

109. محمد رضوان الداية، جمع وتح وشرح يحيى بن حكم الغزال

110. محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي.

111. محمد زكريا عناني، تاريخ الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999.

112. محمد صلاح أبو حميدة، الخطاب الشعري عند محمود درويش: دراسة أسلوبية، منشورات كلية الآداب، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين.

113. محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية، دار الطليعة، بيروت، ط1.

114. محمد كاديك، سؤال السخرية: وأدوات الكتابة الساخرة، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2021.

115. محمد مفتاح، التشابه والاختلاف: نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، دت، المغرب، 1996.

116. محمد ونان جاسم، المفارقة في القصص الستيني العراقي

117. محمد ونان جاسم، المفارقة في القصص الستيني العراقي، رسالة ماجستير، كلية التربية، مستنصرية، 2000.

118. محمود عكاشة، خطاب السلطة الإعلامي: نحو لغة الخطاب، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، القاهرة، 2005.

119. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، تموز 2005.

120. ابن منظور، لسان العرب، ج1، دار صادر، بيروت، ط1، 1955، مادة: خطب، ص361.

121. نافع عبد الله، الهجاء في الشعر الأندلسي.

122. نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب: دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة، ج2.

123. نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب: دراسة في النقد العربي الحديث

124. ابن هلال العسكري، الفروق في اللغة، تح: لجنة إحياء التراث، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط4، بيروت، 1980.

125. ابن هلال العسكري، ديوان المعاني، عن نسخة الشيخ محمد عبدو والشيخ محمد محمود الشنقيطي، عالم الكتب.

126. يحيى بن حكم الغزال، الديوان.

127. يحيى بن حكم الغزال، الديوان، جمع وتح وشرح محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، 1993.

ثانيا: المراجع المترجمة

1. أرسطو طاليس، *فن الشعر*، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت.

2. بول ريكور، *نظرية التأويل*، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2006.

3. جودت الركابي، *في الأدب الأندلسي*، دار المعارف بمصر، ط2، القاهرة، 1960.

4. جوليا كريستيفا، *علم النص*، تر: فريد الزاهي.

5. دانيال تشاندلر، *أسس السيميائية*، تر: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2008.

6. دانيال رايق، *الخطاب الأدبي العربي المعاصر*، تر: إبراهيم صحراوي، مجلة الحياة الثقافية التونسية، العدد 35، 1985.

7. دي مي ميويك، *موسوعة المصطلح النقدي: المفارقة وصفاتها*، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1993.

8. رومان جاكبسون، *القضايا الشعرية*، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1988.

9. رينيه وليك وآستن وان، *نظرية الأدب*، تعريب عادل سلامة، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1412 هـ/1992م.

10. فرانسوازأرمنكو، *المقاربة التداولية*، تر: سعيد علوش، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء، بيروت.

11. ميخائيل باختين، *شعرية دوستوفيسكي*، تر: جميل ناصف التكريتي، حياة شرارة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1986.

12. ميشال فوكو، *نظام الخطاب*، تر: محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، لبنان، 1984.

13. هنري برغسون، *الضحك*، تر: سامي الدروبي، عبد الله عبد النديم، الهيئة المصرية العامة للكتب، مكتبة الأسرة، 1998.

14. Satire, A Critical Reintroduction, Dustin Griffin، تر: أحمد شايب ضمن كتاب *أبحاث في الفكاهة والسخرية*، مختبر اللغة والمجتمع والخطاب، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2017.

15. قدامة بن جعفر، *نقد الشعر*.

ثالثا: المقالات في المجلات

1. بشير ابرير، الخطاب العلمي وبعض خصوصياته رؤيا تعليمية، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، المجلد 3، العدد 2، 2007.

2. سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة فصول، المجلد 2، العدد 2.

3. شمسي واقف زاده، الأدب الساخر، أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، مجلة دراسات الأدب المعاصر، إيران، عدد 12، السنة الثالثة، 1433.

4. عبد القادر الفاسي الفهري، عن أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني ضمن المنهجية في العلوم الإنسانية، مجلة الكرمل، فلسطين، العدد 18.

5. عبد النبي ذاكر، استراتيجيات السخرية في رواية (إميلشيل)، مجلة فصول، مصر، العدد 2، 1993.

6. محمد كنوني، التوازي ولغة الشعر، مجلة فكر ونقد، مجموعة 18.

7. مدقن هاجر، التحليل التداولي، الأفق النظري والإجراء التطبيقي في الجهود التعريفية العربية، مجلة الأثير، ورقلة، الجزائر، المجلد 10، العدد 11، 2011.

8. مشاري عبد العزيز الموسى، أسلوب السخرية: نظرياته وإشكالياته، مجلة رسالة الشرق، القاهرة، المجلد 36، العدد 3، سبتمبر 2021.

9. نبيلة إبراهيم، المفارقة، مجلة فصول، القاهرة، المجلد 7، العدد 4/3.

رابعا:المعاجم

1. أحمد فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1979، ص 198.

2. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها.

3. بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة للنشر والتوزيع، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، جدة – الرياض، ط3.

4. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1948.

5. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1405ه/1985م.

6. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار العربية للكتاب، 1982.

7. ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان.

8. مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان.

9. محمد التنوخي، المعجم المفضل في الأدب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2.

10. المعجم الوسيط، عبد العزيز النجار وآخرون، مكتبة المعارف الدولية، ط4.

11. المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004.

12. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، دار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2009.

المراجع الأجنبية

1. Dominique Maingueneau, *Analyser les textes de communication*, Éditions Nathan, Paris, 2000.

2. George Mounin, *Dictionnaire de la linguistique*, Presses Universitaires de France, Paris, 1974, p. 314.

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
إهداء	//
شكر وعرفان	//
مقدّمة	أ-و
مـــــــــــــدخلمفاهيمي	08
أولا : مفهومالخطاب	09
1-لغة	09
2 -اصطلاحا	10
3-العناصرالمشكلةللخطاب	16
1.3-المرسل	17
2.3-المرسلإليه	18
3.3-الرسالة	18
4.3- السنن	19
5.3-السياق	19
6.3-القناة	20
4-أنماط الخطاب	21
1.4-الخطابالعلمي	21
2.4 -الخطابالأدبي	21
ثانيا:السخرية	23
1-اللغوي	24
2 -اصطلاحا	26

ثالثا-السخريةوالمفاهيمالمقاربةلها	29
1- السخريةوالهجاء	29
2- السخريةوالفكاهة	30
3- السخريةوالتهكم	32
4- السخريةوالمفارقة	33
5- السخرية والضحك	34
6-ميكانيزماتالسخرية	36
1.6 السخرية بالمحاكاة	36
26.المناداة بالألقاب	36
36.التصوير الكاريكاتوري	37
46.المفارقة	37
56.التلاعب بالألفاظ	38
66.الكناية	39
76.التعريض	39
86. الذم بما يشبه المدح	39
96.المبالغة	40
ثانيا:الهجاء	40
1- مفهوم الهجاء	40
2-علاقةالسخريةبالهجاء	41
الفصل الأول : موضوعات السخرية في الشعر الهجائي	44
توطئة	45
1-مايتعلقبالعيوبالخِلقية (الجسدية)	47

2- مايتعلقبالعيوبالخُلقية	60
1.2-البخل	60
2.2-الخيانة	65
3.2-الفساد	68
4.2-الكذب	73
5.2- الحمقوالجنونوالجهل	75
6.2-الغرور	82
7.2-النفاقوالرياء	85
8.2-الجبن	86
9.2-النحسوالشؤم	87
10.2- الظلموالجور	91
11.2- السرقة	92
12.2-الفسقوالفجور	95
الفصل الثاني : مقومات بناء الشعر الهجائي الاندلسي ودورها في تعميق المعنى الساخر	104
توطئة	105
1-اللغة	105
2-الأسلوب	123
3-الصورةالشعرية	132
1.3-الصورةالتشبيهية	132
2.3- الصورةالاستعارية	136
3-الصورةالكنائية	138

4- التشاكلالإيقاعي	139
1.4- التشاكل الخارجي	140
أ-الوزن	140
ب-القافية	143
ت-الروي	144
2.4- التشاكلالداخلي	146
أ-التصريع	146
ب-التدوير	147
ت- التوازي	148
الفصل الثالث : آليات ووظائف السخرية في الشعر الهجائي الاندلسي	154
أولا-آلياتاشتغالالسخريةفيشعرالهجاءالأندلسي	155
1-المحاكاةالساخرة (الباروديا)	156
2- الوصفالكاريكاتوري	160
3- المفارقة (Irony)	165
4 -المبالغة	169
5-الذمبمايشبهالمدح	173
6- المدحبمايشبهالذم	175
7-التلاعببالألفاظ	178
8-التعريض	181
9-التورية	183
10-التكرار	185

11-المناداةبالألقاب	188
12-الالماع	192
ثانيا:وظائفالسخريةفيسياقالشعرالهجائي	197
1-الوظيفةالاجتماعية	197
2-الوظيفةالتداولية	205
3-الوظيفةالجمالية للسخرية في سياق الشعر الهجائي	215
الخاتمة	221
قائمة المصادر و المراجع	226
فهرس المحتويات	238
ملخص	//

الملخص:

برزت السخرية في الأدب العربي بوصفها أداةً إنسانية قديمة، قوامها المفارقة والتهكّم ووظيفتها النقد والتقويم إلى جانب ما تحمل من طرافة وإضحاك،فهي فنّ يقف على الحدّ الفاصل بين الجدّ والهزل يضحك ليوقظ ويسخر ويعرّي، ويمازج الخفّة في بناء فنيّ مركّب طالما استوقف الدارسين قدامى ومحدثين، وإذا كانت السخرية ظاهرة أصيلة في المدوّنة الشعرية العربية، فإنّ الأندلس قدّمت لها مجالا خاصّا للتشكّل والتجديد؛ ذلك أنّ المجتمع الأندلسي بما انطوى عليه من تداخل الأعراق والثقافات، وبما عرفه من تقلّبات سياسية وصراعات اجتماعية، أتاح للسخرية أن تتجاوز الوظيفة الفردية إلى وظيفة جماعية فالشاعر الأندلسي لم يقف عند حدود التفكّه أو النيل الشخصي، بل استثمر الخطاب الساخر ليصوغ رؤية نقدية شاملة تمسّ الأوضاع العامة وتفضح مظاهر الفساد والانحلال، وربما هذا ما جعل الشعر الهجائي يستحضرها في خطابه ليعززه أكثر ويجعله أشد قوة وإيلاما، ومن هنا تتبدّى أهمية النظر في الخطاب الساخر وآليات اشتغاله في الشعر الهجائي الأندلسي لكشف ملامح السخرية في الشعر الهجائي الأندلسي بوصفها ظاهرة لغوية وجمالية وثقافية متشابكة الأبعاد، تعبّر عن تفاعل الشاعر الأندلسي مع بيئته ومجتمعه، وتكشف عن حسّه النقدي وقدرته على توظيف الفن في محاكمة الواقع بأسلوب ساخر رفيع؛فالسخرية ليست مجرد وسيلة للإضحاك أو التهكم، بل هي خطاب واع يعبّر عن رؤية الشاعر للعالم، وعن موقفه من التحولات الاجتماعية والسياسية والفكرية التي عاشها الأندلسيون.

Abstract:

Satire has emerged in Arabic literature as an ancient humanistic tool rooted in paradox and irony, serving both critical and corrective functions alongside its capacity for amusement and humor It is an art that stands at the fine line between seriousness and jest, laughing to awaken mock and expose, while blending levity within a complex artistic structure that has long captivated scholars, both classical and modern While satire is an inherent phenomenon in the Arabic poetic tradition, Al-Andalus provided a distinctive space for its formation and renewal The Andalusian society, characterized by the intermingling of diverse ethnicities and cultures as well as political upheavals and social conflicts, allowed satire to

transcend individual expression and assume a collective function. Andalusian poets did not confine themselves to mere amusement or personal attack rather they harnessed satirical discourse to craft comprehensive critical perspectives that addressed public affairs and exposed corruption and moral decay ;This may explain why invective poetry often incorporated satire to intensify its force and poignancy Accordingly, examining satirical discourse and its mechanisms in Andalusian invective poetry reveals the features of satire as a multidimensional linguistic, aesthetic, and cultural phenomenon, It reflects the poet's engagement with his environment and society, exposes his critical sensibility, and demonstrates his ability to employ art to scrutinize reality through refined satirical expression Satire therefore is not merely a means of eliciting laughter or irony; it constitutes a conscious discourse conveying the poet's worldview and his stance toward the social, political, and intellectual transformations experienced by the Andalusians.